ابن الأبار الأندلسي الأديب

(٥٩٥-٦٥٨/١١٩٨ - ١٢٥٩)

ماهر زهير جرار

رسالة مقدمة الى الدائرة العربية في الجامعة
الاميركية
في بيروت

لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي

حزيران ١٩٨٣

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

Thesis Title

Ibn Al-Abbar of Andalusia as Litterateur

By

Mahir Zuhayr Jarrar

Approved:

Professor Ihsan Abbas — Advisor

Professor Muhammad Y. Najm — Member of Committee

Professor Wadad Kadi — Member of Committee

Date of Thesis Presentation: 5.7.1983.

"THESIS RELEASE FORM"

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

I, Mahir Zuhayr Jarrar

☐ authorize the American University of Beirut to supply copies of my thesis to libraries or individuals upon request.

☑ do not authorize the American University of Beirut to supply copies of my thesis to libraries or individuals upon request.

Signature

5. 7. 83

Date

فهرست الرســـالـــة

- تمهيـــد -

بسم اللـه الرحمن الرحيـم

وبه استعيـن

يعتبر أبو عبد الله ابن الأبار (٥٩٥ - ٦٥٨ / ١١٩٨ - ١٢٥٩) من كبـار الشخصيات في تاريخ الادب والفكر في الغرب الاسلامي . فقد كان على حد تعبير ابن عبد الملك المراكشي " آخر رجال الاندلس براعة واتقانا وتوسعا في المعارف وافتنانا ، محدثا مكثرا ضابطا عدلا ثقة ناقدا يقظا ذاكرا للتواريخ على تباين أغراضها ، مستبحرا في علوم اللسان نحوا ولغة وأدبا".[1] وقد عني عدد كبير من الباحثين من عرب ومستشرقين منذ أواسط القرن الماضي وحتى هذا اليوم بنشر ما وصلنا من مؤلفاته. كما ظهرت دراسات كثيرة في حياته ومؤلفاته. وقد قرّ رأيي على اختيار " ابن الأبار الأديب" موضوعا لدراستي الحالية . اذ أن ما كتب عنه حتى الان لا يفي الموضوع حقّه .

أ - نستطيع حصر ما كتب عن ابن الابار في اللغة العربية بدراسة الدكتور عبد العزيز عبد المجيد (صدرت سنة ١٩٥١) .[2] وهو قد قدّم جهدا طيبا في اطار ما توفر لديه من مصادر ، غير أن الاسلوب الانشائي غلب على دراسته كما أسرف في الكلام على الحوادث التاريخية في شرق الاندلس

---

١ - ابن عبد الملك المراكشي ، الذيل والتكملة (تحقيق احسان عباس ، دار الثقافة - بيروت ، ١٩٧٣) ٦ : ٢٥٨ .

٢ - ابن الأبار ، حياته وكتبه (الرباط ، ١٩٥١) . وقد نال عليه جائزة محمد مولاى الحسن للابحاث .

(٨٤ صفحة من أصل ٣٧٠) ، واكتفى بعرض وصفي لمؤلفات ابن الأبار المعروفة آنذاك .

وقد توكأ على هذا الكتاب كل من كتب عن ابن الأبار من بعد .

أما كتاب الدكتور عبد الله أنيس الطباع[1] الذى نال عليه درجة دكتوراه الدولة في الفلسفة والآداب من جامعة مدريد سنة ١٩٥٦ ، فلم يأت فيه بجديد ، وهو ليس بالدراسة الاكاديمية أصلا ، ولا هو تحقيق للحلة السيراء كما ادعى صاحبه .

تبقى المقدمات التي وضعها المحققون عند نشرهم لمؤلفات ابن الأبار حيث عمد كل منهم الى اعادة رسم الخطوط العامة لحياة ابن الأبار مع زيادة او نقصان في التفصيلات التاريخية وذكر لمؤلفاته . هذا ما فعله ابراهيم الأبيارى عند نشره كتاب المقتضب من تحفة القادم[2] ، والدكتور صالح الاشتر في مقدمة اعتاب الكتاب ،[3] فخصص كل واحد منهما عدّة صفحات للكلام على الكتاب ووصفه وتحليله . أما مقدمة الدكتور حسين مؤنس للحلّة السّيراء[4] فقد عمد فيها الى ذكر تفصيلات تاريخية حول حياة ابن الابار غير انه لم يجد متسعا من الوقت لدراسة الكتاب اذ ان : " دراسته طويلة جديرة بأن يفرد لها بحث خاص ، ومثل هذا الكتاب تتبين مزاياه عند الحاجة اليه" .

---

١ كتاب الحلة السيراء ، لابي عبد الله ابن الابار القضاعي (دار النشر للجامعيين – بيروت ، ١٩٦١) .

٢ المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٥٧ .

٣ مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٩٦١ .

٤ الشركة العربية للطباعة والنشر – القاهرة ، ١٩٦٣ .

ب - لقد تقدمت الدراسات الاندلسية في العقدين الماضيين واتّجه عدد كبير من الباحثين نحو هذا المجال فتم نشر عدد كبير من المخطوطات . وقد كان للدكتور احسان عبّاس فضل كبير في احياء هذا التراث اذ عمل على تحقيق أمهات المصادر الاندلسية ابتداء من عام ١٩٦٠ ، فحقّق تحقيقا علميا ما وصلنا من كتاب الذيل والتكملة ،[١] وكتاب نفح الطيب ،[٢] والذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ،[٣] هذا الى عدد كبير من الدواوين والمصادر الشعرية .[٤] ويبقى كتابه تاريخ الادب الاندلسي بجزئيه رائدا في حقـــل الدراسات الاندلسية .

كما ظهرت في الغرب دراسات عديدة متخصصة قام بها فريق من الباحثين في اسبانية وأميركا وفرنسة تتناول الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الاندلس ، واختص فريق آخـــر بدراسة هذه المناحي في "الممالك النصرانية" في شمال شبه الجزيرة الايبيرية .[•]

---

١ بقية السفر الرابع ، السفر الخامس ، السفر السادس (تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار الثقافة بيروت ، ١٩٦٤ - ١٩٧٣) ، والسفر الاول (تحقيق الدكتور محمد بنشريفة ، دار الثقافة ، بيروت ، بدون تاريخ) .

٢ لاحمد بن محمد المقري التلمساني ، ١ - ٨ دار صادر - بيروت ، ١٩٦٨ .

٣ لابن بسام الشنتريني ، (اربعة اقسام في ٨ أجزاء) الدار العربية للكتاب ليبيا - تونس ، ١٩٧٥ - ١٩٧٨ .

٤ انظر ثبتا بمؤلفاته وأبحاثه في : " دراسات عربية واسلامية مهداة الى احسان عباس بمناسبة بلوغه الستين" (تحرير الدكتورة وداد القاضي ، الجامعة الامريكية في بيروت ، ١٩٨١) .

• راجع Angus Mackay , "Recent Litterature on Spanish EconomicHistory," Economic History Review, vol. 31/1 (Feb. 1978), pp. 129-145.

Monroe, James., Islam and The Arabs in Spanish Scholarship: Sixteenth Century to the Present, (Leiden, Brill, 1970).

وظهرت مناهج جديدة في الدراسات التاريخية ما عادت تعتمد على عرض الاحداث وفق تسلسلها الزمني ، وانما اصبحت تعتمد على حقول واسعة من المعرفة والدراسات المقارنة ، وبناء على هذا الواقع بات من الضروري اعادة النظر فيما كتب من دراسات حول الاندلس وقد وجدت ان ابن الابار لم ينل حظه من الدراسة الاكاديمية الجادة ، خاصة بعد أن نشر كتاب الذيل والتكملة ، وفيه ترجمة وافية له ، وبعد أن عثر على جزء من ديوانه المخطوط[1] وعدد غير قليل من المخطوطات التي تتحدث عن أخباره وعلاقاته مع اعلام عصره ، والتي لم يتسنّ لمن تصدى لدراسته من قبل الاطلاع عليها . فوجدت انه من الضروري أن يدرس ابن الابار دراسة جديدة على ضوء هذه المعطيات خصوصا وانه عايش فترة من أدق فترات التاريخ الاندلسي وكان علما بارزا من كبار أعلام الاندلس .

هذا وقد كانت دراسة الدكتور محمد بنشريفة القيمة عن ابن عميرة المخزومي[٢] حافزا للتصدى لدراسة ابن الابار دراسة جادة ووضع مؤلفاته ضمن نسقها الثقافي داخل السياق الفكرى الاسلامي كما تمثلت في تلك المرحلة من التاريخ والتي تمثل بحق منعطفا في سير الحضارة الاسلامية . وارى انه من غير استكمال دراسة حياة كبار الاعلام ومؤلفاتهم ، لا يمكننا ان ننتقل

---

1 نسخة الخزانة الملكية بالرباط (رقم : 4602) .

٢ منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي ، جامعة محمد الخامس — الرباط ، ١٩٦٦ .

الى الخطوة الاهم وهي دراسة تاريخ الفكر، وتاريخ النقد ، والمنهج التاريخي ، اضافة الى دراسة مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية ... الخ

لقد كانت الدراسة الادبية ، الى وقت قريب مضى ، تعتبر الادب نتاج ذات مبدعة وتفصل هذا النتاج عن مختلف العوامل الموضوعية والتاريخية التي عملت في تكوينه وفرزه ، ولا شك أن للعامل الذاتي البيولوجي تأثيرا كبيرا لا يمكن انكاره في دراسة الادب وتاريخه ، غير أن هذا العامل يجب الّا يبقى هو المنطلق للدراسة ، انما يجب ان يلتفت الى مختلف العوامل المتفاعلة والمرتبطة بمنطق تاريخي ، اذ لم يعد من الممكن اغفالها بعد أن تقدمت المعرفة القائمة على جمهرة من العلوم . فلم تعد الدراسة الادبية محاولة تتبع علاقة التوتر الانساني بالصدمات الخارجية التي يطرحها الزمن التاريخي ، انما غدت تعتمد على حقول واسعة من المعرفة وتستلزم رؤية جديدة للزمن التاريخي موضوع الدراسة .

انطلاقا من هذا كان لا بدّ من قراءة المصادر قراءة متأنية مغايرة ، وصار لزاما الاعتماد على مراجع (عربية واجنبية) تبحث في التاريخ الاقتصادى والاجتماعي والسياسي وتطور ادوات الانتاج الزراعية وغيرها ، ولقد حاولت ان اخرج من كل هذه المراجع بمعلومات رأيت انها قد تفيد في القاء حزمة من ضوء على هذا البحث ، وتساعد في اعطاء تفسير جديد ، أو اقتراب من بعض الجوانب والمظاهر التي تحيط بدراسة "ابن الابار الاديب" ، الذى عاش أوائل القرن السابع الهجرى / الثاني عشر - الثالث عشر الميلادى ، في مجتمع اسلامي وعند نقطة تغلغل حضارى هامة ، في زمن كان يتمخّض عن تحولات تنبئ بولادة ستؤدى الى انعطاف هام في مسرى الحضارة الانسانية في منطقة

العالم

حوض البحر المتوسط ـ قلب العالم القديم ـ وربما بشيء من الجزم ـ/الحديث أيضا .

هذا ولقد استطاع ابن الابار بوعيه التاريخي ، وانطلاقه من الروح الاسلامية (المذهب المالكي تحديدا) التي تولي وحدة الجماعة والارض والامام أهمية كبيرة ان يتمثل ذلك المنعطف التاريخي الخطير الذى تزعزعت فيه هذه الاسس وتهدّد كيان الجماعة وتراثها ومصيرها بالفناء في مواجهة الزحف الصليبي والعصبيات المختلفة التي كانت تنخر في جسد الأمّة. فكانت حياته على المستويين الشخصي والعام صراعا مستمرا في سبيل تحقيق هذه الاهداف ، التي قضى شهيدا لها ، فيما يبدو.

أخيرا ارجو ان تكون هذه الدراسة لبنة تضاف الى دراسات اخرى ، تمهد السبيل امام بحوث شاملة وفهم تاريخي عميق لتلك الفترة الحرجة من تاريخ الأمّة .

نظـــــرات

في

الحياة السياسيـــة والاقتصادية والثقافيـــة

في عصـــر ابـــن الابـــار

١ — نظرة في الحياة السياسية :

لقد كان القرنان الحادى عشر والثاني عشر حافلين بالحركة والتحولات في شمال شبه الجزيرة الايبيريّة ، وقد اشتركت عوامل جغرافية سياسية واخرى اجتماعية اقتصادية وثالثة ثقافية في رسم مسار هذه التحولات التي تفاعلت معا لتكون ما سمي بالروح الصليبية التي تولت توجيه حرب الاسترداد (Reconquesta) ضد الاندلس الاسلامية .

كان شانجه الكبير (Sancho El Mayor) (٣٩١ — ٤٢٧ / ١٠٠٠ — ١٠٣٥) ملك نبّره (Navarre) واسع الرؤية بعيد الطموح ، أدرك بثاقب نظره انه من غير الممكن ان تنهض مملكته دون ان يوحّد مناطق الشمال الجبليّة ويوصلها بنهضة بدأت بوادرها بالظهور في فرنسة متمثلة باحياء اقتصاد زراعي قام على تقدّم تكنولوجي وتمثل باستعمال الحصان في الزراعة وادخال أنظمة الري وطواحين الهواء .[١] فسعى الى بسط نفوذه على مملكة ليون (Léon) وأصبح سيّد قشتالة (Castillana) وقطلونية (Catalonia) .
وقد كان للرهبانية الكلونيّة (Cluniac) المتمركزة في نبّره دور مهم في تعميم تلك

---

١ John H. Mundy , Europe in the High Middle Ages, (Longmans, London, 1973), pp. 111 - 119; Hodgett., Social and Economic History of Medieval Europe (London, 1972) pp. 18-23.

الاصلاحات التي بدأها شانجه الكبير[١].

وبعد موت شانجه هذا تولى العرش ابنه فرذلند الاول (Ferdinando I) (٤٢٧ - ٤٥٨ / ١٠٣٥ - ١٠٦٥) نشغل بتثبيت عرشه واستمر في سياسة والده وخاض عدّة حروب ضد مسلمي الاندلس، الى أن كان عهد ابنه الاذفنش (الفونسو السادس Alphonso VI) (٤٥٨ - ٥٠٣ / ١٠٦٥ - ١١٠٩) الذى مثل بحق نقطة تحول في تاريخ الممالك النصرانية ، ففي عهده نهضت مملكة نبره لتصبح من أقوى الممالك الأوروبية آنذاك . ولقد كان على الفونسو هذا ان يحتل المناطق السهلية المنخفضة (Meseta) التي كانت بيد المسلمين ليؤمن حدوده وليضمن لمملكته اراضي زراعية ومراعي خصبة كان بأمس الحاجة اليها تحت ضغط الاكتظاظ السكاني والاقتصاد الرعوى اللذين كانا يميزان تلك المملكة[٢] ، فعمد الى بسط سيطرته على الاراضي الواقعة بين نهرى الدويره (Duero) والتاجه (Tajus) وبلغ حتى وادي آنه (Guadiana) ونتيجة لهذه الفتوحات

---

[١] Jaime Vicens vives , Aproximacion a la Historia de Espana (Vicens bolsillo, Barcelona, 1978), p. 40.

وقد كان سانشو هو الذى هيأ السبيل لهذه الرهبانية كي تستقر في نبّره ، انظر Ramón Menéndez Pidal , The Cid and His Spain, translated by Harold Sunderland (Frank Cass and Company, London, 1971), pp. 55.
Vicente Cantarino , "The Spanish Reconquest: A Cluniac Holy War Against Islam ?" in : Islam and The Medieval West, edited by Khalil I. Semaan (State University of New York Press Albany, 1980) , pp. 82-109.

[٢] انظر Jaime Vicens Vives , An Economic History of Spain, translated by Frances López - Morillas (Princeton, 1969), pp. 125 -126, 140-141; Thomas F. Glick , Islamic and Christian Spain in the Early Middle Ages, Comparative Perspectives on Social and Cultural Formation (Princeton, 1979), pp. 85 - 92.

وهذا الاخير يخالف بيثنس بيبس في بعض آرائه .

تمّت حركة هجرة كبيرة من اقاليم جليقية أشتورياس ومنطقة البشكنس، وما وراء جبال البيرينيه نحو تلك المنخفضات السهلية الخصبة. وقد كان لفتح طريق الحج الى شنت يا قوب (Santiago) في جليقية دور واضح في نشوء حركة تجارية كان للفرنسيين فيها نصيب كبير وفي خلق تيار تبادل ثقافي فكرى وفي تقوية الروح المسيحية.[1]

---

[1] شنت ياقوب من ثغور ماردة، كان جسد القديس يعقوب الحوارى. St. James (— ٤٤ للميلاد) الذى يعود له الفضل في نشر المسيحية في اسبانية، قد تم نقله بطريقة عجائبية من بيت المقدس الى بلدة ايريا فلابيا (Iria Flavia) في جليقية، وفي سنة ١٩٨ / ٨١٣ تم اكتشاف القبر وبنيت فوقه كنيسة وبدأ الحجاج يتوافدون الى المدينة التي ازدهرت بشكل كبير واصبحت تدعى (Santiago De Compostela) وفي سنة ٣٨٧ / ٩٩٧ غزا المنصور ابن أبي عامر المدينة وهدمها، غير انه لم يتعرض للضريح، وفي سنة ١٠٧٢ / ٤٦٥ أصدر الفونسو السادس امتيازات منحها للمدينة وقدم تسهيلات كبيرة للحجاج واعتبر ان "قوة هذه البلاد وقوة حكومتها مستمدة من عظمة هذا القديس وقوته" وصارت "كنيستها عندهم بمنزلة الكعبة عندنا، وللكعبة المثل الاعلى، فيها يحلفون، واليها يحجون من اقصى بلاد رومة وما وراءها" — كما ذكر ابن حيّان. وقد كان لطريق الحج Via Francigena هذا اكبر دور في الاتصال الحضارى والثقافي مع سائر بلدان اوروبة، وفي أحياء الروح الصليبية انظر:

Americo Castro , The Structure of Spanish History .(Translated by Edmund L. King, Princeton, 1954) pp. 130-202. Glick, op.cit., pp. 111, 117-118.

وانظر: Bernard F. Reilly , "The Historia Compostelana: The Genesis and Composition of a Twelfth Century Gesta," Speculum, vol xliv. (January 1969 number 1) pp. 78-85

وهو بحث حول كتاب تاريخي من القرن الثاني عشر في اكثر من ستمائة صفحة، ينسب تأليف اكثر فصوله لمونيو ألفونسو Munio Alfonso ويؤرخ للبلدة الغاليسية (الجليقية) شنت ياقوب من خلال تأريخه للاسقف الدون دييغو خلميريث Diego Gelmirez

where?

كما عمل الفونسو السادس على وضع الكنيسة الاسبانية تحت سيطرة السلطة البابوية في رومة.

كان من نتيجة هذه العوامل ان تمّ التفاعل بين المثل والثقافة الاوروبية الوافدة وبين "الروح" النبرية (النافارية)، وأدّت حركة الهجرة نحو السهول الى تفكيك النظام الاقطاعي الذى كان سائدا في المناطق الجبلية والى نشوء تنظيم جديد في المناطق الزراعية منح الفرد شعورا بمزيد من الحرية.[١] وقد ساعد في هذا التقدم الاقتصادى تلك الكميات الهائلة من الذهب التي كان يؤديها ملوك الطوائف جزية لنصارى الشمال.[٢] فصارت هذه المملكة الناشئة من اكثر ممالك اوروبة ازدهارا، وساعد في هذا الازدهار تجارة الصوف التي نشطت بفضل المراعي الخصبة في المناطق السهلية، واخذت تلك التجارة تنافس تجارة الصوف الانكليزى في الاسواق الاوروبية.[٣] وقد بلغ التقدم مداه بعيد سقوط طليطلة عام

---

١ Jaime Vicens Vives, An Economic History, p: 129.

٢ لقد ابتدأ ملوك الطوائف بدفع الجزية منذ حوالي عام ٤٠٠/ ١٠٠٩، وكان سانشو الكبير أول من فرضها. وصار كل ملك من ملوك الطوائف يدفع لملك من ملوك الشمال فأخذ الذهب يتدفق على المناطق الشمالية. وتسمى هذه الجزية Parias
Glick, op.cit., pp. 125 - 129. Angus Mackay, Spain In the Middle Ages, from Frontier to Empire 1000-1500, (Macmillan Press, London, 1977) pp. 16-19. Gabriel Jackson, The Making of Medieval Spain (Thames and Hudson. London, 1972) pp: 52-55.

وانظر
مذكرات الامير عبد الله (تحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٥) ٣٥ — ٤٠.

٣ Glick, op.cit., pp. 28, 129, 133; G. Jackson, op.cit., p. 73.

٤٧٨/ ١٠٨٥ اذ دخل عامل حضارى جديد تمثله مدرسة طليطلة للترجمة كان ذا اثر في الفكر المسيحي ،[١] فامتزجت العناصر الاسلامية واليهودية بما تحمله من انفتاح حضارى وثقافة علمية وفلسفية واتقان حرفي صناعي ، بالخليط الاوروبي — النافارى وبالشعوب الرعوية النازحة من ليون ومناطق البشكنس الى وادى الدويره .

هذا فيما يختص بقشتالة ، أما في الغرب فقد كان لسقوط قلمرية (Coimbra) سنة ٤٥٦ / ١٠٦٣ — ١٠٦٤[٢] أثر كبير في توحيد جليقية وقيام مملكة البرتغال التي كانت تتمتع بصلات تجارية بحرية تنافس الممالك الايطالية بفضل ما اقتبسته من علوم الملاحة العربية .

أما في الشمال الشرقي في أراغون فقد كان التحدى كبيرا اذ كانت هذه المناطق بحكم انفتاحها على مضائق البيرنيه التي تصل شمال شبه الجزيرة الايبيرية بفرنسة ، معرضة دائما لهجرات واسعة آتية من فرنسا ، ولهذا كان خضوعها لرجال الدين كبيرا ، كما كانت الاقطاعية الحاكمة فيها على صلة وثيقة بالاقطاعية الفرنسية فأدى ذلك كله الى ان ينشأ فيها نظام مختلف الى حدّ ما عما كان سائدا في بقية الممالك الشمالية .[٣] فقد كان اعتماد اراغون

---

١ Claudio Sanchez - Albornoz, El Islam de Espana y el Occidente(Coleccion Austral no. 1560, Madrid, 1974), pp. 189-206.
وانظر دراسة الدكتور صلاح فضل ، " تأثير الثقافة الاسلامية في الكوميديا الالهية لدانتي " (دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩) ، ص ٥٥—٥٩ وفيه ذكر لمراجع اخرى (حاشية ١ ص ، ٥٧ — ٥٨) .

٢ Derek W. Lomax, The Reconquest of Spain (Longmans, London - New York, 1978), pp. 53-54; Pidal., op.cit., pp. 81-82.

٣ J.V. Vives , An Economic History , p. 151; Aproximacion, p.65-66. A. Mackay , op.cit., pp. 107-111.

الاساسي يقوم على التجارة البحرية المتمركزة في كلّ من برشلونة وطركونة. وحين توفي بطرس (بيتر) الاول (٤٩٨/١١٠٤) ثارت ثائرة الفلاحين على العسف الاقطاعي الذى تدعمه الكنيسة، فامتدت الاضطرابات حتى بلغت مملكتي قشتالة وليون وأضرت بطريق الحج الى شنت ياقب، لكن هذه الحركة تم تطويقها على ايدى رجال الدين والاقطاعيين غير انها فتحت الانظار الى انه لا بد من ايجاد حل لتلك المشكلات التي تعكس ترديا في الوضع الاقتصادى.[١] وكان من جراء ذلك ان مدت سلطات اراغون انظارها الى الاراضي الممتدة بين نهرى شلون وخيلوقة (Jalón y Jiloca) في وادى الايبره (Ebro) فقام الفونسو الاول المحارب (El Batallador) (٤٩٨ — ٥٢٩/ ١١٠٤ — ١١٣٤) يساعده فرسان الحملة الصليبية المتوجهة الى فلسطين والجند الفرنسيون باحتلال سرقسطة (Zaragoza) عام ٥١٢/ ١٠١٨ وكتندة (Cutanda) عام ١٤ ٥ / ١١٢٠ وبذلك توفر لاراغون عمقها الاستراتيجي الاقتصادى الحيوى نتيجة لهذا التوسع.[٢] وبهذه الفتوحات دخلت عناصر جديدة من المستعربين والمسلمين واليهود ضمن المزيج السكاني في وادى الايبره فاستفادت المملكة من خبرتهم في الشؤون الزراعية والصناعية والحرفية ونشطت

---

١ Jackson , op.cit., pp. 72-73.

٢ J.V. Vives, Aproximacion, pp. 65-66, An Economic History, pp. 142,145-146.

وانظر T. Glick , op.cit., p. 99.

وقارن ب: The Cambridge Economic History of Europe, vol.VI, The Agrarian life of the Middle Ages (Cambridge, 1966), p.440.

وتقدر المساحة المرويّة التي غنمها الاسبان من العرب حول سرقسطة فقط ب: ٢٥٫٠٠٠ آيكر (1 acre = 4000 m^2)

حركة التجارة البحرية وتجارة الرقيق.[١] واخذت مملكة أراغون تتطلع نحو أسواق جديدة ، ولكن كيف السبيل الى هذه الاسواق وثمة قوة اسلامية بحرية تسدّ منفذ البحر المتوسط في جزر ميورقة ومنرقة ويابسة وثمة تجارة بحرية مزدهرة ناشطة في هذه الجزر وفي مملكة بلنسية الى الجنوب من أراغون ؟ .

* * *

---

١ J.V. Vives , An Economic History: same pages.
Mackay , op.cit, pp. 36-37.

ويقدّر ماكاي نسبة المسلمين في مملكة أراغون بـ ٣٠ - ٣٥٪ .

وانظر أيضا : Jackson, op.cit, pp. 73-74.
Glick , op.cit, p. 99.

اما بالنسبة لتجارة الرقيق فقد كان اليهود هم المسيطرين عليها ، اذ نشطت هذه التجارة بعد القرن الحادى عشر اثر اقصائهم عن التجارة البحرية من قبل الجنويين ، فازدهرت طرق التجارة الداخلية التي تؤدي إلى حوض الدانوب باتجاه الأقطار السلافية حيث كـان يؤتى بالرقيق .

أنظر موريس لومبارد : الجغرافية التاريخية للعالم الاسلامي خلال القرون الاربعة الاولى (ترجمة عبد الرحمن حميدة ، دار الفكر ، دمشق ، بدون تاريخ ، كتبت مقدمته في تشرين الاول سنة ١٩٧٩) : ١٠٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٩ - ٢٧٩ ، وخريطة مسالك التجار اليهـــود الرادانيين : ٢٨٢ في الكتاب نفسه . وراجع ايضا : احمد مختار العبادى ، الصقالبة في اسبانية (المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد ، ١٩٥٣) .

لم يكن الوقت قد حان بعد لاحراز انتصارات حاسمة ، اذ كانت دولة الموحديـــن ما تزال قوية قادرة على ضرب من يتحرش بها ، ولذلك شاركت أراغون في الحيز الاوروبي فاعلة ومنفعلة ، اذ كانت هناك نهضة اقتصادية متنامية في اوروبة تمثلت في التوسع التجارى فـــي البحر المتوسط وخاصة ابان الحروب الصليبية [1] وفي ازدهار التجارة بين الجزر البريطانيـــــة وفلاندرز واسكندنانية ، ونتيجة لذلك تزايد عدد السكان ، فكثرت الهجرات بحثا عن أراض خصبة ومراع صالحة ، واجتازت اعداد كبيرة مضايق البرينيه ، وكان فتح طريق الحج الـــى شنت ياقوب ذا دور اساسي في تلك الهجرة التي احدثت تطويرا اقتصاديا وزيادة فـــي عدد السكان في ممالك الشمال ، واحتشدت فيها اجناس مختلفة من الجليقيين والقشتاليين والبشكنس والفرنجة هذا الى بعض الجاليات الاسلامية واليهودية . [2] وقامت الكنيسة بدور هام في التقريب بين الممالك المتنازعة بايجاد المنظمات الرهبانية التي زادتها طريق الحج ازدهارا ، فاخذت تلك المنظمات (او الاخويات) تتحول الى جماعات من الفرسان المقاتلة الذين يحلوا لهم ان يشنوا الغارات على المناطق الاسلامية بدافع من الحماسة الدينية . [3]

---

١ راجع ما تقدم ص ١ ، وانظر ، J. O'Callaghan, A History of Medieval Spain (Cornell University Press, 1975), pp. 282 - 283, 293-294.

٢ Ibid, pp. 282-283.

٣ W. Montgomery Watt, The Influence of Islam on Medieval Europe (Edinburgh, 1972), pp. 44-54. A. Mackay, op.cit, pp. 45-46. A. Castro, op.cit, pp. 203-217.

ويناقش كاسترو مقولة كونده Conde وآسن Asin من ان هذه الاخويات نشأت بتأثير من فكرة "الرباط" الاسلامية .

Vicente Cantarina, op.cit.

وما كاد القرن الثاني عشر ينتصف حتى كان على الحدود الاسلامية ثلاث من تلـــك الرهبانيات : هي فرسان الداوية والاسبتارية (Templars and Hospitalers) في لاردة وطرطوشة ، وأخوية شنت ياقوب في قونكة وقاشرة (Cuenca and Caceras) وفرسان شلطبرة (Calatrava) في منطقة قلعة رباح (Ciudad Real)[1] .

وقد تمخض عن نفوذ الكنيسة والاخويات ظهور طبقة جديدة من النبلاء لا يعتمدون النسب ولا المال تكأة لسيطرتهم ونفوذهم ، وانما يمثلون طبقة الفرسان الاحرار الذين نالوا امتيازاتهم عن طريق اعمال الفروسية والانخراط في سلك الاخويات وكانوا يدعون (Hidalgos) أو (Caballero Villanos) ، ومن الامتيازات التي نعموا بها اعفاؤهم من الضرائب ، ومنهم ظهر المغنون الجوالون والقصاصون الذين كانوا يتغنون البطولات الحربيـــة على سياق ملحمة السيد المشهورة (Cantar de Mio Cid) .[2] وكل هذه العوامل مجتمعة : من ازدهار اقتصادي تجاري ووفرة في الذهب وتجمعات سكانية وسيطرة للاخويات

---

١ انظر بالاضافة لما تقدم ذكره في الحاشية السابقة :
J, O'Callaghan, "Hermandades Between the Military Orders of Caltrava and Santiago during the Castilian Reconquests," Speculum, Vol. XLIV (October, 1969), pp. 609-617 .

٢ R. Boase, The Troubador Revival, (London, 1978), pp. 31-43; M.Pidal, op.cit, pp.

والفرسان - النبلاء ادت الى ازدهار في الحرف والصناعات ، وتوسع في المراني الشمالية مثل سنت أندار ولاردو وبسكاى ، وبروز مدن معينة في اهميتها التجارية مثل آبيلا (Abila) وشلمنقة (Salamanca) وشقوبية (Segovia) وغيرها ، وعلى اثر ازدهار تلك المدن نشأت طبقة برجوازية جديدة توازى طبقتي النبلاء الاقطاعيين والنبلاء الفرسان.[1]

من الطبيعي في ظل هذه المتغيرات الاجتماعية الجديدة ونشوء المجتمعات المدينية المنظمة وازدهار الطبقة البورجوازية في ظل النفوذ الكنسي القوى والاخويات الفاعلة ، وانفتاح شمال شبه الجزيرة على المؤثرات الاوروبية اللاتينية الوافدة مع التجار والفرسان والحجاج والرهبان أن تنشأ المدارس التابعة للأخويات وتظهر الجامعات.[2] خاصة بعد التأثير الكبير لمدرسة الترجمة في طليطلة حيث تفاعلت ثقافات متعددة اهمها الثقافتان الاسلامية واليونانية التي عرفها الغرب عن طريق المسلمين. غير ان هذا النفوذ السياسي الجديد للجماعات القادمة من أوروبة وما حملته معها من مؤثرات حضارية رجّح كفة الحضارة اللاتينية واللغة اللاتينية ، واصبح الشعر البروفانسي اكثر تقبلا وانتشارا ، وذلك للعلاقة القائمة بين اللغة القشتالية والتروبادور . وكان هذا لصالح الشعر الغنائي على حساب

---

١ J. O'Callaghan, A History of Medieval Spain, pp. 289-290, 295. A. Mackay, op.cit, pp. 51-53.

٢ O'Callaghan, op.cit, pp. 305-307.

الشعر القطلاني (Catalan) الذى يتمثل في الشعر الديني والملاحم • ولكن المعارك القاسية التي خاضها خايمه الاول (٦٠٥ — ٦٧٥ / ١٢٠٨ — ١٢٧٦) ملك أراغون جاءت لصالح انتشار الحضارة واللغة القطلانية وخاصة وان هذا الملك كان من الملوك الادباء فرجحت كفتها مما ساعد على توحيد اللغة في المناطق الشمالية ، وكان للجامعات دور مهم في ذلك.[١]

ان هذا الاستقواء السياسي الاقتصادى والتحرشات المهددة التي كان يقوم بها الفرسان ، جعلت حركة الاسترداد تنشط بقوة ، وساعدها على ذلك بوادر ضعف اخذت تظهر في دولة الموحدين • وقد جاءت معركة العقاب (Las Navas de Tolosa) (صفر ٦٠٩ / يوليو ١٢١٢) لتسجل "بداية النهاية في تاريخ الموحدين في الاندلس كأنها كانت ترسم خط الانحدار المستمر في تاريخ تلك الدولة ، فبعد هذه المعركة بسنوات انقسم افراد البيت الموحدى على انفسهم في التنافس على الخلافة ، واستمر التقهقر في اوضاع الاندلس ومقدراتها السياسية حتى اننا لا نستطيع أن نسجل بعدها ما يمكن ان يعدّ استعادة لشيء ضاع ، بل كأنما كانت هي الضربة التي قطعت "السلك الاندلسي" وتركت حبّاته تسقط

---

١ Helene Wieruszowski, "The Rise of the Catalan Language in the Thirteenth Century," in: Politics and Culture in Medieval Spain and Italy, (Edizioni distoria E Letteratura, Rome, 1971), pp. 107-118; O'Callaghan, op.cit, pp. 313-320; A Mackay, op.cit, pp. 53-54.

اوتضيع واحدة اثر الاخرى".[١] بعد هذه المعركة دخل الاذفنش (ألفونسو الثامن ، ٥٨٤ - ٦٢٨ / ١١٨٨ - ١٢٣٠) مدينة أبّذه بعد ان فتح بيّاسة "نحرّق أدؤرها وخرّب مسجدها الاعظم"،[٢] وفي أبّذة كان قد اجتمع عدد كبير من المسلمين المنهزمة ، فأقام عليها ثلاثة عشر يوما ثم دخلها عنوة فقتل وسبى وغنم وفصل هو وأصحابه من السبي من النساء والصبيان بما ملئوا به بلاد الروم قاطبة ، فكانت هذه أشدّ على المسلمين من الهزيمة .[٢]
ثم حاول بمساعدة فرسان شلطبرة وشنت ياقوب ان يستولي على (Alcaraz) وهي ملتقى الطرق بين طليطلة - مرسية ، وبلنسية - قرطبة ، واستمر سقوط الحصون والقلاع الاسلامية الواحدة تلو الاخرى .

غير ان المجاعة التي حلّت بشمال شبه الجزيرة بين عامي ٦١٠ - ٦١١ / ١٢١٣ - ١٢١٤ نتيجة الشتاء القارس والجليد وما تلاها من قحط شديد ، أثرت على مجرى حركة الاسترداد ،

---

١ مقدمة ديوان ابن سهل (تحقيق الدكتور احسان عبّاس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٧) : ٩ - ١٠ ، وانظر في موقعة العقاب : عبد الواحد المراكشي ، المعجب (تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي ، القاهرة ، ١٩٤٩) : ٣٢١ ، وابن عذارى ، البيان المغرب (تحقيق هويثي ميرانده ، تطوان ، ١٩٦٠) : ٢٤٠ - ٢٤٣ ، والحميرى ، الروض المعطار (تحقيق الدكتور احسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٧٥) : ٤١٦ ، وابن أبي زرع الفاسي ، الانيس المطرب بروض القرطاس (دار المنصور ، الرباط ، ١٩٧٣) : ٢٣٥ - ٢٤١ ، وابن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر (دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٦٠) ٦/ ٥٢٢ ، ويوسف اشباخ ، تاريخ الاندلس في عصر المرابطين والموحدين ، ترجمة محمد عبد الله عنان ، القاهرة ، ١٩٤١) : ٣٥٤ وما بعدها ، و :

Le Tourneau; Almohad movement in North Africa, (Princeton University Press, 1969), pp. 83-88.
I. Burns, Islam under the Crusaders, Colonial Survival in the Thirteenth-Century Kingdom of Valencia (Princeton University Press, 1973), pp. 26-29.
Lomax, op.cit., pp. 122-135.

٢ المعجب : ٣٢٢ ، تاريخ الاندلس لاشباخ : ٣٧١ - ٣٧٢ .

نعمّ الجوع وضعف الجند وخارت قواهم . ولكن هذه الانتكاسة كانت قصيرة الاجل ، اذ نجد بعيدها محاولات لاذكاء جذوة الاسترداد حتى ان الاسقف رودريغو (Arzobispo Rodrigo) ذهب بنفسه الى الجبهة وشارك فرسان الاخويات مصاعبهم وشدّ من عزيمتهم ، واذن لهم بقطع الصوم الكبير ومدّهم بالاموال والرجال القادمين من أوروبة . وفي خضم هذه الضائقة نزل خبر موت بطرس الثاني (Pere II) ملك أراغون (٦١٠/ ١٢١٣) والفونسو الثامن (٦١١/ ١٢١٤) نزول الصاعقة على الجند وترك الممالك النصرانية في فوضى كبيرة وخلاف على الحكم .

الا ان تلك الحملات الحربية لم تتوقف فقد تولاها فرسان الاخويات تحت اشراف رجال الدين، خاصة الاسقف رودريغو وبدعم ومساندة من البابا هونوريوس الثالث الذى ارسل حملة صليبية الى فلسطين مؤلفة من ٢٠٠ سفينة من اهل شمال أوروبة فبقيت في اسبانية مدة سنة تساعد في تلك الهجمات.

وفي عام ٦١٥/ ١٢١٨ عمل الاسقف رودريغو بمساعدة البابا هونوريوس على توحيـــد مملكتي ليون وقشتالة ودعا الرهبانيات البندكتية وشنت ياقوب واعلنا حملة صليبية جديدة اشترك فيها جند المملكتين المتحدتين ، وأصدرا لذلك عفوا عاما عن كل مسيحي يعترف بذنوبه بنيّة صادقة ويشارك في القتال او يساعد في تمويله .[1]

---

[1] راجع فيما تقدم : Lomax, op.cit, pp: 128-134 ; O'Callagham, op.cit, pp. 254-275; R.B. Merriman, The Rise of the Spanish Empire, Vol. 1, (New York, second ed. 1962), pp. 53-81.

ومواضع متفرقة من تاريخ الاندلس لاشباخ .

هذا الانتعاش الحضارى القومي المتخفي بلبوس ديني في الشمال ، كان يواجهه انحدار مستمر في اوضاع الدولة الموحدّية . ويستطيع الدارس ان يقول الكثير حـــول الاسباب التي ادت الى ضعف تلك الدولة ثم الى انهيارها . فلقد كانـــت الامبراطورية الموحدّية مترامية الاطراف يصعب ضبطها وتأمين حدودها ، وكانت عاصمتها مراكش بعيدة عن الثغور والاطراف مما ادى الى ضعف الرابطة المركزية في الدولة . واثر موقعة العقاب اشتد الصراع العصبي (القبلي) داخل تحالف القبائل واصبحت العاصمة معرضة بشكل دائم لهجمات القبائل من الجبال ، وأخذ الاشياخ والوزراء يحملون على ضرب العصبّية المسيطرة على الدولة واضعافها فتسلطوا على الملوك وتلاعبوا بهم وولوا الصبيان والعجزة [١] وسط هذه الظروف القاسية التي كانت تمرّ بها الدولة حاولت الجماعات الدينية والاثنية الاستقلال وتحقيق مكاسب آنية على حساب وحدة الجماعة (نذكر على سبيل المثال حركـــة المرينيين الواسعة نحو الساحل [٢] وعلو كعب العصبية الحفصيّة التي رغم مهادنتها للسلطة

---

[١] خاصة ما حصل بعد تولية عبد الواحد بن يوسف وقتله من خلاف علني دموى بين الاشياخ والاقارب ، قال ابن ابي زرع : " ورجع أشياخ الموحدين كالاتراك مع بني العباس ، فكان فعلهم ذلك سببا لخراب دولتهم وذهاب سلطانهم وقتل ملوكهم واشياخهم ، وهو أول باب فتحه القوم على انفسهم للفتنة ". الانيس المطرب بروض القرطاس : ٢٤٥ .

[٢] الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينيّة لابن أبي زرع (دار المنصور ، الرباط ، ١٩٧٢) ٢٤ — ٩٨ ، والانيس المطرب ، ٢٧٨ وما بعدها ، والحلل الموشية (لابن السماك) . (تحقيق الدكتور سهيل زكار والاستاذ عبد القادر زمامة ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، ١٩٧٩) ، ١٧٩ وما بعدها . وانظر : محمد المنوني ، ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين (كلية الآداب والعلوم الانسانية ، الرباط ، ١٩٧٩) ٩ — ١٤ .

استقلت عندما وجدت الفرصة المواتية) . هذا وقد استنفدت الحروب المستمرة مع بني غانية في الجزر والسواحل [1]، ومع العرب الهلالية وما استتبع ذلك من فوضى وتخريب للمدن واعمال السلب والنهب وتدمير الاقتصاد المديني وتعطيل طرق التجارة [2]- استنفدت هذه كلها طاقة الموحدين وشغلتهم عن مواجهة نصارى الشمال في الاندلس .

ولقد كان لابتعاد الخلفاء واولي الامر عن الدين وانشغالهم باللهو والملذات أثر كبير في تلك الهوة الواسعة التي باعدت بين عامة الشعب وبين البيروقراطية الحزبيّة المتمثلة بالطلبة وما يشكلونه من عصبيّة بربريّة ونخبة "ايديولوجية" كانت قد فقدت مسوّغ وجودها بعد الاخفاق في الاستمرار بالجهاد وبعد ان عقد الولاة والخلفاء معاهدات مع نصارى اسبانية دفعوا لهم بموجبها الجزية [3]، ومع الممالك الايطالية التي كانت قد سيطرت على حركة التجارة

---

[1] انظر : A. Bel, Les Benou Ghânya, (Paris, 1903)
والمعجب : ٢٦٦ - ٢٧٦ .

[2] انظر : مقدمة ابن خلدون (دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٦٠) : ٢٦٥ ، ٦٥٩ ، والعبر ٦/ ٢٧-١٤١ ، وبقية اخبارهم مبثوثة في كتب التاريخ . وراجع حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات عن الحضارة العربية بافريقية (القسم الثالث ، جمع واشراف محمد العروسي المطوى ، مكتبة المنار ، تونس ، ١٩٧٢) : ٥٦ - ١٠٧ ، ٢٥٨ - ٢٦٢ ، وراجع في ابتداء امرهم ابن عذارى ، البيان المغرب (تحقيق كولان وبروفنسال ، ليدن - بريل ، ١٩٤٨) ١/ ٢٨٨ - ٢٩٥ ، وعز الدين احمد موسى ، النشاط الاقتصادى في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس/ الثاني عشر (دار الشروق ، بيروت ، ١٩٨٣) : ٩٣ - ١٠٠ .

[3] وهذا وقد كان ثمة جالية نصرانية كبيرة مكونة من الجند والتجار في المغرب حيث بنيت كنيسة في مراكش وقرعت الاجراس ، وذلك بعد ان وقع المأمون حلفا مع فرذلند لمساعدته على اهل بيته ورضي بدفع الجزية له Merriman., op.cit., pp. 81-82
والعبر ٦/ ٥٣٠ .

في المتوسط ونالت بهذه المعاهدات امتيازات في الموانئ المغربية.[١] وقد توج المأمون ادريس (٦٢٤ — ٦٢٩/١٢٢٦ — ١٢٣١) هذا الامر بتحالفه مع النصارى واطراحه لمذهب الموحدين ولعنه الامام على المنبر واعتبار كل ما أتى به بدعة. وبهذا عادت العامة التي لم تتخل يوما عن مذهب الامام مالك الى الشعور بقدرة اكبر على المقاومة.

"هذا التبدل في الايديولوجية التومرتية غدا عامل ضعف، وقد كانت العلة الرئيسة في ذلك استحالة التوفيق بين بنية الحركة الاوليغرشية والملكية الاستبدادية المطلقة .... وباضعاف الكوادر الايديولوجية كانت الدولة توجه لنفسها ضربة قاتلة".[٢]

بسبب من هذا كله كثر الثوار والمنتزون الخارجون على الدولة في الاندلس خاصة، ويعلل ابن خلدون هذا الامر بقوله: "... وذلك ان اهل الاندلس لما انقرضت الدولة العربية منه وملكهم البربر من لمتونة والموحدين سئموا ملكتهم وثقلت وطأتهم عليهم فاشربت القلوب بغضاءهم وامكن الموحدون والسادة في آخر الدولة كثيرا من الحصون للطاغية في سبيل

---

١ انظر مقالتي : Hilmar C. Krueger

1) " Genoese Trade with Northwest Africa In The Twelfth Century," Speculum, Vol. VIII (July 1933, number 3), pp. 377 - 395.

2) "The Wares of Exchange In the Genoese - African Traffic of the Twelfth Century," Speculum, Vol. XII (January 1937, number 1), pp. 57-71.

وقد تناول الموضوع باستفاضة واحاط بجوانبه المختلفة.

٢ الدكتور عبد الله العروى، تاريخ المغرب، محاولة في التركيب (ترجمة الدكتور ذوقان قرقوط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٧)، ١٨٨ — ١٨٩. وهذه الترجمة رديئة جدا، تنم عن جهل المترجم بالموضوع الذى يتصدى له، هذا الى اللغة المفككة والصياغة الضعيفة.

الاستظهار به على شأنهم ، من تملّك الحضرة مراكش . فاجتمع من كان بقي منها من أهل العصّبية القديمة ، معادن من بيوت العرب ، تجافى بهم المنبت عن الحاضرة والامصار بعض الشيء ورسخوا في العصبية مثل ابن هود وابن الاحمر وابن مردنيش وامثالهم ....[1]

وبعد وفاة ابي يعقوب يوسف الثاني المستنصر سنة ٦٢٠/ ١٢٢٤ " اضطرب الامر واشرأب الناس للخلاف " وبويع لعبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن في مراكش غير ان الامر لم يستقم له طويلا اذ امتنع عن بيعته ابن اخيه أبو محمد عبد الله بن يعقوب المنصور الملقب بالعادل ، وكان واليا على مرسية ، ثم قام على عمّه وكتب الى اشياخ الموحدين بحضرة مراكش يدعوهم الى بيعته وخلع عبد الواحد ، فتم له ما اراد وبويع بمرسية بعد خنق الخليفة المخلوع عبد الواحد في نصف صفر سنة ٦٢١ ، وخلص له الامر واجتمع على بيعته كافة الموحدين وخطب له بحضرة مراكش وسائر بلاد العدوة . وامتنع عن بيعته عمال أفريقية الحفصيّون واستبدوا لانفسهم . أما في الاندلس فقد امتنع السيد ابو زيد عبد الرحمن والي بلنسية عن مبايعته . في هذه الاثناء كان السيد ابو محمد عبد الله بن محمد بن ابي حفص عمر بن عبد المؤمن بن علي أخو السيد أبي زيد عبد الرحمن — وكان واليا على اشبيلية — قد بايع العادل ، غير ان العادل ما لبث ان تغيّر له بعد ان ولاه قرطبة ، فالتجأ الى جيّان وملكها وحصون الثغر الاوسط ، ودعا لنفسه ببيّاسة ، فجهز العادل حملة بقيادة أخيه أبي العلاء المأمون لمنازلة البيّاسي واشتد ضغط فرذلند الثالث على حصونه فما كان من البيّاسي الا ان تحالف مع فرذلند

---

[1] مقدمة ابن خلدون : ٢٩٢ — ٢٩٣ .

الذى ظاهره على شأنه ، على ان يتنازل له البياسي عن الحصون والقلاع . واستخدمه فرزلند مطيّة وسلم ما تنازل عنه البياسي من الحصون لفرسان شلطبرة وشنت ياقوب . وبعد جواز العادل الى العدوة وتفويضه أمر الاندلس الى أخيه أبي العلاء ادريس الملقب بالمأمون زحف البياسي على قرطبة[1] فملكها ثم زحف الى اشبيلية والطاغية معه بعد ان نزل له عن قيجاطة وما والاها من الحصون فهزمهم المأمون بنواحي اشبيلية ولحق البياسي بقرطبة فثار عليه أهلها وقتلوه وذلك سنة ٦٢٣/ ١٢٢٦ .[2]

---

[1] جعل ابن خلدون (العبر ٦/ ٥٢٩) هذه الاحداث بعد قتل العادل اى بعد سنة ٦٢٤ او خلالها ، وقد كان مقتل البياسي سنة ٦٢٣ فربما اختلط الامر على ابن خلدون بين تولي المأمون امر الاندلس لاخيه ومبايعته بالخلافة .

[2] يجد الدارس صعوبة كبيرة في رسم صورة لهذه الاحداث التي عصفت بالدولة الموحدّية بعد موت الخليفة المستنصر اذ ان الروايات تضطرب على المؤرخين وتختلف الرواية بين مؤرخ وآخر وتختلط الاسماء عليهم . ولست معنيا هنا بتتبع هذه الاحداث حسبي أن اذكر الخطوط العريضة لعلاقتها بالاحداث التي لعب فيها ابن الابار دورا بارزا على ما يبدو وهو في خدمة السيد أبي زيد والي بلنسية . وسأكتفي بذكر اهم المصادر والمراجع التي استقيت منها اخبار العادل والبياسي . البيان المغرب (تطوان) : ٢٤٧ ــ ٢٥٣ ، والروض المعطار : ١٢١ ــ ١٢٢ ، ١٧٥ ، ٣٥٥ ، ٣٩٥ ، ٤٨٨ ، ١٣٦ ، ٥ ، والانيس المطرب بروض القرطاس : ٢٤٢ ــ ٢٥٤ ، ٢٧٣ ــ ٢٧٥ ، والوافي ٨/ ٣٢٠ ــ ٣٢٣ ، وابن الخطيب ، الاحاطة (تحقيق محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٧٣) ١/ ٤٠٩ــ ٤١٨ ، والعبر ٦/ ٥٣٢ والسلاوى ، والاستقصا (الدار البيضاء ، ١٩٥٤) ٢/ ٢٢٩ــ ٢٣٥ .
Huici, Miranda , Historia Politica del Imperio Almohade, (Tetuán, 1956-1957, 2 vols), pp. 451-463.
Huici Miranda , Historia Musulmana de Valencia y su Region, Tome III, (Valencia, 1971) pp. 221-226,
Lomax , op.cit., pp. 137-139; O'Callaghan., op.cit., pp. 337-339.

في هذه الاثناء كان الطاغية خايمة — أوجاقمة — ملك أراغون وقطلونية[1] قد بلغ

---

[1] جاقمة أوجاقم في المصادر العربية ، وهو خايمة الاول الفاتح (Jayme I El Conqueridor) ويكتب ايضا (Jaime, Jaume) ، (١٢٠٨—١٢٧٦/ ٦٠٥ — ٦٧٥) . ولد في مدينة مونبيليه (Montpellier) من زواج بيتر الكاثوليكي من الكونتيسة ماريًا كاندلاريا (Maria Candelaria) . في السادسة من عمره فقد أبويه فقد توفيت والدته في رومة وقتل أبوه سنة ١٢١٣ على يد الكونت سيمون دومونتفورت (Compte Simon de Montfort) الذى اخذ خايمة عنوة ليربيه . غير أن البابا Innocent II انتزعه من يد الكونت وكفله ، وعهد الى فرسان الداوية بتربيته . بين هؤلاء الفرسان وفي جو مشبع بالروح الديني وأعمال الفروسية نشأ خايمة في قلعة منشون (Moncon) في جبال أراغون حيث تشرب منذ صغره الروح الصليبي في عداء مسلمي الجنوب . وتحت رعاية البابا استطاع ان يتخطى كل المؤامرات التي اعترضت سبيله الى ان بلغ سن السابعة عشرة وبدأ حياته العملية بتوحيد مملكته ، واخذت تراوده احلام بناء امبراطورية كبرى .

وتصف المصادر الاراغونية خايمة بانه كان اطول من المعتاد احمر الشعر عريض الوجه واسع المنكبين متناسق الجسم في عينيه بريق ذكاء حاد يسيّره طموح لا يحد وقلب معتاد على خوض القتال ، لا يثنى عزمه شيء . هذا الى أسس دينية عميقة متأصّلة في نفسه . فقد كان يعتبر ان الله قد اختاره لنصرة دينه وانه هو الذى يوجّه اعماله ويلهمه افعاله ويؤيده في معاركه . وقد ملأ صفحات مذكراته بذكر الاحداث التي تؤيد اقواله . ويبدو من خلال مذكراته انه كان شديد التقوى حريصا على حضور القداس دائما قبل معاركه وكان يفرض هذا الامر على جنده ايضا ، يعدهم بالجّنة لقاء محاربتهم للمسلمين ونصرهم لدينهم ، حريصا على تشييد الكنائس على اسم السيدة مريم في كل حصن أو مدينة يدخلها .

هذا وقد كان خايمة سياسيا ودبلوماسيا من الطراز الاول اضافة الى حنكته وشجاعته وقسوته الشديدة في الحروب .

وقد خلّف كتابا سجل فيه مذكراته وفتوحاته فجاء سيرة شخصيّة ، تحمل الى قيمتها الادبية معلومات تاريخية هامة جدا لا نجدها في غيرها من المصادر .

....

I. Burns, The Spiritual Life of James The Conqueror, King of Arago-Catalonia, 1208 - 1276. Portrait and Self-Portrait (Collected Studies) I, p. 1-35. هذا بالنسبة لشخصيته وحياته الدينية .

I. Burns, How To End A Crusade: Techniques for Making Peace In The Thirteenth Century Kingdom of Valencia (collected studies) IV pp. 1-15 هذا فيما يتعلق بحنكته ودبلوماسيته ودهائه في حروبه ومعاملته لامراء شرق الاندلس .

I. Burns, Medieval Colonialism (Princeton, 1975) pp. 3-10.
Andres Giménez Soler, La Idad Media In la Corona De Aragon ; (Coleccion Labor, Barcelona, 1944) pp. 127-145.
Gestas Del Rey Don Jayme De Aragon (Madrid, 1909) :
Jose llampayas, Jaime I El Conquistador (Biblioteca Nueva, Madrid, 1942). واعتمدت في مذكراته ؛

السابعة عشرة من عمره ووطد سلطانه في مملكته الى الشمال من بلنسية وأخذ يشنّ الحملات على حصون المسلمين في الجنوب فسيّر جملة على بنشكلة (Péniscola) عام ٦٢٢/ ١٢٢٥ ، فما كان من السيد أبي زيد الا أن عقد معه هدنة سنة ٦٢٣ يدفع بموجبها خمس أتاوة بلنسية ومرسية جزية لخايمة.[١] هذا وكان أبو زيد قد خضع لفرذلند الثالث قبل ذلك بعام.[٢] وهو نفس العام الذى خضع فيه أخوه ابو محمد عبد الله البياسي له. غير ان الامور لم تستتب لابي زيد في بلنسية فقد حدّت طموحاته بالضغط المتواصل الذى شدّده عليه محمد بن يوسف ابن هود الذى دعا لنفسه بصخيرات مرسية سنة ٦٢٥ / ١٢٢٧ وتلقب بالمتوكل على الله ودعا للمستنصر العباسي[٣] واخذ يضيق الخناق على بلنسية ، ومن جهة اخرى فقد ظهر ابو جميل

---

١ I. Burns, The Muslim in the Christian Feudal Order: The Kingdom of Valencia, 1240-1280. (Studies In Medieval Culture v, 1976), p. 115, republished in Moors and Crusades In Mediterranean Spain, Collected Studies, Variorum Reprints, London, 1978 ; I. Burns, Islam under The Crusades, p. 32.

٢ I. Burns, The Muslim in the Christian Feudal Order, p. 115; Lomax., op.cit., p. 138.

٣ انظر في اخبار ابن هود البيان المغرب (تطوان) : ٢٥٥ — ٢٥٧، ٢٦٩ ، الروض المعطار : ٣٥٥ — ٣٥٦ ، الاحاطة ٢/ ١٢٨—١٣٢ ، الحلل الاعلام : ٢٧٧ — ٢٨٦ ، العبر ٦/ ٥٣٠ — ٥٣٦ ، ٦٠٠ — ٦١٥ .

Historica Musulmana, Tom. III, pp: 252-264.

زيّان بن أبي الحملات ابن مردنيش بأنده ، وأخذ يطالب بحكم بلنسية التي كانت خاضعة لبني مردنيش حتى سنة ٥٨٢.[1] ليس هذا فحسب ، بل ان الحملات المتواصلة التي كان يشنها خايمة الاول على الحصون الشمالية لبلنسية وحملته الكبيرة على جزيرة ميورقة سنة ٦٢٦[2] جعلت أبا زيد يشعر بالحصار الخانق ، فما كان منه الا أن اوفد رسله بسرّية تامة الى خايمة الاول والبابا غريغوريوس التاسع ، واجتمع بموفد البابا الرسمي جان دو أبفيل (John de Abbeville) حيث طرح في هذه المفاوضات ان يساعده خايمة على ضبط الاوضاع في بلنسية على ان يقدم

---

[1] انظر البيان المغرب (تطوان) ، ٨٥ — ٩٦ ، وصفحات متفرقة ، وأعمال الاعلام ، ٢٥٩ — ٢٦٣ ، ٢٧٠ — ٢٧٤ ، والعبر ٦/ ٦٠٠ — ٦١٤.
Histori a Musulmana, Tome. III, pp. 252-264.
والاستقصا ٢/ ٢٣٥ — ٢٣٦ .

[2] كان على خايمة الأول أن يسقط هذه الجزر ليستطيع ان يسيطر على البحر تسهيلا للتجارة الأراغونية التي كانت تطمح الى أن تنافس تجارة المدن الايطالية وليحكم سيطرته على شرق الأندلس فجهش حملة كبيرة بدعم مادى من تجار أراغون وتأييد من البابا الذى اعلنها حملة صليبية . يقول الحميرى : " ونزل الطاغية البرشلوني بأسطوله على ميورقة في شوال سنة ٦٢٦ فأراها من القتال وشدة الحصار وأنواع المحن ما لم يجر مثله في زمان وحكم عليها عنوة بعد طول الحصار والقتل والسبي ثم اخذ واليها ابن يحيى فعذبه اشد العذاب حتى مات واستولى الشرك على الجزيرة في عام ٦٢٧ " . الروض المعطار ٥٦٨ .
وانظر : Lomax. op.cit., pp. 141-143.
ونفح الطيب ٤/ ٤٦٩ — ٤٧١ ، نقلا عن ابن عميرة الضبي ، هذا وقد استمرت منرقة تحت حكم سعيد بن حكم القرشي حتى عام ٦٨٦ بعد أن صالح النصارى على جزية سنوية معلومة .

طاعته للبابا ويحكمها باسمه ، وقد كان مصير هذه المفاوضات ، التي جرت سنة ٦٢٦/ ١٢٢٨ ، الاخفاق .[1] ازاء هذا الوضع ومع اشتداد الصراع داخل بلنسية لم يجد أبو زيد بدًا من مغادرة بلنسية " والاعتصام ببعض معاقلها ليكون أقدر على ضبط أمره"[2] ومن هناك عاود السيد أبو زيد اتصاله بخايمة متنازلا له عن ستة حصون سلمها لفرسان شنت ياقوب مقابل أن يشرف على بعض المعاقل التي قد تقع في يد خايمة . وذلك سنة ٦٢٦ .[3] وقد دخل ابن الابار مع سيده الى دار الحرب واشترك معه في المفاوضات — كما سيأتي تفصيله فيما بعد — .

ونظرا لأن المصادر العربية لم تورد شيئا عن هذه الاحداث فانه لا يبقى امامنا سوى الاستعانة بالمصادر الاراغونية وغيرها من المصادر الاسبانية . واستنادا الى هذه المصادر

---

١ Lomax., op.cit, p. 148; I. Burns, Islam under The Crusades, p.34.

ولا بد هنا من وقفة اذ ان هذه الاخبار لم ترد في اى من المصادر العربية . ولم يشر لوماكس الى مصادره غير ان بيرنز (Burns) يعتمد على وثائق أراغونية تعود الى القرن الثالث عشر / السابع الهجرى كما ينقل عن سيرة السيد أبي زيد لشاباس :
Document in R. Chabás, "Ceid Abu Ceid" El Archivo IV, V,1890-1891.

وانظر حاشية ١٠ ص ٣٣ من كتاب (Burns) . والحواشي ٢٥—٢٩ من مقالته :
"The Muslim In The Christian Feudal Order, The Kingdom of Valencia, 1240 - 1280." (Collected Studies) XI.

٢ ابن الخطيب ، أعمال الاعلام (تحقيق ليفي بروفنسال ، دار المكشوف ، بيروت ، ١٩٥٦) : ٢٧٢ .

٣ Lomax., Ibid. Burns, Islam Under The Crusades, p.34.

نجد ان السيد أبا زيد اشترك مع الملك خايمة في حملته الصليبية ضد جزر ميورقة ومنرقة ويابسة وفي غيرها من المعارك التي خاضها خايمة ضد الاسلام ثم تنصّر عام ٦٣٤ وتزوج من امرأة نصرانية ، وكذلك تنصر معه ابناؤه من المسلمين وبناته ، وقد تزوج ابن البارون سيمون بيريث من احدى بنات السيد أبي زيد . ونال ابو زيد عطفا خاصا من البابا ، وتسمى باسم فنسنت (Vincent) ثم لما دخل خايمة بلنسية استلم السيد أبو زيد (Vincent) بعض المناصب الادارية بعد ان كان مسؤولا عن الكنائس في ضواحي المدينة ومعاقلها . وبقي محتفظا بعاداته الملكية التي أخذها عن الموحدين ، كما بقي يحتفظ بميسمه الذي يحمل علامة النسر .[٢]

---

[١] العبر ٦/ ٦٥٣ ، وانظر : المقرى ، أزهار الرياض (تحقيق السقا وآخرين ، القاهرة ، ١٩٤٢) ٣/ ٢٠٥ .

[٢] انظر :
I. Burns, The Muslim n he Christian Feudal Order: The Kingdom of Valencia, 1240 - 1280 (Collected Studies) XI, pp.115-116.
I. Burns, Journey from Islam: Incipient Cultural Transition n he Conquered Kingdom of Valencia (collected studies) XII, pp. 347-8.
I. Burns, Islam Under The Crusades, pp. 35-37, 47, 301-304, 286-287.
حلّ أبو زيد عند خروجه من بلنسيه في حصن شهرب (Segorbe) واتخذه محل اقامته . وقد كان كتبة الملك خايمة الاول يحتفظون بنسخ عن المعاهدات التي عقدها مع امراء شرق الاندلس ، وقد حفظت المعاهدات التي عقدها خايمة مع السيد أبي زيد .
انظر :
I. Burns, How To End A Crusade (Collected Studies) IV, p:9.

هذا وقد اختلفت المصادر العربية في تحديد اسم السيد ابي زيد وشخصيته ، فقال المراكشي في البيان المغرب (تطوان) : ٢٤٨ : "أبو زيد أخو البياسي" ، وحين ذكر البياسي نسبه كالتالي : أبو محمد ابن السيد أبي عبد الله ابن السيد أبي محمد البياسي . فغلط بالجد اذ وضع ابا محمد بدلا من ابي حفص .

اما صاحب روض القرطاس فقد ذكر انه السيد عبد الرحمن بن السيد ادريس بن يوسف ابن عبد المؤمن (الانيس المطرب : ٢٤٦) .

وقال ابن الخطيب انه السيد أبو زيد بن السيد يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن . (الاحاطة ١/ ٤١١ ، اعمال الاعلام : ٢٧٢) .

واورد ابن خلدون اسمه الصحيح فقال : " أبو زيد ابن أبي عبد الله أخي البياسي " ، وعند ذكره للبياسي قال : " أبو محمد بن أبي عبد الله محمد بن أبي حفص بن عبد المؤمن " . (العبر ٦/ ٥٢٦ ، ٦٠٠ ، ٦٥٣) .

وكذلك أورد اسمه صاحب الاستقصا (٢/ ٢٣٥) ، والنفح ٢/ ٥٨٩ ـ ٥٩٠ وهو ينقل عن ابن خلدون ، وانظر : ابن سعيد ، المغرب (تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٦٤) ٢/ ٣٠٨ . اما المصادر الاراغونية فتارة تسميه " Abu Sa^c^id" وتارة " Abu Ciet " وتارة " Ciet Abu Ciet " أو " Cied Abu Cied "

على كل ان هذه الاخطاء التي تبرز في المصادر العربية سببها الاضطراب الكبير في تاريخ عصر الموحدين وتشابه اسماء السادة والاشياخ وتكررها . وتبقى هذه المشكلة واحدة من عدة مشكلات تواجه الدارس عند التعرض لعصر الموحدين . اما حول تنصّر السيد أبي زيد فلم يصلنا في المصادر العربية غير اربع روايات ـ فيما اعلم ، اقدمها رواية ابن عذاري ، قال : " وفي هذه السنة (٦٢٦) فارق زيان بن مردنيش السيد أبا زيد البياسي وقاطعه وضبط بلده بلنسية ولحق السيد المذكور بالنصارى وانقطع اليهم حتى مات فيهم ، واما اخوه عبد الله فكان من امره ما تقدم مما هو مشهور مذكور نسأل الله العافية وحسن العاقبة . ومن الاتفاق الغريب ان نصرانيين وصلا قبل ذلك بامد قريب ـ أعني للسيد ابي زيد ـ فقالا له : نراك تصل الينا وتدخل في ديننا فكره ما قالاه وقتلهما صبرا فلم يكن بعد ذلك الا قليلا ولحق النصارى مرتدا وفارق اهله وولده واستوطن بينهم ، ثم سقط من اعينهم فرفضوه واطرحوه ولم يعش بعد ذلك الا يسيرا ومات " .
(البيان المغرب (تطوان) ص: ٢٧٠).

....

ولم يذكر ابن الخطيب شيئا واضحا عن تنصّره بل قال : " والجأه الاضطرار الى اللحاق بصاحب أراغون". اعمال الاعلام : ٢٧٢.

وذكر ابن خلدون ان ابن الابار " دخل مع (أبي زيد) حين نزع الى دين النصرانية ورجع عنه قبل ان يأخذ به". العبر ٦/ ٦٥٣، ونقل عنه هذا الخبر المقرى في ازهار الرياض ٣/ ٢٠٥ .

أما ابو العباس الناصرى فقد ذكر في الاستقصا ٢/ ٢٣٦ ان أبا زيد "خرج من بلنسية ولحق بطاغية برشلونة ودخل في دين النصرانية، والعياذ بالله".

وثمة اشكال أخير حول اختلاف التواريخ بين المصادر العربية والنصرانية وهذا يرد الى التحويل بين الهجرى والميلادى وليس بذى شأن كبير .

٢ - بلنسية وشرق الاندلس:

تقع مملكة بلنسية[١] على الشاطىء الشرقي لشبه الجزيرة الايبيرية وتمتد من بنشكلة (Peñiscola) شمالا حتى أوريولة (Orihuela) جنوبا.[٢] وتحيط بها من الغرب سلسلة من الهضاب الجرداء تفصلها عن أراغون وقشتالة ومرسية ويفصلها من الجهة الشمالية الشرقية عن أراغون عدد كبير من الحصون المنيعة . ويعبر هذه المملكة خمسة انهار كبيرة يتفرع عنها عدد جمّ من القنوات ، وهي غنيّة جدا بالآبار الجوفيّة. وتشكل هذه الانهار والقنوات عند مصباتها أراضي خصبة جدا (Huerta) تتمركز حولها المدن حيث تزدهر التجارة والصناعات . وتقع مدينة بلنسية عاصمة هذا الاقليم عند مصب نهر الوادى

---

١ هكذا كانت تسمى في المصادر الاسبانية وكان يطلق على اميرها لقب Rex اى الملك. وقد قسّم ابن سعيد الاندلس الى ممالك فالتسمية ليست حديثة.

٢ حدد الادريسي في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق جميع المدن الواقعة بين بنشكلة وأوريولة . Opus Geographicum, F.5, (Neapoli - Romae, 1975), pp. ٥٥٥ _ ٨٥٥

٣ انظر في بلنسية : العذرى ، نصوص عن الاندلس (تحقيق الدكتور عبد العزيز الاهواني ، معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ، ١٩٦٥) ص: ١٧-٢٠ ، والادريسي ، تقدم ذكره ، ومعجم البلدان (طبعة دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٥) ١/ ٤٩٠ ، والشقندى ، رسالة في تفضيل الاندلس على بر العدوة في نفح الطيب (تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٩) ٣/٢٢١ ، والحميرى ، الروض المعطار : ٩٧ - ١٠١ ، والمقرى ، نفح الطيب ١/ ١٧٩ - ١٨١ . Ambrosio Huici Miranda, Historia Musulmana De Valencia Y Su Region, Tome I (Valencia, 1969), Thomas f. Glick, Irrigation and Society in Medieval Valencia (Harvard University Press, Cambridge, 1970), E. Lévi-Provençal, Encyclopaedia of Islam, Vol. 4 (1934) pp. 1070-1071.
والامير شكيب ارسلان ، الحلل السندسية في الاخبار الاندلسية (منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، دون تاريخ) الجزء الثالث في مملكتي بلنسية ومرسية .

الابيض (Guadalaviar) وهي مرفأ بحري مهم توزع منه الواردات البلنسية الى بر العدوة والشاطئ الشمالي لافريقية .

لقد كانت هذه المملكة بحكم موقعها وما وهبها الله من الموارد الطبيعية تنعم باكتفاء ذاتي ، فغدت بلنسية من أهم المدن التجارية في القرون الوسطى اذ بلغت تجارتها حتى الجزر البريطانية والممالك الايطالية ومصر وغيرها من البلدان . وثمة ظاهرة يتحدث عنها باستمرار دارسو التاريخ والادب فيشيرون الى نزعة استقلالية انفصالية عند اهل الشرق الاندلسي . ولفهم هذه الظاهرة لا غنى عن دراسة طبيعة الاقتصاد والنظم الزراعية في هذا الجزء من الاندلس، اذ تمثل وفرة المياه في بلنسية وتنوع مصادرها ووقوعها على البحر الاساسين الهامين في حياتها الاقتصادية .[1] فلما حلّها العرب — واكثرهم من الشاميين العارفين بشؤون الري والزراعة ، طوّروا فيها انظمة الري التي عرفوها في المشرق وتفننوا في الطـــرق الزراعية فاصبحت الاساليب الزراعية وانظمة الري في مملكة بلنسية متنوعة بحسب التنوع في طبيعة مناطقها ، فأما التلال المشرفة على السهول الساحلية فكانت الزراعة فيها بعليـــة

---

[1] وصفها صاحب المسهب فأحسن وصفها حين قال : " مطيب الاندلس ومطمح الاعين والانفس ، قد خصّها الله باحسن مكان وحفها بالانهار والجنان ، فلا ترى الا مياها تتفرع ولا تسمع الا أطيارا تسجع ، ولا تستنشق الا أزهارا تنفح ، وما اجلّت لحظا بها في شيء الا قلت هذا املح ... ولها البحر على القرب والبر المتسع ، وحيث خرجت من جهاتها لا تلقى الا منازه ومسارح ". المغرب في حلى المغرب ٢ / ٢٩٧ — ٢٩٨ ، وانظر ايضا : ديوان الرصافي البلنسي (جمعه وقدم له الدكتور إحسان عباس ، دار الشروق ، بيروت ١٩٨٢) :

(Secano) ، وأما ذلك الجزء من السهل الساحلي الواقع عند مصب الانهر على شكل دلتا فلم يكن بحاجة الى الريّ ، وكذلك هو الحال عند شمالي دلتا الانهر وجنوبها حيث البطائح (المستنقعات) المغمورة بالمياه (Marjals) وهذه تصلح لزراعة الارز والقصب.[١]

وأما في السهول البعيدة نسبيا عن مصب الانهر فقد تنوّعت وسائل الري ،[٢] فشقت الاقنية وهي مجار تحت الارض لها فتحات عند مسافات متفاوتة تسمح بالكشف عليها وتنظيفها ، وأنشئت السواقي (Acêna) وهي دواليب يديرها الحمير وتقذف بالمياه في الاقنية والترع، واقيمت الشواديف (Ciguenal) والنواعير (Lañora).[٣] هذا بالاضافة الى مياه الآبار الجوفية والسدود (Azuds) التي كانت تستخدم لتخزين الماء وتوزيعه.[٤] وكانت المياه موزعة بحسب الحصص فلكل مزارع أوقات معينة وفق نظام متطور يشرف عليه "صاحب الساقية".[٥]

---

١ T. Glick, Irrigation, pp. 11-13.

٢ يرى غليك Glick ان العرب نقلوا نظامَيّ الري الشامي واليمني ، وقارن النظام الشاميّ بذلك المعتمد عند نهر بردى. T. Glick, Irrigation, pp. 169-170, 214, 230, 264-265. Glick, Islamic and Christian Spain, pp. 70-74.

٣ وقد اكثر ابن الآبار من وصف الدولاب والناعورة في شعره ، كما سوف نرى في الفصل الثاني .

٤ Glick, Irrigation, pp. 175-184. Islamic And Christian Spain, pp. 70-73.

٥ راجع Glick, Irrigation, pp. 199-203.

تبعا لهذا التنوع في الاساليب تعدّدت المحاصيل التي كان لها شهرة عالمية ومن أهمها الارز الذى اعتنى البلنسيون بزراعته وطوّروها ،[١] والقطن الذى ابتدأت زراعته حوالي أوائل القرن الرابع الهجرى ثم انتشرت في غرناطة وباقي أجزاء الاندلس .[٢] والحمضيات وخاصة البرتقال وله شهرة عالمية حتى اليوم ،[٣] والفواكهة والخضار والحبوب عموما . وقد اشتهرت بلنسية كذلك بأجود انواع القماش والحرير ،[٤] والورق الفاخر الذى تميزت بصناعته مدينة شاطبة[٥] (وهي تقع في مملكة بلنسية) .

وكانت سلاسل الهضاب الغربية التي تفصل بلنسية عن الداخل الاندلسي تشكل حاجزا ، ان لم تكن تمثل حدّا طبيعيا فاصلا ، فقد كان لها في نفوس اهل بلنسية — فيما يتصوّر المرء — وقع سلبي ، اذ يحسّ ابن بلنسية بغرابة تستولي على مشاعره من جراء الهدوء

---

١ S.M. Imamuddin, Some Aspects of the Socio-Economic and Cultural History Of Muslim Spain (Leiden : Brill, 1965), p. 83. The Cambridge Economic History, VI, p. 443.

٢ Imamuddin ., op.cit., pp. 87-88; The Cambridge Economic History , VI, p. 442.

٣ Glick, Irrigation, pp. 184-186. Imamuddin, op.cit., pp. 85-86.

٤ Glick, Islamic and Christian Spain, pp. 242-243. Imamuddin , op.cit, p. 87; The Cambridge Economic History, VI, p.442.

٥ Glick, Islamic and Christian Spain, p. 242.

قال الادريسي في نزهة المشتاق ٥/ ٥٥٦ : "مدينة شاطبة مدينة حسنة ولها قصاب يضرب بها المثل في الحسن والمنعة ويعمل بها الكاغد ما لا يوجد له نظير بمعمور الارض ويعم المشارق والمغارب ." وقارن به : نفح الطيب ١/ ١٦٦ ، الروض المعطار : ٣٣٧ .

والركود والغبار التي تخيم على تلك التلال الشاحبة وهي واقفة كأنما ترسم النقيض لجنان بلنسية ذات الصفاء والخضرة.[1] أضف الى هذا ان موقع بلنسية وانفتاحها على التجـــارة الدولية وعلى الثقافة العربية في برّ العدوة جعلا أهلها يشعرون بنوع من الاكتفاء الذاتي ، ويستعيضون عن الارتباط مع سائر الاندلس بنظم اداريّة وزراعية متطورة وتقاليد علمية أدبية راسخة ، وقد ارتكز كل هذا على اقتصاد زراعي ــ صناعي متطّور . وكل هذا قد يعلل بروز تلك النزعة الاستقلالية عند أهل الشرق الاندلسي .

٣ ــ نظرة في البيئة العلمّية في شرق الاندلس:

لقد ذهب الموحدون بعيدا في تشجيع العلوم والمعارف والاهتمام بأهلها ، وقد راجت في ظل دولتهم كتب الطب والفلسفة[2] وعـــــــــــــــــــــــــلـــــم

---

[1] اصدق دليل على هذا الحاجز النفسي قصيدة ابن خفاجة في الجبل ، فهو حين ترك جنان بلنسية ومياه انهارها التي تلمع بزرقة اللازورد تزينها أزهار النيلوفر، هذا الجو الذى يوحي بالدعة والحياة الهائلة والصور الحية المليئة بالحركة واللون ، واجه الجهل الكالح حاجزا يمثل "الارتفاع والاعتراض والوقار الصامت" ، ولا يمتلك المسافر ازاءه الا ان يتملكه القلق . راجع ديوانه (تحقيق الدكتور السيد مصطفى غازى ، منشأة المعارف بالاسكندرية ، ١٩٦٠) : ٢١٥ ــ ٢١٧ . وانظر : الدكتور احسان عباس، تاريخ الادب الاندلسي عصر الطوائف والمرابطين (دار الثقافة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٤) : ٢٠٩ ــ ٢١٠ .

[2] كان أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن من العلماء الحفاظ له حظ في الفلسفة والطب وامر بجمع الكتب في مختلف الفنون فاجتمع له قريب مما اجتمع للحكم المستنصر وذلك ايام كونه باشبيلية واليا عليها . وقد أدنى ابن طفيل وأبا الوليد ابن رشد . انظر المعجب ٢٣٨ ــ ٢٤٣ ، وابن خلكان ، وفيات الاعيان (تحقيق الدكتور احسان عباس، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٢،) ٧/ ١٣٠ .

الكلام[١] والحديث[٢] وغيرها من العلوم ، ومن ثمّ غدت اشبيلية من أهم مراكز العلم والادب في الاندلس ان لم تكن أهمها على الاطلاق ، اذ اتخذها الموحدون قاعدة لحكمهم[٣]. وامتد هذا التشجيع الى سائر المدن الاندلسية مما أتاح جوا علميا يميزه الانفتاح والتبادل الثقافي بين برّ العدوة والاندلس اذ انتفت العوائق في ظل هذا السلطان السياسي الذي يمتدّ من جبال الشارات حتى حدود مصر. وتبرز لنا كتب التراجم مدى الانتعاش في

---

١ كان علم الكلام قد لقي رواجا في الاندلس ، فقد دخلت كتب الغزالي وانتشرت ، ونعرف من كبار علماء الكلام على مذهب الاشعري أبا الوليد الباجي وأبا بكر ابن العربي وابا الحجاج الضرير وغيرهم ، انظر الغنية — فهرست شيوخ القاضي عياض (تحقيق ماهر زهير جرّار ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ١٩٨٢) ، المقدمة ص : ١٢ ، ومواضع متفرقة من المعجم لابن الأبار . هذا وقد كان ابن تومرت متكلما كما يبدو من عقيدته " أعزّ ما يطلب ".
انظر : الفرد بل ، الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي (ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨١) : ٢٦٨ — ٢٧٤ ، ومقدمة "أعز ما يطلب".

٢ اهتم الموحدون بعلم الحديث وعنوا كثيرا بصحيحي مسلم والبخاري ، وكان كثير من الخلفاء والامراء من المحدثين ، كما اهتموا كثيرا "بالطلبة" "والحفاظ" وعلومهم القرآن الحديث .

٣ " لما تخلص لعبد المؤمن بن علي ملك المغرب ، وصلته بيعة من بعض المواضع بجزيرة الاندلس ، وأول بيعة وصلته منها وأول وَفْدٍ وَفَدَ عليه أهل اشبيلية ، ولذلك اعتنوا بها في مدتهم وصيروها حاضرتهم". الحلل الموشية : ١٤٧ ، " وقد كانت اشبيلية هي منزله ومنزل الامراء من بنيه ايام كونهم بها (يعني الاندلس)." المعجب : ٢٥٧ .

الحركة الفكرية في الاندلس ، حيث برزت بالاضافة الى اشبيلية مدن بلنسية ومرسية وقرطبة وغرناطة .

كان شرق الاندلس قد حافظ على تقاليد علمية راسخة استمرت متوارثة لعدة اجيال ، يضيف اليها كل جيل تراثا فكريا ثقافيا يؤصلها ويؤكد رسوخها .

ويبدو أن من أهم العوامل التي كان لها دور رئيس في ازدهار التقاليد العلمية في شرق الاندلس انتشار المدارس[1] والكتاتيب وحلقات العلم في المساجد والبيوت والزوايا . هذا وقد كان لنزول أبي علي الصدفي في مرسية وتوليه قضاءها سنة ٥٠٥ ثم تخفيه في دانية اثر استعفائه[2] اثر كبير في تقدم الدراسات في تلك المنطقة ، اذ اصبحت منطقة الشرق محج العلماء يفدونها للاخذ عن الصدفي والاتصال بروايته فتخرج على يديه عدد كبير من التلامذة

---

[1] يبدو انه من المبكر قليلا استعمال هذا المصطلح في الاندلس ، غير أننا نجد ان ابن الأبار ذكر في "التكملة" وفي "المعجم" كلمة "المدرس" و "المؤدب" . وقد ذكر الاب بيرنز (Burns) في كتابه (Islam Under the Crusaders, p. 198) اعتمادا على خوليان ريبيرا (Julian Ribera) أن نظام المدارس كان شائعا ومنتشرا في شرق الاندلس . هذا ويذكر نخستين (Nakosteen) أنه انشئت "مدرسة الكاتدرائية" "Cathedral School" في بلنسية سنة (٦٠٩ — ٦١١ / ١٢١٢ — ١٢١٤)

M. Nakosteen., History of Islamic Origins of Western Education (Colorado, 1964), p. 189.

[2] انظر الغنية : ١٣١ ، والمعجم .

الذى توزعوا على مراكز العلم في منطقة الشرق ونشروا علما جمّا .[1] والصدفي هو الحسين بن محمد بن فيّره بن حيّون الصدفي المعروف بابن سكّرة[2] ولد بمنزل محمود في الثغر الاعلى على اربعة أميال من سرقسطة في نحو أربع وخمسين وأربعمائة . وسمع بالاندلس من شيوخها: الباجي وأبي محمد بن فورتش وابن الصّراف وابن سماعة وغيرهم ثم سمع بالمرية وبلنسية من العذرى وابن سعدون ، واعتنى بالحديث ورحل الى المشرق فلقي بقايا شيوخ افريقية بالمهدية وبمصر : الحبّال والخلعي وابن مشرّف وغيرهم ، وبمكة : الطبرى وأبا بكر الطرطوشي وأبا عبد الله الحائط وغيرهم ، وبالبصرة : ابن شعبة وأبا يعلى المالكي وأبا العباس الجرجاني وجماعة ، وسمع بواسط من شيوخها وببغداد من بقية محدثيها ومسنديها : أبي الحسين الطيورى وابن خيروق وابن البطر والبانياسي وأبي محمد التميمي وأبي الفوارس الزينبي وقاضي القضاة ابن بكران والامام أبي بكر الشاشي وابن فهد وابن أيوب البزاز ، ودرس الفقه والاصول على الشاشي ، ولقي جماعة من الخراسانين الحجاج كالامام أبي القاسم ابن شانور البلخي والقاضي أبي محمد الناصحي الرازى وبالشام من الشيخ نصر المقدسي وغيرهم[3] فحصل علما جما وعاد الى

---

[1] واجع المعجم لمعرفة هؤلاء التلامذة وتبين مدى انتشار الحركة الفكرية وتقدمها في شرق الاندلس ، هذا ويذكر ابن خلدون ان الفضل في تقدم الدراسات في افريقية وتونس وازدهار رسوم الحضارة بهما يعودان الى هجرة مشيخة شرق الاندلس . (المقدمة : ٧١٧ ، ١٠٤٠)

[2] له ترجمة في الغنية : ١٢٩ (٤٧) وفيه ذكر لمصادر ترجمته ، والنقل عنها .

[3] لقد ترجمت لغالبية هؤلاء الاعلام في كتاب الغنية للقاضي عياض .

الاندلس فنزل مرسية وتصدر للافادة والاقراء بجامعها ورحل الناس اليه يتنافسون في الاخذ عنه. وأدخل معه كثيرا من الاصول والمتون وكتب الفقه والحديث والمشيخات والمسلسلات والدفاتر الحديثية العتيقة. كان امام وقته في علم الحديث عالما بالرجال والجرح والتعديل بصيرا بعلله حافظا للمتون والاسانيد قائما على اقراء الصحيحين وجامع الترمذي، وقد خرّج له القاضي عياض مشيخة عن مائة وستين شيخا.[1] واستشهد القاضي أبو علي الصدفي في موقعه قتندة بالثغر الاعلى سنة ٥١٤/ ١١٢٠ .

هذه الرحلة العلمية التي قام بها الصدفي كانت قد اصبحت تقليدا حافظ عليه الاندلسيون منذ زمن مبكر، ونجد انه في نفس الفترة قام ابو بكر ابن العربي [2] وأبو بكر الطرطوشي [3] برحلة مماثلة.وقد عاد ابن العربي الى الاندلس واقام باشبيلية حيث نشر علما كثيرا وادخل معه كتب الحديث والاصول وعلم الكلام فازدهرت تلك الدراسات على يد هذين الشيخين — الصدفي وابن العربي — وكان لشرق الاندلس في ذلك النصيب الاكبر . وقد آتت هذه الدراسات أكلها

---

[1] تذكرة الحفاظ : ١٢٥٤ ، ولابن الأبار المعجم في اصحاب القاضي أبي علي الصدفي سأفصل الكلام عليه عند ذكر مؤلفاته.

[2] (-٥٤٣) ، له ترجمة في الغنية : ٦٦ (١٠) وفيه ذكر لمصادر ترجمته.

[3] (-٥٢٠) ، له ترجمة في الغنية : ٦٢ (٧) وفيه ذكر لمصادر ترجمته.

في القرن التالي على يدى أبي القاسم ابن حبيش[1] (٥٠٤ - ٥٨٤) ، وهو من اهل المرية وأصله من شارقة عمل بلنسية ثم استقر بمرسية ومات فيها . وقد أخذ عن أكابر مشايخ الاندلس ، ولا يتسع المجال لتعدادهم ويكفي ان اذكر انه أخذ عن أبي محمد ابن عطية وسمع عليه تفسيره ، كما أخذ عن ابن العربي ، واجاز له القاضي أبو الفضل عياض،[2] وحمل رواية الصدفي وان لم يكن مباشرة بل عن طريق اشياخه ، كما حمل رواية أبي علي الغساني . " وقد كان فقيها محدثا علامة لغويا أديبا نسّابة، علم وقته اتقانا وحفظا لرجال الحديث ، عارفا بعلله واقفا على اسماء رواته ونقلته لم يكن في الاندلس من يجاريه فيه يقر له بذلك أهل عصره ويعترف له به أهل دهره، مع تقدم في علم الادب وحفظ اللغة واعتناء بتصحيح الفاظها واستقلال

---

[1] راجع في ترجمته : الضّبي ، بغية الملتمس (نشره كوديره وزيدين ، مدريد ، ١٨٨٥) : ٣٤٥ (٩٨٨) ، والمنذرى ، التكملة لوفيات النقلة (تحقيق الدكتور بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨١) ١/ ٧٩ (٣٥) ، وابن الأبار ، التكملة لكتاب الصلة (نشره كوديره ، مدريد ، ١٨٨٤) رقم : ١٦١٧ ، وابن الصابوني ، تكملة اكمال الاكمال (تحقيق مصطفى جواد ، ١٩٥٧) : ١١١ ، والذهبي ، تذكرة الحفاظ (حيدر أباد الدكن ، ١٩٥٨) : ١٣٥٣ ، والذهبي ، تاريخ الاسلام (باريس / ١٥٨٢) ق / ١٦ - ١٧ ، والذهبي ، العبر في خبر من عبر (تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، الكويت ، ١٩٦٣) ٤ / ٢٥٢ ، وابن الجزرى ، غاية النهاية في طبقات القراء (تحقيق برجشتراسر ، القاهرة ، ١٩٣٢ - ١٩٣٣) ١/ ٣٧٨ (١٦١١) ، وابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة (ط . دار الكتب المصرية) ٦/ ١٠٨ ، والسيوطي ، بغية الوعاة (تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، ١٩٦٤) ٢/ ٨٥ ، وابن العماد ، شذرات الذهب (مكتبة القدسي ، القاهرة ، ١٣٥٠) ٤/ ٢٨٠ ، وللدكتور عبد المنعم مختار أمين دراسة عنه بعنوان " ابن حبيش الاندلسي واهميته في الدراسات التحليلية للطبرى والواقدى وابن عساكر " في مجلة دراسات عربية (العدد الاول ، السنة السابعة عشرة ، تشرين الثاني / كانون الاول ، ١٩٨٠) : ٧١ - ٨١ .

[2] القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي (٤٧٦ - ٥٤٤ / ١٠٨٣ - ١١٤٩) ، درس على الصدفي والجياني وابن العربي والطرطوشي وغيرهم . انظر مقدمة الغنية .

بغيرها من جميع الفنون ، يجمع الى ذلك كله صحة الضبط والاتقان لما قيده ورواه والثقة والصدق فيما حمله ورعاه . ولم يؤلف في الحديث على كثرة مطالعته وتقييده غير مجموع في الالقاب صغير ، وله كتاب المغازى في مجلدات كتبه الناس". [1] واليه كانت الرحلة في عصره وعليه كان مدار الرواية . وهو شيخ أبي الربيع ابن سالم استاذ ابن الأبار لازيد من عشرين سنة . [2]

ولم تقتصر الحركة الفكرية على الدراسات الاصولية والحديثية بل ازدهرت ايضا الدراسات اللغوية والفلسفية ازدهارا كبيرا في شرق الاندلس ويكفي ان نذكر اسماء حازم القرطاجني [3] ومحيي الدين ابن عربي [4] وابن سبعين [5] في الفلسفة العقلية والاشراقية ، واللغة ، كما ازدهرت

---

[1] التكملة (مدريد) رقم : ١٦١٧ ؛ ولابي الربيع ابن سالم "المعجم في مشيخة ابي القاسم ابن حبيش ، مجلد لطيف" (الذيل والتكملة ٤/ ٨٧ ، برنامج الرعيني (تحقيق ابراهيم شبوح ، دمشق ، ١٩٦٢) : ١٨ ، برنامج الوادى آشي (تحقيق محمد محفوظ ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ١٩٨٠) : ٢٠ .

[2] سترد ترجمته فيما بعد ، ولقد اكتفيت بذكر هؤلاء الاعلام فقط لان الموضوع لن تفيه صفحات قليلة حقه لو أردت أن أتوسع فيه .

[3] (٦٨٤/ ١٢٨٥) صاحب "منهاج البلغاء" وسترد ترجمته فيما بعد .

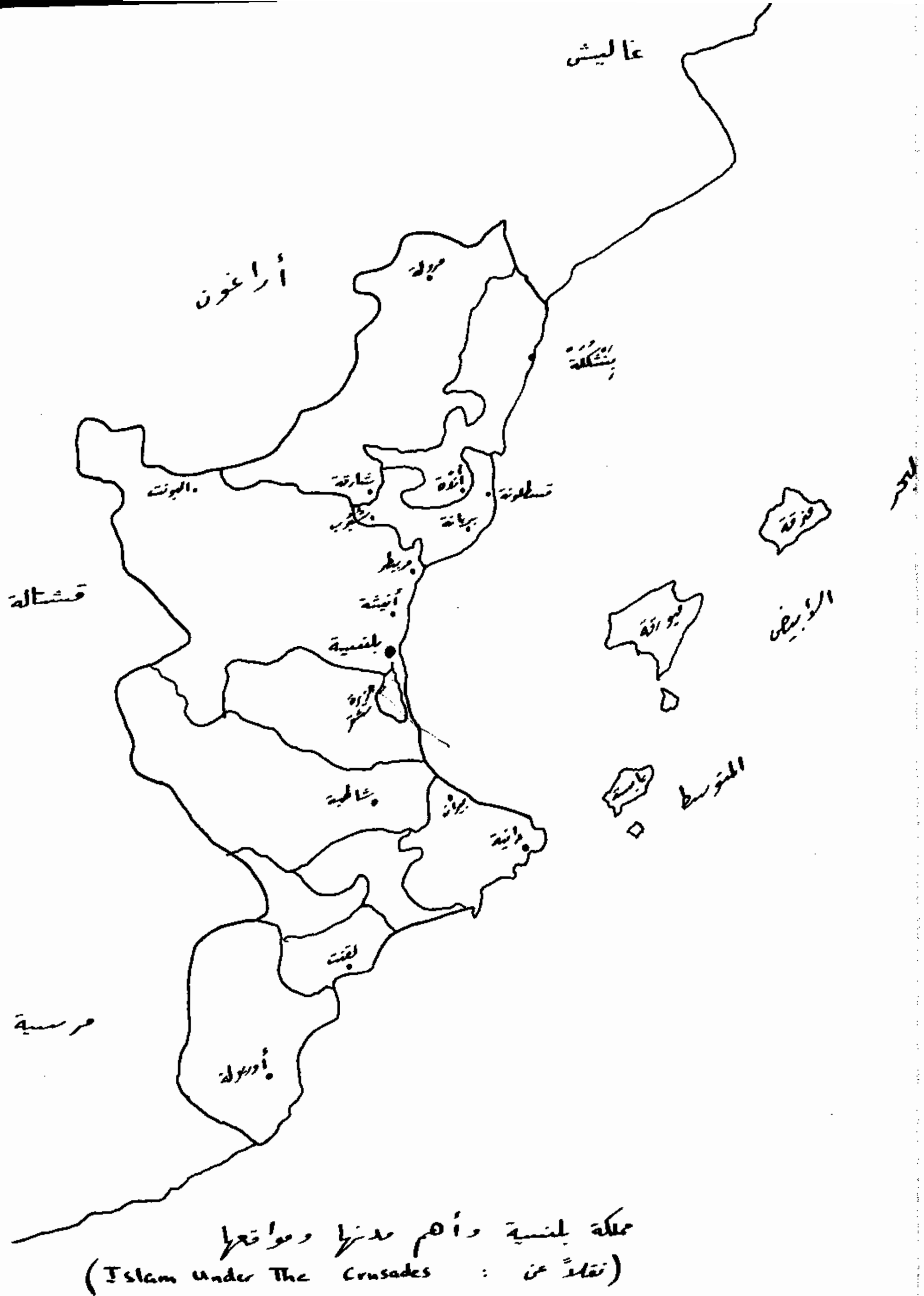
[4] محمد بن علي الحاتمي (٥٦٠–٦٣٨/ ١١٦٥ – ١٢٤٠) متصوف حافظ كثير التأليف له رحلة الى المشرق ومات هناك ودفن بدمشق . عنوان الدراية (تحقيق عادل نويهض ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٧٩) : ١٥٦ وفيه ذكر لمصادر اخرى ، وانظر دراسة آسين بلاثيوس عنه ، وتاريخ الفكر الاندلسي لآنخل بالنثيا (ترجمة الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٥٥) : ٣٧١ – ٣٨٦ .

[5] أبو محمد عبد الحق بن ابراهيم المرسي (٦١٣ – ٦٦٩/ ١٢١٦ – ١٢٧٠) تلميذ ابن العربي من كبار المتصوفة ، له ترجمة في عنوان الدراية : ٢٣٧ ، وانظر تاريخ الفكر الاندلسي : ٣٨٦–٣٩٠

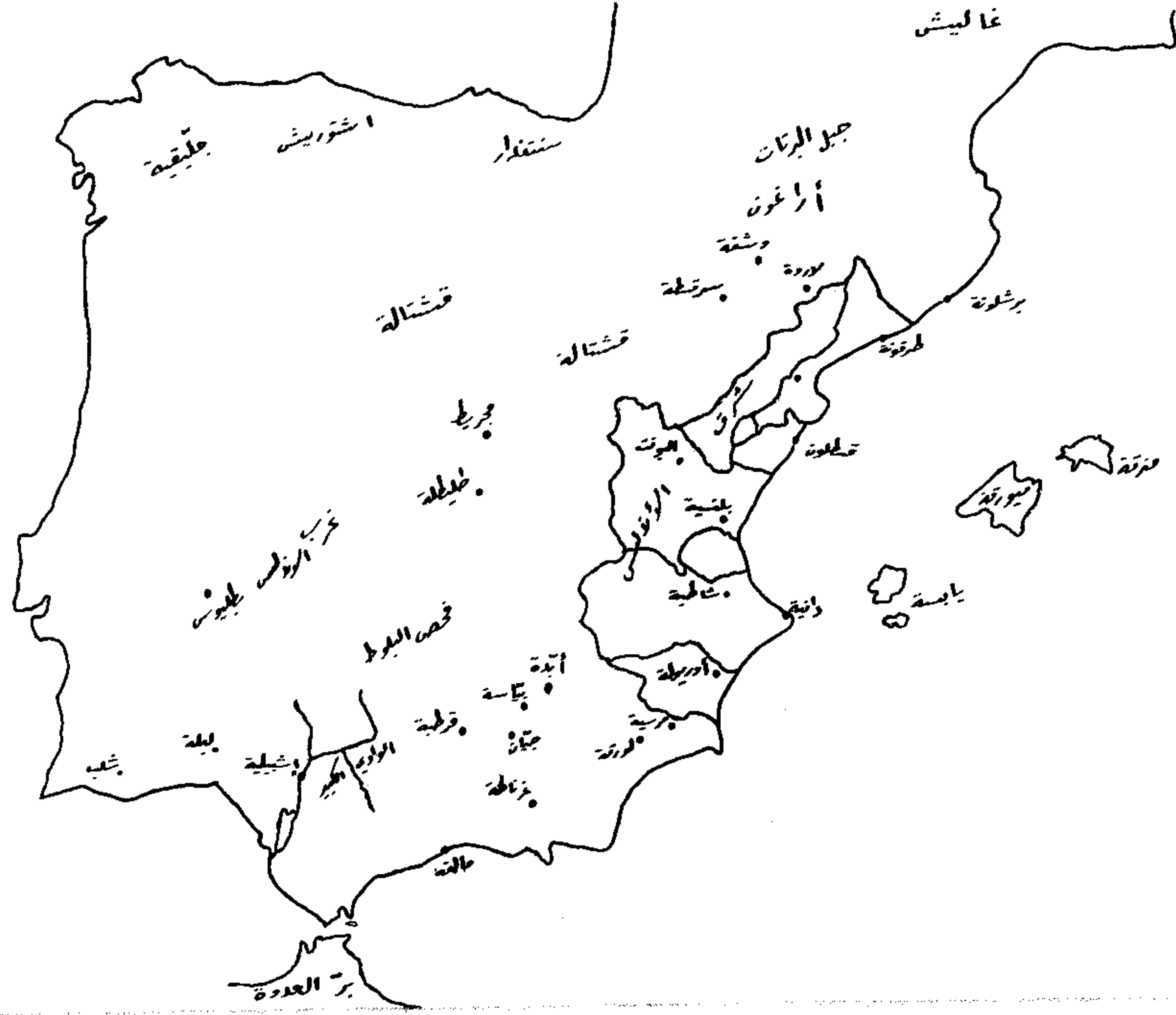
رسوم الخط وشهر خطّ شرق الاندلس باناقته وجماله ،[1] وقد كان للبيئة الطبيعية دورها في خلق اتجاه شعرى تمثل مع ابن خفاجة ومدرسته التي اعتمدت وصف الطبيعة وتميزت بالالحاح على التصوير في الشعر ويقارن أعلامها بكبار الشعراء امثال ابن الرومي والصنوبرى وغيرهما .

---

[1] قال ابن عبد الملك عند ترجمته لحمد بن ابراهيم الرعيني ٦/ ٩٦ (٢٤٠) : "كان نبيل الخط بطريقة أهل شرق الاندلس". وقد كانت مهنته بيع الكتب والوراقة شائعة في شرق الاندلس ولا ننسى الورق الفاخر الذى كانت تنتجه شاطبة . انظر على سبيل المثال الذيل والتكملة ٦/ ٢١٩ (٦٤٠) ، والتكملة (باعتناء عزّت العطار الحسيني ، القاهرة ، ١٩٥٦) ٢/ ٨٨٢ (٢٠٩٨) و ٢/ ٨٩٣ (٢١١٠).



مملكة بلنسية وأهم مدنها ومواقعها
(نقلاً عن : Islam Under The Crusades)


غاليش
جبل البرتات
أراغون
وشقة
لاردة
سرقسطة
برشلونة
طركونة
جليقية
اشتوريش
سنتفدار
قشتالة
قشتالة
مجريط
طليطلة
غرب الاندلس
فحص البلوط
أبدة
بياسة
قرطبة
جيان
غرناطة
مالقة
شلب
لبلة
اشبيلية
الوادي الكبير
البونت
بلنسية
شاطبة
دانية
أوريولة
مرسية
لورقة
طرطوشة
يابسة
ميورقة
منرقة
بر العدوة

الفصل الاول

في

سيرة ابن الأبار وثقافته

١ - نسبـــــه :

في مدينة بلنسية ولد محمـــد[1] بن عبد الله بن أبي بكـر بن عبد الله بن عبد الرحمن

---

[1] ترجمته في : ابن سعيد ، اختصار القدح المعلّى في التاريخ المحلّى (تحقيق ابراهيم الابياري ، القاهرة ، ١٩٥٩) : ١٩١ – ١٩٥ ، والمغرب ٢/ ٣٠٩ ، والذيل والتكملة ٦/ ٢٥٣ – ٢٧٥ ، وعنوان الدراية : ٣٠٩ – ٣١٣ ، وابن الطوّاح ، سبك المقال (الخزانة الملكية بالرباط ، رقم : ١٠٥) ق/ ٩٦ ب – ٩٨ ب ، ورحلة ابن رشيد (الاسكوريال رقم : ١٦٨٠) ق / ٨٨ – ٩١ ، (رقم : ١٧٣٥) ق / ٤٢ ، (رقم : ١٧٣٦) ق / ٢٥ – ٢٦ ، والوافي بالوفيات ٣/ ٣٥٥ – ٣٥٨ ، وابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات (تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٤) ٣/ ٤٠٤ – ٤٠٧ ، وابن شاكر الكتبي ، عيون التواريخ (تحقيق الدكتور فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨٠) ٢٠/ ٢٤٥ ، والعبر ٥/ ٢٤٩ ، وتاريخ الاسلام (البودليان Land Or. 305 ، وفيات سنة ٦٥٨) ق / ٣١٥ أ و ب ، وتاريخ ابن خلدون ٦/ ٦٠١ – ٦٠٤ ، ٦٥٢ – ٦٥٤ ، وابن القنفذ القسنطيني ، الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية (تحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٦٨) : ١٢٦ – ١٢٧ ، وابن الاحمر ، مستودع العلامة (تحقيق محمد التركي التونسي ومحمد بن تاويت التطواني ، تطوان ، ١٩٦٤) : ٢٨–٢٩ ، والبدر السافر (مخطوط الفاتح رقم: ٤٢٠١) ق / ١٢٠ – ١٢٣ ، وعقود الجمان (مخطوط الفاتح رقم : ٤٤٣٤) ق / ٢٨٧ – ٢٨٨ ، والزركشي ، تاريخ الدولتين الحفصية والموحدية (تحقيق محمد ماضور ، المكتبة العتيقة ، تونس ، ١٩٦٦) : ٢٨ ، ٣٥ – ٣٦ ، وأزهار الرياض ٣/ ٢٠٤ – ٢٦١ ، ونفح الطيب ٢/ ٥٨٩ – ٥٩٤ ، وشذرات الذهب ٥/ ٢٤٩ ، والكتاني ، فهرس الفهارس (باعتناء الدكتور احسان عباس ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ١٩٨٢) ١/ ١٤٢ ، ومحمد مخلوف ، شجرة النور الزكية (القاهرة ، ١٣٤٩) ١/ ١٩٥ . هذا ونجد اخباره مبثوثة في كثير من المصادر الادبية والتاريخية والرحلات وهي تعزّ على الحصر .

ابن احمد بن أبي بكر القضاعي .[1] وأصل سلفه من أُنْدَهْ Onda [2] وبها نزلت قضاعة[3] وفيها ولد ابوه سنة ٥٧١/ ١١٧٥.[4]

ولا نعلم لماذا غادر ابوه اندة الا ان يكون قصد بلنسية طلبا للعلم وليكون بمأمن من غارات النصارى المتكررة على هذا الحصن وما وَلاه من الثغور، فطاب له المقام بها واتخذها

---

١ نسبة الى بني قضاعة، قيل من حمير من القحطانية وقيل من عدنان. فمّن قال من حمير ابن الكلبي وابن اسحاق وغيرهما فقالوا : قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرّة بن زيد بن مالك من حمير ومن قال من عدنان ذكروا انه قضاعة بن معد بن عدنان. قال ابن عبد البر : وعليه الاكثر. ابن حزم، جمهرة انساب العرب (تحقيق، عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط ٣، ١٩٧١) : ٤٤٠ - ٤٦٠، وابن ماكولا، الاكمال (باعتناء الاستاذ نايف العباس، بيروت، بدون تاريخ) ٧/ ١٤٦، والقلقشندي، نهاية الارب في معرفة انساب العرب (تحقيق علي الخاقاني، بغداد، ١٩٥٨) : ٣٦٦، وقد ورد اسمه الكامل في : برنامج التجيبي (تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، ١٩٨١) : ١٦٣،٣٨ .

٢ اقليم في كورة (مملكة) بلنسية الى الشمال منها، كثيرة المياه والرساتيق والشجر وفي جبلها معدن الحديد (نصوص عن الاندلس للعذري : ١٩ - ٢٠، معجم البلدان ١/ ٢٦٤، الروض المعطار : ٤١، نفح الطيب ١/ ١٨٢).

٣ انظر التكملة ١/ ١٤٥ (٣٧٦) و ٢/ ٨٥٦ (٢٦٥)، وعنوان الدراية : ٣٠٩ .

٤ ترجم له ابن الابار في التكملة ٢/ ٨٨٨ (٢١٠٥)، وعنه الذيل والتكملة ٤/ ١٧٩ (٣٢٩)، وشجرة النور ١/ ١٧٦ .

مستقرا ، ولم يذكر الابن شيئا عن مهنة والده الذي يبدو انه كان يعمل آبارا ،[1] ولكن ابن عبد الملك المراكشي يذكر ان أبا محمد كان صنيعة للشيخ أبي الربيع ابن سالم شديد الاختصاص به "متصرفا في الوكالة عنه".[2] وقد يستنتج من هذا ان أبا الربيع جعله مراعيا لأملاكه وأراضيه وأنه كان يشرف على غلاته الزراعية وغيرها ولعله لم يتخل عن العمل في صنع الابر حين اسندت اليه هذه الوظيفة.

وقد حظي عبد الله الاب بمركز اجتماعي مرموق في بلده فقد كان "معدّلا عند الحكام ، وكان القاضي ابو الحسن ابن واجب[3] يستخلفه على الصلاة بمسجد السيّدة داخل بلنسية".[4]

وقد وصف ابن الأبار والده في التكملة فقال : " وكان رحمه الله ، ولا أزكيه، مقبلا على ما يعنيه شديد الانقباض ، بعيدا عن التصنّع ، حريصا على التخلّص ، مقدّما في حملة القرآن ، كثير التلاوة له والتهجّد به ، صاحب ورد لا يكاد يهمله ، ذاكرا للقراءات مشاركا في حفظ مسائل من الآداب ".[4]

---

[1] قال المراكشي في الذيل والتكملة ٤/ ١٨٠ : " كان ابو محمد الأبار هذا ..." ويشير اللقب وكذلك لقب ابنه انه كان يعمل آبارا ، والآبار صانع الابر (اللسان : أبر).

[2] الذيل والتكملة ٤/ ١٧٩ .

[3] هو احمد بن محمد بن عمر ابن واجب القيسي (٥٧٠ — ٦٣٧) من اهل بلنسية سمع من ابن عمّه أبي الخطاب ومن ابن نوح وأبي العطاء ابن نذير وغيرهم وأجاز له السلفي . ولي قضاء بلده وخطب بجامعه وقتا وهو كان يصلي التراويح بالولاة ، وكان من احسن الناس صوتا بالقرآن وابرعهم وراقة وخطا ، مع نباهة البيت ورجاحة العقل . وقد سمع ابن الأبار جل ما عنده . التكملة ١/ ١٢٢ (٣٠٥) ، الذيل والتكملة ١/ ٤٧٣ (٧١٤) .

[4] التكملة ٢/ ٨٨٨ ، الذيل والتكملة ٤/ ١٧٩ .

وقد كان أبو محمد حريصا على تحصيل العلم وحضور مجالس العلماء ، وقد ذكر ابنه في التكملة شيوخه وترجم لهم ونقل عنه المراكشي في الذيل والتكملة ، وهم :

١ - محمد بن خلف بن مرزوق بن أبي الاحوص، أبو عبد الله بن نسع (٥٠٩ - ٥٩٩) ،[1] بلنسي أُنْدي كان من كبار المقرئين وأئمة المتقنين ، ثقة صدوقا ضابطا زاهدا متقللا من الدنيا منقبضا عن مخالطة أهلها ، متعففا شهير الفضل والديانة ، ذاكرا للغات والغريب ، حافظاً للمغازي والأنساب ، ربّما استظهر سير ابن اسحاق تهذيب ابن هشام ، واستيعاب أبي عمر ابن عبد البر .

٢ - محمد بن أيوب بن نوح الغافقي (٥٣٠ - ٦٠٨) [2] ، كان من كبار المقرئين وجلّة المجودين ، ماهرا في النحو ، حافظا الآداب واللغات والاشعار قديمها وحديثها ، قد جمع من المعارف فنونا لا يدرى في أيّها كان أكثر براعة . انفرد في وقته بشرق الاندلس عن نظير في اتساع المعارف والاستبحار في ضروب العلم من التحقيق في القراءات وحفظ الفقه والدربة في الفتيا وتدقيق النظر .

---

[1] له ترجمة في التكملة لوفيات النقلة للمنذرى ١/ ٤٧١ (٧٥٨) ، والتكملة ٢/ ٥٦٦ (١٥١٥) ، والذيل والتكملة ٦/ ١٩٢ (٥٤٥) ، وغاية النهاية ٢/ ١٣٨ . وفي مولده ووفاته اختلاف ، راجع الذيل والتكملة ٦/ ١٩٣ .

[2] له ترجمة في تكملة المنذرى ٢/ ٢٣٣ (١٢١٤) ، والتكملة ٢/ ٥٨٢ ، ورسائل ابن عميرة (مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم : ٢٣٣) الورقة / ٧١ ، والذيل والتكملة ٢/ ٢٣٩ ، وغاية النهاية ٢/ ١٠٣ ، والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٠٤ ، وبغية الوعاة ١/ ٥٨ ، وشذرات الذهب ٥/ ٣٤ .

٣ - أحمد بن علي بن يحيى بن عون الله الانصاري (٥٣٠ - ٦٠٩)[1]، يعرف بالحصار، ويكنى أبا جعفر، كان خاتمة المقرئين بشرق الاندلس لم يكن أحد من أهل الصناعة يدانيه في الضبط والتجويد وحسن الأداء محدثا ثقة عالي الرواية معروفا بالزهد والتواضع. وطال عمره حتى اشترك في الاخذ عنه الآباء والابناء، قال ابن الابار "أخذ عنه والدي، رحمه الله، القراءات وأجاز له وأخذتها عنه بعد مدة وسمعت منه جملة من رواياته وأجاز لي".

٤ - عتيق بن علي بن خلف بن أحمد بن عمر الأموي أبو بكر ابن قنترال (٥٢٦ - ٦١٢)[2]، مربيطري كان شيخا صالحا ورعا زاهدا ناسكا صحيح الاعتقاد معولا على مذهب مالك معظما له، رحيم القلب سريع البكاء عند ذكر الصالحين، قديم الطلب للعلم، حاملا لكتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - مواظبا على تلاوة القرآن. وأذن له شيخه أبو القاسم السهيلي في الاقراء بمجلسه شهادة له بالتحصيل والادراك.

٥ - الحسين بن يوسف بن أحمد الانصاري المعروف بابن زلّال أبو علي الضرير

---

[1] له ترجمة في التكملة ١/ ١٠٠ (٢٦١)، والذيل والتكملة ١/ ٣٤٢ (٤٣١)، والعبر ٥/ ٣٠، وتاريخ الاسلام (وفيات سنة ٦٠١ - ٦١٠) (تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، القاهرة، ط ٢، ١٩٧٧) ١٨/ ٣٤٢، وغاية النهاية ١/ ٩٠.
وشذرات الذهب ٥/ ٣٦.

[2] له ترجمة في التكملة (مدريد) رقم : ١٩٤٠، وبرنامج الرعيني / ٧٦، والذيل والتكملة ٥/ ١٢١ (٢٣٨)، وصلة الصلة / ٥٧ (١٠٢)، وغاية النهاية ١/ ٥٠٠ (٢٠٧٩)، وتصحف فيه الى ابن قبرال.

(ـ ٦١٣) [1]، قرأ القراءات وسمع الحديث، وأخذ الناس عنه، وكان محققا مشاركا في فنون عديدة، آية من آيات الله تعالى في الفطنة والذكاء والحدس . واليه انتهت استاذية الاقراء لاتقانه وتحقيقه وتجويده، قال ابن الابار : سمعت منه جملة .

وأجازه وابنه أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الملك بن موسى بن أبي جمرة (٥١٨ ـ ٥٩٩) [2]، فقيه حافظ فصيح اللسان، أديب بليغ حسن المشاركة ذاكر للتواريخ محدث عالي الرواية، من مصنفاته شرح صحيح مسلم، واقليد التقليد، والاعلام في التعريف ببني أبي جمرة الاعلام، ونتائج الابكار ومناهج النظار في معاني الآثار وغيرها . قال ابن الابار : كتب الى والدى عبد الله بن أبي بكر والىّ بالاجازة العامة مرتين احداهما في غرّة رجب عام ٥٩٧ والثانية في منتصف ذى القعدة من العام المذكور وأنا اذ ذاك ابن عامين وشهور . وهو أعلى شيوخي الاندلسيين اسنادا".

ونعرف من أصحاب الاب ايضا :

١ ـ عبد الله بن احمد بن محمد بن سالم المكتب الزاهد يعرف بالسبطير [3] (ـ ٦٠١)، من أهل بلنسية . أدب بالقرآن وكان من أهل الصلاح والزهادة والاجتهاد في العبادة كثير

---

[1] له ترجمة في تكملة المنذرى ٢/ ٣٥٩ (١٤٤٩)، ونكت الهميان / ١٤٥، وغاية النهاية ١/ ٢٥٣ (١١٥٣) وانظر في رواياته برنامج التجيبي : ٣٠، ٣٧، ٤٣، ٤٤ . والتكملة ١/ ١١٩ (٣٠١) .

[2] له ترجمة في التكملة ٢/ ٥٦١ (١٥١٤)، والذيل والتكملة ٦/ ٥ (١)، والعبر ٤/ ٣٠٩، وغاية النهاية ٢/ ٦٩ (٢٧٤٧)، وشذرات الذهب ٤/ ٣٤٢ .

[3] التكملة ٢/ ٨٧٧ .

التلاوة لكتاب الله تعالى في أوراده وغيرها . قال ابن الابار : "كان لوالدى ، رحمه الله ، به اختصاص ولم يزل يصحبه الى ان توفي ، وكانت جنازته مشهودة والجمع فيها عظيما واذكره لشهرتها".

٢ - عبد الله بن ابراهيم بن الحسن بن منتيال الوراق (- ٦١١) ،[1] وقد ذكر ابن الابار انه لقيه مرارا عند أبي الخطاب ابن واجب وعند والده ، قال : " وهو استجازه لي ، فأذن لي في الرواية عنه لفظا".

٣ - ابراهيم بن محمد بن ابراهيم السهيلي (توفي بعد ٦٤٠) ،[2] قال ابن الأبار : "صاحبنا أخذ عن أبي عبد الله ابن نوح وغيره من شيوخنا وصحبه أبي رحمه الله عند بعضهم . وأقرأ العربية وشارك في الفقه وولي قضاء قرمونة وأوريولة".

٤ - أحمد بن محمد بن وهب البكرى أبو جعفر (- ٦٤٥) ،[3] "تقدم في صناعة العربية وعلم بها وشارك في حفظ المسائل وعقد الشروط وقد حدث بيسير وجرت بيني وبينه مذاكرة بمجلس القاضي أبي الحسن ابن قطرال . وكان صاحبا لأبي ، رحمه الله ، اشتركا في الاخذ عن

---

[1] التكملة ٢/ ٨٨٢ .

[2] التكملة ١/ ١٧١ (٤٤٩) .

[3] التكملة ١/ ١٢٤ (٣١٠) ، والذيل والتكملة ١/ ٥٢٥ (٧٧٤) .

ابن نوح وانفرد هو بالاخذ عن أبي بكر عتيق بن علي".

هذا كل ما نعرفه عن والد ابن الابار، فأما سائر افراد اسرته فلم تحدثنا المصادر بشيء عنهم ولا نعلم هل كان له اخوة واخوات، كما نجهل كل شيء عن والدته ودورها في تنشئته، وكل ما وصلنا هو ما ذكره ابن الابار نفسه أثناء ترجمته لمحمد بن الحسن بن أحمد ابن موسى بن سعيد أبي عبد الله ابن الوزير البطرني نسبة الى قرية بشرقي بلنسية قال: " وانتقل معي وكان صهرى الى مدينة تونس...".[1] وكان البطرني هذا صاحب حانوت ببلنسية حيث كان ابن الابار حين كبر يجالسه ويأخذ عمّن يزوره أو يتردد عليه من العلماء،[2] وكان أبو عبد الله البطرني "معنيا بعقد الشروط وله فيها نفوذ وبها معرفة مع براعة الخط وحسن الوراقة، وولي قضاء بعض الكور وشارك في الكتابة".

وكلمة صهرى هنا غير دقيقة في دلالتها بالنسبة لنا اليوم، فقد جاء في لسان العرب مادة (ص. هـ. ر): "الصهر زوج بنت الرجل، وزوج أخته، وقيل أهل بيت المرأة أصهار". فهل كان ابن الوزير البطرني من اهل زوج ابن الأبار، ام كان زوج بنته، ام زوج أخته؟ هذا ما لا نستطيع الاجابة عليه. وقد ذكر ابن عبد الملك المراكشي[3] ان عيسى بن لب ابا الحسن الزهري (- ٦٨٦) كان صهره زوج بنته.

---

[1] انظر التكملة ٢/ ٦٤٧ (١٦٦٨)، كما ترجم لابيه حسن بن احمد في التكملة ١/ ٢٦٥ (٧٠٣).

[2] انظر التكملة ٢/ ٦٣٣ (١٦٤٩).

[3] الذيل والتكملة ٥/ ٥٠٤ (٩٢٩).

٢ – حياتـــه فـــي الاندلـــس

(١) المرحلة البلنسية الاولى :

ولد محمد الذى شهر من بعد بأبي عبد الله ابن الابار عند صلاة الغداة يوم الجمعة من احد شهرى ربيع من سنة خمس وتسعين وخمسمائة ،[١] اى بعد بضع سنوات من موقعة الارك (Alaecos) (شعبان سنة ٥٩١/ يوليه سنة ١١٩٥) التي سجل فيها الموحدون انتصارا كبيرا على الاذفونش (الفونسو السادس) ومنوه بهزيمة منكرة [٢]، وقد قيض للاندلس ان تنعم بعدها بعدة سنوات من الهدوء وأن تركن الى حلاوة النصر ، وهي الفترة التي شهدت طفولة ابن الابار وصباه ، وتعرّف فيها الى موطنه الجميل ومناظره الطبيعية الخلّابة وصفاء جوه ، ولا ريب في أنّ "ملاعب الصبا" هي التي بقيت ذكرياتها في نفسه وفي شعره وظلت تعتاده في ترحاله أنّى طوّحت به الايام من بعد .

الى جانب تلك الطبيعة الجميلة ، نشأ محمد في كنف اب ورع صالح "شديد الانقباض" شديد الورع والتحرّج ، لا يدخل نفسه فيما لا يعنيه ، ثقة عند اهل بلده ، واصحابه فئة من القضاة والعدول والشيوخ والزهاد ، وهو محب للعلم حريص على ان ينشأ ولده على شاكلته ، فهو

---

[١] التكملة ٢/ ٨٨٨ ، والمعجم : ٧٩ ، والذيل والتكملة ٦/ ٢٧٥ ، وعنوان الدراية : ٣١٣ وتصحف فيه الى "آخر شهرى ربيع" ، وذيل مرآة الزمان (حيدر أباد) ٢/ ٧٣ .

[٢] انظر في معركة الارك (وهي من نواحي بطليوس) المعجب : ٢٨٢ ، وفيات الاعيان ٧/ ٥ – ١٠ ، الانيس المطرب : ٢٢٠ ، تاريخ ابن خلدون ٦/ ٥١٢ ، الحلل الموشية ١٥٣ – ١٥٦ ، نفح الطيب ١/ ٤٤٣ ، تاريخ الاندلس في عصر المرابطين والموحدين ليوسف اشباخ : ٣٢٧ .

لا يفتأ يحبّب العلم اليه ، ويستجيز له العلماء. فابتدأ محمد بطلب العلم في سن مبكرة على ما يبدو ، وقد كان والده أول اساتذته ، فعمل على تربيته تربية صالحة وتحفيظه القرآن الشريف وشيئا من الاشعار واللغة. وقد ذكر ابن الابار[1] انه روى عن أبيه وتلا عليه بحرف نافع[2]، وفي هذه السن المبكرة بدأ الأب يستجيز العلماء لابنه فكان بهذا يرسم له أولى الخطوات على الطريقة العلمية.

وحين اصبح في السن الصالحة للطلب اخذ يحضر المجالس التي يعقدها العلماء في دارهم ويتردد على دار الامارة وجامع بلنسية حيث يلقى كبار المشايخ وهم يعقدون الحلقات للتدريس والمذاكرة والحديث. وفي فترة الطلب هذه انصرف لقراءة القرآن الشريف وتجويده وضبطه وحفظ الأشعار واللغات والآداب وتعلّم الخطّ واخذ شيء من الفقه والحديث ، كما حرص على ان يستجيز لنفسه عددا من الاشياخ. ونعرف في هذه الفترة عددا من أساتذته ، كان من اولهم بعد والده: محمد بن ايوب بن محمد بن وهب الغافقي

---

1 التكملة ٢/ ٨٨٩ ، وبرنامج التجيبي / ١٦٣.

2 هو أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم (- ١٦٩) ، أحد القرّاء السبعة كان امام اهل المدينة وقد صاروا الى قراءته ورجعوا الى اختياره. انظر التيسير للداني: ٤ ، وفيات الاعيان ٥/ ٣٦٨ وفيه ان وفاته سنة تسع وخمسين (؟) ، وميزان الاعتدال ٤/ ٢٤٢ ، وغاية النهاية ٢/ ٣٣٠ ، وتهذيب التهذيب ١٠/ ٤٠٧. قال ابن الفرضي ٢/ ١١٠ اثناء ترجمته لابي جعفر ابن خيرون: " قدم بقراءة نافع على اهل افريقية وكان الغالب على قراءتهم حرف حمزة ولم يكن يقرأ بحرف نافع الا خواص حتى قدم ابن خيرون فاجتمع اليه الناس".

(٥٣٠ — ٦٠٨) فقد تلا عليه القرآن بالسبع ، واجاز له وسمع منه ووصفه بانه كان اغزر من لقيهم علما وابعدهم صيتا .[١] كما اخذ القراءات عن ابن الحصار (٥٣٠ — ٦٠٩) شيخ ابيه وسمع جملة من رواياته[٢] ولقي ببلنسية ايضا ابن فرحون (— ٦٠٩) وكان مقرئا بجامع بلنسية ، نصبه لذلك قاضيها ابن حميد ، فسمع ابن الابار مذاكرته ،[٣] وناوله ابو عبد الله الشوني (— ٦١٩) كتبا منها رسالة ابن ابي زيد ومختصر الطليطلي وتيسير الداني[٤] وقرأ بعض صحيح البخاري على علي بن موسى الشبارتي (نحو ٦١٠)[٥] وفي اواخر سنة ٦١٠ سمع على محمد ابن سعادة (-٦١٤)[٦] ثم على ابن اخيه محمد بن احمد بن سعادة (-٦١٤) مسائل من الجمل للزجاجي قبل سنة (٦١٢)[٧] واتصل بابن واجب القيسي (-٦١٤)

---

(١) التكملة ٢/ ٥٨٢ ، وتقدم ذكر مصادر ترجمته عند الكلام على ابيه .

٢ التكملة ١/ ١٠٠ ، وتقدمت ترجمته .

٣ التكملة ١/ ٢٨٧ (٧٧٤) .

٤ التكملة ٢/ ٥٨٧ (١٥٦١) ، الذيل والتكملة ٦/ ١٧٢ (٤٦١) .

٥ التكملة (مدريد) رقم : ١٨٨٥ ، الذيل والتكملة ٥/ ١٣ ٤ (٦٩٩) .

٦ التكملة ٢/ ٥٩٩ (١٥٨٢) وانظر تكملة المنذرى ٢/ ٤١٢ (١٥٥٩) ، الذيل والتكملة ٦/ ٣٨٣ (١٠٣٠) ، غاية النهاية ٢/ ١٧٢ ، شذرات الذهب ٥/ ٦١ .

٧ التكملة ٢/ ٥٩٧ (١٥٧٩) ، الذيل والتكملة ٥/ ٦٨٤ (١٢٨٩) .

وقرأ عليه الحديث [1] ، واجاز له عدد آخر من الشيوخ منهم [2] داوود بن حوط الله (٥٥٢ - ٦٢١) وأبو عمر ابن عات (٥٤٢ - ٦٠٩) وغلبون بن محمد ابن غلبون (٥٤٦ - ٦١٣) .

غير ان ابعد الشيوخ اثرا في ثقافة ابن الابار وفي تكوين شخصيته ثلاثة: اثنان بطريق غير مباشرة وهما ابوعلي الصدفي وأبو القاسم ابن حبيش من خلال تأثيرهما في كبار اساتذته، وواحد مباشرة وهو شيخه الاكبر أبو الربيع ابن سالم . اما الاولان فقد وضحت فيما تقدم دوريهما في الثقافة الاندلسية بعامة وفي بيئة شرق الاندلس على وجه الخصوص واما ابو الربيع ابن سالم فهو الوريث الاكبر لذلك الاتجاه الثقافي الذى رسخه كل من الصدفي وابن حبيش . وتعود صلة ابن الابار به الى علاقة وثيقة كانت تصل بين ابيه وبين من غدا اكبر موجهيه من الشيوخ ، فقد كان الوالد كما قدمت "صنيعة" لابي الربيع ووكيلا ، ومن ثم صح للابن ان يلازمه أزيد من عشرين عاما [3] وان يكون نشأته وتلميذه الاخص به ، [4] مما يعني انه لازمه مذ كان في حوالي الخامسة عشرة من عمره . [5]

---

١ أبو الخطاب احمد بن محمد ، التكملة ١/ ١٠٦ (٢٧٦) ، وانظر تكملة المنذرى ٢/ ٤٠٣ (١٥٤٣) ، الذيل والتكملة ١/ ٤٧٠ (٧١٣) ، غاية النهاية ١/ ١٢٦ ، شذرات الذهب ٥/ ٥٧ .

٢ سأفرد تراجمهم وما حمله عن كل واحد في شيوخه في الملحق رقم ١ "معجم شيوخه وتلامذته".

٣ الذيل والتكملة ٦/ ٢٥٣ ، عنوان الدراية : ٣١٠ .

٤ الذيل والتكملة ٤/ ٨٨ .

٥ على اعتبار ان ابن سالم استشهد سنة ٦٣٤ فقد لازمه ابن الابار منذ حوالي عام ٦١٠ تقريبا .

وأبو الربيع هو سليمان بن موسى بن سالم بن حسّان الحميرى الكلاعي [1] (٥٦٥ - ٦٣٤/ ١١٦٩ - ١٢٣٦) [2]، بلنسي واصله من بعض ثغورها الشـــرقيـــة [3]

---

1 ذو الكلاع رئيس حلفاء المعافر دخلوا معهم الى الاندلس هاربين من السفاح العباسي وكانوا شيعة بني امية بالاندلس واستخدموهم ، وكان منهم الشيخ سليمان بن سالم الكلاعي . بيوتات فاس الكبرى (دار المنصور ، الرباط ، ١٩٧١) : ٦١ .

2 له ترجمة في التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٤٦١ (٢٧٧٠) ، التكملة ٢/ ٧٠٨ (١٩٩١) ، تحفة القادم: ١٢٩ ، اعتاب الكتاب : ٢٤٩ ، رسائل ابن عميرة (خ ٢٣٢ ك) ق / ٦٧ - ٧٠ ، برنامج الرعيني : ٦٦ ، المغرب ٢/ ٣١٦ ، الذيل والتكملة ٤/ ٨٣ (٢٠٣) ، ملء العيبة لابن رشيد (١٧٣٧) ق/١٥ - ٢٤ وصفحات متفرقة ، الروض المعطار : ٤١ ، تذكرة الحفاظ : ١٤١٧ ، تاريخ الاسلام (البودليان ، اكسفورد وفيات سنة ٦٣٤) ق / ١٤٨ ، الوافي ١٥ / ٤٣٢ (٥٨٥) ، الفوات ٢/ ٨٠ ، الاحاطة (تحقيق محمد عبد الله عنان ، القاهرة ، ١٩٧٧) ٤/ ٢٩٥ ، النباهي ، المرقبة العليا (باعتناء ليفي بروفنسال ، القاهرة ، ١٩٤٨) : ١١٩ ، عقود الجمان (الفاتح رقم : ٤٤٣٤) ق/ ١٣٠ ، ابن فرحون ، الديباج المذهب (مصر ، ١٣٥١) : ١٢٢ ، بيوتات فاس الكبرى : ٦١ ، النجوم الزاهرة ٦/ ٢٩٨ ، نفح الطيب ٤/ ٤٧٣ - ٤٧٦ وانظر فهارسه ، شذرات الذهب ٥/ ١٦٤ ، شجرة النور : ١٨٠ .

3 مولده بظاهر مرسية عشر يوم الثلاثاء مستهل شهر رمضان . التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٤٦٢ ، الذيل والتكملة ٤/ ٨٩ .

قال الذهبي في تذكرة الحفاظ عن الامام ابي الربيع: " كان اماما في صناعة الحديث بصيرا به حافظا حافلا عارفا بالجرح والتعديل ذاكرا للمواليد والوفيات ، يتقدم اهل زمانه في ذلك وفي حفظ اسماء الرجال خصوصا من تأخر زمانه وعاصره . كتب الكثير وكان خطه لا نظير له في الاتقان والضبط مع الاستبحار في الادب والاشتهار بالبلاغة فردا في انشاء الرسائل مجيدا في النظم خطيبا فصيحا مفوها مدركا حسن السرد والمساق لما يقوله مع الشارة الانيقة والزى الحسن ، وهو كان المتكلم عن الملوك في زمانه في المجالس ، المبين عنهم لما يريدونه على المنبر في المحافل". وقد "رحل اليه الناس متنافسين في الاخذ عنه" واليه كانت الرحلة في عصره. وقد عدّ له ابن عبد الملك في الذيل والتكملة خمسا وعشرين مؤلفا بعضها في مجلدات تتوزع بين الحديث والسير والآداب والتراجم وغير ذلك.

ولقد كان لابي الربيع أياد بيضاء على جيل كامل من العلماء والاشياخ وامتد اثره وتراثه فيما بعد على يد هؤلاء الى بر العدوة وغرناطة وغيرها من مراكز العلم والثقافة بعد سقوط الاندلس. ومن ابرز تلامذته أبو المطرف ابن عميرة[1] استاذ ابن الابار وأبو الحسن

---

[1] انظر كتاب الدكتور محمد بنشريفة عنه ، وهو رسالة تقدم بها المؤلف لنيل درجة دبلوم الدراسات العليا في كلية الاداب جامعة محمد الخامس ، وطبع ضمن منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي ، الرباط ، ١٩٦٦ . وراجع على الاخص الصفحات : ٦٧ — ٧٠ .

الرعيني [١] وأبو العباس ابن الغماز وغيرهم .[٢]

وقد اتصلت رواية ابن سالم وأسانيده عن طريق شيخه ابن حبيش الذى لازمه كثيرا برواية وأسانيد ابن العربي والصدفي والغساني والقاضي عياض وابن عطية والرشاطي وابن مدير وابن مغيث وابن أبي الخصال والطرطوشي وغيرهم . فاجتمع عنده من العلم ما لم يجتمع عند غيره،هذا الى الاصول العتيقة النادرة وبعض أصول الصدفي وابن العربي وغيرهم .

هذا وقد كان كريم النفس يطعم فقراء الطلبة وينشطهم ويتحمل موءونتهم . وكان مع ذلك من أولي الحزم والبسالة والاقدام والجزالة والشهامة ، يحضر الغزوات ويباشر بنفسه القتال ويبلي البلاء الحسن ،آخرها الغزاة التي استشهد فيها حيث كانت الكائنة على المسلمين بظاهر أنيشة[٣] على سبعة أميال منها . فلم يزل متقدما الصفوف زاحفا على الكفار مقبلا على العدو ينادى بالمنهزمين:أعن الجنة تفرون؟حتى قتل صابرا محتسبا غداة يوم الخميس لعشر بقين من ذى الحجة سنة ٦٣٤/ ١٢٣٦ . ومن الجدير بالذكر ان ابن سالم

---

١ انظر البرنامج : ٦٦ ــ ٧٢ .

٢ له ترجمة في برنامج الوادى آشي : ٣٨ وانظر حاشيته لمزيد من المصادر . وتبرز من خلال البرنامج الروايات التي حملها ابن الغماز الى تونس خاصة روايات ابن سالم وابن الابار .

٣ سأذكرها بالتفصيل ان شاء الله في موضعها .

كان "من شيعة بني أمية بالاندلس وكان يميل الى تفضيل معاوية بن أبي سفيان على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه".[١]

* * *

كان ابن الابار عندما حدثت معركة العقاب (٦٠٩ / ١٢١٢) في الرابعة عشرة من عمره ، ولكن النذر التي ارهصت بها تلك المعركة لم تجتذب انظار الفتى المراهق يومئذ اذ نراه يستمر في طلب العلم في السنوات التالية . وقد ظل على ذلك حتى شارف الحادية والعشرين .

وتحدثنا المصادر أنّ ابن الابار كتب لوالي بلنسية السيد ابي عبد الله محمد بن ابي حفص عمر بن عبد المؤمن[٢]، مشاركا في ذلك لابي المطرف ابن عميرة[٣]، ويقول ابن عذارى وابن خلدون ان الناصر عقد للسيد ابي عبد الله على بلنسية سنة ٦٠٧/ ١٢٠٨ بعد ان كان واليا على ميورقة[٤] وأخذاً بهذا الذى يقوله ابن خلدون يرى الاستاذ محمد بنشريفة أن ابن عميرة

---

١ بيوتات فاس الكبرى : ٦١ .

٢ العبر ٦/ ٦٥٣ ، ازهار الرياض ٣/ ٢٠٥ .

٣ " ابو المطرف ابن عميرة ، حياته وآثاره " ص : ٨٥ — ٨٧ .

٤ العبر ٦/ ٥١٦ و ٥٢١ ، وانظر Huici Miranda, Historia Politica, p. 617; H. Miranda, Historia Musulmana, Tome III, p. 227-228.

وهو يورد تواريخ اخرى اعتمادا على البيان المغرب ، انظر ص : ٢٣٣ وغيرها .

ولي الكتابة لابي عبد الله بين سنتي ٦٠٧ و٦٠٨[١]، ولكن ان كان هذا يصح على ابن عميرة فكيف يصحّ على ابن الابار الذى كان يومئذ في حدود الثالثة عشرة من العمر ؟
انّ نقدان الشواهد التي تدلنا على التاريخ الدقيق للعلاقة بين ابن الابار والسيد ابي عبد الله بن ابي حفص تجعلنا نفترض تاريخا متأخرا (حوالي عام ٦١٥ او ٦١٦) كتب فيه ابن الابار لهذا الوالي، ولفترة قصيرة، لان السيد ابا عبد الله ابن ابي حفص عزل عن بلنسية وولي اشبيلية وبها توفي[٢]، وبهذا كله يرتبط رحيل ابن الابار ومغادرته لبلنسية قاصدا اشبيلية ليظل على صلة بالسيد ابي عبد الله، وذلك يجعل تاريخ ولايته حتى حوالي سنة ٦١٦ — ٦١٧[٣].

(٢) المرحلـة الاشبيليـــــة :

لعلّ مما يقوى القول بان ابن الابار انما غادر بلنسية ليظلّ في صحبة السيد ابي عبد الله بن ابي حفص عندما ولي السيد اشبيلية ان ابا المطرف ابن عميرة شريكه في الكتابة

---

١ "أبو المطرف ابن عميرة" ص : ٨٥ — ٨٧ .

٢ المغرب ١/ ٢٥٤ ، اختصار القدح المعلى : ١١٩ ، نفح الطيب ٣/ ٤٣١ .

٣ لقد كان واليا في بلنسية سنة ٦١٤ ، فقد ذكر ابن عبد الملك عند ترجمته لمحمد بن علي ابن هذيل (٦/ ٤٨٩) انه توفي يوم الاحد لثلاث بقين من ذى القعدة أربع عشرة وستمائة ببلنسية وانه قد حضر جنازته والي بلنسية حينئذ أبو عبد الله ابن ابي حفص بن عبد المؤمن . ويبدو ان أبا عبد الله ولي اشبيلية بعد ولاية ابي اسحاق الاحول الثانية التي استمرت حتى اوائل سنة ٦١٧ . انظر : المعجب : ٣٠٨ — ٣١٠ ، البيان المغرب (تطوان) : ٢٤٣ .

ببلنسية رحل معه ايضاً* ، وهذا يجعل للرجلين غاية واحدة هي الاستمرار معا في الوظيفة الكتابية ، وذلك لم يتمّ قبل سنة ٦١٦/ ١٢١٩. ولكن لم يكن ذلك هو الغرض الوحيد الذى يهدف ابن الابار الى تحقيقه بل تضيف اليه استكمال التحصيل ولقاء الشيوخ ، ومما يؤكد ذلك انه لم يعمد الى اشبيلية توّا بل قضى فترة متنقلا حتى بلغها .

ابتدأ ابن الابار رحلته سنة ٦١٦ فمر بمرسية في طريقه وسمع بها في شهر رمضان من تلك السنة ،[1] وليس هناك من خبر صريح ينبئ عن ان ابن الابار كتب للسيد أبي عبد الله في اشبيلية ، ولكنا نستطيع ان نستنتج ذلك من صلته بقصر الامارة في تلك المدينة ، فهو يذكر اثناء ترجمته لمحمد بن علي الزهرى الطبيب (ـ ٦٢٣) انه لقيه بقصر الامارة في اشبيلية وقد حضر مع الاطباء لمعالجة واليها حينئذ وسمع مناظراته في ذلك واستجازه ما رواه عن ابيه ،[2] وهذا يقوّى الاعتقاد بانه ما كان ليتردد الى قصر الامارة لولا انه كان يعمل هنالك ، وان يعمل كاتبا فيه ، لانه قد مارس مهنة الكتابة لاحد الولاة من قبل .

ويبدو ان هذه الزيارة لم تكن الاولى لاشبيلية ، وانه اذا صحّ التقدير كان قد زارها من قبل ، ودليلنا على ذلك قوله في ترجمة عبد اللطيف بن ابي طاهر الصدني البغدادى :

---

* ذكر في التحفة قصيدة أنشده إياها ابن عميرة في اشبيلية صدر سنة ٦١٧ . المقتضب : ١٤٥ .

[1] التكملة ١/ ١١٣ (٢٨٦) في ترجمة احمد بن محمد الطرسوني ، قال " لقيته في رمضان سنة ست عشرة عند توجهي الى اشبيلية"، وانظر ايضا التكملة ١/ ١١١ (٢٨٠) حيث ذكر انه لقي احمد بن عبد المؤمن الشريشي في بلنسية قبل توجهه الى اشبيلة .

[2] التكملة ٢/ ٦١٩ (١٦١٨) ، والذيل والتكملة ٦/ ٤٣٣ (١١٦٥) .

"له تآليف في التصرف منها تأليف في "اباحة السماع" قرأت عليه اكثره ، وقرأت عليه عوالي النقيب بمدينة اشبيلية بحومة القصر المبارك عام خمسة عشر وستمائة".[١]

ولم تحل تلك الوظيفة دون ان يتجّول في بعض البلاد ، او لعله لم يقم في وظيفته طويلا ، ووجد الفرصة سانحة ليقوم بلقاء عدد آخر من علماء الاندلس ، وهذا ما تؤكده الاخبار المجملة من مثل قول الذهبي "عني بالحديث وتجول بالاندلس"[٢] وقول الكتبي في الفوات " وجال في الاندلس"،[٣] اذا نراه في بطليوس في جمادى الاولى من عام ٦١٩ ، وقد عدّد في التكملة عددا ممن لقيهم أو أُخذ عنهم اثناء تلك الرحلة ، ومنهم محمد بن عبد الملك بن محمد أبو عبد الله ابن الجد الفهري (- ٦١٨) ،[٤] ومحمد بن علي بن أحمد الزهري (- ٦٢٣) ،[٥] ومحمد بن محمد بن سعيد أبو الحسين ابن زرقون (- ٦٢١) ،[٦] ومحمد بن

---

[١] نفح الطيب ٣/ ٦٥ .

[٢] تاريخ الاسلام (مخطوطة الهودليان Land Or. 305) وفيات سنة ٦٥٨ .

[٣] فوات الوفيات ٣/ ٤٠٣ وهذا ينقض ما استنتجه الدكتور عبد العزيز عبد المجيد (ابن الأبار ، حياته وكتبه : ١٣٩) حين ذكر " ان ابن الأبار تلقى علومه ودراساته جميعها في بلنسية وعلى شيوخها وانه لم يرتحل الى بلدة غيرها طلبا للعلم". وانظر الوافي بالوفيات ٣/ ٣٥٦ .

[٤] انظر التكملة ٢/ ٦٠٦ (١٥٩٧)

[٥] انظر التكملة ٢/ ٦١٩ (١٦١٨) .

[٦] انظر التكملة ٢/ ٦١٦ (١٦١٢) .

علي بن يوسف الكاتب (- ٦٢٨)،[1] وأبو علي عمر بن محمد الشلوبين (- ٦٤٥).[2]

وفي ربيع الاول من العام نفسه[3] (- ٦١٩ / ١٢٢٢) وصلته الانباء بوفاة والده وهو في بطليوس، فاضطر الى قطع رحلته والعودة مسرعا الى بلنسية، وفي طريق عودته مرّ بمرسية فوصلها في رمضان من السنة، ولقي فيها شيخه الطرسوني الذى لقيه عند بداية الرحلة، ولكنه في هذه المرة لم يأخذ عنه شيئا اذ كانت العودة الحثيثة الى بلنسية هي الغاية القصوى.

(٣) في بلنسية ثانيـــــة :

أرّخ ابن الابار وفاة والده على النحو الآتي : "توفي ببلنسية وانا حينئذ بثغر بطليوس عند الظهر من يوم الثلاثاء لخمس خلون من شهر ربيع الاول سنة تسع عشرة وستمائة ودفن لصلاة العصر من يوم الاربعاء بعده بمقبرة بيطالة وحضر غسله أبو الحسن ابن واجب وجماعة معه وكانت جنازته مشهودة والثناء عليه جميلا".[4]

---

١ انظر التكملة ٢/ ٦٢٧ (١٦٣٦).

٢ انظر التكملة (مدريد) رقم : ١٨٢٩.

٣ التكملة ١/ ٣٣٩ (٩١٧).

٤ التكملة ٢/ ٨٨٨، الذيل والتكملة ٤/ ١٨٠.

وحين استقر به المقام في بلنسية كتب للسيد أبي زيد عبد الرحمن بن أبي عبد الله محمد ابن أبي حفص عمر بن عبد المؤمن بن علي ، ولا نعلم متى ولي هذا السيد امر بلنسية . والارجح ان ابن الابار بدأ يكتب له اوائل سنة ٦٢٠/ ١٢٢٣ . وقد وصلتنا بضعة أبيات من قصيدة له يمدح بها السيد أبا زيد عند انقياد اهل بيران[1] لابنه السيد أبي يحيى أبي بكر سنة ٦٢٢ أولها :[2]

لله قلعةُ بيرانٍ وعزتهـــا ... على الأعاصير في ماضي الأعاصيرِ

عنت ودانَتْ على حُكْمِ المُنى فَرَقاً ... من سطوِ مرهوبِ أعلى السَّطوِ مَحْذورِ

ومنهـــا :

مدّت إليك أبا زيدٍ بطاعتِها ... يداً مخافةَ صولٍ منكَ مَشْهُـــورِ

وقد عرضت فيما تقدّم لهجمات خايمة (جاقمة) على بلنسية في هذه الفترة وكيف ان ابا زيـد عقد هدنة معه ، وكيف اخذت الضغوط تتوالى عليه من قبل ابن هود وأبي الحملات ، وكيف اضطر اخيرا الى دخول دار الحرب ومعه ابن الأبار ،[3] قال ابن خلدون : " ثم دخل معه

---

[1] حصن الى الجنوب من بلنسية يقع قريبا من دانية الى شمالها ، وقد كان جيد التحصين ودارت فيه عدة معارك قبل ان يسقط بيد خايمة الاول .

Burns, Islam under he Crusades, pp. 51 - 55, 58.

[2] الروض المعطار : ١٢١ .

[3] انظر ص : ٢٩ في ما تقدم .

دار الحرب حين نزع الى دين النصرانية ورجع عنه قبل ان يأخذ به".[1]

(٤) في دار الحــرب :

لا نعرف كم من الوقت بقي ابن الأبّار مع أبي زيد في "دار الحرب" ، فلم تصلنا أية تفصيلات حول هذا الموضوع ، وقد قال مجاويا بعض من حمل عليه بسبب خروجه الى ارض الروم ومسوّغا لفعله ذاك :[2]

قالوا الخروج لارض الروم منقصــة	فقلت كلا ولكن صادها باء
اذا خرجت وفاء ثم عدت تقى	أثنت بفعلي عداتي والأحبّاء
وكان لي في قريش أسوة وكفى	مع النجاشـــي ....

وقال وهو في بلاد الروم :[3]

الحمد لله لا أهل ولا ولد	ولا قرار ولا صبر ولا جلد
كان الزمان لنا سلما الى أمد	فعاد حربا لنا لما انقضى الامد

---

[1] العبر ٦/ ٦٥٣ وازهار الرياض ٣: ٢٠٥ (عن ابن خلدون) .

[2] الديوان ، الورقة / ١٠ .

[3] الديوان ، الورقة / ٧٤ .

ويبدو انه لم يقم مع السيد أبي زيد فترة طويلة ، اذ نجده في تلك السنة نفسها ، سنة ٦٢٦ ، يجول في الاندلس ، ففي رمضان من تلك السنة كان في اشبيلية [1] ، وفي آخر شهر شوّال كان في وادى آش [2] ، ويبدو انه عاد الى اشبيلية ثم غادرها في آخر سنة ٦٢٦ وأقام بشاطبة أياما [3] . وليس لدينا ما يثبت ان ابن الابار تجوّل في غير هذه المدن .

(٥) عود الى بلنسية :

في هذه الاثناء كان الرئيس أبو جميل زيّان ابن مردنيش قد بادر ببلنسية من مستقرّه يومئذ بمدينة أبذة فدخلها عنوة يوم الاثنين السادس والعشرين لصفر سنة ٦٢٦/ ١٢٢٨ وسكن قصر الامارة واخذ البيعة لنفسه اول ربيع الاول من السنة داعيا للعباسي ببغداد ، ثم دخلت دانية في بيعته فاتّسع عمله ورحبت ساحته وتملك في رجب من هذه السنة

---

١ قال أثناء ترجمته لمحمد بن اسماعيل بن محمد بن خلفون الازدى (التكملة ٢/ ٦٤٣ رقم ١٦٦٣) : "ولقيته بالوراقين من اشبيلية في رمضان سنة ست وعشرين فذاكرته ولم استجزه ولا سمعت منه شيئا من روايته" .

٢ قال ابن الابار اثناء ترجمته لجودى بن عبد الرحمن (التكملة ١/ ٢٥٠ رقم ٦٦١) : "ودخلت وادى آش في آخر شوّال سنة ست وعشرين وستمائة ولم القه" ، ووادى آش تقع الى الجنوب الشرقي من غرناطة (الروض المعطار ص ٦٠٤) .

٣ قال ابن الابار : "لما انصرفت من اشبيلية في آخر سنة ٦٢٦ اقمت بها (يعني شاطبة) أياما ، فسمع (ابو عامر محمد بن اسماعيل بن خميس الجمحي) مني بعض منظومي وسمعت منه يسيرا بعدما صحبته ببلنسية" . (التكملة ١/ ٦٢٨ رقم ١٦٣٨) .

حصن قرنبيرة ودخلت جنجالة في بيعته فضخم ملكه واشتهر جهاده".[1] وصك نقودا باسمه عرفت "بالزيانيّة".

بعد عودته عمل ابن الابار كاتبا عند الرئيس ابي جميل زيّان بن مردنيش مع أبي المطرف ابن عميرة الذى آثر الا يغادر مع السيد أبي زيد . ويبدو ان زيّان كان يوثر ابن الابار على كاتبه ابن عميرة الذى غادر بلنسية في ذى القعدة من سنة ٦٢٨ الى موطنه جزيرة شقر بعد وحشة من الامير تجاهه.[2]

(٦) ابن الأبّار وسقوط بلنسية :

ان اهمية هذه الفاجعة تستدعي ان نتوقف عندها ، اذ انها نقطة تحول هامة في تاريخ المسلمين بالاندلس، مثلما هي نقطة تحول هامة في حياة ابن الابار ونفسيته ، فهي التي لابست لديه نظرة المؤرخ واحساس الشاعر ، وهي التي طوّحت به الى ديار الغربة وربطته بالحنين الدائم والنزق المتوفز ، ومن اجل توضيح الصورة لا بدّ من شيء من التفصيل فأقول :

---

[1] اعمال الاعلام / ٢٧٢ ، وقارن بالبيان المغرب (تطوان) ص/ ٢٧٠ ، والاستقصا ٢/ ٢٣٥ — ٢٣٦ . وانظر Huici Miranda, Historia Musulmana, Tome III, pp. 252-254; I. Burns, Islam under the Crusades, pp. 33-34.

[2] انظر للتفصيل : ابو المطرف ابن عميرة حياته وآثاره : ٩٥ — ٩٦ .

تنازعت مدن شرق الاندلس الولاء بين ابن هود في مرسية وأكثر شرقي الاندلس وزيّان ابن مردنيش في بلنسية وما والاها ،وكان السيد أبو زيد قد تحصن في منطقة شرق — شارقة — البونت وحاول ان يبسط نفوذه على الحصون المجاورة باسم خايمة الاول ، هذا وقد قدمت عدّة مدن الطاعة الخايمة الاول ودفعت لها الجزية . وعند ثورة ابن الاحمر على المتوكل ابن هود خضعت له بعض البلدان . لقد كان الولاء متوزعا اذن على عدّة محاور وكانت بعض المدن تنقل ولاءها من معسكر الى آخر كما فعلت مدن دانية وشاطبة وجزيرة شقر التي كانت خاضعة لاحد ابناء عم الرئيس ابي جميل فمالت الى جانب ابن هود . في هذه الاثناء كان خايمة الاول يستفرد بالحصون والمدن واحدة تلو الاخرى ، يعقد معها المعاهدات ويخضعها سلما او حربا ، يدفعون له الجزية" عن يد وهم صاغرون". [1] ضمن هذه الفسيفساء السياسية الجغرانية العسكرية كان العمل السياسي اشبه ما يكون بالرقص على الحبال .

في هذه الاجواء كان يعمل ابن الابار، فهو لم يكن كاتبا وحسب بل كان يسفر لزيّان في مهمات سياسية ودبلوماسيّة — كما سيمّر معنا — ونراه في هذه الفترة يتنقل بين الحصون والمدن في شرق الاندلس ، ونجده ، في كل أسفاره ، التي لا نعرف ان كانت لاغراض سياسية او لغيرها ،

---

[1] أنظر مقدمة ابن خلدون ، ٢٩٢ — ٢٩٣ ، والبيان المغرب (تطوان) ، ٢٨٨ ، ٣٢٢ وغيرها ، و I. Burns, Islam under the Crusades, pp. 33-36, 353-394. I. Burns How to End a Crusade (Collected Studies), IV.

والانيس المطرب بروض القرطاس، ٢٧٣ — ٢٧٧ .

حريصا على الاخذ والسماع والاستجازة لنفسه[١]، لا يترك فرصة تفوته للقاء أحد اخوانه او للاطمئنان على خلانه. وفي الفترة بين عام ٦٣٠ – ٦٣٣ كانت الحصون والمدن في شمال بلنسية يتوالى سقوطها واحدة تلو الاخرى على اثر هجوم كاسح ومدد متواصل وحرب صليبية تداعت لها الاخويات بتأييد من الكرسي الرسولي البابوي وتجار أراغون وقطلونية ووجهائها، وكان أول فتح في مدينة موريلة Morella على يد بلاسكو دو ألاغون Blasco De Alagón[٢] ثم توالت النكبات بعد ذلك، وكان لابي زيد دور أساسي في هذه الحملة. ومع اشتداد هذه الحملة وجد زيّان نفسه وحيدا محاصرا في بلنسية وعمقها الاستراتيجي الذي يمتد حتى جزيرة شقر. وفي سنة ٦٣٣ في شهر رمضان قلّد ابن الابار قضاء دانية Denia[٣]

---

١ يبدو هذا من خلال مواضع متفرقة في التكملة، وراجع ملحق رقم ١ في معجم شيوخه وتلامذته.

٢ I. Burns, Islam under the Crusades pp. 53, 57, 117; Lomax, op.cit, p:148 / Gestos op.cit, pp. 157-158; I. Burns, The Spiritual Life of James, p. 23.

وانظر رسالة الاستاذ محمد بنشريفة عن ابن عميرة : ٩٠–٩٣.

٣ بشرق الاندلس الى الجنوب من بلنسية، ربض عامر على البحر وعليها سور حصين ولها قصبة منيعة جدا والسفن واردة عليها صادرة عنها ومنها كان يخرج الاسطول الى الغزو وبها ينشأ اكثره لانها دار انشائه (الروض المعطار : ٢٣١ – ٢٣٢).

خلفا لابن مطروح التجيبي ،[١]* ويبدو ان دانية كانت ما تزال الى ذلك التاريخ تدين بالطاعة

---

١ التكملة ٢/ ٨٩٩ (٢١١٧) ، قال : " وولي بأخرة من عمره قضاء دانية ثم صرف بي عندما قلدت ذلك في شهر رمضان سنة ٦٣٣ ، ثم اعيد اليها بعد ذلك لما استعفيت منه ، توفي ببلنسية مصروفا عن القضاء عند المغرب من ليلة يوم الجمعة التاسع لذى القعدة سنة خمس وثلاثين وستمائة" .

* جاء في لسان الميزان (حيدرأباد ، ١٣٣٠) ٣/ ٣٥١ في ترجمة عبد الله بن محمد بن سهل العبدرى الدورقي ما نصّه :

" سمع ببلده ، وغيرها عن جماعة منهم ابوعبد الله بن مطروح وعتيق بن علي وابن المواق وأبو الحسن بن كوثر وابن زرقون في آخرين ، وبالاسكندريّة عن أبي طاهر بن عوف الخضرمي . قال ابن عبد الملك : كان فقيها عارفا بالشروط دريا بالفتوى أديبا ممتع المجالسة ، قال : وكانت بينه وبين ابن الابار منازعة ومناقضة فنال منه ابن الابار ونسبه الى الكذب . وكان استقضى بدايته (اقرأ : بدانية) ثم صرف بابن الابار ثم عزل ابن الابار واعيد ابن سهل ثم صرف ، ومات في ذى القعدة سنة خمس وثلاثين وستمائة" .

ولم اقع على ترجمة ابن سهل العبدرى هذا فيما بين يدىّ من مصادر ، وابن حجر ينقل عن ابن عبد الملك صاحب الذيل والتكملة ، وقد وصلنا بقية السفر الرابع منه" وقد سقطت منها (نسخة الاسكوريال رقم ١٦٨٢ - الغزيرى رقم ١٦٧٧) ترجمات كثيرة ، في حرف الصاد والعين كما انها ناقصة من آخرها" . هذا ما ذكره محقق الكتاب الدكتور احسان عباس (المقدمة ص/ ز) . وينقل ابن حجر عن ابن عبد الملك قوله : ان ابن الابار نسبه الى الكذب ونال منه لمناقضة ومنازعة كانت بينهما . غير أن ابن الابار لم يترجم لمن اسمه "عبد الله بن محمد بن سهل العبدرى الدورقي" في التكملة ولا فيما وصلنا من كتبه . كما لم يصلنا ان ابن الابار أدال في قضاء دانية من عبد الله هذا ولا انه صرف عن هذا القضاء . كل ما نعرفه ان ابن الابار ولي قضاء دانية في رمضان سنة ٦٣٣ بدلا من ابي محمد عبد الله بن مطروح التجيبي ، واثناء ترجمته لابن مطروح وصفه ابن الابار بالصدق واثني عليه وقال : " توفي مصروفا عن القضاء عند المغرب من ليلة يوم الجمعة التاسع لذى القعدة سنة خمس وثلاثين وستمائة ، والروم محاصرون بلنسية ودفن بمقبرة باب الحنش لصلاة ظهر الجمعة قبل امتناع الدفن بخارجها" .

....

غير أن ترجمة ابن مطروح تلتقي كثيرا مع ترجمة ابن سهل، فهل المقصود شخص واحد ،
اعني هل اضطرب النسخ على ابن حجر أو احد نسّاخ لسان الميزان ، أو على احد
نسّاخ الذيل والتكملة فخلط ترجمتين متتاليتين ؟ أم أن ابن الابار ولي قضاء دانية
مرتين، مرّة أديل به من ابن سهل ومرّة من ابن مطروح ؟ ويبقى السؤال : من اين
نقل ابن عبد الملك ترجمة ابن سهل ، هل من نسخة للتكملة أكمل من التي وصلتنا ؟

لابي جميل ابن مردنيش .

وفي عام ٦٣٤ عقد الملك خايمة الاول مجلسه الملكي بمدينة منتشون (Moncon) في الثغر الاعلى حيث قرر المجتمعون ان الوقت قد آن لشن هجوم كبير على مدينة بلنسية لاسقاطها وذلك بعد ان احكم الحصار تماما من الشمال والشمال الغربي والجزر الشرقية وبعد ان بلغ التفتيت الداخلي والخارجي في الشرق الاندلسي مبلغا كبيرا بسبب الحروب الاهلية المتواصلة والجزية الباهظة التي كانت تدفع لخايمة ولفرذلند . فسيّرت حملة صليبيّة كبيرة اخذت استحكامها عند حصن أنيشة (Puig) الى الشمال من بلنسية " وهو جبل معترض عال على البحر والطريق عليه ، ولا بدّ من السلوك على رأسه وهو صعب جدا ".[1]
وقد وصف ابن خلدون حال بلنسية قبل موقعة أنيشة قال : " لمّا استقل ابو جميل زيّان بن ابي الحملات مدافع بن أبي الحجاج سعد ابن مردنيش بملك بلنسية ، وغلب عليها السيد أبازيد ابن السيد ابي حفص، وذلك عند خمود ريح بني عبد المؤمن بالاندلس، وخروج ابن هود وثورة ابن الاحمر بارجونة واضطراب الاندلس بالفتنة ، أسفّ الطاغية الى ثغور الاندلس من كل جانب ، وزحف ملك اراغون الى بلنسية فحاصرها وكانت للعدو سنة ثلاث وثلاثين سبع محلات لحصار المسلمين : اثنتان منها على بلنسية وجزيرة شقر وشاطبة ، ومحلة بجيان ومحلة بطبيرة ومحلة بمرسية ومحلة بلبلة ، وأهل جنوة من وراء ذلك على سبتة . ثم تملك طاغية قشتالة مدينة قرطبة ،

---

[1] الروض المعطار : ٤١ — ٤٢ ، وتكتب في المصادر العربية أنيجة ، وأنوشة عند ابي راس : ٢٠١ .

وظفر طاغية أراغون بالكثير من حصون بلنسية وأنزل بها عسكره وانصرف . فاعتزم زيّان بن مردنيش على غزو من بقي بها من عسكره واستنفر اهل شاطبة وشقر وزحف اليهم". [١] وبحسب اقوال الملك خايمة في مذكراته فقد استطاع زيّان ان يحشد ٦٠٠ فارس وحشدا كبيرا من الجنود المشاة يشكلون خليطا من مختلف الطبقات والناس من المحاربين وغيرهم . [٢]

وكانت الموقعة بظاهر انيشة على سبعة اميال منها في يوم الخميس لعشر بقين من ذى الحجّة سنة اربع وثلاثين وستمائة ، فانكشف المسلمون وكانت الكائنة عليهم واستشهد كثير منهم ، وكان ممن استشهد الحافظ أبو الربيع ابن سالم ، الذى لم يزل متقدما امام الصفوف زحفا على الكفار ينادى بالمنهزمين : "أعن الجنة تفرّون"؟ حتى قتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر . [٣]

ولم يذكر ابن الابار انه اشترك في هذه الواقعة ولم يذكر ذلك احد من المؤرخين ويبدو انه كان ما يزال على قضاء دانية ، الا انه رثى شيخه ابا الربيع بقصيدة طويلة يقول فيها : [٤]

---

١ العبر ٦/ ٦٠٠ – ٦٠١ .

٢ I. Burns; Islam Under The Crusades, p. 308.

وقدّر عدد الجنود باربعين الفا ، انظر : Jose Llampayas., op.cit., p . 140.

٣ انظر في هذه الموقعة المصادر التي سبق ذكرها عند ترجمة الكلاعي ويضاف اليها هنا : أبو راس : الخبر المعرب عن الامر المغرب الحال بالاندلس وثغور المغرب (الخزانة العامة بالرباط ، رقم : ٢٢٦٣ ك) الورقة / ٢٠١ – ٢٠٢ وانظر :

Gestas, op.cit., pp. 146-168. Jose Llampayas; op.cit. 136-150.
I. Burns; Islam under the Crusades, p. 35.
H. Miranda; Historia Musulmana, Tome III, pp. 254-258.

٤ الديوان (مخطوط الرباط : ٤٦٠٢) ق / ١٣٤ – ١٣٧ ، ووردت القصيدة بتمامها في الذيل والتكملة ٤/ ٩٠ – ٩٥ ، رحلة ابن رشيد (١٦٨٠) ق : ٨٨ – ٩١ ، والاحاطة ٤/ ٣٠٤ – ٣٠٩ .

أَلِمَّا بأشلاءِ العُلى والمكارمِ ... تُقَدُّ بأطرافِ القنا والصوارمِ
وعوجا عليها مأرباً وحفاوةً ... مصارعَ غَصَّت بالطُّلا والجماجمَ
نحيِّ وجوهاً في الجنانِ وجيهةً ... بما لقيت حمراً وجوهَ الملاحم
وأجسادَ إيمانٍ كساها نجيعُها ... جاسدَ من نسجِ الظُّبى واللهاذم

ومنهـــا :

سقى اللهُ أشلاءً بسفحِ أنيشةٍ ... سوافحَ تُزجيها ثِقالُ الغمائمِ
سلامٌ على الدّنيا اذا لم يَلُحْ بها ... مُحيّا سليمانِ بنِ موسى بنِ سالمِ

وهي طويلة ضمنها معاني دينية وتشوقا الى الشهادة في سبيل الله ، وتفجع لموت ابي الربيع ابن سالم "حامل الآداب من آل يعرب وحامي هدى المختار من آل هاشم".

ورثاه ايضا ابو المطرف ابن عميرة بقصيدة اولها :[1]

ألا مسعدٌ او ألا صاحبُ ... لذي نَصَبٍ همُّهُ ناصبُ
يطارحُه شجوَ ذي عبرةٍ ... لها أبداً عارضٌ ساكبُ

كما رثاه علي بن لبّ بن شلبون بقصيدة أولها :[2]

خطبُ الخطوبِ دها العلاءَ مصابه ... فارأَ بدمعِك أنْ يقلَّ مُصابُهُ

---

[1] رسائل ابن عميرة (الخزانة العامة بالرباط رقم : ٢٣٣) ق / ١٩٦ - ١٩٨ ، وبعض ابياتها في الروض المعطار : ٤١ - ٤٢ .

[2] المقتضب من تحفة القادم : ١٥٢ .

اثر هذه الهزيمة ارتدّ زيان الى بلنسية وتحصن فيها ، ونزل جند الحملة الصليبية الى السهل فعاثوا فسادا وأسروا عددا من الفلاحين والحطابين ، وبدأ أهل القرى والمزارعون ينزحون بمواشيهم واهليهم نحو الحصون الآمنة التي صارت تحت حكم خايمة الاول ،[1] وقد أعلن خايمة في مذكراته بعد انتصاره في أنيشة " لقد مهدّت البحار تحت طركونة امام التجارة".[2]

كان سقوط أنيشة نذيرا بسقوط بلنسية وشرق الاندلس ، وقد أشار الى هذا ابن عميرة في احدى رسائله الى ابن الابار ، قال : " داء خامر بلادنا حين أتاها ، وما زال بها حتى سجّى على موتاها ، وشجا ليومها الاطول كهلها وفتاها ، وأنذر بها في القوم بحران أنيجة (يعني أنيشة) ، يوم أثاروا أسدها المهيجة ، فكانت تلك الحطمة طلّ الشؤبوب ، وباكورة البلاء المصبوب ، أثكلتنا اخوانا أبكانا نعيّهم ، ولله أحوذيّهم والمعيّهم ، ذاك ابو ربيعنا ، وشيخ جميعنا ، سعد بشهادة يومه ، ولم ير ما يسوءه في اهله وقومه ، وبعد ذلك أخذ الأمّ بالمخنّق ، وهي بلنسية ذات الحسن والبهجة والرونق ....".[3]

كان لا بدّ لزيّان ان يفعل شيئا ما ، فبلنسية محاصرة ، والمؤن قليلة وصار الفلاحون

---

١ I. Burns, Islam Under The Crusades, pp. 61, 108.

٢ I. Burns, Spiritual Life of James The Conqueror (Collected Studies) I, p. 9 .

٣ الروض المعطار : ٩٨ ، ونفح الطيب ٤/ ٤٩٢ .

ومراعيهم ومواشيهم في محيط المدينة تحت طاعة "الطاغية"، والغلاء يشتدّ [١]، فما كان من زيّان الا ان ارسل عليا (أبا) البقاء البنشكويلي [٢] (؟) لمفاوضة خايمة، وقد قدّم في هذه المفاوضات اقتراحين قوبل كلاهما بالرفض. قايض اولا بلنسية بالاراضي الواقعة الى الجنوب من الوادى الكبير، ثم عرض دفع مبلغ ٥٠٠٠٠ [٣] بيزنتس مقابل فك الحصار عن المدينة.

وفي شهر رمضان، يوم الخميس الخامس منه سنة ٦٣٥ زحف طاغية أراغون الى بلنسية نحاصرها واستبلغ في نكايتها [٤]، وقد كان ابن الابار في بلنسية ابّان الحصار [٥]، وهذا يشير

---

[١] قال ابن عذارى: " وحدّث من شاهد حصارها ان القمح كان يباع بها ستة اواق بدرهم والشعير اثنا عشر أوقية بدرهم ولما أخذ المسلمون في الخروج منها بيع الدقيق بها احد عشر رطلا بدرهم". البيان المغرب (تطوان) ص/ ٣٤٥، واعمال الاعلام: ٢٧٣: " وما زال المسلمون تنقص اعدادهم والنصارى تتوارد أمدادهم الى ان نفدت الاقوات وضعفت القوى وأكلت الجلود والزقوق".

[٢] لم يرد ذكر هذه الشخصية — فيما اعلم — فيما وردنا من اخبار في المصادر العربيّة. وقد ذكر Jose Llampayas اسمه هكذا: Ali Abaca' واورد الاب Burns اسمه على الرسم التالي: Ali Albaqa'. وجاء اسمه عند الملك خايمة: Ali Albaca انظر:
Jose Llampayas, op.cit, p. 145.
I. Burns, Medieval Colonialism, p. 109.
Islam Under The Crusades, p. 306.

[٣] ذكر Jose Llampayas ان المبلغ كان ١٠٠٠٠ (ص: ١٤٥).

[٤] التكملة ١/ ١٢٠، الحلة السيراء ٢/ ١٢٧، اعمال الاعلام: ٢٧٣، العبر ٦/ ٦٠١.

[٥] قال ابن الابار عند ترجمته لابي علي الشعّار: " سمعت منه في منتصف رمضان سنة خمس وثلاثين وستمائة اثر منازلة الروم بلنسية بعشرة ايام، حكايات واشعارا واجاز لي بلفظه ما رواه" التكملة ١/ ٢٦٧ (٧٠٦). وجاء اثناء ترجمته لابي جعفر ابن الدلال: "توفي بين العشاءين من ليلة يوم الخميس السادس عشر لجمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وستمائة ودفن لصلاة العصر منه بمقبرة باب الحنش وشهدت جنازته". التكملة ١/ ١٢٠ (٣٠٣).

الى انه لم يل قضاء دانية فترة طويلة. ومع اشتداد الحصار أخذ زيّان يرسل الرسل والوفود الى الممالك المجاورة لاستنهاض الهمم واستمداد العون. ونعرف من هؤلاء الرسل الذين توجهوا الى مرسية محمد بن عبد الله بن محمد بن خلف الانصاري[1] فقد "اقام بشاطبة حال حصار بلنسية لانه كان قد وجّه الى مرسية لاستمداد أهلها". ويبدو أنه لم يوفق في مهمته هذه بدليل ذهابه الى شاطبة. وقد كانت مرسية آنذاك مشغولة بأمرها فاثر مقتل ابن هود، في الرابع والعشرين لجمادى الاولى سنة ٦٣٥ على يد عامله على المرية ابن الرميمي،[2] بايع أهل مرسية ولده " اذ كان ولي عهده، وتسمّى في الخلافة بالواثق بالله وطاعت له تلك الجهات فما قام بالامور ولا قعد، ولا صدر فيها ولا ورد، فعافته النفوس، وشمخت عن طاعته الرؤوس، فأقام كذلك سبعة اشهر وخلعوه وقدموا فقيههم عزيز بن خطّاب وبايعوه في السنة الآتية"،[3] فقام ابن خطّاب بالامر "وتشبّه بالملوك وسبح في بحر الخوض على كثرة المنازع وعدم المال وكلب الجند وقلق الرعيّة فكانت ولايته في المحرّم من سنة ٦٣٦ وبيعته من انشاء أبي المطرف بن عميرة شهيرة[4]"، ولم يقم بالامر حتى قعد وكانت عليه للنصارى وقيعة لم يحكم

---

[1] التكملة ٢/ ٦٥١ (١٦٧١)، والذيل والتكملة ٦/ ٣٠٤ (٧٩٥).

[2] البيان المغرب (تطوان) : ٣٣٥.

[3] البيان المغرب (تطوان) : ٣٣٧.

[4] انظر كتاب الاستاذ محمد بنشريفة عن ابن عميرة : ١١٠ — ١١١.

فيها المصافّ ولا عرف القتال فهلك فيها جملة من المسلمين أوهنت البلد وكرهته الى اهله". [1]

بعد اخفاق زيّان بن مردنيش في كل خطواته هذه، لم يبق امامه سوى الاستنجاد بالدولة الحفصية الفتيّة، يقول ابن خلدون " وكان بنوعبد المؤمن بمراكش قد نشل ريحهم وظهر امربني ابي حفص بافريقية فأمل ابن مردنيش واهل شرق الاندلس الامير أبي زكريا للكرة وبعثوا اليه بيعتهم واوفد عليه ابن مردنيش كاتبه الفقيه أبا عبد الله ابن الابار صريخة نوفد وأدّى بيعتهم في يوم مشهود بالحضرة وأنشد في ذلك المحفل قصيدته على رويّ السين يستصرخه فيها للمسلمين ....". [2] قال المقّري [3]: " فقام بين يدى السلطان منشدا قصيدته السينيّة الفريدة التي فضحت من باراها وكبا دونها من جاراها" وأولها: [4]

أَدْرِكْ بخَيْلِكَ خيلِ اللّٰهِ أَنْدَلُسا	إنّ الطريقَ إلى مَنْجَاتِها دَرَسا
وَهَبْ لها من عزيزِ النَّصرِ ماالتَمَسَتْ	فلم يَزَلْ منك عزُّ النصرِ مُلْتَمسا
وحاشِ مما تعانيه حشاشتَها	فطال ما ذاقتِ البلوى صباحَ مسا
يا لَلجزيرةِ أَضْحى أَهلُها جزراً	للحادثاتِ وأَمْسى جَدُّها تَعِسا
في كلِّ شارقةٍ إِلْمامُ بائقةٍ	يعودُ مأتمها عندَ العدى عُرُسا

---

[1] اعمال الاعلام: ٢٧٥، وانظر في ترجمة ابن الخطاب الحلة السيراء ٢/ ٣٠٨، والقدح المعلى: ١٤٦.

[2] العبر ٦/ ٦٠١، وقارن باعمال الاعلام: ٢٧٢ - ٢٧٣.

[3] نفح الطيب ٤/ ٤٥٧.

[4] الديوان / ١٩٩ - ٢٠٤، والقصيدة بتمامها في الذيل والتكملة ٦/ ٢٥٩ - ٢٦٢، والعبر ٦/ ٦٠١ - ٦٠٤، وازهار الرياض ٣/ ٢٠٧ - ٢١٠، ونفح الطيب ٤/ ٢٥٧- ٢٦٠.

وكلّ غاربةٍ إجحاف نائبــةٍ ... تُثْني الأمانَ حذاراً والسرورَ أسى

تقاسَمَ الرّومُ لا نالتْ مقاسمهم ... الا عقائلَها المحجوبةَ الأُنُسا

وفي بلنسيةٍ منها وقرطبــةٍ ... ما ينسفُ النّفسَ أوْ ما ينزفُ النَّفسا

مدائنٌ حلّها الإشراكُ مبتسما ... جذلانَ وارتحلَ الإيمانُ مُبْتَئِســاً

وهي قصيدة في رثاء الاندلس ومدنها ومرابعها ، يصف فيها الحال التي بلغتها الجزيرة بعد ان حاق بها الروم وحلّها الشرك ، فخبا فيها نور الايمان والعلم ودرست مدارسها وجنانها و "محا محاسنها طاغ اتيح لها" حوّل مساجدها الى كنائس وبيع ، ودعى فيها للتثليث والتجسيم وغودر التوحيد . ثم ينتقل لاستصراخ الامير ابي زكريا يحي بن عبد الواحد الحفصي " الذى نوّر الله بالتقوى بصيرته" وأيّده " فلو رمى نجما لاثبته .. ولو دعا افقا لبّى وما احتبسا " ، وهو يخاطبه ليس عن لسان اهل بلنسية فحسب بل انه يصدر عن رأى اهل الاندلس :

هذي رسائلُها تدعوكَ عن كَثَبٍ ... وأنت افضل مرجوّ لمن يَئِسا

....

فاملأْ هنيئاً لك التأييدُ ساحتَها ... جُرْداً سلاهبَ أوْ خَطِيَّة دعســا

واضربْ لها موعداً بالفتح ترقبــه ... لعلّ يوم الأعادي قد أتى وعسى

" فهزت هذه القصيدة من الملك عطف ارتياح ، وحركت من جناحه اخفض جناح ، ولشغفه بها وحسن موقعها امر شعراء حضرته بمجاوبتها "[1] ، وعارضها كثير من الشعراء ما بين محظّي

---

[1] نفح الطيب ٤/ ٤٦٠ .

ومحرم ، واغرى الناس بحفظها اغراء بني تغلب بقصيدة عمرو بن كلثوم". [١] وأجاب الامير داعيتهم ويعث اليهم اسطوله مشحونا بمدد الطعام والاسلحة والمال مع أبي يحيى بن يحيى بن الشهيد أبي اسحاق بن أبي حفص[٢] وذلك في رابع محرّم من سنة ٦٣٤ [٣]، وحاول الاسطول النزول في بلنسية ولكن الجند الصليبي ردّه عنها ، فأجرى محاولة ثانية للنزول الى الشمال من بلنسية فاخفقت أمام هجوم حامية بنشكلة [٤]، عندها توجهت الاجفان الى دانية فاستفرغت المدد ورجعت بالمال الناضّ اذ لم يخلص الى أبي يحيى بن الشهيد من قبل ابن مردنيش من يتسلمه [٥]، وذلك في الثاني عشر من محرّم. [٦]

---

١ القدح المعلّى : ١٩١ ، وانظر سهك المقال ق / ٩٧ ب ومعارضتها في الذيل والتكملة ٦/ ٢٦٣ - ٢٦٩ .

٢ العبر ٦/ ٦٠٤ .

٣ البيان المغرب (تطوان) : ٣٤٤

٤ I. Burns, Medieval Colonialism, p. 7; Jose Llampayas, P. 147.

٥ البيان المغرب (تطوان) ٣٤٤ ، والعبر ٦/ ٦٠٤ .

٦ البيان المغرب (تطوان) : ٣٤٥ .

وانظر : Huici Miranda, Historia Musulmana, Tome III, pp: 259-260.

بيد ان القصة لا تنتهي عند هذا الحدّ ، فتعاقب الاحداث يبدو مأساويا ومتسارعا ففي داخل المدينة المحاصرة التي تغصّ بسكانها وجد اهلها في الجوع، بعد ان عدموا الحلفاء ، حليفا أشدّ وبالا واسرع فتكا . وفي تلك الغضون شرع زيّان بمفاوضاته السريّة لتسليم المدينة صلحا . ويروى لنا الملك خايمة في "كتاب اعماله" سير تلك المفاوضات ، لقد اجرى "علي (ابو) البقاء" (؟) ثلاث جلسات مع خايمة كانت تتم عند الفجر بعد ان يتسلل علي خارج اسوار المدينة ذاهبا الى معسكر الملك برفقة احد الفرسان ، وفي خلال هذه الاجتماعات تم وضع ما نسمّيه اليوم المسوّدة الاولى . ثم اجتمع خايمة مع احد ابناء اخوة زيّان في جلستين منفصلتين عند الفجر تمّا بسرّية ايضا ، وكان يرافق هذا القائد المسلم بعض رجال حاشيته ، حيث صاحبه اثنان من النبلاء الفرسان . وقد حضر هذه الجلسات ابن أخي زيّان واحد المترجمين والملك والملكة . وبعد اجراء الاتفاق اعلن خايمة عن المفاوضات التي كانت تجرى بسرّية حتى ذلك الوقت ، وعمم خبر الاستسلام على بارونات معسكره وقادته . هذا ولم يذكر خايمة في مذكراته شيئا عن حفلة التوقيع.[١]

وقد ذكر ابن الابار في الحلّة باقتضاب شديد خبر هذه المفاوضات قال : "... حاصرها الطاغية جاقم البرشلوني من يوم الخميس الخامس من شهر رمضان سنة خمس وثلاثين وستمائة الى يوم الثلاثاء السابع عشر من صفر سنة ست وثلاثين ، وفي هذا اليوم خرج ابو جميل زيّان ابن

١

Gestas, op.cit, pp. 183-195.
Jose Llampayas , op.cit., pp. 147-149,
I. Burns, Islam under The Crusades, p. 170.

مدافع بن يوسف بن سعد الجذامي من المدينة ، وهو يومئذ اميرها ، في اهل بيته ووجوه الطلبة والجند ، واقبل الطاغية وقد تزيّ باحسن زيّ في عظماء قومه ، من حيث نزل بالرصافة اول هذه المنازلة ، فتلاقيا بالولجة ، واتفقا على ان يتسلم الطاغية البلد سلما لعشرين يوما ، ينتقل اهله أثناءها باموالهم واسبابهم . وحضرت ذلك كله ، وتوليت العقد عن ابي جميل في ذلك . وابتدئ بضَعَفَة الناس وسيّروا في البحر الى نواحي دانية ، واتصل انتقالهم برّا وبحرا . وصبيحة يوم الجمعة السابع والعشرين من صفر المذكور كان خروج ابي جميل باهله من القصر في طائفة يسيرة اقامت معه ، وعند ذلك استولى عليهم الروم أحانهم الله". [1]

ويدأ آلاف النساء والشيوخ والاطفال هجرتهم ، يحملون ما تيسّر من المتاع والزاد ، وعيونهم على قباب مدينتهم وفي القلوب حرقة كالجمر ، وقد رافق الملك وفرسانه جموع الراحلين حتى شارف المدينة عند الرصافة . وهب بعض الجند تحليزهم الروح الصليبية ورغبة جامحة في الانتقام والسلب ينهبون متاع الجموع ويسبون النساء والاطفال لبيعهم رقيقا ، ويسومون الجموع الوانا من الذل والمهانة . [2]

---

[1] الحلة السيراء ٢/ ١٢٧ . ورواية ابن الابار ، على اقتضابها وثيقة فريدة . جعل ابن الخطيب الخروج عن بلنسية في الرابع عشر من صفر وجعله ابن عذارى في السابع عشر منه ، وكان دخول الملك خايمة الى بلنسية في ٢٨ أيلول ١٢٣٨ ، اى ما يوافق ١٧ صفر .

[2] بعد سقوط بلنسية التجأ ابن مردنيش الى جزيرة شقر ، فالح عليه العدو الحصار وازعجه الى دانية ، " واعصوصب حوله رجال كثيرون واخذ شأنه يعظم بعد ان انضوى تحته كثير من الاعراب الذين هاجروا بلنسية فصار تحت يده جيش قوى الشكيمة واحتل بعض المعاقل". وفي السادس عشر لشهر رمضان دخل الامير زيّان مرسية على رضى من اهلها وخطب بها للامير ابي زكرياء صاحب تونس وقبض على عزيز بن خطّاب وقتله ليلة الثلاثاء الموفي عشرين من شهر رمضان ، وانتظمت البلاد الشرقية لطاعة الامير أبي زكريا (الحلة السيراء ٢/ ٣١٠ ، البيان المغرب (تطوان) : ٣٤٧ ، اعمال الاعلام : ٢٧٥ ، العبر ٦/ ٦٠٤-٦٠٥ فتلخيص تاريخ مرسيه لفيلكس بونسوا سيريان عربه ولخصه الامير شكيب ارسلان (الحلل السندسية) ٣/ ٤٤١ ، Huici Miranda, Historia Musulmana, Tome III, pp. 261-263.

ولابن الابار رسالة بعث بها لابي المطرف ابن عميرة بعد سقوط بلنسية يقول فيها: [1]

" درجت اللّدات والاتراب ، وخرجت الروم بنا الى حيث الاعراب و أيام دنعنا لاعظم الاخطار ، وفجعنا بالاوطان والاوطار ، فالام نداري برح الالم ، وحتّام نساري النجم في الظلم ، جمع أوصاب ما له من انفضاض ، ومضض اغتراب شدّ عن ابن مضاض [2] ، فلو سمع الاول بهذا الحادث ، ما ضرب المثل بالحارث ، يا للّه من جلاء ليس به يدان ، وثناء قلّما يسفر عن تدان ، وعد الجدّ العاثر لقاءه فانجز ، ورام الجلد الصابر انقضاءه فاعجز ، هولاء الاخوان مكثهم لا يمتع به أوان ، وبينهم كنبت الارض الوان ، بين هائم بالسرّى ، ونائم في الثرى ، من كلّ صنديد بطل ، او منطبق غير ذي خطاء ولا خطل ، قامت عليه النوادب ، لما قعدت النوائب ، وهجمت بيوتها لمنعاء الجماجم والذوائب ، وأما الاوطان المحبّب عهدها بحكم الشباب ، المشبّب فيها بمحاسن الاحباب ، فقد ودّعنا معا هدها وداع الابد ، واخنى عليها الذي اخنى على لبد ، اسلمها الاسلام ، وانتظمها الانتثار والاصطلام ، حين وقعت انسرها الطائرة ، وطلعت انحسها الغائرة ،

1 _ نفح الطيب ٤/ ٤٩٦ _ ٤٩٩ ، وبعضها في الروض المعطار : ١٠٠

٢ الحارث بن مضاض بن عبد المسيح الجرهمي من ملوك الجاهلية من قحطان ، من العرب البائدة ، يضرب المثل باغترابه ، وعلى يديه تفرّقت جرهم ، تنسب له قصيدة اولها :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا ... انيس ولم يسمر بمكّة سامر

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا ... صروف الليالي والجدود العواثر

انظر : كتاب التيجان في ملوك حمير (حيدر أباد ، ١٣٤٧) : ١٧٨ وما بعدها ، مروج الذهب للمسعودي (تحقيق شارل بيلّا ، منشورات الجامعة اللبنانية ، بيروت ١٩٦٦) ٢/ ١٦٥ (٩٤٥ _ ٩٤٦) ، نشوة الطرب في جاهلية العرب لابن سعيد (تحقيق الدكتور نصرت عبد الرحمن ، مكتبة الاقصى ، عمان _ الاردن ، ١٩٨٢) ١/ ٢٩٢ _ ٢٩٨ ، رفع الحجب المستورة ٢/ ١٣١ _ ١٣٢ .

فغلب على الجذل الحزن وذهب مع المسكن السكن :

كزعزع الريّح صكّ الدّوح عاصفها   فلم يدع من جنى فيها ولا غصن

واها وآها يموت الصبر بينهمـا   موت المحامد بين النجل والجبن

أين بلنسية ومغانيها ، وأغاريد ورقها واغانيها ، أين حلى رصافتها وجسرها ، ومنزلا عطائها ونضرها ؟ اين أنياؤها تندى غضارة ، وذكاؤها تبدو من خضارة ؟ اين جداولها المساحة وخمائلها ؟ اين جنائبها النفّاحة وشمائلها ؟ شدّ ما عطل من قلائد ازهارها نحرها ، وخلعت شعشعانية ضحاها بحيرتها وبحرها [1] ....[2]

ومما جاء في جواب ابن عميرة : [3]

" طارحني حديث مورد جفّ ، وقطين خفّ ، فيا لله لا تراب درجوا ، واصحاب عن الاوطان خرجوا ، قصّت الاجنحة وقيل طيروا ، وانّما هو القتل او الاسر او تسيروا ، فافترقوا

---

[1] اقتباس من بيت للرصافي في رائيته :

تؤبد فيها شعشعانية الضحى   اذا ضاحك الشمس البحيرة والنهرا .

[2] وهي طويلة ، وله في ندب بلنسية (الورقة / ٢٠٢) :

بلنسيةٌ يا عذبة الماءِ والجنى   سُقيتِ وإنْ أُشْقِيتِ صوبَ الرواجِسِ

أُحِبّ وأَقلى منكِ حالاً وماضياً   بوحشةِ أَلـوتْ بعهد الأوانِسِ

ومن عجبٍ انّ الديارَ أواهـل   واندبها ندبَ الطلول الدوارس

وله ايضا في ندبها : (الورقة / ٤٩)

ملكت جوارحه عليه جراحه   فشفاؤه لا يرتجى وسراحه

عار لابكار الخطوب وعونها   غيضت موارده وهين جناحه

وانظر الفصل الثاني .

[3] انظرها كاملة في نفح الطيب ٤/ ٤٩٠ — ٤٩٦ .

أيدى سبا ، وانتثروا على الوهاد والربّا ، ففي كل جانب عويل وزفرة ، وبكل صدر غليل وحسرة ، ولكل عين عبرة ، لا ترقأ من أجلها عبرة".

لقد كان من آثار الحادثة على بلنسية الانهيار الشامل في الاندلس، هذا الانهيار الذى اصاب كل البنى الاساسيّة في المجتمع وقوّض اركانها . اما على صعيد الانسان فقد انكسرت هويته" ونخر فيه يأسه بين ماض فرّ كالحلم ، واشواق زرعت في الوهم ، فتبدّدت طيف آل". وقد قضي على العلماء بالتشتت والتغريب والنفي ، وكان على ابن الابار أن يرحل مع الراحلين حاملا معه مرارة الخيبة والشجن وذكريات حلوة/ظل يعاني نزيفها الدائم .

لم يسمح لنا سياق الاحداث بالتوقف للتساؤل حول ما تثيره المصادر من اشكال متعلق بزيارة ابن الابار لتونس مستنهضا هِمَم الحفصيين ، وهنا يتعين علينا ان نعود لنسأل : هل سفر ابن الابار الى تونس مرة او مرتين قبل أن تسقط بلنسية نهائيا ؟ ان مما يبعث على التساؤل ما اورده ابن عذارى المراكشي وهو يسرد تواريخ الاحداث بدقة اثناء روايته لحصار بلنسية وسقوطها ولم يورد ابن عذارى الخبر متصلا ، اذ انه يكتب تاريخه على السنين ويذكر ما جرى من الاحداث والاخبار في كل سنة بحسب الاشهر . وقد جاءت رواية ابن عذارى على الترتيب التالي :

١ ــ "وفي هذه السنة (٦٣٦) نازل العدو ملك ارغون مدينة بلنسية وكان صاحبها زيّان ابن مردنيش ثم وصلت الاجفان من تونس بالاغاثة لاهل بلنسية فوجدوهم محصورين فكتبوا بذلك للامير ابي زكرياء رابع محرم من عام ستّة وثلاثين وستمائة ....[1] وكان وصل من تونس في

---

[1] استطرد هنا ابن عذارى لذكر بيعة ابن خطاب على مرسية .

الاساطيل المذكورة ابو يحيى ابن الشهيد الهنتاني بمال ناضّ[1] ليدفعه لابي جميل فلم يجد من يقبضه منه لكون ابي جميل[2] كان محصورا فرجعت الاساطيل المذكورة في الثاني عشر من محرم من السنة وتركوا ما سوى المال الناضّ من الاطعمة والاسلحة وغير ذلك بدانية".[3]

٢ — "وفي هذه السنة في يوم الجمعة السابع عشر من صفر خرج ابو جميل زيّان بن مردنيش من بلنسية بجمهور المسلمين واستولى العدو عليها ودخلها ولا حول ولا قوّة الا بالله العلّي العظيم".[4]

٣ — "وفي هذه السنة يوم الثلاثاء منسلخ رجب الفرد رفع أبو عبد الله ابن الابار قصيدته السينية[5] التي أولها :

ادرك بخيلك خيل الله اندلسا ... أن السبيل الى منجاتها درسا

رفعها الى حضرة الامير ابي زكرياء يستصرخه فيها لنصرة الاندلس ويصف سوء الامر بها".[6]

---

[1] في المتن : قاض .

[2] في المتن : ابن .

[3] البيان المغرب (تطوان) : ٣٤٤ — ٣٤٥ .

[4] البيان المغرب (تطوان) : ٣٤٥ .

[5] هذا هو التاريخ الذى ذكره الزركشي ايضا في تاريخ الدولتين : ٢٨ .

[6] نفسه : ٣٤٥ — ٣٤٦ .

نتوقف في هذا الخبر عند عدّة أمور .

أ — في الفقرة الاولى يقول : " ثم وصلت الاجفان" وثم تفيد ترتيب الاخبار ، ولم يحدثنا ابن عذارى شيئا عن هذه الاجفان من قبل . ولا نعرف من الذى طلب هذه الاجفان ، أكان ذلك بادرة عفوية من الامير ابي زكريا ؟ أم ان ثمة نقصا في ما وصلنا من هذا الجزء من البيان المغرب ؟

ب — تفيدنا الفقرة الثالثة ان ابن الابار رفع قصيدته يوم الثلاثاء منسلخ رجب الفرد اى بعد سقوط بلنسية بحوالي خمسة اشهر.

وهذا يناقض ما ذكره ابن الخطيب وابن خلدون والمقرى . علما ان رواية ابن الخطيب لم تصلنا كاملة.[1] ولقد تغاضى ابن الابار — فيما وصلنا من كتبه — عن ذكر هذه الوفادة ، سوى ما ذكره اثناء ترجمته لابي علي القشتليوني ، قال : " .. وصار اخيرا الى مدينة تونس واقرأ بها القرآن ، ورأيت الاخذ عنه في سلخ شعبان سنة خمس وثلاثين وستمائة وعلى اثر ذلك توفي بها ، قدمتها رسولا من قبل والي بلنسية ودانية ابي جميل زيّان بن سعد في منتصف السنة التي بعدها فلم اجده".[2] نفهم من هذا ان ابن الابار قدم تونس في منتصف سنة

---

[1] قال ابن الخطيب : " وكلب عليهم عدّو الشرق ، ويئسوا من نصرة اهل الاندلس واهل المغرب ، فتعلقوا ببيعة الامير ابي زكرياء بتونس واستصرخوه واطمعوه بفتح الشرق . وصدر من الاستنصار المنظوم في ذلك القصيدة الشهيرة من نظم الكاتب ابي عبد الله ابن الابار التي اولها :

ادرك بخيلك خيل الله اندلسا ان السبيل الى منجاتها درسا

حسبما يأتي في اسم الامير زكرياء بمحّله ان شاء الله". اعمال الاعلام : ٢٧٣ ، ولم يصلنا الجزء الذى فيه اخبار ابي زكرياء.

[2] التكملة ١/ ٢٦٦ — ٢٦٧ (٧٠٥) .

٦٣٦ . وقد صرّح ابن الابار نفسه بذلك اثناء ترجمته لمحمد بن محمد بن ابي السداد فقال " لقيته بجامع مرسية في اول ذى القعدة سنة ٦٣٦ عند صدرى من الرسالة التي وجهت فيها الى تونس منتصف السنة المذكورة ...."[1] ، ويقول في موضع آخر انه لقي محمد بن عبد الله ابن الصفّار بتونس في شعبان سنة ٦٣٦ ،[2] مما قد يعني انه بقي في تونس شهرى رجب وشعبان . هذا ونجده مرّة اخرى في مرسية في آخر سنة ٦٣٦ .[3] غير انه في ذلك الاوان كان زيّان واليا على دانية فقط بعد ان ازعج عن بلنسية في شهر صفر ، فكيف يقول ابن الابار " من قبل والي بلنسية ودانية" ! ؟

هذا وقد وصلتنا قصيدة اخرى لابن الابار يستصرخ فيها الامير أبا زكرياء ، وقد ذكرها المقرى دون ان ينسبها وقد وردت في ديوانه ينقص منها الابيات الستة عشر الاولى ، واولها :

نادَتْكَ أَنْدلسٌ فلبِّ نِداءَها واجْعَلْ طواغيتَ الصليبِ فِداءَها

---

[1] التكملة ٢/ ٦٥٤ (١٦٧٧)

[2] التكملة ٢/ ٦٤٧ (١٦٦٨) ، وانظر الحلة السيراء ٢/ ٢٦٢ ، والتكملة ٢/ ٧٦١ (١٨٨٠) .

[3] التكملة ٢/ ٦٦٣ (١٦٩٠)

[4] نفح الطيب ٤/ ٤٧٩ — ٤٨٣ ، وديوان ابن الابار، القصيدة الاولى .

صرخت بدعوتك العليّة فاحبها | من عاطفاتك ما يقي حوباءها
واشدد بجلبك جرد خيلك أزرها | تردد على اعقابها أرزاءها
هي دارك القصوى أوت لايالة | ضمنت لها مع نصرها ايواءها
وبها عبيدك لا بقاء لهم سوى | سبل الضراعة يسلكون سواءها

ومنها :

أيه بلنسية وفي ذكراك ما | يمري الشؤون دماءها لا ماءها
كيف[1] السبيل الى احتلال معاهد | شبّ الاعاجم دونها هيجاءها
والى ربى وأباطح لم تعر من | حلل الربيع مصيفها وشتاءها
طاب المعرّس والمقيل خلالها | وتطلعت غرر المنى اثناءها
بأبي مدارس كالطلول دوارس | نسخت نواقيس الصليب نداءها

ولا نستطيع أن نحدّد ما اذا كانت هذه القصيدة سابقة على السينيّة ام تالية لها .

---

[1] من هنا تبتدأ رواية الديوان .

٣ - حياته في أفريقيـــــة :

(١) تمهيد تاريخي :

تولى بنو أبي حفص (وهم من اشياخ الموحدين) عمالة افريقية سنة ٦٠٤ / ١٢٠٧ وذلك بعد ان عين الناصر الموحّدى احد ابناء ابي حفص عمر الهنتاني [1] عليها اثر هزيمته لبني غانية ، ثم وليها بعض ولاة الموحدين الى ان قام العادل بتعيين ابي محمد عبد الله بن أبي محمد عبد الواحد عليها ، غير ان أبا محمد هذا رفض أخذ البيعة للمأمون اثر قتله لاخيه العادل ، فعقد المأمون لاخي أبي محمد وهو الشيخ أبو زكرياء ، وكان على ولاية قابس ، على افريقية وادال به من اخيه وذلك سنة ٦٢٤ / ١٢٢٦ .

وكان على أبي زكرياء الحفصي ان يعمل كثيرا قبل ان يوطد دعائم ملك مستقل عن الدولة الموحدّية ، وقد ساعده على ذلك مركز عائلته وقبيلته من جهة وضعف شأن الموحدّين وتشتت امرهم من جهة اخرى .

تولى ابو زكرياء حكم تونس ، بعد ان دمّر اقتصادها وتجارتها العرب الهلاليون ، وبنو غانية حلفاؤهم فيما بعد ، وكانت تونس قبل دخول العرب الهلالية من اهم مراكز التجارة ،

---

[1] كان أبو حفص هذا من اهل العشرة (الجماعة) وله فضل كبير على الدولة الموحدية ، وقبيلته هنتاتة وافرة العدد جمّة الشعوب . انظر : التنظيمات الحزبية عند الموحدين في المغرب لعز الدين أحمد موسى (مجلة الابحاث الصادرة عن الجامعة الاميركية في بيروت ، السنة ٢٣ ، الاجزاء ١ - ٤ ، كانون الاول ، ١٩٧٠) : ٥٦ وما بعدها ، وفيها ذكر لمصادر اخرى .

فهي عدا عن كونها مرفأ بحريا يقابل جزيرة صقلية وبلاد الافرنجة ، تقع على طريق الحج والتجارة الى مصر مما ساعد على دخول الصنائع والعلوم وسائر رسوم العمران اليها [1] ، فعمل ابو زكرياء على ان يعيد لتونس سابق مجدها . ويرى لاكوست [2] أن تحول طرق الذهب من الصحراء الشرقية الى الصحراء الغربية بسبب التغيّر الطبيعي وعوامل التصحّر ، كان احد الاسباب الاساسية لانطلاقة المغرب في بداية القرن التاسع حيث بدأت دول المغرب تتطور بنجاح ، فعلى محاور التجارة هذه ، قامت المدن والمحطات التي كانت غالبا تتحول الى عواصم مختلف الدول التي تطورت في المغرب مثل فاس على طريق اسبانية وتلمسان وتاهرت والقلعة وقسطنطينة والقيروان ، وكانت كل دولة تجهد للتقليل من دور المدن المنافسة للسيطرة على تجارة الذهب الذى كان العامل الاساسي في اقتصاد المغرب . ولهذا عمل أبو زكرياء على توطيد الامن اولا على طول طريق التجارة وعلى بسط سلطته على القبائل وضمان ولائها وهذا ما كان قد بدأ به اسلافه اذ عهد اليهم الخليفة الموحدى بهذا الامر . ثم استغلّ أبو زكرياء ضعف الخليفة الموحدى واطراحه لذكر اسم المهدى فانفرد بتدبير امر

---

[1] انظر مقدمة ابن خلدون : ٦٥٢ و ٧١٧ .

[2] ايف لاكوست ، العلامة ابن خلدون (ترجمة الدكتور ميشال سليمان ، دار ابن خلدون ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٧٨) : ٢١ - ٢٣ ، وانظر بوفيل ، الممالك الاسلامية في غرب افريقية وأثرها في تجارة الذهب (ترجمة الدكتور زاهر رياض ، مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ، ١٩٦٨) : ٩٣ - ١١٣ وصفحات متفرقة اخرى . وموريس لومبارد في مقالته عن الذهب في العالم الاسلامي في : Annales E.S.C.2 (1947), pp. 143-160.

تونس واعلن استقلاله سنة ٦٣٤[1] وتلقب بلقب امير وادخل اسمه في خطبة الجمعة ، وقد كان ابو زكرياء مهيأ لوراثة ابمراطورية الموّحدين لما كان لجدّه من سلطة ودالّة وسطوة ولولاء بني ابي حفص للدولة ولموءسسها .

وقد ادت الاحداث في الاندلس الى هجرة جماعة كبيرة من العلماء والفقهاء ورجالات الادب والفكر الاندلسيين[2]، الى تونس فوجدوا في ظل دولته الفتيّة ملاذا وملجأ فحباهم بعطفه وبوأهم ارفع المناصب ، وقد كان لهذه الجالية الاندلسية شأن كبير في ازدهار الحضارة في افريقية،يقول ابن خلدون : "[3] ولما استبد بنو أبي حفص بافريقية وكان شأن الجالية من الاندلس نقدم عليهم اهل البيوتات وفيهم من كان يستعمل ذلك في الاندلس (يعني وظائف

---

1 راجع في تفصيلات هذه الاخبار البيان المغرب (تطوان) : ٢٧١ — ٢٧٦ ، وما بعدها ، ابن خلدون ، العبر ٦/ ٥٩١ وما بعدها ، الفارسية : ١٠٥ — ١٠٩ ، الزركشي ، تاريخ الدولتين : ١٥ — ٢٧ .

Brunschvic, La Berbérie Orientale Sous les Hafsides des Origines â la Fin du XV Siécle (Paris, 1940), pp. 20-45.

C.A. Julien, History of North Africa (Translated by John Petrie, London, 1970), pp. 140-142.

Abun -Nasr, Jamil , A History of the Maghrib (Cambridge, 1971) pp. 137-140.

الفرد بل ، الفرق الاسلامية : ٢٩٦ — ٣٠٦ .

2 انظر مقدمة محمد الحبيب ابن الخوجة على كتاب "منهاج البلغاء وسراج الادباء" لحازم القرطاجني (دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ١٩٨١) : ٦٠ — ٧١ .

3 مقدمة ابن خلدون : ٤٣٤ ، ٦٦٠ ، وراجع : عن الحضارة العربية بافريقية : ٢٦٢ — ٢٧٠ .

الدولة) مثل بني سعيد اصحاب القلعة جوار غرناطة المعروفين ببني ابي الحسن فاستكفوا بهم في ذلك ، وجعلوا لهم النظر في الاشغال كما كان لهم بالاندلس، ودالوا فيها بينهم وبين الموحدين" وقد انتقل الى المغرب "منذ دولة الموحدين من الاندلس حظ كبير من الحضارة واستحكمت به عوائدها بما كان لدولتهم من الاستيلاء على بلاد الاندلس، وانتقل الكثير من اهلها اليها طوعا وكرها .... ثم انتقل اهل شرق الاندلس عند جالية النصارى الى افريقية فابقوا فيها وبأمصارها من الحضارة آثارا ، معظمها بتونس ، امتزجت بحضارة مصر وما ينقله المسافرون من عوائدها فكان بذلك للمغرب وافريقية حظّ صالح من الحضارة".

وعلى الاثر اضحت الحركة العلمية والفكرية في تونس في أوج نضجها ، اذ التقت المدرسة الاندلسية بما تحمله من فلسفة يونانية وثقافة عريقة في شتّى حقول المعرفة ، ونضج في مختلف نشاطات الفكر العربي الاسلامي ، بثقافة افريقية ما زالت قيد النمّو بعد التخريب الذى احدثه الهلالية في مظاهر العمران كلها . فغدت تونس حلقة وصل وتفاعل ثقافيين وقامت بالدور الذى كانت تقوم به مدينة سبتة في القرنين الخامس والسادس الهجريين .

وقد عني الامراء الحفصيون بمعاهد العلم والمدارس والزوايا ، فانتشرت في انحاء المملكة .[1] وبسطوا سلطة الدولة على طرق التجارة والحج واعتنوا بتأمين الخدمات وجرّ المياه وتفننّوا في ذلك . ويكفي ان نذكر ما انجزه ابو زكريا يحيى وابنه المستنصر

---

[1] وهذا بتأثير من جالية شرق الاندلس .

في هذا المجال .[1]

(٢) ابن الآبار في افريقيـــة :

توجه ابن الابار اذن بصحبة عائلته[2] الى مدينة تونس حاضرة الخلافة الحفصّية "غبطة باقبال السلطان عليه"[3] وكان اول نزوله بمرسى بنزرت.[4] وقد ذكر الغبريني انه دخل بجاية اول نزوله ، قال[5]: وكان اول وصوله من الاندلس الى العدوة رسولا عن والي بلنسية وقضى رسالته عند ملك افريقية في حديث طويل ، ورجع الى الاندلس، ثم رجع الى العدوة قاصدا استيطانها ، فتخيّر سكنى بجاية ثم استدعاه امير المؤمنين المستنصر الى حضرته فاعجبه منطقه ورواؤه ورأى من نبله وفضله اضعاف ما قدّر ان يراه"... ولم يذكر احد ممن ترجم لابن الابار انه دخل بجاية أول نزوله. وقد كان ابن خلدون واضحا حين قال عندما ذكر خلافه

---

1 انظر العبر ٦/ ٦٢٨ ـ ٦٣١ وما يلي ، والفارسية : ١٠٧ ـ ١٣٤ ، وتاريخ الدولتين : ٢٣ ـ ٤٠ ، ونفح الطيب ٢/ ٢٠١ ـ ٢٠٨ ، ٢٧٣ ، ٣٢٢ ، ٥٨٤ ـ ٥٩٠. وراجع فهارس برونشفيق Bruchvig ، وكتاب الطاهر المعموري ، جامع الزيتونة ومدارس العلم في العهدين الحفصي والتركي (الدار العربية للكتاب، ١٩٨٠) : ٢٣ ـ ٤١ وصفحات اخرى متفرقة.

2 قال اثناء ترجمته لابي عبد الله ابن الوزير البطرني : " وانتقل معي وكان صهري الى مدينة تونس وبها توفي" التكملة ٢/ ٦٤٧ (١٦٦٨) والذيل والتكملة ٦/ ١٥٨ (٤٢٣)

3 العبر ٦/ ٦٥٣ .

4 العبر ٦/ ٦٥٤ ، وبنزرت مدينة بافريقية بينها وبين تونس يومان وهي من نواحي شطفورة. معجم البلدان ١/ ٤٩٩ ، والروض المعطار : ١٠٤ .

5 عنوان الدراية : ٣١١ .

مع ابن ابي الحسين العنسي [1] انه يرجع الى زمان نزوله ببنزرت لما قدم في الاسطول من بلنسية. هذا وقد ذكر ابن عبد الملك المراكشي ان ابن الابار بعد ان وفد على الامير ابي زكرياء وانشده قصيدته السينية "عاد الى مرسله فالفى الاحوال قد اعضل داؤها، وقواعد البلاد قد غلب عليها اعداؤها، فتركها هاجرا وقصد حضرة تونس مهاجرا، فأقبل السلطان عليه وصرف خطة الكتابة العليا اليه" [2]. قال ابن خلدون : [3] "فنزل منه بخير مكان، ورشّحه لكتب علامته [4] في صدور رسائله ومكتوباته".

ولم يكن ابن الابار سوى واحد من تلك الجالية الاندلسية التي حطت رحالها في حضرة الحفصيين، ولكنه كان احد اعلامها البارزين، وكان يرى في الدولة الحفصية الفتيّة وما استطاعت ان تقوم به من انجازات في فترة وجيزة، وفي جمع كلمة المسلمين في افريقية بعد ان درس الزرع وجف الضرع نتيجة الغزوات والحروب المتتالية، كان يرى في كل هذا بابا واسعا للامل لفك طلاسم غربته ووحدته ولاستعادة ما سقط في الاندلس والوقوف في وجه الحملات المسعورة التي كانت تتوالى على مدنها وحصونها.

---

[1] انظر ما يلي ص ١١٢ - ١١٣.

[2] الذيل والتكملة ٦/ ٢٦٩.

[3] العبر ٦/ ٦٥٣.

[4] كان منصب كتابة العلامة من ارفع المناصب في البلاط الحفصي وكان كاتبها يعتبر بمثابة الوزير، وهو الذي يوقع على صدر مكتوبات الامير " وعليه المعول في اصدار الاوامر وصبغها بصبغة رسمية". انظر مقدمة ابن خلدون : ٤٢٧، ٤٣٦، ٤٣٨ - ٤٣٨، وابن الاحمر مستودع العلامة : ١٧ - ٢٤، و

Latham, J. Derek " Ibn al-Aḥmar's Kitāb Mustawdaᶜ al-ᶜAlāma : Towards a Commentary on the Author's Introduction", Studia Arabica et Islamica, edited by Wadād al-Qāḍī, (American University of Beirut, Beirut, 1981), pp. 313 - 332.

وقد عايش ابن الابار عددا غير قليل من "زملائه" الاندلسيين المهاجرين الى تونس ، ولعلهم كانوا ينافسونه في الوصول الى مناصب الدولة والتقرب من السلطان خاصة أولئك الغيورون منه لعمله مع بطانة الملك ، ونعرف من هؤلاء الاندلسيين الوافدين ، وكانوا اصحاب حضارة وعلم اكثرهم من بيوتات عربية عريقة ، الرئيس أبا عبد الله ابن الحسين العنسي الذى كان له دور كبير في تغريب ابن الابار الى بجاية كما سيمّر معنا [1] ، وقد بلغ من شدّة توجّس ابن الحسين هذا من كل طامح أو مؤمل قرب من السلطان ان أخر ابن سعيد وأباه عن خطتي المظالم والكتابة بعد أن وجد الوشاة متّسعا للقول بينهم . [2] *

ومن ابرز هؤلاء الاعلام ابو الحسن حازم بن محمد بن الحسن الأوسي القرطاجني (٦٠٨ - ٦٨٤/ ١٢١١ - ١٢٨٥) [3] الذى قصد بر العدوة اثر اختلال الامر في شرق الاندلس وأقام في تونس اخيرا . وكان يجمع بين الثقافة الاسلامية الاصولية من فقه ولغة وحديث ورواية للادب والاخبار وبين الثقافة الفلسفية اليونانية التي يبدو انه حصّل اصولها عن طريق

---

١ انظر ص١١٢ فيما يلي .

٢ نفح الطيب ٢/ ٢٧٧ - ٢٧٨ .

* قال ابن سعيد : "ولما انشد أبوعبد الله ابن الابار كاتب ملك افريقية لنفسه :

لله دولاب يدور كأنه فلك ولكن ما ارتقاه كوكب (الابيات)

حلف أبوعبد الله ابن ابي الحسين ابن عمي ان يصنع في ذلك شيئا فقال :

ومحنية الاضلاع تحنو على الثرى وتسقي نبات الترب درّ الترائب (الابيات)

(نفح الطيب ٢/ ٢٨٧) . وهذا يدل على ان الغيرة والتنافس كانا في مختلف المجالات السياسية والادبية .

....

٣ انظر مقدمة "منهاج البلغاء وسراج الادباء"، وقد ذكر محققه مصادر ترجمته : ٣٣ — ٤٣ . وراجع ترجمته في سمط المقال، ق / ٩٣أ — ٩٦ ب ؛ وقد حقق ديوانه الاستاذ محمد الحبيب ابن الخوجة، تونس، ١٩٧٢ ؛ وانظر الفصل القيّم الذى عقده الدكتور احسان عباس في كتابه : " تاريخ النقد الادبي عند العرب — نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجرى" (دار الامانة ومؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٧١) : ٥٣٩ — ٥٧٣ ، ودراسة :

Wolfhart von Heinrichs , Arabische Dichtung und griechische Poetik, Hazim al-Qartağannis Grundlegung der Poetik mit Hilfe Aristotelischer Begriffe (Orient-Institut, BTS. 8, Beirut, 1969).

الفلاسفة المشرقيين كابن سينا والفارابي والاندلسيين كابن طفيل وابن رشد ، فغدا حازم ملتقى الروافد الاسلامية والهيلينية . وقد استطاع بثاقب بصره ان يسبر غور الوضع الثقافي النقدي في عصره ، بالدرس والتحليل وعمق الروءية فانتج ـ في محاولة لتدارك الانحطاط ـ كتابه الفريد في النقد . " فقد بدأ وامامه تراث كبير من النقد القائم على الطريقة العربية وبين يديه تلخيص ابن سينا لكتاب الشعر ، ومن المزاوجة بين هذين التراثين ، حاول ان يرسم "منهاجا" للبلغاء وان يوقد "سراجا" للادباء".[1] وقد تبوأ حازم مكانا مرموقا عند المستنصر الحفصي وسلّمه ديوان الانشاء، ويبدو ان ابن الابار كان على علاقة طيبة مع حازم وجمعتهما العصبيّة البلديّة للاندلس ووشايات الحسّاد . ويقول ابن الطواح في ترجمته لحازم بعد ان ذكر ان حازما لا يرض ان يكون قسيم المتنبي ولا في ميدان البيان غريمه : " وطبقته في الشعر عالية لم يحل بلدنا من الاندلسيين اشعر منه" ثم قال : " وكلاهما (يعني أبا الطيب المتنبي وحازما) في فنّه مليح غير ان ابا الطيب فيه رقّة وجزالة لا يلتحق بها احد من ابناء جنسه، ورتبة أبي الحسن متقدمة على كل من في عصره ومن بعده من اهل مصره ، واين رتبة الابار من رتبته أو منزلته العليا من منزلته؟ بينهما ما بين السها والقمر والعين والاثر ، اذ لا تقاس داره بداره ولا مقداره بمقداره ، وذلك فضل الله يوءتيه من يشاء".[2]

---

[1] تاريخ النقد الادبي عند العرب : ٥٤١ .

[2] سبك المقال ، الورقتين/ ٩٣ ب ، ٩٤ ب ، وقد جعل ابن الطواح وفاة حازم سنة ٦٨٩ من شهر رمضان المعظم . (الورقة / ٩٨ أ) . وقال المقرى في النفح ٢/ ٥٨٩ : " كان هو والحافظ أبو عبد الله بن الابار فرسي رهان ، غير ان ابن الابار كان أكثر منه رواية".

أما العلم الثاني فهو أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي (٥٨٢ — ٦٥٨/ ١١٨٦ — ١٢٥٩)[١]، وهو شيخ ابن الابار اذ يكبره بثلاث عشرة سنة وقد جمعهما الاخذ عن الشيخ الجليل ابي الربيع ابن سالم وقرّب بينهما ملازمته وصحبته . كما عملا سويا لدى ولاة بلنسية في خطة الكتابة وقضيا سويا بضع سنوات في اشبيلية كما سبق وذكرنا ، غير ان الاسباب فرّقت بينهما اذ آثر ابن عميرة مغادرة بلنسية (سنة ٦٢٩) والانضمام الى ابن هود الذى ولّاه قضاء شاطبة ثم تعددت أسفاره وشغل عدّة مناصب في شرق الاندلس في ظل حكم ابن هود . غير ان وفاة ابن هود واضطراب الامر على ابنه من بعده استدعيا دخول زيّان بن مردنيش، وكان قد ازعج عن بلنسية الى مرسية في رمضان سنة ٦٣٦ فعمل ابن عميرة كاتبا في بلاطه . وطوّف ابن عميرة بعد ذلك في غرناطة وسبتة وهو في طريقه الى بر العدوة حيث واصل حلّه وترحاله في كثير من مدن المغرب وافريقية الى ان حط عصا الترحال اخيرا في تونس بعد عام ٦٤٧ اثر تولي المستنصر . وقد كان ابن الابار وابن عميرة يتبادلان الرسائل طوال هذه الفترة فيما يبدو . وكان ابن عميرة قد نزل بجاية في أحد شهرى جمادى من سنة ٦٤٦[٢]، ثم غادر الى بلاط المستنصر، وكان يحضر مجالس أنسه ، قال ابن عبد الملك المراكشي :[٣]

---

١ انظر كتاب الاستاذ محمد بنشريفة عن أبي المطرف بن عميرة ، وراجع ترجمته في الذيل والتكملة ١/ ١٥٠ (٢٣١) .

٢ راجع ما يلي ص : ١١٥ — ١١٨ .

٣ الذيل والتكملة ١/ ١٧٩ — ١٨٠ ، وانظر "ابن عميرة" ص : ١٥٣ — ١٥٤ .

"فيذكر انه داخله مداخلة انكرها المستنصر وحاشيته عليه ،حتى ليؤثر من كلام المستنصر في حقه وقد سئل عنه : ذلك رجل رام افساد دنيانا علينا فافسدنا عليه دينه ! وكانوا يرون ان تشبعه بتلك العلوم القديمة التي كان يتعاطى منها ما لا يحسن أخلّ به في معتقده ، وقاده الى فساد دخلة هوالله اعلم بسريرته".

غير ان المستنصر لم يقصه كما قد يوحي هذا النص لأنّا نجده يكتب رسالة عن السلطان باستدعاء ابن الابار من بجاية،وكان منفيا هتاريخها سنة سبع وخمسين وستمائة.[1] غير ان الود لم يستمر طويلا بين الرجلين ، اذ يبدو ان ابن عميرة "كان ممن يعين عليه ايام محنته ، وقد اظهر بخطه قبائح كانت سما ذعافا له"[2] على حد قول ابن الطوّاح ، ولنا في تفصيل هذا حديث آخر،غير ان ما يعنينا هنا هو ذكر تفرد ابن عميرة في كتابة الرسائل الديوانية والاخوانية وعلو كعبه فيها وتفننه في تحليتها بضروب البلاغة والبديع حتى غدا "علمها المشهور ، وواحدها التي عجزت عن الاتيان بثانيه الدهور ، ولا سيما في مخاطبة الاخوان ، هنالك استولى على امد الاحسان ، وله المطوّلات المنتخبة ، والقصار المقتضبة ، وكان يملح كلامه نظما ونثرا بالاشارة الى التواريخ ويودعه الماعات بمسائل علمية منوعة المقاصد تشهد بتمكنه في المعارف على تفاريقها".[3]

---

[1] عنوان الدراية : ٢٩٩ - ٣٠٠ ، وانظر ما يلي : ١١٦ - ١١٧ .

[2] سبك المقال ، الورقة / ٩٦ ب .

[3] الذيل والتكملة ١/ ١٥٢ ، ويرى ابن الطواح انه لم يكن في رتبة حازم وابن الابار "بل شلوه عنهما مقصّر" سبك المقال ، الورقة / ٩٧ ب .

ومن هؤلاء الاعلام ايضا علي بن موسى بن سعيد القلعي صاحب "المُغرِب" و"القدح المُعلّى" وغيرها (٦١٠ - ٦٨٥/ ١٢١٤ - ١٢٩٤) [1]، وقد مرّ ابن سعيد على تونس اثناء تجواله الكثير الذى تعدّى فيه حدود الاندلس والمغرب الى مصر والمشرق واقام في تونس على ما يبدو حوالي ١٤ سنة في الوفادة الاولى تولى اثناءها خطة قراءة المظالم. ومؤلفات ابن سعيد تنيف على الاربعة والعشرين مؤلفا تتراوح بين التراجم الادبية والمختارات الشعرية وتاريخ الادب، سجل فيها مشاهداته في رحلته ولقاءاته بالملوك والسادة الجلّة والادباء والشعراء فأتت ديوانا ضخما سجل فيه ملامح عصره الحضارية والثقافية والفكرية. وقد التقى بابن الابار اثناء مقامه بتونس قال: " ولي معه مجالسات آنق من خلق الشباب، وابهج من الروض غبّ نزول السحاب، ولم اجتمع به الا في هذه الحضرة العلية، وبقيت من فوائده في النفس بقيّة". [2] ومن هؤلاء العلماء نذكر آل التجاني [3] الذين كان ابن الابار على علاقة وطيدة معهم، فجلهم قد أخذ عنه وحمل روايته. وهم بيت نباهة وعلم وسياسة وكانت لهم مع ابن

---

١ له ترجمة في اختصار القدح المعلى ١ - ١١، المغرب ٢/ ١٧٢، الذيل والتكملة ٥/ ٤١١ (٦٩٧)، المسالك ٨/ ٣٨٢، الفوات ٢/ ١٧٨، الاحاطة ٤/ ١٥٢، الديباج ٢٠٨، بغية الوعاة ٢/ ٢٠٩، نفح الطيب ٢/ ٢٦٢ وما بعدها. وانظر الفصل الذى كتبه عنه الدكتور حسين مؤنس (تاريخ الجغرافية والجغرافيون في الاندلس، مطبعة معهد الدراسات الاسلامية، مدريد، ١٩٦٧): ٤٦١ - ٤٩٦، وتاريخ النقد الادبي عند العرب للدكتور احسان عباس: ٥٣٢ - ٥٣٨.

٢ اختصار القدح المعلى: ١٩١.

٣ انظر سبك المقال، الورقات/ ٨١ أ - ٩٠ ب، ورحلة ابن رشيد (الاسكوريال رقم: ١٧٣٥) ق/ ٥ - ٤٠، ومقدمة الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب على رحلة التجاني (الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، ١٩٨٠) ومستودع العلامة: ٣٤.

الابار مواقف مشرفة ، وكان ابو اسحاق التجاني قد انتصر لابن الابار حينما أنشد مذهبته السينية عند قدومه الى الحضرة مستصرخا وذلك اثر ان انتقدها جماعة من الادباء ، بتأليف سماه " موازرة الوافد ومبارزة الناقد في الانتصار لابن الابار في قوله : ادرك بخيلك خيل الله أندلسا ". [1]

لم يكن الامير ابو زكرياء يحدب على أهل الادب والعلم فحسب بل كان هو نفسه "ملكا" جزلا سعيدا حليما فاضلا مدركا عاقلا عالما مجيدا شاعرا ، مدبرا للامور بالمعرفة والدهاء ، مطابقا للادباء النبهاء نقدا في البلاغة والبراعة ، بارع النظم والنثر حسن الالفاظ في البلغاء". [2] وقد ذكر بعضهم انه ترك بعد وفاته ستة وثلاثين الف سفر من الكتب. [3] وقد كانت ايامه خير ايام واكثرها سعادة وادرها ارزاقا واكثرها افراحا، ونام الناس معه على مهاد العافية واكتسبوا الاموال واكثروا الخراسات. [3]

---

[1] رحلة ابن رشيد (الاسكوريال رقم : ١٧٣٥) ٢٤ أ وقارن بمقدمة رحلة التجاني ص: يه .

[2] قارن بالفارسية : ١١٢ ، والبيان المغرب (تطوان) : ٣٩٤ وقد أثبت له رسالة نهويّة ليستدل بها على فضله وبديع قوله .

[3] قارن بالفارسية : ١١٢ و ١١٣ .

في ظل هذا "الخليفة" عمل ابن الابار ونال خطوة في بلاطه.[1] ويتبين لنا من خلال

---

١ أورد هنا حادثة ذكرها التجاني في رحلته للدلالة على المكانة التي كان يتمتع بها ابن الابار عند السلطان ، قال : " كان الامير ابو زكرياء رحمه الله استدعاه (يعني أبا عمرو عثمان بن عتيق القيسي) مع جماعة من خواصه وشعرائه لنزهة في رياضه المسمى بأبي فهر فنظموا في وصفه قصائد ورفعوها الى الامير أبي زكرياء فاجابهم بأبيات تتضمن تفضيل شعر أبي عمرو هذا على شعر جميع من حضرها وفيهم ابن الابار وغيره. وأبيات الامير أبي زكرياء رحمه الله تعالى هي :

الا ان مضمار القريض لمتـــــــد	به شعراء السبق أربعة لدّ
فأما المجلّي فهو شاعر جمّـــــه	أتى اولا والناس كلهم بعد
وأما المصلّي فهو حبر قضاعـــــة	بآدابه تزهو الامارة والمجـــــد
وأما المسلي فالمعاوى أمّـــــه	أتى ثالثا لكن بلين ويشتـــــد
وبعدهم الكومي أقبل تاليــــــا	وكم جاء سباقا مسوّمه النهـــــد
هم علماء الناس ما منهم غنـــــى	وهم شعراء الملك ما منهم بـــــدّ

وحبر قضاعة هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي ابن الابار ، والمعاوى هو الفقيه الخطيب أبو القاسم ابن معاوية اليحصبي كنيته اسمه ويكنى ابا الفضل ، والكومي هو أبو زكرياء يحيى بن محمد بن الغليظ". الرحلة ص ٣٧٥ — ٣٧٦.

قال ابن هذيل في "حلية الفرسان وشعار الشجعان" (تحقيق محمد عبد الغني حسن ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥١) : ١٤٤ — ١٤٥ : "وروى الواقدى عن موسى بن محمد عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي السبق عشرة افراس ، وما كان اكثر لم يعطه شيئا ، وكانت العرب في الجاهلية لا تجعل القصب في زمانها الا سبع قصبات ... ويسمون الاول "السابق" و "المهزز" و "المجلي" ... ويسمّون الثاني "المصلّي" لوضعه جحفلته على صلا السابق وهو عرق في ظاهر جهات الفخذ ... والثالث "المسلي" واشتقاقه من السلّو كأنه سلى صاحبه حيث جاء ثالثا". وانظر شرح كفاية المتحفظ للفاسي (تحقيق الدكتور علي حسين البواب ، دار العلوم ، الرياض ، ١٩٨٣) : ٣٠٢ — ٣٠٧.

دراستنا لديوان شعره أنه وقف اكثر شعره أثناء مقامه بتونس على مدح الخليفة وتتبع مختلف شؤونه ومعاركه وانتصاراته، وكان يصدر في شعره عن عاطفة صادقة نحو أبي زكرياء يحيى الذى رأى فيه ملكا قادرا على توحيد المغرب (الشمال الافريقي) وعلى ردّ عدوان النصارى والثأر لاهل الاندلس والحفاظ على وحدة الجماعة الاسلامية والذب عن بيضتها ، من هنا نجد ان ابن الابار كان أكثر من مجرد كاتب "الخليفة"، بل تعدى هذا الدور ليحاول ان يضطلع بدور سياسي أكبر يرتبط بوعي تاريخي في تلك الفترة الحالكة من عمر الجماعة الاسلامية ، وكان يصدر في شعره عن هذا الوعي محاولا ان يكون شاعر الحضرة الذى يرسّخ في شعره "أيديولوجية الدولة" عن طريق ابراز معاني الفتوح والجهاد والانتصارات والدفاع عن الجماعة الاسلامية وعقيدتها التوحيدية في وجه قوى الشرك والكفر، كما كان يحاول أن يستنهض همة " الخليفة" لنصرة اهل الاندلس . ولهذا نجده لا يغادر مناسبة الا ويركز هذه المعاني وأكد على تأييد ومبايعة اهل الاندلس للامام الحفصي ، ويصبح كل انتصار - مهما كان ضئيلا - فتحا اسلاميا جديدا يضاف الى فتوح الخلفاء الراشدين، ويصبح كل تطويع لقبيلة ندّت عن طاعة السلطان بمثابة نصر للجماعة وللعقيدة . ولم يكن هذا الارتباط بالسلطان يهدف الى الكسب المادى والرفعة ، بل كان فيما أرى تعبيرا صادقا عمّا كان يتوخاه ابن الابار من تلك الدولة الناشئة ومن ملكها العالم المكافح وكان تعبيرا عن وعي ابن الابار التاريخي وشعوره باهمية وحدة الجماعة في عصر كان الانهيار فيه هو السمة الفارقة في الغرب الاسلامي .

---

[١] انظر الفصل الثاني .

غير ان الايام لم تكن لتوءاتي ابن الابار طويلا ، فلقد كان العمل السياسي في مراكز البلاط الحساسة يحتاج لكثير من الدهاء خاصة في دول المغرب ، حيث تقوم الدولة على ائتلاف مجموعة من القبائل ، غير انه سرعان ما تسيطر قبيلة على هذا الائتلاف وتستأثر بالحكم ، وداخل هذا التركيب القبلي تتداخل شبكة من المصالح تتزعمها الارستوقراطية العسكرية - التي قد تتشكل من روءساء ووجهاء قبائل متعددة - والارستوقراطية التجارية المتحالفة معها ، ويصبح بيد تحالف هاتين الارستوقراطيتين امكانية السيطرة على بيروقراطية الدولة والاستئثار بالحصة الاكبر من الوظائف . وفي ضمن هذه الشبكة التي تسيطر على الدولة تصبح الدسائس والمكايد والاغتيالات امرا مشروعا أمام كل من يحاول الوصول الى السلطة ، او الحفاظ على مصالحه القبلية والتجارية .[1] وقد كان على ابن الابار ان يحمل بكثير من الدهاء والحذق ان شاء أن يستمر في وظيفته في البلاط . يضاف الى هذا أن الصراع بين البلدين والاندلسيين كان شديدا ، فلقد وجدت هذه الارستوقراطية الحاكمة ، ضمن التحالف الارستقراطي بين التجار والاسياد القبليين ، ان هجرة رجال القلم والفكر الاندلسيين تشكل خطرا اساسيا على بنية هذا المجتمع وبالتالي على مصالحهم المباشرة ، لما ناله الاندلسيون من حظوة عند الحكام كثيرا ما كانت بسبب من رغبة الحاكم في ضرب مراكز القوى التي تحيط به باسناد هذه

---

[1] راجع في بنية المجتمع الشمال الافريقي : ايف لاكوست ، ابن خلدون : ٢٤ - ٤٠ ، وقد كان تعويلي عليه فيما كتبته هنا وان لم اتطرق لكثير من المسائل التي اثارها لاكوست وناقشها .

الوظائف الى هؤلاء وتقريبهم منه .

لم يكن ابن الابار مهيأ - فيما يبدو - بحكم خشونة طباعه واعتداده بنفسه لان يحسن التصرف ويتدبر الامور بحكمة ورويّة لئلا يكون هدفا لهذه المؤامرات والمكايد السياسيّة ، يقول ابن الحوّاط اثناء ترجمته لابن الابار في مجال عقد المقارنة بينه وبين حازم القرطاجني : "وكان الفقيه الاديب المجيد الحافظ الضابط أبوعبد الله ابن الابار القضاعي عكسه في طباعه لم يلف الّا ضجرا فيما يقال عنه وتحقق من لدنه ، مبالغ في ذم الزمان اذ لم يكن صاحب العلامة والقلم الاعلى ولم يخصّ بتلك الكرامة ولم يكن طبعه يجنح للحكمة ولا يقبلها ، وقد غلب عليه حبّ الرئاسة ، فجرى له ما جرى واعتراه بحسده ما اعترى". [1] وقد وصفه ابن خلدون بانه كان فيه "أنفة وبأو وضيق خلق". [2] وأرى ان هذا الطبع الذى يميل الى التهكم الساخر احيانا واللاذع مرارا انما يعود الى عاملين كنت قد اشرت الى الاول منهما عند حديثي عن تكوينه الثقافي والنفسي حيث ذكرت ان عدم الاستقرار السياسي وتسارع الاحداث وما نتج عنهما من مآس ونكبات وهزائم متلاحقة وسمت عصر ابن الابار بميسم التفكك الحضاري ووسمت نفسيته بطابع من الحدّة والمرارة . أما العامل الثاني فهو عامل تكويني سيكولوجي اذ كان يلقب " بالفأر" مما قد يشير بالاضافة لما قد يحمله هذا اللقب من معنى الخبث والنميمة ، الى ما كان لتكوينه وشكله من آثار نفسية عليه ، فالفأر يُحمل على الضآلة مما قد يوحي أن ابن الابار

---

[1] سبك المقال ، الورقة / ٩٦ ب .

[2] العبر ٦/ ٦٥٤ .

كان ضئيلا صغير الجسم نحيل الوجه مما وسمه بطبع حاد قلق .[1] فهل نستطيع على ضوء هذا ان نتخيّل كيف كانت تصرفاته مع أقرانه واترابه أيام الدراسة ، وعند الشيخ أبي الربيع ابن سالم . هل كان حاد الطباع يتهكم على زملائه فيشاكسهم ويعاديهم ويسخر منهم ؟ وهل لاحظ فيه شيخه هذا الطبع وحاول توجيهه ؟ فقد قال فيه ابو الحسن علي بن لبّ بن شلبون[2] وهو ممن "روى عن أبي الربيع بن سالم واختص به".

---

١ انظر مقدمة الدكتور حسين مؤنس على الحلة السيراء . وقد بنيت نظرية الانماط typologies على المظاهر الخارجية أوعلى الاصل الجنسي وعلى شكل الجسم الاجمالي ، وعلى العمليات الفسيولوجيّة المختلفة ، وعلى القابلية لمختلف انواع الذهان الوظيفي ، وعلى الميول الادراكية وعلى اختيار طريقة الحياة ، وكانت اول نظرية للانماط هي النظرية القديمة للامزجة الاربعة التي نسبت الى "أبقراط". وهذه الاخلاط التي يتوقف على توازنها صحة الجسم هي : الدم والبلغم والمرارة والصفراء . وقد وصف الرجال النحفاء بانهم منطوون متعصبون (اى عصبيون) ومؤثرون للعزلة (كريتشمر)
Bernard. Notcutt., The Psychology of Personality, London, Methnen, 1953).
وقد ترجمه الى العربية الدكتور صلاح مخيمر وعبده مخائيل رزق (مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٩) : ٧٦ — ٧٧ .

٢ قال ابن عبد الملك المراكشي عند ترجمته لابن شلبون : " قدم مراكش واستعمل على خزانة الكتب بها ، وكان فقيها راوية ذا حظّ من الادب وقرض الشعر ، موسرا كثير الاحسان لقاصديه مطعاما واسع المعروف". (الذيل والتكملة ٥/ ٢٧٤ (٥٠٥))، وقال ابن الابار في تحفة القادم : " كان من الادباء النجبـــاء " وقد كتب لولاة بلنسية ووزر لمحمد بن يوسف بن هنود أول ثورته سنة خمس وعشرين وستمائة". فمعرفة ابن الابار به معرفة قديمة منذ ايام الطلب في ملاعب بلنسية ، ويبدو انه أصاب شيئا مما كان ابن الابار يوزعه على اقرانه من تهكم وقسوة . (المقتضب من تحفة القادم : ١٥١) .

لا تعجبوا لمضّرة عمّت جميـ ع الخلق صادرة عن الآبّار[1]

او ليس فأرا خلقة وحقيقـة والفأر مجبول على الاضرار

فقال ابن الابار :

قل لابن شلبون مقال تنزّه غيرى يجاريك الهجاء فجـار

" انّا اقتسمنا خطّتينا بيننـا فحملت برّة واحتملت فجـارى"[2]

وتظهر لنا رواية اوردها الغبريني احدى تهكمات ابن الابّار ،قال اثناء ترجمته لابي بكر محمد بن احمد ابن محرز[3]، " ولقد اتفق في وقت الحضور للصلاة عليه ان الامام المذكور (يعني أبا الحجاج ابن ايوب) تأخر وتقلق الناس ،وكان شيخنا أبو محمد عبد العزيز ابن كحيلة أحد الحاضرين والخاصّين به من طلبته ،فقال : تنظر من يصلي ينصرف (اقرأ : لينصرف) الناس ،فقال له بعض الحاضرين : الحق في هذا لولديه أبي عامر وأبي جعفر ،وكانا بالحضرة فقال الفقيه أبو محمد عبد العزيز : ما تكلمت الا بالسنتهما ،

---

١ الذيل والتكملة ٥/ ٢٧٤.

٢ البيت تضمين من قصيدة للنابغة الذبياني في هجاء زرعة بن عمرو بن خويلد (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ،ذخائر العرب ٥٢ ،دار المعارف، القاهرة ،١٩٧٧) : ٥٥ ، قال الشارح : "هذا مثل أى كانت لي ولك خطتان فأخذت انا البّرة ، واخذت انت الفاجرة . وبرّة اسم علم وصفة من البرّ فلم يصرفه لانه معرفة موءنث لانه اسم للخطّة".

٣ عنوان الدراية : ٢٨٧ .

فقال له ابو عبد الله الابار : يا فقيه ، ويجوز بلسانيهما ، منكّتا عليه في أنه أورد الجمع محل التثنية ، فقال الفقيه أبو محمد مجاوبا : نطقت بما نطق الله به في القرآن ، قال الله تعالى (ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما) وهذا هو الصواب وغيره خطأ . وبعد انقضاء الصلاة وانصراف الناس اجتمع الفقيهان وتراضيا ، رحم الله جميعهم". لقد كان لسان ابن الأبار كما يبدو سيفا مسلطا حتى في الظروف الدقيقة ، فلم يوقّر الفقيه ولا عف عن التهكم اللاذع وإن كانا في حضرة الموت .

(٣) في بجاية :

لقد كان سوء خلقه اذن ، اضافة الى ما ذكرناه من أجواء الصراعات السياسّية والمكايد في البلاط الحفصي عاملين هامين في وقوعه ضحية لاحدى هذه المكايد ، اذ ان السلطان "أراد ان يصرف كتابة العلامة الى أبي العباس الغساني[1] ، لما كان يحسن كتابتها بالخط المشرقي وكان آثر عنده من الخط المغربي ، فسخط ابن الأبار أنفة من ايثار غيره عليه وافتات على السلطان في وضعها في كتاب أمر بانشائه لقصور الترسيل يومئذ في الحضرة عليه ، وأن يبقى مكان العلامة منه لواضعها ، فجاهر بالرد ووضعها استبدادا وانفة ، وعوتب على ذلك

---

[1] احمد بن ابراهيم الغساني (- ٦٦٨) كاتب واديب مبرّز ، تونسي المولد والمنشأ والوفاة ، قال ابن سعيد : " أتى بابكار المعاني المخترعة ومنتخب عيونها ، يفتح من خطه الرائق ازهار الرياض ويأتي بوشيه المبهج بين السواد والبياض". اختصار القدح : ١٢ ، تاريخ الدولتين : ٢٨ وصفحات اخرى ، الفارسية : ١١٦ و ١٢٤ ، نفح الطيب ٢/ ٢٨٩ ، ٣٣١ ، ٣٦٦ ، ٥٩٠ .

فاستشاط غضبا ورمى بالقلم وانشد متمثلا :

اطلب العز في لظـــى وذر الــذ ل ولوكان في جنان الخلود

فنمي ذلك الى السلطان فأمر بلزوم بيته. ثم استعتب السلطان بتأليف رفعه اليه عدّ فيه من عوتب من الكتاب وأعتب وسماه "اعتاب الكتاب" ، واستشفع فيه بابنه المستنصر فغفر السلطان له وأقال عثرته وأعاده الى الكتابة". [١]

لقد انفرد ابن خلدون دون غيره من المؤرخين بذكر هذه التفاصيل ، ولذلك آثرت نقل روايته. ويفهم من كلام ابن الابار في "اعتاب الكتاب" انه الفه سنة ٦٤٠ [٢] مما يعني ان هذه الحادثة وقعت حوالي ذلك التاريخ. وقد تخبط الدارسون المحدثون عند تعرضهم لهذه الناحية ويبدو ان ما ذكره ابن عبد الملك وغيره اضافة الى الخبر الذى اورده الغبريني هما

---

١ العبر ٦/ ٦٥٣ - ٦٥٤ وعنه ازهار الرياض ٣/ ٢٠٥ - ٢٠٦ ونفح الطيب ٢/ ٥٩٠ .

٢ قال في اعتاب الكتاب عند ترجمته لابي عبد الله ابن نخيل حيث ذكر الدولة الحفصيّة واجزل الثناء عليها ... "وذلك من سنة ثلاث وستمائة الى عامنا هذا الموفي اربعين حجّة ..." اعتاب الكتاب: ٢٣٦ .

اللذان أوقعا الدارسين في حيرة وسرّبا الوهم الى العقول [1] ، وجاء ما ذكره ابن قنفذ ليزيد الغموض .

قال ابن قنفذ عند ذكر كتّاب ابي زكرياء يحيى [2] : " أولهم عنده ابو عمرو ابن سيد مين ، ثم أبو عبد الله ابن الجلاء البجائي ، ثم كتب عنه العلامة والانشاء ابو عبد الله ابن الابار ثم أخره وكتب عنه العلامة والانشاء أبو العباس احمد بن ابراهيم الغساني التونسي مولدا

---

١ لن اورد ما كتبه هؤلاء الدارسون ويكفي ان اشير الى مواضع ذلك في ابحاثهم : الدكتور عبد العزيز عبد المجيد ، ابن الابار حياته وكتبه : ١٥١ — ١٥٣ ، الاستاذ عامر غديرة ، (مجلة الاندلس ، العدد ٢٢ ، ١٩٥٧) : ٣٤ — ٣٥ ، الاستاذ ابراهيم الابياري ، مقدمة المقتضب من تحفة القادم / ن — س ، الدكتور صالح الاشتر ، مقدمة اعتاب الكتاب : ١٣ — ١٧ ، الدكتور عبد الله أنيس الطباع ، كتاب الحلة السيراء : ٦٥ — ٦٨ ، الدكتور حسين مؤنس ، مقدمة الحلة السيراء ١: ٤٢ — ٤٣ ، محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي ، التعليقات على نص "الفارسيّة" : ٢٣٢ — ٢٣٤ ، الدكتور عبد السلام هراس والاستاذ سعيد احمد أعراب ، مقدمة درر السمط في خبر السبط : ج — د .

Pons Boignes, Ensayo Bibiliografico Sobre las Historradores y Geografos Arabigo (Madrid, 1898), pp.

" Ibn - Al-Abbar, " EI, 111 , p. 673, 1971 (M. Ben Chenab - (CH. Pellat).

٢ الفارسية : ١١٦ .

ومنشأ ووفاة ولم يزل كاتبه الى ان توفي السلطان ثم كتب بعده لولده المستنصر وكان من خواصه". غير ان ابن قنفذ ناقض نفسه في موضع آخر حين ترجم لابن الابار في وفيات سنة ٦٦٢ ، قال[1]: " ثم عاد الى تونس باهله وقرّبه الامير أبو زكرياء وكتب عنه ثم ابعد لموجب فوضع له كتاب "اعتاب الكتاب" وتشفع له بولده المستنصر وقبل ذلك واعاده الى رتبته الى وفاة الامير أبي زكرياء ، فقرّبه المستنصر ثم عرضت له جفوة فانتقل الى بجاية ثم اعاده المستنصر وصار من جلسائه"... وفي هذا الكلام تناقض واضح ووهم بيّن . أما ابن عبد الملك المراكشي فقال : " ... وقصد حضرة تونس مهاجرا فاقبل السلطان عليه وصرف خطة الكتابة العليا اليه ، ثم ادركته جفوة من قبل الامير افضت الى تغريبه الى بجاية ، وفي اثنائها ألّف "اعتاب الكتاب" فاقام ببجاية طويلا عاكفا على العلم ونشره ... وبعد مدّة ممتدة استدعاه المستنصر بالله أبو عبد الله مكرما مبرورا فانقلب الى حضرته مسرورا ".[2] نستفيد من هذا النص ثلاث حقائق :

١ ـ ان الامير أبا زكرياء الحفصي غربه الى بجاية اثر هذه الجفوة.

٢ ـ انه كتب اعتاب الكتاب في بجاية.

٣ ـ ان نفيه أو غربته امتدت عهدا طويلا الى ان استدعاه المستنصر، ولم يذكر المراكشي ان الامير أبا زكرياء كان قد أقال عثرته وأعاده الى الكتابة . ازاء هذا الاضطراب في المصادر لا بدّ من الرجوع الى مؤلفات ابن الأبار نفسها والى ديوان شعره.

---

[1] الفارسية : ١٢٦ ـ ١٢٧ .

[2] الذيل والتكملة ٦/ ٢٦٩ ، ٢٧٤ .

يفهم من كلام ابن الابار في خاتمة اعتاب الكتاب انه رحل عن تونس، قال[١]: " ثم في صبيحة اليوم الثالث[٢]، هجم علي بالكارب الكارث، أصيّر الى الاقصاء من التقريب، وأخيّر بين التشريق والتغريب، ومعاذ الله لا اختيار في خطتي خسف، هذا لو ان جناحا وبالا دون كسر وكسف، فكيف ولا حراك موجود، ولا مستنجد الا منجود، في هاجم للامال هادم، وناجم بالاهوال داهم، وعلى ما دفعت اليه من ارتباك لمتعسّف كاب ومتأسف باك، من ولهى وواله، كل يجدّ على زواله، ويحدّ في اعواله، شرعت في المسير، وضرعت الى الله في التيسير، جاليا للجلاء والرحيل أوجهها تصلاء، وتاليا من محكم التنزيل لا تقنطوا من رحمة الله وحسبي السميع البصير نعم المولى ونعم النصير نقل في يوم عصيب، رماني بسهم للفراق مصيب، ولم يدع لي فيما سوى الاضاعة وازجاء البضاعة من نصيب، أرى ضدّ ما تمنيت، وشرى بثمن بخس ما اقتنيت، واستشرى في محو ما وحيت، وهدم ما بنيت، حتى عيل الاصطبار وغلب الاستعبار، للتفكر في بث الاشجان وبثّ الاشطان، والتذكر لولوج الامتحان بالخروج عن الاوطان، أيان سلمها الاسلام آيسا وتدبرها التثليث آنسا، وخلال ذلك من حسن الظن بالخلال الكريمة ما حمل على أن قلت في بدء الحال وبين يدي العمل على الترحال، مرتقبا خفايا الالطاف ومقتربا بهدايا الاستعطاف:

لمبشري برضاك أن يتحكمـــا لا المال أستثني عليه ولا الدما[٣]

....

---

[١] اعتاب الكتاب: ٢٥٥ - ٢٦٠.

[٢] بعد وقوع الحادثة.

[٣] اعتاب الكتاب: ٢٥٦، والديوان ق/ ١٣٤.

ثم يقول ابن الابار ان شهر رمضان "أظل على ارتماض لفقد المسكن والسكون" غير انه شفع له قبل حلول العيد " فما راعني غير الامان تسفر به البشراء ، والانصاف من الزمان تبشر به السفراء ، في وقت زان مطلعه سعيدا، وكان مقدمه قبل العيد عيدا".

ويفهم من هذا النص ان ابن الابار غادر تونس وان لم يوضح الى اين ، وانه أمّن وشفع له . ولم يذكر احد ممّن ترجم له انه زار غير تونس وبجاية في بر العدوة لهذا ارجح انه ذهب الى بجاية .

(٤) في تونس ثانية :

عاد ابن الابار الى تونس اذن ، ولا نعلم هل اعيد الى خطة الكتابة ، ام ملك خطتي الكتابة والعلامة وان كنت اشك في هذا لما نص عليه ابن قنفذ الفارسية والزركشي في تاريخ الدولتين[1] من ان الغساني كتب للامير أبي زكرياء الانشاء والعلامة بعد ابن الابار وانه كتب بعده لابنه المستنصر وكان من خواصه .

وفي تونس عاد ابن الابار مجددا ليضطلع بدور سياسي ، فما هو مرّة اخرى لا يغادر كبيرة ولا صغيرة من شؤون البلاط والحكم الا ونظم فيها قصيدة ويواصل حث الامير أبي زكرياء على الثأر للاندلس خاصة بعد ان وصلته بيعة مدنها سنة ٦٤٣ ، ويبدو ان علاقته بالامير توطدت في هذه الفترة كما نلاحظ من خلال قصائد الديوان . وفي سنة ست واربعين وستمائة توفي ولي العهد الامير أبو يحيى زكرياء ببجاية[2] وقد وصلتنا عدة قصائد رثاء في ديوان ابن الابار

---

[1] الفارسية : ١١٦ ، تاريخ الدولتين : ٢٨ ، ٣٦ .

[2] البيان المغرب (تطوان) : ٣٩٣ — ٣٩٤ العبر ٦/ ٦٢٣ ، الفارسية : ١١٠ .

توحي انها قيلت في أمير وان لم تكن معنونة[١]، وقد فجع أبوه بموته وصارت ولاية العهد بعده للامير أبي عبد الله محمد المستنصر بالله وفي ليلة الجمعة السابع والعشرين لجمادى الاخرى سنة ٦٤٧/ ١٢٤٩ توفي الامير ابو زكرياء يحيى بظاهر بونة ودفن بجامعها[٢].

وآل الملك من بعده لولده أبي عبد الله محمد، بويع أولا على بونة ثم بالحضرة وذلك في يوم الثلاثاء الثالث لرجب سنة ٦٤٧ وعمره آنذاك اثنتان وعشرون سنة.[٣] غير ان ابن الابار لم يستمر طويلا في خدمة السلطان فمع ان المستنصر "رفعه الى حضور مجلسه مع الطبقة الذين كانوا يحضرونه من اهل الاندلس وتونس الا انه كان يزرى على المستنصر في مباحثه ويستقصر مداركه، فخشن له صدره مع ما كان يسخط به السلطان من تفضيل الاندلس وولاتها عليه"،[٤] يضاف الى هذا ما كان لابن أبي الحسين من سعاية فيه وحقد قديم سببه ان ابن الابار لما قدم في الاسطول من بلنسية، نزل ببنزرت وخاطب ابن أبي الحسين بغرض رسالته ووصف أباه في عنوان مكتوبه بالمرحوم ونبه على ذلك فاستضحك وقال: ان أبا لا تعرف حياته من موته

---

١ انظر الفصل الثاني .

٢ العبر ٦/ ٦٢٤، الفارسية: ١١٤ .

٣ الفارسية: ١١٧ .

٤ العبر ٦/ ٦٥٤ - ٦٥٥ وعنه أزهار الرياض ٣/ ٢٠٦ - ٢٠٧ ونفح الطيب ٢/ ٥٩٠ .

لأب خامل ونميت الى ابن الحسين فأسرّها في نفسه ونصب له الى ان حمل السلطان على اشخاصه الى بجاية".

وابن ابي الحسين[1] هذا هو ابن عم ابن سعيد صاحب "المغرب" الذى قال بحقّه ابن سعيد انه "الرئيس الاعلى ذو الفضائل الجمّة ... وهو الآن قد اشتمل عليه ملك افريقية اشتمال المقلة على انسانها ، وقدّمه في مهماته تقديم الصّعدة لسنانها واقام لنفسه مدينة حذاء تونس واعتزل فيها بعسكر الاندلس الذين صيرهم الملك المنصور الى نظره".

هذا هو من انكر ابن الابار معرفة والده ، ويبدو انه كان مرجع الاندلسيين ولهذا خاطبه ابن الابار برسالة أول وصوله ، غير انه بعد ذلك وبدافع من طموحاته وتكبرة وشخصيته المستقلة حاول أن ينفلت من سلطته ليكوّن لنفسه مقاما خاصا متفردا في البلاط .

هذا وقد كان على المستنصر ان يصفّي خصومه اذا اراد ان يدعم ملكه وقد كان المستنصر شديدا جدا على خصومه ومناوئيه وقد قتل عمّه اللحياني[2] سنة ٦٤٨ ومعه جماعة كبيرة من الاعيان والاقارب وكان المستنصر يتربص خيفة من أى تحرك ولهذا كان الجو مهيأ للسعاية ضد ابن الأبّار الذي كثر حاسدوه فليس بدعا ان يغرب الى بجاية وهذا يعد نعمة سابغة عليه اذ ان القتل والتنكيل هما الحل الأسرع والأسلم في هذه الأجواء . هذا وقد

---

[1] المغرب ٢/ ١٦٨ ، ونفح الطيب ٢/ ٣١٩ وروايته أتم من المغرب وراجع حاشية النفح وصفحات متفرقة من الفارسية وتاريخ الدولتين ومستودع العلامة : ٢٩ ، والعبر ٦/ ٦٧٢ .

[2] انظر مقالة الدكتور احسان عباس "المستنصر الحفصي في المصادر المشرقية" (مجلة تاريخ العرب والعالم ، السنة الرابعة ، العدد ٤١ ، بيروت آذار (مارس) ١٩٨٢): ١٠ — ١٣ .

ارتحل ابن الابار "تحت احسان دارّ الى بجاية" على حد تعبير ابن سعيد[١]، مما يشير الى انه ظل ينعم بجراية متصلة. وأقدّر ان تغريب ابن الابار وقع قبل عام ٦٤٨ في وقت ما بين سنتي ٦٤٦ و ٦٤٧ وقد استمر مقامه بها حتى عام ٦٥٧ وثمة عدة شواهد على ما اقول :

١ - ما ذكره الغبريني في ترجمة ابو بكر محمد بن احمد بن محرز (٥٦٩ - ٦٥٥)، قال : " وهو (أي ابن محرز) كان رأس الجماعة الاندلسية ببجاية، كل كان يأتي الى منزله وعنده مجتمعهم، أبو عبد الله ابن الابار، وابو المطرف ابن عميرة، وأبو بكر ابن سيد الناس، وأبو عبد الله الجنّان، وهو كان شيخ الجماعة وكبيرهم".[٢] ونحن نعلم أن ابن عميرة دخل بجاية في أحد شهرى جمادى من سنة ٦٤٦، ولا نعلم كم كان لبثه فيها بعد وفاة الامير أبي زكرياء في جمادى الاخرة سنة ٦٤٧، اذ نجد ان ابن عميرة كتب البيعة عن أهل بجاية للامير الجديد وارسل رسائل تعزية بوفاة الامير ابي زكرياء.[٣]

٢ - قال ابن عبد الملك : " ومن نثره (أى نثر ابن الابّار) ما كتب به من بجاية الى المستنصر بالله يهنئـــه بجلـــب الماء الـــى جامـــع

---

[١] اختصار القدح : ١٩١ .

[٢] عنوان الدراية : ٢٨٧.

[٣] "ابو المطرّف ابن عميرة" : ١٤٥ - ١٤٨ .

تونس".[١] وقد كان بناء "السقاية" سنة ٦٤٨.[٢]

٣ - قال ابن الابار في التكملة[٣] في ترجمة ابي بكر محمد بن غلبون بن عبد العزيز الانصاري : "نعي اليّ يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من رمضان بعده (أي بعد عام ٦٥٠ الذى توفي المترجم في شهر شعبان منه) ، وذلك بمدينة بجاية". فقد كان في بجاية عام ٦٥١ في شهر رمضان.

٤ - ذكر ابن سعيد[٤] ان ابن الابار " اختار المقام تحت الاحسان الاميرى ، فلم يقل بالاياب ، وصار صاحب العلامة في بيت الكتاب ، الا ان اخلاقه لم تعنه على الوفاء باسباب الخدمة ، وقلّصت عنه ظل تلك النعمة ، فأخر عن تلك العناية ، فارتحل تحت احسان دار الى بجاية ، وهو الآن بها عاطل من الرّتب ، خال من حلى الادب ، مشتغل بالتصنيف في فنونه ، متقل منه بواجبه ومسنونه". وقد ورد ابن سعيد تونس في المرة الاولى سنة ٦٥٢ ، حيث عمل في بلاط المستنصر.[٥] أى ان ما ذكره ابن سعيد يعود الى بعد ذلك العام.

---

١ الذيل والتكملة ٦/ ٢٧٠ ، وانظر رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة ، للشريف الغرناطي (مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٤٤) ١/ ٧٨ ، حيث أورد لابن الابار ثمانية ابيات في وصف هذه السقاية الجديدة ، وانظر رسالته في الذيل والتكملة وأزهار الرياض.

٢ الفارسية : ١١٧ ، تاريخ الدولتين : ٣٣.

٣ التكملة ٢/ ٦٦٣ (١٦٩٠)

٤ اختصار القدح المعلى : ١٩١ .

٥ نفح الطيب ٢/ ٢٧٣ .

٥ — أورد المراكشي رسالة من ابن الابار الى الحافظ زكي الدين المنذري كتبها من بجاية في غرّة محرم سنة ٦٥٤ .[١]

٦ — يستفاد من خط علي بن محمد بن أبي القاسم التجيبي على الصفحة الاولى من مخطوط المعجم ان ابن رزين سمعه على ابن الابار في بجاية في حدود سنة ٦٥٥ .[٢]

٧ — ما ذكره الغبريني اثناء ترجمته لابن عميرة[٣]، قال : " وقد بلغني انه كتب عن المستنصر باستدعاء ابي عبد الله ابن الابار من بجاية بما نصّه :

على قدر حبّي قد أتتك بشارتي ... وحسبك ما اجملته من اشارتــــي

هنيئا هنيئا قد رفلت من المنى ... بافخر ملبوس واجمل شارة

انعمت الخلافة العزيزة العليا المنصورة أيد الله اوامرها ، واخلد مفاخرها ، بقدومكم على حضرتها السعيدة المباركة التي هي مركز راية الحق ، ومجتمع وفود الخلق ، أمرت عبدها ، أعلى الله جدّها وامضى حدّها ، ان نخاطبكم بذلك ، فاعزموا بحول الله على الحركة ، وبادروا اليها على الخير والبركة . فقد تعيّن لكم الزاد الكريم ، واستقبلكم من خير النظر ما به يبرأ السقيم ، ويسعد الظاعن والمقيم ، والله يوزعنا معشر عبيد المقام الكريم ، شكر نعم لولا

---

١ الذيل والتكملة ٦/ ٢٧٢ — ٢٧٤ .

٢ المعجم طبعة كوديرة ، مدريد ، ١٨٨٥ ، XVI-XVII من المقدمة اللاتينية ، ولابن رزين (٦٢٥ — ٦٩٢) ترجمة في برنامج الوادي آشي : ٦٥ (٣٠) فقال : "لازم ابا عبد الله ابن الابار للاخذ عنه" ورحلة العبدرى : ٢٥٢ — ٢٥٦ وقد حمل بعض رواية ابن رزين عن ابن الابار .

٣ عنوان الدراية : ٢٩٩ — ٣٠٠ .

فضله لم نكن اهلها ، ويحمل عنها حقوقها فانا لا نستطيع حملها ، وهو تعالى يديم عزّتكم ، ويحفظ مودتكم بمنّه ، والسلام الكريم يخصكم به مجلّ قدركم وموجب برّكم ، أخوكم الحافظ لعهدكم ، المقيم على ودّكم ابن عميرة ، ورحمة الله وبركاته . كتب بتاريخ كذا سنة سبع وخمسين وستمائة".

اذا اضفنا الى ما تقدّم ان ابن الابار كان قطعا في تونس حتى ١٤ جمادى الآخرة سنة ٦٤٦[1]، استطعنا ان نقدّر ان نفيه اوتغريبه وقع بعد ذلك التاريخ وقبل سنة ٦٤٨ . وان اقامته في بجاية استمرت حتى عام ٦٥٧ أى حوالي عشر سنوات ، وانه قضى في بجاية ما يزيد عن عشر سنوات ، وهذا ما حدا بالغبريني لان يقول "رحل الى العدوة واستوطن بجاية ودرّس بها واقرأ وروى واسمع وصنّف والّف وهو ممن لا ينكر فضله ، ولا يجهل نبله ، له تآليف حسنة ونزعات في علم الادب بارعة مستحسنة".[2]

---

[1] قال ابن الابار عند ترجمته لابي العباس البطيولي (البنسولي في الذيل والتكملة) : "لقيته بمدينة تونس واخذت عنه يسيرا ...... وآخر ما سمعت منه بلفظة : الباب الاول من المسلسل في اللغة لابي طاهر التميمي وناولني جميعه بمنزلي يوم الخميس الحادى والعشرين لشهر ربيع الآخر سنة ست واربعين وستمائة" (التكملة ١/ ١٢٥ رقم ٣١٢ ، وانظر الذيل والتكملة ١/ ٢٩٣ رقم ٣٧٧) . وقال اثناء ترجمته لابي عبد الله ابن البرذعيّ : "لقيته بتونس وصحبته اعواما واخذت عنه كثيرا ... وتوفي ليلة الاحد ١٤ من جمادى الاخرى سنة ٦٤٦ .... وشهدت جنازته" (التكملة ٢/ ٦٦٠ رقم ١٦٨٤) .

[2] عنوان الدراية : ٣١١ .

في هذه الفترة اثناء اقامته ببجاية تفرّغ ابن الابار للتأليف[1] ونشر العلم، وكثر الواردون عليه والآخذون عنه وقد حمل عنه علم كثير[2]، فقد كانت بجاية "بقية قواعد الاسلام ومحل حله من العلماء الاعلام" على حد تعبير العبدري في رحلته[3]، ويعتبر كتاب الغبريني من اهم الكتب التي تعطينا صورة واضحة عن أوجه النشاط العلمي والفكري في بجاية في القرن السابع.

(٦) عودته الى تونس ومقتله :

اثر ورود رسالة ابن عميرة الى ابن الابار باستدعائه الى الحضرة، شدّ أبو عبد الله محمد الركاب قاصدا تونس حيث اناخها في بلاط المستنصر وأنشد بين يديه :

"بشرايَ باشرت الهدى والنورا | في قصديَ المستنصر المنصورا
واذا أمير المؤمنين[4] لقيتـــــه | لم ألق الّا نصرة وسرورا

كيف لا والاسمية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والكنية المباركة أبو عبد الله، والعلامة العلّية الحمد لله والشكر لله، والسمة السلطانية المستنصر بالله المنصور بفضل الله، ومن كان لله كان الله له، وانشد بين يديه رحمه الله :

أمير المؤمنين لنا غـــــياث | فعند المحل تستسقى الغيوث
فلا جوع ويمناه الغوادى | ولا خوف وقتلاه الليـــــوث

---

[1] انظر ملحق اسماء شيوخ ابن الابار وتلامذته .

[2] راجع معجم شيوخه واصحابه . وانظر رحلة العبدري وعنوان الدراية، ورحلة التجاني، وبرنامج التجيبي، وبرنامج الوادى آشي .

[3] ص : ٢٦، وانظر كتاب Brunchvig ١/ ٣٧٧ — ٣٨٥، ابن فضل الله العمري وصف افريقية والمغرب والاندلس (بعناية حسن حسني عبد الوهاب، تونس) : ٨ وما بعدها .
" BIDJĀYA", E. I1, pp.1204 - 1206, 1960 (G. Marçais).

[4] "لما توفي الامير ابو زكرياء ببلد العناب وبويع ولده أبو عبد الله بتونس تسمّى بأمير المؤمنين المستنصر بالله وكان والده يدعى بالامير وعمر أبي عبد الله اذ ذاك أحد وعشرون سنة او نحوها ". البيان المغرب (تطوان) : ٣٩٨ .

قال الغبريني : "تحظى عنده وبلغ لديه مأموله وقصده". [1]

لم يذكر أحد ممن ترجم له انه شغل وظائف ديوانية بعد عودته الى تونس وان كنت ارجّح انه عمل كاتبا في البلاط ، غير ان اخلاقه وحدّة طبعه وتصّديه للخوض فيما لا يعنيه ، كل هذه الامور ، اضافة الى ما ذكرته سابقا عن الصراع السياسي الحاد الذى كان دائرا آنذاك خاصة بعد مقتل اللحياني ، تضافرت معا وعملت في ادناء أجله " فلم يطل مقامه بتونس حتى نقم عليه خوض تاريخي نسب اليه". [2] وكان قد " عاد الى مساءة السلطان بنزعاته الى ان جرى في بعض الايام ذكر مولد الواثق ، وسأل عنه السلطان بعض من حضره فاستبهم ، فغدا عليه ابن الابار بتاريخ الولادة وطالعها ، فاتهم بتوقع المكروه للدولة والتربص بها ، كما كان اعداؤه يشيعون عنه [3] ، بما كان ينظر في النجوم فتقبض عليه وبعث السلطان الى داره فرفعت

---

[1] عنوان الدراية : ٣١١ — ٣١٢ ، الذيل والتكملة ٦/ ٢٧٤ . كانت فترة حكم المستنصر من ٦٤٧ — ٦٧٥ / ١٢٤٩ — ١٢٥٨ وكان عمره حين ولي حوالي اثنتين وعشرين سنة . قال الشيخ اثير الدين من لفظه قال : اخبرني رئيس الادباء ابو الحسن حازم انه قال : كنت أساير المستنصر ونحن في البستان الذي انشأه ظاهر تونس فكنّا نتمالط في الشعر يبدأ هو البيت وأتمه انا وابدأ انا ويتمّه هو ، وكان مائلا الى الفقه على طريقة اهل الحديث". الوافي ٥/ ٢٠٣ . وقد كان المستنصر مهتما باعمار تونس ، وخلّف عمرانا كثيرا . غير انه كان دمويا فيما يبدو شديد السطوة والبأس ، وقد وصلته بيعة اهل مكة سنة ٦٥٩ من انشاء ابن سبعين الصوفي .

انظر في ترجمته المصادر التي ذكرتها ص ح ١ ، وانظر ما يلي .

[2] الذيل والتكملة ٦/ ٢٧٥ .

[3] هذا يؤكد ما ذكرته سابقا عن طموحه السياسي .

اليه كتبه اجمع وألفي في اثنائها ، فيما زعموا ، رقعة بابيات اولها :

طغى بتونس خلـــف   سمّوه ظلما خليفـــة

فاستشاط السلطان وأمر بامتحانه ثم بقتله ، فقتل قعصا بالرماح وسط محرم من سنة ثمان وخمسين يعني وستمائة[1] ، ثم احرق شلوه وسيقت مجلدات كتبه واوراق سماعه ودواوينه فاحرقـــت

---

[1] قال المراكشي: "قتل اشنع قتلة وغودر اوحظ مثلة وذلك غدوة يوم الثلاثاء لعشر بقين من محرم ثمان وخمسين وستمائة". وذكره ابن قنفذ في وفيات سنة ٦٥٨ فقال : " وفي هذه السنة قتل الفقيه أبوعبد الله ابن الابار بالسياط ، ثم بالرماح وذلك في يوم الثلاثاء الحادى والعشرين من محرم". ثم ذكره في وفيات سنة ٦٦٢ فقال : "ثم وقع منه ما أوجب محنته من الهجو وغيره فقتل ، رحمه الله." الفارسية : ١٢٣ ، ١٢٧.
وقال ابن شاكر الكتبي : " وتوفي بشريش ثالث عشرين محرم من هذه السنة" يعني سنة ٦٥٨ . عيون التواريخ ٢٠/ ٢٤٥.
اما الغبريني فذكر انه " توفي بتونس ضحوة يوم الثلاثاء الموفي عشرين لمحرم عام ثمانية وخمسين وستمائة". عنوان الدراية : ٣١٣.
والغريب ان ابن عذارى تجاهل عن ذكر سبب مقتله تماما ، قال : "وفي هذه السنة في يوم الثلاثاء الموفي عشرين من شهر محرم امر ابوعبد الله المستنصر بالله صاحب تونس بقتل الكاتب الجليل ابي عبد الله ابن الابار ، ولا يعلم لاى شيء كان ذلك ، ثم ندم على قتله بعد ذلك". هذا وقد ذكر ابن عذارى سبب مقتل ابن يونس وزير المرتضى فلماذا اغفل سبب قتل ابن الابار ؟ انظر: البيان المغرب (تطوان) : ٤٣٠ ، وخبر ابن يونس: ٤٠٧ - ٤٠٨ .

معه".[1] قال الامام الذهبي[2] : "وقتل مظلوما بتونس على يد صاحبها في العشرين من المحرم لانه تحيل منه الخروج وشق العصا ، ولم يكن ذلك من شيمته ، رحمه الله ، وبلغني ايضا ان بعض اعدائه ذكر عند صاحب تونس انه الف تاريخا وانه تكلم فيه في جماعة ، وقيل هذا فضولي يتكلم في الكتاب (؟) ، فلما طلب أحسّ بالهلاك فقال للغلام : خذ البغلة وامض بها حيث شئت فهي لك ، فلما رحل قتلوه ، نتعوذ بالله من شر التاريخ ومن شر كل ذي شر ...".

اما الزركشي فهو لم يذكر شيئا عن خبره مع ابن ابي الحسين ، قال :[3] "وفي صبيحة يوم الثلاثاء الحادي والعشرين للمحرم عام ثمانية وخمسين المذكور امر السلطان المستنصر بقتل الفقيه الاديب العالم الناظم الناثر الحجّة أبي عبد الله محمد بن أبي بكر القضاعي عرف بابن الابار فقتل بعد ان ضرب بالسياط كثيرا بمقصورة المحتسب من تونس خارج باب ينتجمي ، ثم

---

١ العبر ٦/ ٢٥٤ - ٦٥٥ ، وعنه ازهار الرياض ٣/ ٢٠٦ ، والنفح ٢/ ٥٩٠ .

٢ (تاريخ الاسلام ، مخطوط البودليان) الورقة / ٣١٥ أ ، ب ، وعنه الصفدي في الوافي ٣/ ٣٥٦ ، وفوات الوفيات ٣/ ٤٠٤ - ٤٠٥ .

ولا نعلم شيئا عمّا ذكره ابن خلدون عن "نظره في النجوم" ، وقد قال في مقدمة تاريخه : "ومن ملاحم المغرب أيضا قصيدة من عروض المتقارب على رويّ الباء في حدثان دولة بني ابي حفص بتونس من الموحدّين منسوبة لابن الابار ، وقال لي قاضي قسنطينة الخطيب الكبير ابو علي ابن باديس ، وكان بصيرا بما يقوله ، وله قدّم في التنجيم فقال لي : ان هذا ابن الابار ليس هو الحافظ الاندلسي الكاتب مقتول المستنصر ، وانما هو رجل خياط من اهل تونس تواطأت شهرته مع شهرة الحافظ". المقدمة/ ٦٠٣ . فهل يكون ما نعي عن ابن الابار للسلطان من انه ينظر في النجوم دسّا وافتراء عليه ، وانما المقصود كان ابن الابار الخيّاط ؟

٣ تاريخ الدولتين : ٣٥ - ٣٦ .

ندم السلطان بعد ذلك على قتله . وكان سبب قتله ان جرى يوما في المجلس ذكر مولد الواثق ابن الخليفة فلما كان الغد جلب بطاقة يعرف بها ساعة المولد والطالع ، فلما وقف المستنصر عليها قال : هذا فضول ودخول منه في ما لا يعنيه من امورنا ، وامر بتثقيفه بسقيف القصبة وبعث الى داره الغساني وبينهما من العداوة ما يكون بين صاحب خطة اخذها احدهما من يد الآخر فوجد في تقليده ابياتا منها :

طغى بتونس خلــــف　　　　سموه ظلما خليفــــة

فلما قرأها السلطان امر بضربه ضربا شديدا ثم قتل مرشوقا بالرماح ، واخذت كتبه وتقاييده فاحرقت في موضع قتله وكانت نحو خمسة واربعين تأليفا . وحكى المرادى ان البيت الذى وجد له يقتضي هجاء الخليفة هو قوله :

عقّ أباه وجفا أمّــــه　　　　ولم يقل من عثرة عمّــه[1]

والله اعلــم ".

اما ابن الطوّاح فقد تفرد بخبر جديد ، قال :[2] " وقد استشهد رحمه الله ، ووجدت له هنات بخطه وكان يحسد في نفاسة ادبه ، اذ كان لم يلتط بنيل اربه .[3] وقد كان شيخه الاديب

---

[1] يريد اللحياني .

[2] سبك المقال ، الورقة / ٩٦ ب - ٩٧ أ .

[3] يعرّض بابن عميرة الذى كان على حد قول المراكشي " شديد التطارح الى خدمة الرؤساء كثير الحرص والرغبة في ضم حطام الدنيا متظاهرا بالاقلال .. " الذيل والتكملة ١/ ١٧٨ . وانظر تتبع المراكشي لاخلاقه وتعريضه به اثناء ترجمته ، وراجع " ابن عميرة " ص: ١٥٤ - ١٥٦ .

القاضي الاحفل المتفنن أبو المطرف احمد بن عميرة ممن كان يعين عليه أيام محنته ، وقد اظهر بخطه قبائح كانت له سما ذعافا له رحمه الله ، فيما اخبرني شيخنا الفقيه أبو الحسين ابن الحاج رحمه الله فقال انه رآه في النوم بعد ان حرق بالنار (و) وجده لم تعد عليه النار البتة ، قال ، فقلت له : " ان النار لم تعد على صدرك ؟ فقال لي : صدر فيه من الاحاديث خمسة آلاف كيف تعدو عليه النار ؟ ثم قال لي : وعند الله تجتمع الخصوم".

وقد ناقش الدكتور محمد بنشريفة في كتابه عن ابن عميرة قول ابن الطواح هذا [1] ، وعزا التحامل الى راوى الخبر أبي الحسين ابن الحاج ، وهو نفسه الذى يعتمد عليه المراكشي في ترجمته في الذيل والتكملة والذى كان والده يطعن على ابن عميرة مخزوميته ويقول انه من اصل يهودى .

أيا يكن الامر فنحن اذا جمعنا بين هذه الروايات على تباينها نرى ان العوامل التي ذكرتها سابقا ، من تطاحن سياسي وتربّص دائم من قبل المستنصر خاصة وتوجسه خيفة من قبل كل تحرك سياسي ، ونزاع بين البلديين والاندلسيين ، على المناصب وتكالب عليها مما يولد الحسد والغيرة بين العلماء ، ثم رداءة طبع ابن الابار وحقده وتهكمه على اقرانه وعلى العلماء ، كل هذه الامور كان لها دور اساسي وحاسم في مصرعه . قال ابن الطواح [2] "غلب عليه شؤم الادب حتى منعه من نيل الارب".

---

١ "ابن عميرة" : ٣٥ — ٣٦ و ١٥٥ — ١٥٦ .

٢ سبك المقال ق / ٩٨ أ .

وقد كانت قتلة ابن الابار قتلة شنيعة ، وقد عرف عن المستنصر سطوته وجبروته وتنكيله بخصومه ، فقد كان يضرب على أي تمرد ، أوحتى ما قد يظن انه محاولة تمرّد بيد من حديد .[١] اما أمر احراق الكتب فليس بدعا ، فقد احرقت من قبل كتب غيره من المفكرين امثال الغزالي وابن رشد وابن حزم ، وان اختلفت الاسباب .

هل يمثل مقتل ابن الابار حلقة من حلقات تلك المأساة التي تتمثل بالصراع المستمر بين المفكر والسلطان حيث كان يراد للعلماء ان يعقدوا صلحا مع السلطة يتحولون بموجبه الى ايديولوجيين ومنظّرين لها مقابل دعايتهم العلنية للسلطان باكفهم الممدودة الى السماء على حد تعبير نظام الملك"[٢]؟ قد يكون في هذا التساؤل جزء من الحقيقة ، وان لم نملك تأكيده بما لدينا من ادلة وقرائن، فقد عاش ابن الابار في فترة من احلك فترات التاريخ الاسلامي وشهد افول المجتمع والحضارة الاسلاميين في الاندلس، وخالط الحكام والامراء والولاة، فكتب عنهم وسفر لهم، وكان عالما مفكرا اصوليا حافظا ، صاحب فكر سياسي بلا شك ، تمثل الثقافات السائدة في عصره ، ولو وصلتنا مؤلفاته المفقودة لتمكنّا من القاء حيّز من ضوء على هذا الجانب من فكره فيما اقدّر .

---

١ راجع مقالة الدكتور احسان عباس في مجلة تاريخ العرب والعالم المذكورة سابقا ، وانظر العبر ٦/٦٢٦ — ٦٣٤ وغيرها .

٢ من مقدمة الدكتور رضوان السّيد على كتاب "الاسد والغوّاص" (دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٧٨) : ١٩ .

٤ ـ تكوينـــه الثقافـــي وتواليفـــه :

قد يبدو من العسير على الدارس ازاء ندرة المعلومات التي وصلت عن ابن الابار وقلة ما وصل من مؤلفاته نفسها ، ان يكوّن صورة واضحة عن تكوينه الفكرى . لقد كان ابن الابار شخصّية ذات تفرّد ، وكان ــ كما ذكرت ــ يتّسم بالمرارة والسخرية اللاذعة وحدّة الطبع ، ومن الطبيعي أن يكون لشخص مثله من الخصوم والاعداء اكثر مما له من الاصدقاء . ولعلّ هذا الجانب الخلقي من شخصيته هو الذى صرف المؤرخين عن ان يتطرقّوا الى حياته ، كأنما اكتفوا بتناقل الجانب العلمي منها . وافضل من تناول هذا الجانب ابن عبد الملك المراكشي في الذيل والتكملة . ولدى قراءة كتبه وتتبّع اشياخه نتبّين غزارة ثقافته وعمقها وسعتها ، وهو لم ينقطع عن الدراسة والاخذ والسماع طوال حياته الحافلة . فقد حفظ القرآن وتثقف القراءات وعني بدراسة النحو ، كما اهتم بدراسة التاريخ فأخذ عن مشايخه ، ونخص بالذكر منهم ابا الربيع ابن سالم ، عددا من اهم كتب التاريخ في المغازى والسير ، وحمل اخبارا وحكايات عن اشياخه . اما الآداب والاخبار فقد اكثر منها . غير ان اهتمامه الاكبر انصب على الحديث وقد عني به منذ حداثته وقيّض له السماع والاخذ عن كبار المشايخ الجلّة حتى اتصلت روايته واسانيده بروايـــة الصدفي والغسّاني وابن حبيش وابي بكر ابن العربي كما تقدم ، هذا الى عنايته بالفقـــه وعلم الكلام وعقـــد الشروط . كما كان جميل الخط وقد اخذ رسومه عن ابن غطّوس وابي حامد ابن زاهر وابي البقاء الاوسي .

وفي سبيل التحصيل العلمي لم يوفر ابن الابار مالا ولا جهدا ، فقد رحل في الاندلس طلبا للاتصال بالاسانيد العالية فجال في شرق الاندلس من مربيطر شمالا حتى مرسية ولورقة جنوبا ورحل الى اشبيلية رحلتين استمرت الاولى حوالي ثلاث سنوات ووصل اثناءها حتى

بطليوس وربما غيرها من مدن الغرب ، واستمرت الثانية حوالي ستة اشهر وذهب فيهـا الى وادى آش ، وكان حريصا على الاستجازة حتى في احلك الظروف اثناء حصار بلنسية اوعند توجهه الى تونس سفيرا يطلب العون مستصرخا لاغاثة الوطن المنكوب . ليس هذا فحسب بل لقد انفق المال والجهد في سبيل اقتناء الاصول الحديثية والاجزاء العتيقـة النادرة والكتب التاريخية والادبية وغيرها . وقد حرص على استجازة اعلام المحدثيـن في المشرق امثال ابن الجبّاب وابن المقيّر وابن الجميزى وابن حمّوية الجويني وغيرهم ، كما اجازه الامام زكي الدين المنذرى[1] "امام المحدثين وسيد المسندين" / كما خاطبه ابن الابار في احـدى رسائله له التي اثبتها ابن عبد الملك في الذيل .

وخير ما يكشف هذه الجوانب من تكوينه الثقافي وعلمه الغزير ، بالتفصيل دراسة مؤلفاته ـ في ما يلي ـ ودراسة ادبه في الفصل الثاني .

فقد كان ابن الابار مكثرا من التأليف اذ ترك ما ينيف على خمسين مؤلفا[2] بعضها لا

---

١ انظر في تراجمهم معجم اشياخه وتلامذته ملحقا بهذه الرسالة .

٢ الذيل والتكملة ٦ / ٢٥٩ ، قال ابن الطواح : " وهي تنيف على الثلاثين تأليفا واغلب ظنّي انها خمسون ".

يزيد عن جزء وبعضها في عدّة مجلدات . ولم يصلنا منها سوى ثمانية كتب . قال ابن عبد الملك،[١] "عني بالتأليف وبخت فيه ، واعين عليه بوفور مادته ، وحسن التهدى الى سلوك جادته ، فصنّف فيما كان ينتحله مصنفات برّز في اجادتها ، واعجز عن الوفاء بشكر افادتها".
وقد كانت كتبه حتى اوائل القرن الثامن "متداولة بين الناس، ومرغوبا فيها عندهم وموجودة لديهم" على حد قول الغبريني .[٢] وقد وفق ابن الطوّاح بملاحظته حين ذكر ان "تسميات كتبه المصنفات في الادب لم يسبق اليها عذوبة وجزالة"[٣] واشار الى قريب من هذا المعنى ابن

---

[١] الذيل والتكملة ٦/ ٢٥٨.

[٢] عنوان الدراية ٣١٢ .

[٣] سبك المقال ، ق / ٩٧ ب .

الاحمر حين قال : "مؤلف الكتب التي زهر الاصابة قد نشر ببستانها ، ومنشئ الطروس التي جادت عليها سحائب التحبير بهتانها ..."[1]

وسأعرض فيما يلي لمؤلفاته ، مرتبا اياها بحسب الموضوعات مراعيا الترتيب على حروف المعجم ، اذا امكن ، في كل موضوع مشيرا الى المواضع التي ذكر فيها المؤلف في المصادر الاخرى محاولا ان اقدم وصفا لطبيعة الكتاب وموضوعه ذاكرا من ذيل عليه او اختصره اذا تم ذلك ، او متعرضا لما سبقه من تآليف نسج ابن الابار على منوالها او لخصها او استدرك عليها ، متوقفا وقفات طويلة عند ما وصلنا من كتبه متتبعا منهجها ومصادرها واسلوبه فيها .

١ - مؤلفاته في الحديث

كان ابن الابار "محدثا مكثرا ، ضابطا عدلا ثقة ، ناقدا يقظا ذاكرا للتواريخ على تباين اغراضها" وذلك بشهادة ابن عبد الملك الذى عاصره واطلع على كثير من كتبه والتقى عددا من تلامذته ، وبشهادة كل من ترجم له . قال الذهبي[2] : " الحافظ العلامة ...

---

[1] مستودع العلامة : ٢٨ .

[2] تاريخ الاسلام (مخطوطة البودليان Land Or. 305 ، سنة ٦٥٨) ق / ٣١٥ أ - ٣١٥ ب ، والوافي ٣/ ٣٥٦ .

عني بالحديث رجال في الاندلس وكتب العالي والنازل[1]، وكان بصيرا بالرجال عارفا بالتاريخ اماما بالعربية فقيها مقرئا اخباريا فصيحا مفوّها له يد في البلاغة والانشاء في النظم والنثر كامل الرياسة ذا جلال وأبّهة وتجمّل وافر وله من المصنفات في الحديث والتاريخ والادب، كمّل الصلة لابن بشكوال بكتاب في ثلاثة اسفار اختصرته في مجلد واحد. ومن رأى كلام الرجل علم محلّه من الحديث". وشهادة الذهبي تضع ابن الابار في عداد الجلّة من العلماء المحدثين. وقد اورد ابن الطواح رواية تظهر سعة حفظه قال[٢]: " اخبرني شيخنا الفقيه أبو الحسين ابن الحاج رحمه الله قال انه رآه في النوم بعد ان حرق بالنار (و) وجده لم تعد عليه النار البتّة، قال، فقلت له: ان النار لم تعد على صدرك! فقال لي: صدر فيه من الاحاديث خمسة آلاف كيف تعدو عليه النار؟ ".

وقد تبين في ما سبق عناية ابن الابار بالحديث منذ نعومة اظفاره ومرّ تكر عدد من شيوخه الذين لازمهم لاخذ الحديث عنهم وابرزهم ابو الخطاب ابن واجب وابو الربيع ابن سالم

---

[1] العالي في مصطلح المحدثين هو الذى قل عدد رجاله مع الاتصال، وعلو الاتصال له عند المحدثين شأن كبير وذلك انه يفيد قوّة السند فيكون علو السند قوة للحديث، وقد رحل المحدثون فيه واتعبوا مطاياهم من اجله. قال احمد بن حنبل "طلب الاسناد العالي سنة عمن سلف"، وقيل ليحيى بن معين في مرضه الذى مات فيه: ما تشتهي؟ قال "بيت خالي واسناد عالي". وينقسم العلو الى خمسة اقسام. والحديث النازل ضد العالي وهو الذى بعدت المسافة في اسناده. قال الحافظ السلفي: "الاصل الاخذ عن العلماء فنزولهم اولى من العلو عن الجهلة على مذهب المحققين من النقلة". باختصار عن منهج النقد في علوم الحديث، للدكتور نور الدين العتر (دار الفكر، دمشق، الطبعة الثالثة ١٩٨١): ٣٥٨ - ٣٦٤.

[٢] سبك المقال، ق/ ٩٦ ب- ٩٧أ.

وأبو عمر ابن عات النفزي واحمد بن يزيد بن مخلد وأبو سليمان ابن حوط الله وابو الحسين ابن السرّاج ، وانه اجتمعت لديه روايات ابن العربي والصدفي والجيّاني وابن حبيش وابي الربيع ابن سالم وابن واجب واقتنى فرائد من الاصول والاجزاء الحديثية القديمة .

ولم يبق لنا شيء من كتبه في الحديث ، غير ان كتاب "المعجم في اصحاب القاضي أبي علي الصدفي" خير دليل على سعة حفظه وعلو سنده وروايته وبصره بعلوم الحديث ، ولنا معه وقفة أخرى .

(١) الاربعون حديثا[1] ، عن اربعين شيخا عن اربعين مصنفا ، لاربعين عالما ، من اربعين طريقا ، الى اربعين تابعا ، عن اربعين صاحبا ، بأربعين اسما ، من اربعين قبيلا ، في اربعين بابا ، وهذا الفن من فنون التأليف الحديثية شاع كثيرا في المشرق ثم اقتدى اهـــل الاندلـس والمغرب بالمشارقـــة ونسج كثير منهـم على غـــرار كتاب

---

[1] الذيل والتكملة ٦/ ٢٥٨ ، برنامج التجيبي : ١٦٠ ، رحلة ابن رشيد (الاسكوريال رقم : ١٧٣٧) ق / ١٢٦ ، برنامج الوادي آشي : ٢٩٠ ، فهرس الفهارس ١/ ١٤٢ .

السلفي [1] . وكان أبو القاسم محمد بن عبد الواحد الغافقي الملّاحي الاندلسي (٥٤٩ - ٦١٩ / ١١٥٤ - ١٢٢٢) [2] قد جمع اربعين حديثا اكثر فيها التفريع وجاء مصنفه " فيه من الفرائد والفوائد ما دلّ على فضله واتساع علمه وذكر انه لم يسبق

---

[1] كتابه الاربعين البلدانية فريد في بابه ، وقد تفنن العلماء في جمع الاربعينات وتصنيفها " فمنهم من جمعها ورتبها على ابواب الفقه وما يحتاج اليه ، ومنهم من جمع في الزهد والرقائق ، ومنهم من جمع في فضل الجهاد ، ومنهم من جمع في ذكر طبقات الصوفية واخبار مشايخ الطريقة ، ومنهم من جمع الاحاديث الطوال ، ومنهم من رزقه الله الرحلة فذكر احاديث البلاد " ، ومنهم من جمع في الاحاديث السباعية كما فعل ابن سالم او التساعية الخ ... "واول من جمع كتاب الاربعين - فيما بلغنا - الامام العالم الزاهد امام عصره ابو عبد الرحمن بن المبارك المروزي ، والامام الرباني ابو الحسن محمد بن اسلم الطوسي ..." وخلق كثير نذكر منهم ابا القاسم القشيرى ، وابا نعيم الاصبهاني ، وابا الفتح نصر المقدسي ، وابا القاسم ابن عساكر . انظر كتاب الاربعين حديثا للبكرى (تحقيق محمد محفوظ ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ١٩٨٠) : ٢٤ - ٢٨ . وانظر برنامج التجيبي : ١٥٣ - ١٦٨ .

[2] الملّاحي نسبة الى قرية من قرى البيرة في شيوخه كثرة ، ذكر ابن الابار انه كتب من خط الملّاحي اسم ١٣٦ شيخا ، وقال ابن الطيلسان انهم يزيدون على ١٥٠ ، وكان محدثا حافظا مكثرا عارفا بالتواريخ والانساب ذاكرا لها ، ثقة في نقله ، سنيا متورعا منقبضا عن الناس . وله مصنفات جليلة . التكملة ٢/ ٦٠٩ (١٦٠٤) ، برنامج شيوخ الرعيني ٦٤ ، الذيل والتكملة ٦/ ٤١٣ (١١١٣) ، تذكرة الحفاظ ١٤٠٢ ، الاحاطة ٣/ ١٧٦ ، الوافي ٤/ ٦٨ ، شذرات الذهب ٥/ ٨٦ . بروكلمان (الترجمة العربية) ٦/ ٢٨٠ .

اليها[1]". كذلك جمع ابو الربيع ابن سالم اربعين حديثا .[2] وجاء ابن الابار نصنّف كتابه على غرار كتاب الملّاحي و "ابدى به اقتداره مع ضيق مجاله عن ما عجز عنه الملّاحي من ذلك".[3] وقد سمع ابن رزين هذا الكتاب فيما سمعه من ابن الابار عام ٦٥٤[4]، فهو قد الفه اذن قبل هذا العام . وقد روى التجيبي في برنامجه[5] الحديث التاسع والعشرين من كتاب ابن الابار وهو ما رواه عبيد الله بن يحيى بن يحيى الليثي ، عن ابيه ، عن مالك ، عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه ، ان النبيّ صلى الله عليه وسلّم قال : "لي خمسة اسماء ، أنا محمد ، وانا احمد ، وانا الماحي ، الذى يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على

---

1 ذكره البكرى الدمشقي صاحب الاربعين حديثا (- ٦٥٦) ص ٢٥ - ٢٦ . قال ابن الابار : "بلغ فيه الغاية من الاحتفال وشهد له بحفظ اسماء الرجال ، وزاد على من تقدّمه". اما ابن عبد الملك فلم يوفر انتقاداته على عادته ، قال : " ما تضمنته هذه الترجمة من ذكر انواع الاربعين لا يصح اكثرها ولا يسلم على الانتقاد منها الّا اقلّها ، وقد نبهت على ما لحقه في ما اخل به من ذلك في مقالة بينت فيها معتمده ومنحاه".

٢ "الاربعون حديثا عن اربعين شيخا لاربعين من الصحابة في اربعين معنى "، كرّاسة مفيدة . وله ايضا الاربعون السباعية من حديث السلفي ، كراسة . راجع مصادر ترجمته.

٣ الذيل والتكملة ٦/ ٢٥٨.

٤ برنامج الوادى آشي : ٢٩١ .

٥ برنامج التجيبي : ١٦٣ ، وانظر سند ابن الابار في الحديث وتعليقه عليه ص : ١٦٣ - ١٦٤.

قدمي ، وأنا العاقب"[1]، قال الحافظ ابوعبد الله القضاعي : "كذا اورد ابوعمرو (عثمان بن سعيد

---

[1] وأورد ابن الابار رواية اخرى : عن سفيان بن عيينة ،عن الزهرى ،عن محمد بن جبير ابن مطعم عن ابيه قال ، قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : " اني انا محمد ، وانا احمد ، وأنا الماحي الذى يمحو اللّه بي الكفر ، وأنا الحاشر الذى احشر الناس ، وانا العاقب الذى ليس بعده نبي". والحديث في موطأ الامام مالك ،رواية يحيى بن يحيى الليثي (باعتناء احمد راتب عمروش ، دار النفائس ، ط ٤ ، ١٩٨٠) ص ٧٠٨ (١٨٤٣) "كتاب الجامع ، باب اسماء النبي صلى اللّه عليه وسلم". عن ابن شهاب،عن محمد بن جبير بن مطعم ان النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : " لي خمسة اسماء ، انا محمد وانا احمد ، وانا الماحي الذى يمحو اللّه بي الكفر ، وانا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمي ، وانا العاقب".

ومسند الحميدى (تحقيق حبيب الرحمن الاعظمي ،كراتشي ، ١٩٦٣) ١/ ٢٥٣ — ٢٥٤ (٥٥٥) : حدثنا الحميدى قال ، ثنا سفيان قال ، ثنا الزهرى قال ، اخبرني محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه قال : "انّ لي اسماء ... وروى الحديث ثم قال : والعاقب لا نبي بعده".

ومسند الامام احمد بن حنبل ٤/ ٨٠ عن سفيان عن الزهرى عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه عن النبيّ صلى اللّه عليه وسلم ... وروى متن الحميدى .

وسنن الدارمي ص ٣١٧ — ٣١٨ "رقائق ، باب في اسماء النبيّ صلى اللّه عليه وسلم" (تحقيق محمد احمد دهمان ، دار احياء السنّة النبويّة) اخبرنا الحكم بن نافع ، اخبرنا شعيب بن أبي حمزة ، عن الزهرى قال ، اخبرني محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه قال : سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقول : " ان لي اسماء ..... والعاقب الذى ليس بعده احد".

وصحيح البخارى (البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٥٨) ٤/ ٢٢٥ "مناقب" : عن مالك عن ابن شهاب،عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه رضي الله عنه قال ، قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : لي خمسة اسماء ..... وانا العاقب".

....

وصحيح مسلم (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٥٥ - ١٩٥٦) ٣/ ١٨٢٨ ، ١٨٢٩ عن سفيان بن عيينة عن الزهرى سمع محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : "انا محمد ..... والعاقب الذى ليس بعده نبيّ" ، وعن يونس عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ان لي اسماء ، انا محمد ..... والعاقب ليس بعده احد".

وسنن الترمذى (تحقيق ابراهيم عطوه عوض ، القاهرة ، ١٩٦٥) ٥/ ١٣٥ (٢٨٤٠) كتاب الادب ، باب ما جاء في اسماء النبيّ صلّى الله عليه وسلم : "حدثنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومي حدثنا سفيان عن الزهرى عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "انّ لي اسماء ..... وأنا العاقب الذى ليس بعده نبيّ". قال ابو عيسى: "هذا حديث حسن صحيح". وخرّجه الطبراني في المعجم الكبير (باعتناء حمدى عبد المجيد السلفي ، وزارة الاوقاف ، احياء التراث الاسلامي (٣١) بغداد ، ١٩٧٨) ٢/ ١٢٢ (١٥٢٠ - ١٥٣٠) . وقارن بالمستدرك للحاكم ٢/ ٦٠٤ ، وأبو نعيم في دلائل النبوة : ٢٦ ، ودلائل النبوة للبيهقي (تحقيق السيد احمد صقر ، القاهرة ، ١٩٧٠) ١/ ٩٤ - ٩٨ .

وشرح الشفا للقارى (تحقيق حسنين محمد مخلوف ، مطبعة المدني ، مصر ، ١٣٩٨) ٢/ ٦٢٠ . حدثنا يحيى حدثنا مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لي خمسة اسماء ... وانا العاقب". وانظر صفة الصفوة (تحقيق محمد الفاخورى ، حلب ، ١٩٦٩) ١/ ٥٥ - ٥٦ ، وجامع الاصول لابن الاثير ١٢/ ٦ (٨٧٢٩) ، ومجمع الزوائد ٨/ ٢٨٤ عن حذيفة ، وعن جابر بن عبد الله ، والخصائص الكبرى للسيوطي (تحقيق الدكتور محمد خليل الهراس ، القاهرة ، ١٩٦٧) ١/ ١٩٠ - ١٩٣ ، وكنز العمال ١١/ ٤٦٢ - ٤٦٤ ، والفتح الرّباني بمسند أحمد الشيباني (كتاب السيرة) ٢٠/ ١٨٧.

وانظر النهاية في غريب الحديث (تحقيق الزاوى والطناحي ، القاهرة ، ١٩٦٣ - ١٩٦٥) ١/ ٣٨٨ و ٥/ ٢٦٨. وجبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف القرشي (- ٥٦ أو ٥٨ او ٥٩) ، قدم على النبيّ صلى الله عليه وسلم في فداء اسارى بدر ثم اسلم بعد ذلك. انظر التاريخ الكبير للبخارى ٢/ ٢٢٣ ، والاستيعاب ١/ ٢٣٢ (٣١١) ، واسد الغابة ١/ ٢٧١ ، والاصابة ١/ ٢٣٥ (١٠٨٧) ، وتهذيب التهذيب ٢/ ٦٣ - ٦٤ .

المقرئ الداني) هذا الحديث مسندا على الصواب ، ونقلت سنده ومتنه من خط ابي داود (سليمان بن نجاح الهشامي) واكثر رواة الموطأ يروونه مرسلا عن محمد بن جبير بن مطعم ، ولا يذكرون أباه ، وكذلك استظهرته على أبي رحمه الله في الموطأ وغيره . ولا ادري من اين وصله ابو عمرو ؟ ".

(٢) الاستدراك على أبي محمد ابن القرطبي ما اغفله من روايات الموطأ ، [1]

والقرطبي (- ٦١١ / ١٢١٤) [2] الذى استدرك ابن الابّار على كتابه شيخ كبير من شيوخ الحديث في الاندلس ، قال ابن عبد الملك المراكشي انه كان : " رئيس المحدثين وامامهم ، واسع المعرفة مكثرا ثقة عدلا أمينا ، مكين الدراية ... نبيل التقييد والضبط ، ناقدا ذاكرا لاسماء رجال الحديث وطبقاتهم وتواريخهم وما حلوا به من جرح وتعديل ، وهذا الفن من فنون العلم كان أغلب عليه وشهر به فلم يكن احد يدانيه في ذلك الا آحاد من اهل عصره". [3]

---

[1] التكملة ٢/ ٧٨٧ (١٩٣١) ٢/ ٨٨١ (٢٠٩٧) ، الذيل والتكملة ٤/ ٢٠٨ و ٦/ ٢٥٨ ، فهرس الفهارس ١/ ١٨١ .

[2] هو عبد الله بن الحسن بن أحمد بن يحيى بن عبد الله الانصارى مالقي قرطبي الاصل . له ترجمة في التكملة ٢/ ٨٨١ (٢٠٩٧) ، والذيل ٤/ ١٩١ (٣٦٣) ، وتذكرة الحفاظ : ١٣٩٦ ، وبغية الوعاة ٢/ ٣٧ .

[3] الذيل والتكملة ٤/ ١٩٤ - ١٩٥ وترجمته طويلة مسهبة وفي شيوخه كثرة .

وعنوان كتابه الذى استدرك عليه ابن الابار هو "تلخيص أسانيد الموطأ"، من رواية يحيى بن يحيى [1] وقد وصفه ابن الابار بقوله : " وهو ما دلّ على سعة حفظه وحسن ضبطه ، وقد استدركت عليه مثله او قريبا منه". [2] ويبقى أمر لافت للنظر وهو ان ابن عبد الملك المراكشي الذى عاش حوالي نصف قرن بعد ابن الابار نص على انه لم يقع على كتابه "الاستدراك" وقد علّق على كلام ابن الابار المذكور آنفا بقوله : "أسرّ ابن الابار في هذا الثناء حسوا في ارتغاء ، واظهر زهدا ضمنه أشد ابتغاء ، ولم أقف على كتاب ابن الابا ر غير اني وجدته يذكر بعض ذلك في مواضع من تكملته ، وفي أملي التفرغ لالتقاطه ان شاء الله ، وأرى انه محل استدراك ومجال اشتراك ، فقد وقفت على ما لم يذكراه وعثرت فيما طالعت على ما لم يسطراه ، والاحاطة للّه وحده". [3]

٣ — شـــرح البخارى : [4]

وهذا ايضا تفرد ابن عبد الملك بذكره. ويبدو مما أورده عنه ان ابن الابار شرع فيه ولم يتمّه لان المنية فاجأته ، ولعلّ هذا يعني انه من كتب ابن الابار المتأخرة.

---

[1] أبو محمد يحيى بن يحيى بن وسلاس الليثي (— ٢٣٤ وقيل غير ذلك) ، رحل الى المشرق وهو ابن ٢٨ سنة فسمع من الامام مالك الموطأ غير ابواب من كتاب الاعتكاف ، شك في سماعه فيها فاثبت روايته فيها عن ابن زياد اللخمي ، وقد سمّاه الامام مالك : عاقل الاندلس. وفيات الاعيان ٦/ ١٤٣ وفيه ذكر لمصادر اخرى .

[2] التكملة ٢/ ٨٨١ ، وقد ذكر احد الاسانيد التي استدركها في التكملة ٢/ ٧٨٧ .

[3] الذيل ٤/ ٢٠٨ ، وتأمل تحامل ابن عبد الملك ! .

[4] الذيل والتكملة ٦/ ٢٥٩ .

٤ - المأخذ الصالح في حديث معاوية بن صالح ،[1]

جمع فيه ابن الابار أخبار ابن صالح وما اجتمع من روايته عنده . ومعاوية بن صالح (- ١٨٥ وفيه اختلاف)[2] من أهل الشام من حمص دخل الاندلس قبل دخول عبد الرحمن ابن معاوية ونزل اشبيلية ، وكان من جلة اهل العلم والرواة للحديث شارك مالك بن أنس في بعض رجاله ، وروى عنه سفيان الثوري وابن عيينة والليث . قال محمد بن احمد بن أبي خيثمة : لوددت أن ادخل الاندلس حتى انتش من أصول كتب معاوية بن صالح . قال ابن أيمن : فلما انصرفت الى الاندلس طلبت امهاته وكتبه فوجدتها قد ضاعت بسقوط همم اهلها . وقد سأل يحيى بن معين محمد بن وضّاح : جمعتم حديث معاوية بن صالح ؟ قال : قلت لا . قال : وما منعكم من ذلك ؟ قلت : قدمت بلدا لم يكن اهله يومئذ اهل علم . قال : أضعتم والله علما عظيما .[3]

---

[1] المعجم في اصحاب الصدفي: ١٨٠ ، الذيل والتكملة ٦/ ٢٠٨ ، رحلة ابن رشيد (الاسكوريال رقم : ١٧٣٧) ق / ١٢٥ .

[2] قال ابو حاتم : " لا يحتج به ، وكذا لم يخرج له البخاري . وليّنه ابن معين . وقال ابن عدي : هو عندي صدوق ، وهو ممن احتج به مسلم دون البخاري ، وترى الحاكم يروي في مستدركه احاديثه ويقول هذا على شرط البخاري فيهم في ذلك ويكرّره" . ميزان الاعتدال ٤/ ١٣٥ . وقد ضعفه ابن حزم انظر "رسالة في الغناء الملهي" في رسائل ابن حزم ، الجزء الاول (تحقيق الدكتور احسان عبّاس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٠) : ٤٣٥ . وانظر في ترجمته : الرازي ، الجرح والتعديل (حيدرأباد الدكن ، ١٣٦٣) ٤/ ١/ ٣٨٢ الخشني ، قضاة قرطبة (القاهرة ، ١٣٧٢) : ٣٠ ، جذوة المقتبس (تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ، القاهرة ، ١٩٥٢) : ٣١٨ ، تاريخ ابن الفرضي (الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٦) ٢/ ١٣٨ (١٤٤٥) ، وانظر : ترتيب المدارك (ط . المغرب) ٣/ ١١٨ ، ١٢١ في ترجمة شبطون ، زياد بن عبد الرحمن وكان صهر معاوية على بنته ، المغرب ١/ ١٠٢ ، تذكرة الحفاظ : ١٧٦ ، المرقبة العليا : ٤٣ ، تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٠٩ .

[3] انظر قضاة قرطبة : ٣٠ - ٣١ .

وقد ادرك ابن الابار ، الذى كان حريصا على جمع علم جلّة أهل الحديث في الاندلس ، اهمية هذا " الامام الفقيه الذى كان من أوعية العلم" على حد تعبير الذهبي فعمد الى جمع ما استطاع استقصاءه ، وهو المحدث الثقة والمؤرخ الفذ ، لئلا يضيع علم اهل الاندلس .

(٥) ـ المورد السلسل في حديث الرحمة المسلسل :[1]

وهو المعروف بالحديث المسلسل بالاولية لقول كل راو : " وهو أول حديث سمعته" . والحديث كما رواه ابن الابار[2] بسنده في التسلسل الى عبد الله بن عمرو بن

---

[1] المعجم في اصحاب الصدفي : ٢٩٨ ، الذيل والتكملة ٦/ ٢٥٨ ، رحلة ابن رشيد (الاسكوريال رقم : ١٧٣٧) ق / ١٢٥ ، برنامج التجيبي : ١٦٨ ، فهرس الفهارس ٢/ ٦٠٨ .

[2] المعجم ٢٩٦ ـ ٢٩٨ ، هذا يشير بطبيعة الحال الى رواية الحديث في الاندلس وقد جاء من عدّة طرق ، وسألخص ما وصلنا منها في هذا الرسم البياني :

رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
|
عبد الله بن عمرو بن العاص
|
أبو قابوس
|
عمرو بن دينار
|
سفيان بن عيينة ——— عبد الله بن الزبير الحميدى (١)
|
بشر بن موسى
|
أبو علي محمد بن احمد بن الحسن

(١) هو صاحب المسند (ـ ٢١٩) ، طبقات ابن سعد ٥/ ٥٠٢ (ط . بيروت) ، الجرح والتعديل ٢/ ٢/ ٥٦ ، تاريخ التراث العربي لسيزكين ١/ ١٤٨ .



(٢) هو ابن العربي الاشبيلي (٤٦٨ - ٥٤٣) ، له ترجمة في الغنية ٦٦ (١٠) وفيه ذكر لمصادر ترجمته .

(٣) قال ابن الابار : " روى ابن بشكوال هذا الحديث في معجم شيوخه ، ورواه في مسلسلاته عن القاضي ابي الفضل عياض وابي عمرو زياد بن الصفار جميعا عن أبي علي وقال : هكذا روينا هذا الحديث من هذا الطريق موقوفا على عبد الله بن عمرو . قوله : لم يرفعه ، قال : وقد رويناه ايضا مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم" . . . وذكر طريقه عن ابن العربي .

العاصي [1]، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

"الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا أهل الارض يرحمكم اهل السماء". [2]

---

[1] ولد سنة ٧ قبل الهجرة وتوفي سنة ٦٥ / ٦٨٤ ، له صحيفة مدونة في الحديث سميت "الصادقة". سير اعلام النبلاء ٣/ ٧٩ (١٧) وفيه ذكر لمصادر اخرى ، وتاريخ التراث العربي لفؤاد سيزكين ١/ ١١٩ . تحقيق شعيب ارناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨١) .

[2] وفي لفظه خلاف . رواه الحميدي في مسنده ٢/ ٢٦٩ (٥٩١) . قال : حدثنا سفيان قال ، ثنا عمرو قال ، اخبرني أبو قابوس مولى عبد الله بن عمرو انه سمع عبد الله بن عمرو يقول ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا اهل الارض يرحمكم اهل السماء". وروى بالسند نفسه ٢/ ٢٧٠ (٥٩٢) : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"الرحم شجنة من الرحمن فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله". ورواه الامام احمد بالسند نفسه ٢/ ١٦٠ : " الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء ، الرحم شجنة من الرحمن من وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله". وروى البخاري القسم الاول منه في الادب المفرد وجزء الكنى من التاريخ الكبير ٩/ ٦٤ (٥٧٤) . وأورد القسم الاول بالسند نفسه أبو داود في سننه (كتاب الادب ، باب الرحمة) (تعليق عزت الدعّاس وعادل السيد ، دار الحديث ، حمص ، ١٩٧٤) ٥/ ٢٣١ (٤٩٤١) . وسنن الترمذي (كتاب البر والصلة ، باب الرحمة) (تحقيق ابراهيم عطوه عوض ، ط . البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٦٢) ٤/ ٣٢٣ (١٩٢٤) بالسند نفسه : "الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء ، الرحم شجنة من الرحمن فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله. قال ابوعيسى : هذا حديث حسن صحيح". والمستدرك ٤/ ١٥٩ ، وجامع الاصول لابن الاثير (تعليق محمد حامد الفقي ، القاهرة ، ١٩٥٠) ٥/ ٢٦٩ (٢٦١٦) . ومجمع الزوائد ٨/ ١٨٧ : "ارحم من في

....

= الارض يرحمك من في السماء" ،عن جرير . قال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح . وعن عبد الله بن مسعود ، قال : رواه ابو يعلى والطبراني في الثلاثة ورجال ابي يعلى رجال الصحيح ألا ان ابا عبيدة لم يسمعه من أبيه فهو مرسل . وانظر مجمع الزوائد ٨/ ١٥٠ . وفي المقاصد الحسنة ص ٤٨ (٨٨) "ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء"، البخاري في الادب المفرد وأبو داود والترمذي وآخرون كلهم من حديث ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي قابوس عن عبد الله بن عمرو مرفوعا بهذا ، في حديث . وقال الترمذي انه حسن صحيح ، وصححه الحاكم ، وكان ذلك باعتبار ما له من المتابعات والشواهد والا فأبو قابوس لم يروى عنه سوى ابن دينار ولم يوثقه سوى ابن حبّان على قاعدته في توثيق من لم يجرح ...". وانظر كنز العمال ٣/ ١٦٣ (٥٩٦٩) . وقارن بالمناهل السلسة في الاحاديث المسلسلة لمحمد عبد الباقي اللكنوى الايوبي (مكتبة القدسي ، ١٣٥٧) ص ٦ ... وقال : " قال الحافظ شمس الدين ابن الجزري : الصواب ان التسلسل فيه من سفيان بن عيينة الى آخر السند منقطع ومن رفع تسلسله بعد فقد غلط ". وانظر المسلسلات العشر للسنوسي (دار الكتاب العربي ، ١٩٦٨) ص ٩ - ١٠ . وانظر سوى ما تقدم : نوادر الاصول للحكيم الترمذي ص ٣٩٤ ، ومشكاة المصابيح رقم ٤٩٦٩ . ولابي قابوس ترجمة في الكنى للبخاري ، وتهذيب التهذيب ١٢/ ٢٠٣ قال : "أبو قابوس عن مولاه عبد الله بن عمرو بن العاص بحديث "الراحمون يرحمهم الرحمن" وعنه عمرو بن دينار . ذكره البخاري في الضعفاء في الكبير له ولكنه ذكره في الاسماء فقال : قابوس . وقال صاحب الميزان : لا يعرف . وسمّاه بعضهم فغلط ".

والمسلسل في اصطلاح المحدثين هو ما تتابع رجال اسناده على صفة واحدة او حال واحدة للرواة او الرواية وتتكرر في وصف روايته عبارات او افعال متماثلة ينقلها كل راو عمن فوقه في السند وينقسم اقساما كثيرة ، وقلما تسلم رواية التسلسل فيه من ضعف وان صح متن الحديث.[١]

قال ابن الابار عند روايته لحديث الرحمة المسلسل : " وهذا الحديث قد رويته مسلسلا من طرق مذكورة في غير هذا الموضع ، وكلفني من أوجب حقّه وأوثر وفقه[٢] تخريج أسانيده فيه وجمع طرقه المتّصلة ، فاجتمع لي من ذلك جزء وسمته بالمورد السلسل في حديث الرحمة المسلسل ، وهنالك من الكلام عليه ما انتهت معرفتي اليه ". [٣] وقد تبيّن لنا اثناء ما تقدم من العرض ومن

---

[١] انظر مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح (توثيق وتحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، ١٩٧٦) : ٤٠٢ — ٤٠٣ ، و تدريب الراوى للسيوطي (تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٦٦) ٢/ ١٨٧ — ١٨٩ . وقارن بـ : منهج النقد في علوم الحديث ، للدكتور نور الدين العتر (دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الثالثة) : ٣٥٤ — ٣٥٨ .

[٢] قال التجيبي في برنامجه عند ذكره هذا الكتاب : " مخرج من مرويات الخطيب أبي محمد ابن برطلة ، تخريج أبي عبد الله ابن الابار رحمهما الله " ، ولا ادرى هل الذى كلف ابن الابار تخريج هذا الحديث هو عبد الله بن عبد الرحمن بن برطلة ام ان ابن برطلة الذى عناه التجيبي هو عبد الله بن موسى بن سليمان الازدى (— ٥٦٣) سمع أبا علي الصدفي ورحل في سنة ٥١٠ فأدى الفريضة وسمع ، وهو صهر ابي علي زوج بنته . ترجم له ابن الابار في المعجم : ٢٢٦ (٢٠٦) ، وانظر نفح الطيب ٢/ ٦٥٠ — ٦٥١ .

[٣] راجع برنامج التجيبي : ١٧٠ — ١٧٢ حيث ذكر اجزاء اخرى لغير ابن الابار جمعت في حديث الرحمة المسلسل . وللعجيمي ، حسن بن عبد الرحمن (= ١٣٢٠) الحديث المسلسل بالاولية . (فهرس مخطوطات جامعة الرياض رقم : ٩٦٥) ، وذكر الكتاني ان للشهاب احمد العجمي الازهرى جزءا لطيفا في نحو كراسة ذكر فيه سنده في حديث الاولية . فهرس الفهارس ٢/ ٨١٠ (٤٥٢) .

تخـــريـــج للحديث المشكلات التي قد تعترض من يتصدى لتخريج اسانيده وجمع طرقه ، ومن هنا يتبيّن لنا الجهد الذى بذله ابن الابار ، فيما نقدّر ، في كتابه هذا ، خاصة وقد تعددت روايات تسلسله التي حملها الاندلسيّون . وكل طالب ، يحرص أن يكون هذا الحديث اول حديث يرويه ليس في الاندلس وحسب بل في المشرق ايضا .

(٦) — هداية المعتسف في المؤتلف والمختلف :[1]

هو كما ذكر ابن عبد الملك مقصور على اهل الاندلس . وهذا الضرب من التأليف يهدف الى رفع الارتياب عن الاسماء والانساب والكنى ، ما أئتلف رسمه منها واختلف نقطه ونطقه فأشكل . وهو علم جليل الفائدة مانع من الوقوع في الخطأ كما قال ابن الصلاح عمدة العلماء في علم مصطلح الحديث[2] . وقد دخلت اكثر الكتب المشرقية في المؤتلف والمختلف الى الاندلس .[3] ولم يكن ابن الابار اول من الّف في هذا الفن من الاندلسيين فقد سبقه اليه ابو علي الغساني (٤٢٧ — ٤٩٨) في كتابه "تقييد المهمل وتمييز المشكل".[4]

---

1 المعجم ص: ٧٣ ، التكملة ١/ ٢٤ ، الذيل والتكملة ١/ ٢٧٥ و ٦/ ٢٥٨ ، رحلة ابن رشيد (الاسكوريال رقم : ١٧٣٧) ق / ١٢٥ ، نفح الطيب ٢/ ٥٩٢ ، (وفيه هداية المعترف ... وهو تصحيف واضح) و ٤/ ٢١ .

2 مقدمة ابن الصلاح : ٥٢٨ .

3 قارن بفهرسة ابن خير : ٢١٦ — ٢٢٠ .

4 ضبط فيه ما يقع فيه اللبس والاشكال من رجال مسلم والبخارى ، وهو كبير الفائدة لم يسبقه احد الى مثله . فهرس ابن عطية : ٨٣ ، الغنية : ١٣٨ فهرسة ابن خير : ٢٢٠ كشف الظنون ١/ ٤٧٠ (استانبول ، ١٩٤١) . وانظر الزركلي ٢/ ٢٥٥ اذ يذكر اماكن وجود بعض مخطوطاته ، وبروكلمان ٦/ ٢٦٤ ، وثمة نسخة مخطوطة من "تقييد المهمل" في حلب (المكتبة الوقفيّة) ، وقد كتب القاضي عياض " اكمال المعلم" فزاد فيه ايضاحا وانصاحا على كتاب الغسّاني وافاد علما كثيرا .

ولانعلم المنهج الذى اتبعه ابن الابار في ترتيب كتابه ، وان كانت العادة جرت في ان يعتمد ترتيب الاسماء على حروف المعجم . وقد أشار ابن الابار الى كتابه في موضعين ، قال في المعجم عند ترجمته لحسن بن ابراهيم بن محمد بن تقي الجذامي : [1]

" وقد حكى ابن عساكر في تاريخه عن رجلين عنه ما ثبت في اسمه في التكملة ، وضبط تقي بالتاء باثنتين من فوق وقد ذكرت ذلك في كتابي هداية المعتسف في المؤتلف والمختلف من جمعي " . وقال في التكملة عند ترجمته لاحمد بن عبد الولي البتي [2] : " أنشد مؤلف قلائد العقيان هذين البيتين لابي جعفر البني اليعمرى واحدهما (يعني ابن خاقان والرشاطي) غالط من قبل اشتباه نسبهما ، والتفرقة بينهما مستوفاة في تأليفي المسمى بهداية المعتسف في المؤتلف والمختلف " . [3]

(٧) <u>الشفاء في تمييز الثقات من الضعفاء</u> : [4]

واضح من اسمه انه في الجرح والتعديل . وقد قال ابن الصلاح في هذا النوع من كتب

---

١ المعجم : ٧٣ (٦٣) ، التكملة ١/ ٢٥٨ (٦٨٤) ، النفح ٢/ ٥٠٨ (١٩٢) .

٢ الخريدة ١/ ٢٧٩ (٩٤) ، المطرب : ١٢٤ ، التكملة ١/ ٢٤ (٥٦) ، الذيل والتكملة ١/ ٢٧٣ (٣٥٣) وفيه ذكر لمصادر اخرى ، نفح الطيب ٤/ ٢١ ويورد كلام ابن الابار في التكملة .

٣ وقد استدرك ابن عبد الملك المراكشي على ابن الابار في ترجمة عزيز بن محمد اللخمي واعتقد ان استدراكه هو على كتاب " هداية المعتسف " . انظر الذيل والتكملة ٥/ ١٤٦ - ١٤٧ .

الثقات والضعفاء انه " من أجل نوع وانخمه ، فانه المرقاة الى معرفة صحة الحديث وسقمه [١] "،
وقد قصره ابن الابار على اهل الاندلس نتناول فيه رواة الحديث الاندلسيين وتكلم على
احوالهم وصفاتهم وعلمهم واشياخهم على عادة المؤلفين في هذا الفنّ .[٢] غيران الاصطلاحات
تختلف بين عالم وآخر وبالتالي تختلف مقاييس الجرح والتعديل [٣]، ولا نعلم هذه المقاييس التي
على اساسها تناول ابن الابار طبقات هؤلاء الرواة .[٤]

---

١ مقدمة ابن الصلاح : ٥٨٨ .

٢ تنقسم التصانيف في هذا الفن ثلاثة اقسام : ما افرد في الثقات ، وما افرد في الضعفاء وما جمع بين الاثنين . ومن اهمها الجرح والتعديل للرازى وميزان الاعتدال للذهبي والضعفاء له ، ولسان الميزان لابن حجر . وانظر منهج النقد في علوم الحديث : ١٢٩ — ١٣٢ .

٣ انظر ما كتبه الدكتور نور الدين العتر في كتابه "منهج النقد" : ص ٩٢ — ١١٥ . وانظر حواشيه .

٤ وقد الّف في هذا الفن في الاندلس ابو الوليد الباجي وله كتاب الجرح والتعديل لمن خرج عنه البخارى في الصحيح . انظر الغنية ١٣٥ و ١٨٤ ونفح الطيب ٢/ ٦٩ ، كما الّف ابن حزم كتاب "الانصاف في الرجال". انظر رسائل ابن حزم (تحقيق الدكتور احسان عبّاس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٠) المقدمة : ١٣ . هذا وينقل ابن حجر كثيرا في تهذيب التهذيب ولسان الميزان عن ابن حزم في الجرح والتعديل . وانظر نموذجا من آراء ابن حزم في هذا الموضوع في "رسالة الغناء الملهي" رسائل ابن حزم ١/ ٤٣٠ — ٤٣٩ . وراجع مقدمة الدكتور احسان عباس على الرسالة : ٤١٩ — ٤٢٩ .

٢ - المعاجم

المعجم في اصطلاح المحدثين هو ما يذكر فيه الاحاديث على ترتيب الشيوخ ، والغالب فيه اتباع ترتيب حروف الهجاء في اسماء الشيوخ .[١] "وتوسّع المتأخرون فسمّوا المعجم الكتاب الذي يخصّه الشيخ بشيوخه واقرانه او من اخذ عنه ، او يفرده أحد المحدثين بشيوخ حافظ او تلاميذه ، كمعجم شيوخ الصدفي لعياض ، ومعجم تلاميذه لابن الابار ، سمّي بذلك لذكرهم الرواة فيه على ترتيب المعجم تسهيلا للمطالع والمستفيد".[٢]

وقد جمع ابن الابار سبعة معاجم لسبعة من جلّة اهل الرواية من الحفاظ والمحدثين والقراء الاندلسيين ، وكانت غايته من تأليف هذه المعاجم جمع اشياخ هؤلاء الرواة واخبارهم وتبيان طرق رواياتهم وكيفية دخول الروايات المشرقية الى الاندلس ، ثم الى وصل طرق رواياتهم بروايته ، يضاف الى هذا ان ابن الابار كان في هذه المعاجم وفي سائر كتبه يسعى الى ابراز شأن الاندلسيين في مختلف نشاطات التأليف الاسلامي خاصة علوم القرآن الكريم والحديث الشريف .

ومن خلال هذه المعاجم نرى سعة رواية ابن الابار وعلمه الغزير وملكته النقدية وتملكه لمناهج المحدثين ومعرفته العميقة بمختلف علوم الحديث . استنتج هذا من دراسة "المعجم في

---

١ فهرس الفهارس ٢/ ٦٠٨ .

٢ فهرس الفهارس ٢/ ٦١٠ وانظر ٢/ ٦١٨ .

اصحاب القاضي ابي علي الصدّفي ،وهو المعجم الوحيد الذى وصلنا ،وسوف اتخذ من دراسته نموذجا لصنيع ابن الابار في سائر هذه المعاجم.

(٨) المعجم في اصحاب القاضي ابي علي الصدّفي :[١]

جمع فيه ابن الابار الروّاة عن القاضي الشهيد ابي علي الصدفي[٢]، قال : " سموت الى جمع اسمائهم وانبأت (الاصل : وابيات) عن مكانهم بما أمكن ذكره من انبائهم ، مباهيا بهم وبعصرهم ،وناغيا ابا الفضل ابن عياض[٣] في جمع شيوخه وحصرهم ولا غرو نحوه في المعجم[٤] الذى صنع نحوت ،وفوز قدحي باخلاص كدحي رجوت ،ليكون هذا لذلك تتمّة وليهون الوقوف منهما عليهم مؤتسين وأئمة ،وهم بين صاحب في الاخذ عنه راغب ، وتلميذ على السماع منه راتب ،ومن شيوخه من شذّ ،واعتقده في وقته الفذّ ،

---

١ الذيل والتكملة ٦/ ٢٥٨ ،رحلة ابن رشيد (الاسكوريال رقم : ١٧٣٧) ق / ١٢٦ ، ازهار الرياض ١/ ٢٣ ٩٨/٥ ، ١٧٣ ،نفح الطيب ٣٥/٧ ،كشف الظنون (استانبول ،١٩٤٣) ١٧٣٦/٢ ،فهرس الفهارس ١٤٢/١ وقد نشره فرانشيسكو كوديره اى زيد ين ضمن المكتبة العربية الاسبانية (رقم : ١٧) ،مدريد ، ١٨٨٦ ،واعادت نشره اعتمادا على طبعة مدريد ،دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ،١٩٦٧ ،وهي نشرة رديئة نقلت اخطاء النشرة الاولى وزادت عليها .

٢ توفي سنة ٥١٤ ، وتقدمت ترجمته ص : ٤٠ — ٤١ .

٣ هو القاضي ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي (٤٧٦—٥٤٤/ ١٠٨٣ — ١١٤٩) انظر مقدمة " الغنية — فهرست شيوخ القاضي عياض": ٦ —٧ .

٤ قال القاضي عياض في الغنية عند ترجمته للصدفي : " واتسعت روايته ،وقد جمعت شيوخه في كتاب المعجم الذى ضمنته ذكره واخباره ،وشيوخه واخبارهم وهم نحو مائتي شيخ". الغنية : ١٣٠ ولتلميذ الصدفي يوسف بن عبد العزيز بن يوسف بن ابراهيم ابن فيرّه اللخمي الاندى ،أبي الوليد ابن الدبّاغ (٤٨١ — ٥٤٦) معجم في شيوخ ابي علي الصدفي (صلة الصلة : ٢٠٨ (٤٠٣) واقدر ان ترجمته سقطت من معجم اصحاب الصدفي فيما طاله من خرم في حرف الياء.

فكتب من روايته ،وخصّه بخط من عنايته ،ذلك لاختصاصه بقربة هي ما هي ،ورتبة في العدالة بلغت التناهي . ."[1] وقد جعل ابن الابار معجمه " على الحروف منسوقا ، وبحسب التقدم في الممات والتأخر مسوقا".[2] واستبعد جماعة لهم سماع كثير من أبي علي ولم يجد وجها " لذكرهم اذ لا علم لي بأمرهم ،ولو تقصّيت المسمّين في الاصول ، لاستحال الايجاز الى الطول ،واتصل التساوى بين المعلوم والمجهول".[3] واعتمد ترتيب حروف الهجاء المغربي .

وقد روى ابن الابار " المعجم في مشيخة أبي علي الصدفي" عن صهره،وهو أبي عبد الله محمد بن حسن ابن الوزير البطرني (٥٧٣ — ٦٣٧ / ١١٧٧_١٢٣٩) .[4]
وأرى ان "المعجم" كان من تأليف فترة متأخرة ،ايام مقامه ببجاية بين سنة ٦٤٧ وسنة ٦٥٥.[5]

---

١ المعجم : ٥ .

٢ المعجم في اصحاب القاضي أبي علي الصدفي ص ٦ .

٣ المصدر نفسه ص ٦٨ (٥٧) ،وانظر ص ٦٩ تعليقه اثر انقضاء حرف الالف .

٤ قال : " قرأ جميعه عليّ بلفظه ،وسوى ذلك . . ." التكملة ٢/ ٦٤٧ (١٦٦٨) ، وانظر في ترجمته ايضا الذيل والتكملة ٦/ ١٥٨ (٤٢٣) وقد يكون حمله من طرق اخرى .

٥ يذكر ص ١٠٧ انه قرأ ببجاية على أبي الحسين ابن السرّاج ،وقد سمعه ابن رزين التجيبي على ابن الابار في بجاية في حدود عام ٦٥٥ بقراءة أبي عبد الله ابن الجلاب. انظر المقدمة اللاتينية ص xvi ،وقارن بكتاب الدكتور عبد العزيز عبد المجيد "ابن الابّار : حياته وكتبه" ص ٢٢٥ وما بعدها . ورحلة ابن رشيد (الاسكوريال رقم : ١٧٣٧) ق / ١٢٥ — ١٢٧ .

وخطة ابن الابّار في تراجمه ان يذكر اسم المترجم له وبلده وبعض شيوخه ثم يذكر سماعه من القاضي ابي علي ويحدّد تاريخ السماع اذا توفّر له ،ثم يذكر روايته عن القاضي الصدفي ،من حديث الى بيت شعر الى حكاية أدبية او خبر تاريخي . وكل هذه الروايات يتصل ابن الابار بسندها الى الصدفي عن طريق اشياخه ،وكنت قد ذكرت فيما سبق ان رواية الصدفي وصلت الى ابن الابار مع روايات سواه من جلّة اهل العلم في الاندلس ،وان مدار الرواية صار على ابن الابار في الاندلس بعد وفاة أبي الربيع ابن سالم. هذا ولا يكتفي ابن الابار بايراد الحديث او الخبر ،بل كثيرا مايعلق عليه او يتناوله بالنقد ،لهذا جاء كتابه جامعا لفوائد غزيرة حديثية وادبية واخباريّة.

ويعتمد ابن الابار في "المعجم" على عدّة مصادر أولها — "معجم" القاضي عياض في شيوخ أبي علي الصدفي،فمن هؤلاء الشيوخ جمع الصدفي علمه وروايته ثم تفرّعت في تلامذته الذين افردهم ابن الابار بالترجمة ومعجم ابن الدباغ الذى تقدم ذكره ؛ ثانيا رواية ابن الابار عن شيوخه واجازاتهم له مناولة وكتابة وسماعا واكثر هذه الروايات من طريق ابي الخطاب ابن واجب وأبي الربيع ابن سالم ،وابن حوط الله ، وابي الحسن ابن خيرة ،وابن نوح الغافقي وابي محمد ابن مطروح التجيبي [1] ، ثالثا — ما اجتمع عنده

---

[1] هذا سوى ماأجازه اياه غير هؤلاء من الاندلسيين ،ومن شيوخه المشارقة خاصة كأبي الحسن ابن المقيّر (— ٦٤٣) الذى كتب له من القاهرة يجيزه "تاريخ" الخطيب البغدادى وكافة رواياته وتواليفه ص ٣٤ و ٧٩ ، ١٤٩ ، ٢٦٧ وابي محمد عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى (— ٦٥٦) ص : ٥٣ . كما حمل جميع رواية السّلفي وتواليفه عن المنذرى وعن نيف على العشرين من شيوخه الاندلسيين والمشارقة . ص ٥١ .

من اصول ومصادر واجزاء حديثيّة ،وهذه على نوعين ،النوع الاول ما حصّله من اصول الصدفي وابن سالم وابن حبيش وغيرهم بخطوطهم ،او اجزاء من مقتنياتهم عليها تقييداتهم وسماعاتهم ومعارضاتهم،[1] والنوع الثاني ما كتبه بخطّه من هذه الاصول والاجزاء النادرة والتي كان يحرص على استنساخها اثناء تجواله في الاندلس خاصة ،وفي تونس وبجاية [1] ؛ رابعا : الفهارس والمعاجم والمشيخات التي كانت بحوزته واكثرها لم يصلنا .[2]

وعدد تراجم المعجم يزيد على ٣١٥ ترجمة ،وهو العدد الذى وصلنا ،اذ ان ثمة خرما في المخطوط مقداره حوالي الورقتين .[3] ويصح الالماع هنا الى بعض الملاحظات حول ابن الابار المحدث كما يبدو من خلال هذا المعجم .[4]

١ — انه كان مقدما على أهل وقته بحفظ الحديث وروايته ،وهذا امر يعود الى ما ذكرته سابقا من انه كان يجمع رواية كبار علماء الاندلس قبله ، كما كان حريصا على الحصول على الاجزاء والتعليقات والاصول الحديثية فاجتمع عنده قدر كبير ،اقتبس منه فوائد عجيبة وتقييدات فريدة .

---

١ انظر على سبيل المثال ص : ٣٢ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٥٨ ، ٧١ ، ٨٣ — ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩١ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٩٥ ، ٢٠٩ ، ٢١٨ ، ٢٣٢ ، ٢٧٤ ، ٢٩٥ .

٢ انظر فهرس الكتب تحت برنامج ومعجم على سبيل المثال .

٣ ص ٣١٥ . وقارن بـ " ابن الابار حياته وكتبه" ص : ٢٢١ — ٢٢٢ ، ٢٢٤ .

٤ لا اجد حاجة لذكر أمثلة لان الموضع لا يتّسع ، والكتاب مليء بالتخريجات والاشارات والنقد ،وهو بحاجة الى تحقيق علمي جديد لاهميته .

٢ ـ علو الاسناد ، اذ انه قد استفاد ممّا سمعه وجمعه بالحصول على اسانيد عالية ، وهو غالبا ما يذكر الحديث باسناد عال ثم يقول : وقد رويته باسناد ينزل عن هذا ، وقد تقدم قول الذهبي من انه " كان يكتب العالي والنازل".

٣ ـ معرفته بعلل الحديث ورجاله ، وهو كثيرا ما يعلّق على الاحاديث التي يرويها ، ويتناول احيانا رجالها بالجرح والتعديل ويصحح الكنى والالقاب .

٤ ـ عنايته برواية كثير من الاحاديث الواردة في الصحاح من غير الطرق التي ذكرت بها في الصحاح ، وهو يذكر طرق الصحاح بعد ايراده لروايته.

٥ ـ حرصه على جمع عدد كبير من الاحاديث التي رويت عن أبي علي الصدفي وهذا امر يدخل في صميم معنى المعجم ، غير ان ابن الابار بصنيعه هذا في كل ما ألّف من معاجم ـ على ما نقدّر ـ حفظ لنا هذه الاحاديث واكثرها من العوالي وبيّن لنا طرق الرواية وكيفية دخولها الاندلس .

٦ ـ روايته للاحاديث التي قد تحمل على انها تشيّع واضح ، غير ان الطريف في الامر ان كل احاديثه مروية عن الثقات الموثقين من طرق عالية وهذه الاحاديث هي من مرويات أبي علي الصدفي وبعضها حمله ابن الابار عن غيره ، وهي احاديث في فضائل امير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وفي فضل آل البيت ، وثمة بضعة احاديث في فضل أبي بكر وعمر وعثمان وأبي ذر وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم. وهذه الاحاديث قد رواها جماعة من اهل السنّة من كبار العلماء الحفاظ في غير موضع ومدينة في المشرق والمغرب ، وانتشرت روايتها في الاندلس فلا يعقل ان نتهم اكثر حفاظ الاندلس بالتشيّع ، كما حكي عن ابن الابار[1] ، خاصة وان المذهب المالكي كان هو السائد ونرّد هذا الى بعد الاندلسيين عن الصراعات العقائدية العنيفة وترفّعهم عن الخوض في اصحاب رسول الله صلى

---

١ تاريخ الاسلام للذهبي ق / ٣١٥ ب ، والوافي ٣ / ٣٥٦ ، ومستودع العلامة : ٢٨ ونفح الطيب ٤ / ٥٠٦ .

الله عليه وعلى آل بيته وعترتــــه وسلم.

وقد روى الامام المجتهد بالقاضي عياض الاشعرى المالكي في فهرسة شيوخه "الغنية" عن ابن عبّاس ،رضي الله عنه ،قوله لميمون بن مهران : " يا ميمون لا تسّب السلف وادخل الجنّة بسلام". وروى عن ابراهيم بن سعيد الجوهرى ،قال : " سألت أبا اسامة : أيّما كان أفضل معاوية او عمر بن عبد العزيز ؟ فقال : لا يعدل باصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلم أحد" . وعلى هذا النهج من كف اللسان عن الخوض في أُمور الصحابة والتابعين نهج الاندلسيون ،وقد نستثني من هذا الكلام أبا بكر ابن العربي في " العواصم والقواصم"[١] وابن حزم في رسالته في " المفاضلة بين الصحابة"[٢] والتي خرج فيها عن كل عرف واظهر تشيعا للامويين وخاض في مسائل دقيقة لم يتجرأ

---

١ انظر نشرة الاستاذ عمّار الطالبي في "آراء أبي بكر ابن العربي الكلامية"، الجزء الثاني ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ١٩٧٤.

٢ نشرها الاستاذ سعيد الافغاني في كتابه "ابن حزم الاندلسي ورسالة في المفاضلة بين الصحابة" (دار الفكر ، دمشق ،ط ٢ ،١٩٦٩) : ١٦٩ — ٢٨٠ . وانظر ص ٢٦٤ من الرسالة المذكورة ولم يثبت الا ثلاثة أحاديث في فضائل علي ،عليه السلام قال في واحد منها وهو قوله صلى الله عليه وسلم بأن عليّا " لا يحبه الا مؤمن ولا يبغضه الا منافق" : "او قد حصل مثل هذا في الانصار رضي الله عنهم ، واما " من كنت مولاه فعلي مولاه" فلا يصح من طريق الثقات اصلا (؟) . واما سائر الاحاديث التي تتعلق بها الروافض فموضوعة ،يعرف ذلك من له ادنى علم بالاخبار ونقلتها". اهـ . وهذا كلام لا دليل عليه.

غيره على الخوض بها ، وابن حزم معروف بالجدل والمماحكة.[١] وسأعود لهذا الموضوع عند كلامي على رسالة ابن الابار الموسومة " بدرر السمّط في خبر السبّط ".

وكتاب " المعجم في اصحاب القاضي أبي علي الصدفي " ، يعتبر بما فيه من معلومات واخبار وروايات الاساس لاى دراسة عن شخصية الصدفي وعلمه او لدراسة الحياة الفكرية ،في شرق الاندلس خاصة ،في القرنين الخامس والسادس للهجرة . وهذا الكلام قد ينطبق على جميع المعاجم التي عقدها ابن الابار لاشياخ الاندلس الذين اختارهم. واختياره يدل على ذكاء عميق ومعرفة اكيدة بأن على هؤلاء الاشياخ قام الصرح العلمي المتين في الاندلس وهو ان استثنى ابن حبيش فلأن شيخه ابا الربيع ابن سالم قد جمع معجما في أشياخه.

(٩) معجم أصحاب أبي عمرو المقرى :[٢]

وأبو عمرو المقرى هو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر ابن الصيرفي (٣٧١ — ٤٤٤/ ٩٨١ — ١٠٥٢)[٣] ،عرف بالداني لسكناه دانية وكان أحد الائمة

---

١ لا مجال للتوسع بالبحث ،وهذا موضوع بحاجة لدراسة خاصة ، غير اني احببت ان المح الى بعض النقاط .

٢ الذيل والتكملة ٦/ ٢٥٨.

٣ له ترجمة في جذوة المقتبس:٢٨٦ (٧٠٢) ، وفهرسة ابن خير (انظر فهارسه) ، والصلة ٢/ ٤٠٥ (٨٧٨) ،وبغية الملتمس رقم : ١١٨٥ ،ومعجم الادباء ١٢/ ١٢١ (٣٥) ،وتذكرة الحفاظ : ١١٢٠ ، والعبر ٣/ ٢٠٧ ،والديباج : ١٨٨ ، وغاية النهاية ١/ ٥٠٣ (٢٠٩١) ، والنجوم الزاهرة ٥/ ٥٤ وشذرات الذهب ٣/ ٢٧٢ ونفح الطيب ٢/ ٣٥ (وانظر فهارسه).

الاعلام في علم القراءات ورواياته وتفسيره ومعانيه وطرقه واعرابه وجمع في ذلك كله تواليف حسانا .[١]

وأقدّر أن ابن الابار نهج في هذا المعجم المنهج الذى سلكه اثناء جمعه لاصحاب الصدفي .[٢]

(١٠) معجم اصحاب أبي عمر ابن عبد البرّ :[٣]

وابن عبد الله هو يوسف بن عبد اللّه بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمرى ،من النمر بن قاسط في ربيعة (٣٦٨ — ٤٦٣/ ٩٧٨ — ١٠٧٠)[٤] ،من اهل قرطبة بها طلب و تفقّه واخذ عن أبي الوليد ابن الفرضي الحافظ كثيرا من علم الحديث ولازمه ، ودأب في طلب العلم وافتن فيه وبرع براعة فاق بها من تقدمه ،وجال في الاندلس . وقد كان مع تقدمه في علم الاثر والحديث وبصره بالفقه والمعاني له بسطة كبيرة في علم النسب

١ قال الذهبي : " . . . وله معرفة بالحديث وطرقه واسماء رجاله . . واليه المنتهى في اتقان القراءات ،والقراء خاضعون لتصانيفه واثقون بنقله في القراءات والرسم والتجويد والوقف والابتداء وغير ذلك وله مائة وعشرون مصنفا". أخذ بالاندلس وجال في مدنها ورحل الى المشرق فأخذ بالقيروان ومصر ومكة ورجع الى الاندلس في ذى القعدة سنة ٣٩٩ .

٢ قارن بما مرّ عن الصدفي ،ولن اخوض اثناء ذكر باقي المعاجم التي ألّفها ابن الابار بذكر التفصيلات اذ كلها مفقود .

٣ الذيل والتكملة ٦/ ٢٥٨ .

٤ له ترجمة في رسالة في فضل الاندلس (رسائل ابن حزم ٢/ ١٧٩ — ١٨٠) ، الجذوة : ٣٤٤ (٨٧٤) ،المطمح :٦١ ،ترتيب المدارك ٤/ ٨٠٨ (ط . بيروت) ، وراجع فهرسة ابن خير ،الصلة ٢/ ٦٧٧ (١٥٠١) ،البغية رقم:١٤٤٢ ،وفيات الاعيان ٧/ ٦٦ (٨٣٧) ، المغرب ٢/ ٤٠٧ ،نفح الطيب ٤/ ٢٩ وانظر فهارسه ؛وقد نشر عدد كبير من كتبه في المشرق والمغرب ،وقد صدر في المغرب (الرباط) عشرة اجزاء من كتابه التمهيد . وانظر ايضا بروكلمان ، التاريخ (الترجمة العربية) ٣/ ٢٧٦ و ٦/ ٢٦٠ — ٢٦٤ .

والاخبار ، وله تواليف كثيرة فاقت من سبقه في كل باب . [١]

(١١) معجم اصحاب أبي داود الهشامي [٢] :

أبو داود سليمان بن نجاح هو مولى المؤيد بالله هشام بن الحكم المستنصر بالله المقرئ الزاهد (٤١٣ — ٤٩٦ / ١٠٢٢ — ١١٠٢) . [٣] قال ابن الابار [٤] :

" كان أثبت الناس في أبي عمرو المقرئ ، وله سماع من أبي عمر ابن عبد البر وأبي الوليد الباجي وأبي العباس العذري وأبي الفتح السمرقندي .... (وغيرهم) . سمع من أبي علي اثر قدومه من المشرق ولأبي علي اجازة منه ورواية لبعض تواليفه عنه قبل رحلته فتدبجا ، وقد جمع ابن عيّاد جزءًا في اخبار أبي داود ومناقبه حدّثت به عنه " .

كان من جلّة المقرئين وفضلائهم وخيارهم ، عالما بالقراءات ورواياتها وطرقها ، حسن الضبط لها . وله تواليف كثيرة في معاني القرآن العظيم وغيره . توفي ببلنسية وهي كانت داره .

---

١ قال ابو الوليد الباجي : " لم يكن في الاندلس مثل ابي عمر في الحديث" وقال ابن خلكان : "كان الخطيب البغدادي حافظ المشرق وكان ابن عبد البر حافظ المغرب " . قال ابن حزم : " كتاب التمهيد لصاحبنا أبي عمر يوسف بن عبد البر ، وهو الآن بعد في الحياة لم يبلغ سن الشيخوخة ، وهو كتاب لا اعلم في الكلام على فقه الحديث مثله اصلا فكيف احسن منه ... " .

٢ الذيل والتكملة ٦/ ٢٥٨ .

٣ له ترجمة في الصلة ١/ ٢٠٣ (٤٥٨) ، البغية رقم: ٧٧٨ ، المعجم في اصحاب الصدفي : ٣٠٢ (٢٨٨) ، العبر ٣/ ٣٤٣ ، الوافي ٤٣٧/١٥ (٥٨٨) ، غاية النهاية ٣١٦/١ (١٣٩٢) ، شذرات الذهب ٤٠٣/٣ ، الاعلام للزركلي ١٣٧/٣ .

٤ المعجم : ٣٠٢ .

ولم يذكر ابن الابار عند ترجمته له في المعجم انه تفرّغ لجمع معجم في اصحاب الهشامي ولا اشار اليه بشيء ، مما قد يوحي أنه ألّفه بعد فراغه من معجم الصدفي ، وانه اعتمد فيه على ما جمعه ابن عبّاد .

(١٢) معجم اصحاب أبي علي الغسّاني : [١]

هو الحسين بن محمد بن أحمد ، أبو علي ويعرف بالجيّاني (٤١٧ — ٤٩٨/ ١٠٢٦ — ١١٠٤) [٢] ، قال القاضي عياض : " شيخ الاندلس في وقته وصاحب رحلتهم وأضبط الناس لكتاب واتقنهم لرواية ، مع الحظ الوافر من الادب والنسب والمعرفة باسماء الرجال وسعة السماع . . . أتقن كتب اللغة والغريب والشروح عليه ، ورحل الناس اليه من الاقطار وحملوا عنه" . وفي شيوخه كثرة . [٣] ولم يكن انفراد أبي علي الصدفي بالامامة في الحديث في الاندلس الا بعد وفاة الغسّاني ، وقد تدبّجا . وله كتاب " تقييد المهمل وتمييز المشكل " الذى سبقت الاشارة اليه .

ويبدو ان ابن الابار جمع هذا المعجم بعد فراغه من جمع معجم الصدفي لانه لم يذكره هناك . هذا وقد استدرك ابن عبد الملك في الذيل والتكملة [٤] على ابن الابار

---

١ الذيل والتكملة ٦/ ٢٥٨ .

٢ انظر في ترجمته الغنية : ١٣٨ (٤٨) وفيه ذكر لمصادر اخرى ، والمعجم في اصحاب الصدفي : ٧٧ (٦٧) و ص : ٢٤ ، ٧٨ ، ٣٠٣ ، والتكملة ١/ ٢٢ و ٣٢ .

٣ انظر الغنية للقاضي عياض : ١٣٨ .

٤ قال : "محمد بن بكار التميمي ، مسيلي ثم فاسي روى عن أبي علي الغسّاني ولم يذكره ابن الابار في اصحابه" (قسم الغرباء ٨/١٥٥) . وقد رأينا ان ابن الابار ترك في معجم اصحاب الصدفي جماعة لانه لو تقصّى المسمين لاستحال الايجاز وتساوى المعلوم بالمجهول ، وقد يكون تركه لابن بكار التميمي هذا وغيره من اصحاب الغسّاني من هذا القبيل . واستدرك عليه ايضا بعبد الملك بن خلف بن محمد الخولاني (الذيل والتكملة ٥/١٧) .

في معجم اصحاب الغسّاني .

(١٣) معجم أصحاب أبي بكر ابن العربي :[١]

هو القاضي محمد بن عبد الله بن محمد بن احمد المعافرى (٤٦٨ — ٥٤٣/ ١٠٧٥ — ١١٤٨) [٢]، من اهل اشبيلية وابوه من فقهائها ورؤسائها ، كانت له حظوة عند العبّادية اصحاب اشبيلية . ودرس ابو بكر على مشايخ اشبيلية ورحل مع ابيه الى المشرق وعمره يومئذ نحو سبعة عشر عاما فأخذ بمصر والشام ومكةوالعراق عن كبار العلماء الحفاظ واتسعت روايته ورحلته ودرس الفقه والاصول وقيّد الحديث وأتقن مسائل الخلاف والاصول والكلام على ائمة هذا الشأن وادخل معه الى الاندلس علما كثيرا حينما دخلها سنة خمس وتسعين ،فسكن بلده اشبيلية وشوورفيه وسمع ودرّس الفقه والاصول وجلس للوعظ والتفسير ورحل اليه للسماع وصنّف في غير فن تصانيف مليحة . قال القاضي عياض في الغنية : " ولكثرة حديثه واخباره وغرائب حكاياته ورواياته ما اكثر الناس فيه الكلام وطعنوا في حديثه".

ولو وصلنا هذا المعجم لكنّا انتفعنا به أشد النفع في القاء الضوء على روايات ابي بكر ابن العربي ورحلته ،ولتتبعنا ردود ابن الابار وتعليقاته على احاديثه . فقد روى ابن العربي في العواصم والقواصم[٣] — مثلا — حديثا نسبه الى ابي بكر الصديق رضي الله

---

١ التكملة ١/٥٣، ١٨٥ ، الذيل والتكملة ٦/٢٥٨ ،فهرس الفهارس ١/١٤٢ .
٢ له ترجمة في الغنية : ٦٦ (١٠) وفيه ذكر لنصا در ترجمته .
٣ العواصم من القواصم (نشرة الاستاذ عمّار الطالبي) : ٣٧٤ — ٣٧٥ .

عنه قال : " وكان اذ مات النبيّ (صلى اللّه عليه وسلم) غائبا في ماله بالسنح فجاء الى منزل ابنته عائشة رضي اللّه عنها ، وفيه مات النبي صلى اللّه عليه وسلم ،فكشف عن وجهه واكبّ عليه يقبّله وقال : بأبي انت وأمي يا رسول اللّه طبتَ حيّا وميتا . . . الى آخر الحديث ". غير ان ابن الابار رواه في المعجم في اصحاب الصدفي على نحو آخر فقال [١] : " حدثنا ابو الخطاب ابن واجب . . . بالسند الى أبي علي الصدفي من اصله المنسوخ بخط ابن سعادة من أصل القاضي ابي علي . . . . بالسند الى الحسن بن عرفة حدثنا عبد الله بن المبارك عن معمر عن الزهرى عن سعيد بن المسيب قال : التمس علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه من النبي صلى اللّه عليه وسلم ما يلتمس من الميت فلم يجده فقال : " بأبي انت وأمّي يا رسول الله طبت حيّا وطبت ميتا ". [٢]

(١٤) معجم شيوخ أبي الحسين احمد بن محمد السرّاج : [٣]

هو احمد بن محمد بن احمد بن عبد اللّه بن قاسم الانصارى (٥٦٠ — ٦٥٧/

---

١ ص : ٢٢٧ — ٢٢٨ .

٢ واخرج ابن سعد والبيهقي عن الشعبي قال : "غسل عليّ النبي صلى اللّه عليه وسلم فكان يقول وهو يغسله : بأبي وأمي طبت حيا وميتا ".
واخرج أبو داود الحاكم وصححه والبيهقي وابن سعد من طريق سعيد ابن المسيب عن عليّ قال " غسلت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فذهبت انظر ما يكون من الميت فلم ار شيئا وكان طيبا حيا وميتا ".
واخرج أحمد عن ابن عباس قال : "غسل عليّ النبيّ صلّى اللّه عليه وسلم فلم يرَ منه شيئا مما يراه من الميت فقال : بأبي انت وأمي ما اطيبك حيا وميتا ".
الخصائص الكبرى ٣/ ٣٩٢ ،وطبقات ابن سعد ٢/ ٢/ ٦٣ ،ومسند احمد ١/ ٢٦٠ ،والمستدرك ١/ ٣٦٢ . وقارن بتاريخ الطبرى (تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، ط ١٩٦٩) ٣/ ٢١٢ .وقارن ب : ابن الجوزى ، الوفا في فضائل المصطفى (تحقيق مصطفى عبد الواحد ، القاهرة ، ١٩٦٦) : ٧٩٤ ـ ٧٩٥ . وانظر الحافظ الذهبي ، السيرة النبوية (باعتناء حسام الدين القدسي ، القاهرة) : ٤٠٢ ، قال الذهبي : "مرسل جيد ". وقارن بكتب السيرة، باب موت الرسول صلى اللّه عليه وسلم وغسله وكفنه ودفنه .

٣ الذيل والتكملة ٦/ ٢٥٨ .

١١٦٤ — ١٢٥٨) [1] ، اشبيلي خرج من بلده بخروج اهلها عند تغلب الروم عليها في رمضان سنة ٦٤٦ وأجاز البحر الى سبته وأقام بها قليلا ، وفصل عنها الى بجاية سنة ٦٤٧ واستوطنها الى ان توفي ، وهناك لقيه ابن الابّار فتدبّجا . سمع بالاندلس من جلّة شيوخها واجاز له جماعة ، وكان سريّافا ضلا من بيت خير ود ين ونباهة ، راوية مسندا ثقة فيما يحدث به ، صحيح السماع صدوقا . عمّر طويلا وأسن حتى كان آخر الرواة بالسماع عن اكثر الاكابر من شيوخه ممتعا بحواسه صحيح الجسم الى منتهى عمره وكان يبصر أدق الخطوط من غير تكلف مع فرط الكبرة .

وأرى أن ابن الابار افرد معجما في شيوخه لانه من الثقات المعمّرين وصاحب رواية عالية متّسعة، فقد حمل ، فيمن حمل عنهم عن خاله أبي بكر ابن خير الاشبيلي صاحب الفهرسة ، وعن ابن الجدّ وابن عات وابن زرقون وأبي زيد أو أبي القاسم السهيلي وابن حبيش والملّاحي وابن بشكوال وغيرهم ، وحملت عنه روايته في بجاية فعمت المشارق والمغارب ، والاتصال بروايته يرفع من سند الرواية، فقد الحق الاكابر بالاصاغر وعاصر ثلاثة اجيال . من هنا تأتي اهمية افراد ابن الابار شيوخه بمعجم خاص، وبهذا المعجم — اضافة الى معجم شيوخه هو — يكون قد تابع الرواية العلمية في الاندلس منذ القرن الخامس حتى منتصف السابع .

---

1) له ترجمة في الذيل والتكملة ١/ ٣٦٩ (٥١٤) ، عنوان الدراية: ٢٠٢، رحلة ابن رشيد (الاسكوريال رقم : ١٧٣٧) ق / ٥٨ — ٥٩، ١٢٥ ، العبر ٥/ ٢٣٩ ، الوافي ٧/ ٣٤٩ (٣٣٤٠) ، النجوم الزاهرة ٧/ ٧١، غاية النهاية ١/ ١٠٢ (٤٦٩) ، شذرات الذهب ٥/ ٢٨٩ .

(١٥) معجم شيوخه :[1]

وهو كما يدل عليه اسمه معجم في شيوخ ابن الابار من الاندلسيين والمشارقة .
ويبدو ان ابن عبد الملك في الذيل والتكملة كان أثناء ترجمته لابي عبد الله ابن الابار يلخّص عن هذا المعجم. وقد ذكر له مائة وثلاثة وخمسين شيخا منهم من رآه وحمل عنه مباشرة ومنهم من اجازه وكتب لـه .[2]

(١٦) برنامج رواياته :[3]

كان مدار الرواية في الاندلس على ابن الابار بعد وفاة شيخه ابي الربيع ابن سالم ،كما حملت عنه روايته في المغرب بعد انتقاله اليها وحمل عنه عدد كبير من التلامذة وتدبّج معه خلق . وقد وصلتنا بعض روايته عن طريق مؤلفاته ومن طرق اخرى كبرنامج التجيبي ورحلة ابن رشيد وبرنامج الوادى آشي .

٣ — مؤلفاتـــــه في الفقـــــه :

(١٧) مختصر أحكام ابن أبي زمنين في الفقه :[4]

ابن ابي زمنين الذى اختصر ابن الابار كتابه هو محمد بن عبد الله بن عيسى بن

---

١ التكملة ١/ ١٢٥ ، والذيل والتكملة ٦/ ٢٥٨ ،ورحلة ابن رشيد (الاسكوريال رقم : ١٧٣٧ وفهرس الفهارس ١/ ١٤٢ .

٢ انظر المعجم في شيوخ أبي عبد الله ابن الابار واصحابه ملحقا بهذه الرسالة .

٣ الذيل والتكملة ٦/ ٢٥٨ ،رحلة ابن رشيد (الاسكوريال رقم : ١٧٣٧) ق/ ١٢٥ .

٤ الذيل والتكملة ٦/ ٢٥٨ .

ابي زمنين ابو عبد الله المري (٣٢٤ - ٣٩٩/٩٣٥ - ١٠٠٨) [١]، من كبار المحدثين والفقهاء الراسخين في العلم ،وكتابه المنتخب في الاحكام ظهرت منفعته ،وطار بالمشرق والمغرب ذكره [٢] وقد صنفه لاخيه أبي بكر محمد حين ولي قضاء البيرة. [٣]
وهذا المختصر الذى صنعه ابن الابار يدلّ على اهتمامه بالفقه وعنايته بكتبه ومحاولته تخليد هذا الكتاب الذى يبدو انه كان من اهم ما ألّف في الاحكام في الاندلس وذلك بتهذيبه واختصاره ،غير اني لم اعثر له على مؤلف آخر في الموضوع نفسه.

---

١ له ترجمة في الجذوة : ٥٣ (٥٧) ،وترتيب المدارك ١٨٣/٧ (ط. المغرب) ، والصلة ٢/ ٤٨٢ (١٠٤٧) ،وبغية الملتمس رقم : ١٦٠ ، والديباج : ٢٦٩ ، والشذرات ١٥٦/٣. وانظر فهرسة ابن خير : ٢٥١ . ومن كتبه "المغرب في اختصار المدوّنة وشرح مشكلها والتفقه في نكت منها" ،قال ابن سهل :هو افضل مختصرات المدوّنة وأقربها الفاظا ومعاني .

٢ بتصرف عن ترتيب المدارك ٧/ ١٨٤ - ١٨٥ .

٣ هذا ما قاله ابن عبد الملك عند ترجمته لأخيه في الذيل والتكملة ٢٩٤/٦ (٧٧٧).

٤ - التراجم والتاريخ :

(١٨) التكلمة لكتاب الصلة[١] :

في مجلدين ضخمين[٢] ، وهو كتاب في التراجم ليس له شرط محدّد ، وقد سقطت

---

١ يستعصي على الحصر تعداد المصادر التي ذكرت هذا الكتاب أو نقلت عنه ، فقد نال ذيوعا واسعا في المغرب والمشرق ، وسأكتفي بذكر بعض هذه المصادر . الحلة السيراء ١/ ٢٦٨ ، الذيل والتكملة ٦/ ٢٥٨ ومواضع اخرى يطول ذكرها ، عنوان الدراية : ٣١٠ رحلة التجاني : ٢٧٢ ، برنامج التجيبي : ٢٦٣ ، رحلة ابن رشيد (الاسكوريال رقم : ١٧٣٧) ق / ١٢٦ ، تاريخ الاسلام للذهبي (البودليان Land Or. 305 ، وفيات سنة ٦٥٨) ق / ٣١٥ أ وهو ينقل عنه كثيرا اثناء تراجم تاريخه ، الوافي ٣/ ٣٥٦ ، فوات الوفيات ٣/ ٤٥٠ ، عقود الجمان ق / ٢٨٧ ب ، المرقبة العليا : ١٧ ، ١٠٦ ، ١١٩ ، السخاوي ، الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ضمن كتاب علم التاريخ عند المسلمين ، لفرانتز روزنتال ، تحقيق الدكتور صالح أحمد العلي ، موسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٣) ص : ٦١٩ ، ازهار الرياض ٢/ ٣٧٩ ، ٥/ ٩٨ ، نفح الطيب ١/ ٣٩٤ ، ٢/ ٥٥٠ ، ٥٩٢ ، ٣/ ٦٦٥ ، ٤/ ١٦٦ ، ٤٥٧ ، ٤٦٢ ، ٤٧٢ ، ٥/ ٥٣٥ ، فهرس الفهارس ١/ ١٤٢ .
وقد طبعت اجزاء منه في مواضع متفرقة ، ولم يتصدّ احد لطبعه كاملا بعد . انظر كتاب الدكتور عبد العزيز عبد المجيد : ١٨٤ - ٢٠٣ ، ومقدمة الدكتور حسين موءنس على الحلة السيراء ١/ ٩ - ١١ وطبعت التراجم حتى آخر " عبيد الله " في القاهرة ، ١٩٥٥ ، باعتناء الاستاذ عزت العطار الحسيني .

٢ هذا ما حكاه ابن عبد الملك ، وقال الذهبي : " كمّل الصلة البشكوالية بكتاب في ثلاثة اسفار اختصرته في مجلد " .

مقدمة ابن الابار فضاع بسقوطها المنهج الذى سلكه ، والحدود التي وضعها لمؤلفه ، كما أصاب الكتاب خرم من حرف الحاء في من اسمه "حسين" وما بعده حتى "حكم" الذى وصلنا منه اسمان فقط . وقد اراد ابن الابار في كتابه ان يكمل الصلة البشكوالية التي وصل بها ابن بشكوال (— ٥٧٨) كتاب تاريخ علماء الاندلس لابن الفرضي (— ٤٠٣). قال ابن الابار [1] : "ولم اقتصر به على الابتداء من حيث انتهى ابن بشكوال بل تجاوزته وابن الفرضي أتولى التقصي وأتوخى الكمال وربما اعدت من تحقيقاً ذكره وما تعرفا أمره". اما الدافع الى تأليف الكتاب فيصرح ابن الابار ان شيخه أبا الربيع ابن سالم هو الذى ندبه اليه وحضّه عليه ، كما ان غربة الاسلام في الجزيرة وتحيّف الروم لها واحاطتهم بها وتناثر حبّاتها واحدة تلو الاخرى "حتى ذهب الساكن والسكون وكان من امر الله ما علم ان سيكون" [1] ،كل هذا دفع ابن الابار ،بناء على رغبة الاخوان والحاحهم عليه لتقييد تأليفه واتمامه ،الى السير قدما بمشروعه الذى بدأ بكتابة جذاذاته وجمع اخباره وترتيبه منذ سنة ٦٣١ ". ليعلم انه ما افلت أهلتها (يعني جزيرة الاندلس) وان اعضلت علّتها وبطلت على البرء أدلّتها ولا هوت نجومها والوت بدولة عربها رومها ، هذا وجنابها فضاع وخلافها اجماع". غير ان "العلوم بها ما حرمت طلقها ولا عدمت بالجملة خلقها ومصداق ذلك وصل احسانهم والحبل موتور ، ونظم جميلهم والشمل منثور" [1].

هذه الدوافع التي حفزت ابن الابار على تأليف التكملة ،رغبته في الاحاطة بمختلف ضروب العلم والتأليف والنقل والرواية وجعلته لا يتخيّر في نوعية تراجمه اذ انه اراد ان ينقل صورة عن مختلف اوجه الحياة الثقافية في الاندلس ليخلّد في اسفاره تلك

---

١ مقدمة ابن الابار على التكملة (طبعة عزت العطار الحسيني ، القاهرة ١٩٥٦)
واتظر : Revue Africaine, vol. 59, (Alger,1918) pp: 311-317.

اخبار اهل الاندلس ، خاصة وانّها كانت مشرفة على التفتّت او كادت اذ احاط بها الروم واخترقوا حدودها وعاثوا فيها دمارا وخرابا " فلم يبق الا صبابة كصبابة الاناء .... لا سيما وقد ختمت بالمصيبة الكبرى في اشبيلية مصائبها". لهذا كله فالكتاب ليس على شرط محدد كما سبق واسلفت اذ ترجم فيه للمحدثين والعلماء والاطباء والحكام والقراء واللغويين والادباء والشعراء والمؤرخين والكتّاب والمدرسين والتّجار والزهاد والصالحين والمتصوفة والخارجين عن مذهب الجماعة والثائرين ، ومن اشتهر بجودة الخط أو حسن الصوت في القراءة والاذان وغير هؤلاء وادخل فيه الغرباء والنساء ، وكأنه اراد ان يحيي الجزيرة ويعيد مجدها بتأليفه .

وقد اختار ابن الابار ان يرتّب تراجمه على الترتيب الالفبائي المغربي مقدما من اسمه احمد في حرف الالف ومحمد في حرف الميم وعبد الله وعبيد الله في حرف العين تبركا . وجعل الاسماء في كل باب بحسب نسبة عدد التراجم وافرد للمفاريد من كل حرف بابا وقد لا يجد من الاسماء في بعض الحروف من يستحق الترجمة فيسقط الاسم . وأفرد بعد كل حرف بابا للاغراب وآخر للكنى . ولم يراع في الترتيب الداخلي ضمن كل اسم الاسم الثاني انما اعتمد تاريخ الوفاة - ان توفّر — وان لم يتوفر كان معتمده زمن الرواية عن الشيوخ ، فمن روى سنة ٥٢٠ وقع بين من روى سنة ٥١٩ و ٥٢١ .

هذا لجهة الترتيب والمنهج العام اما طريقته في الترجمة ومادته فيها فهو أمر تحدّده طبيعة الترجمة نفسها والمادة المتوفرة . ولكنه غالبا ما يذكر الاسم كاملا — واحيانا يرفع النسب ان توفر له — ثم النسبة ومكان الولادة وبعد ذلك الكنية واللقب اذا كان للمترجم لقب ، وان كان له كنيتان ذكرهما .

ثم يذكر عددا من اشياخه ومن روى عنه وشيئا عن علمه أو صنعته وقد يذكر بعض تواليفه . ثم يذكر تاريخ الوفاة اذا توفر واحيانا يحدّد الشهر واليوم والسنة اذا كان واثقا من ذلك . ثم يذكر تاريخ ولادته وفي النهاية يذكر مصدره : عن فلان ،او عن فلان وبعضه عن فلان ،او من خط فلان ،او من كتاب فلان ، او نقلته من فلان او من كتاب كذا ، وسيأتي حديث مفصل عن هذه الناحية عند الكلام على مصادر الكتاب.

واذا كان المترجم له معاصرا او من شيوخه يذكر روايته عنه ومكان لقائه . قلت ان طبيعة الترجمة والمواد هي التي تحدد طريقتها ، لهذا قد لا تتجاوز الترجمة التسمية احيانا او حتى الكنية واللقب . وقد يبلغ حدا من التفصيل شديدا اذا كان المترجم له من شيوخه او اذا توفرت مواد كافية للترجمة . وهو احيانا عندما ينقل عن اكثر من مصدر يرجّح احدى الروايات او ينقدها جميعا ويستدرك عليها اذ ان الاستدراك من شرطه . واحيانا ينقل الخبر على عهدة راويه . ويذكر مدى علم المترجم له ، وتوثيقه او تضعيفه اذا توفّر ذلك عنده . وقد يذكر اخبارا تاريخيّة اثناء الترجمة فالكتاب لاجل هذا ملئ بالاخبار والتواريخ التي قد تسهم في جلاء امور كثيرة .

وقد صرّح ابن الابار انه ابتدأ بتقييد كتابه سنة ٦٣١ واتمّه بعد عشرين عاما ، ويبدو من المقدمة انه كتبها سنة ٦٤٦ سنة سقوط اشبيلية .

وقد اخذ ابن عبد الملك المراكشي في كتابه الذيل والتكملة عدّة مآخذ على منهج ابن الابار في ترتيبه للتراجم وفي نوعيّة التراجم ومادتّها ، كما ردّ عددا مما سمّاه اوهام ابن الابار واغلاطه واستدرك عليه فيها .

وقد تبيّن لنا في مواضع سابقة تحامل ابن عبد الملك على ابن الابار [1] ، فلنذكر

---

[1] انظر ما تقدم عند الكلام على كتاب "الاستدراك على أبي محمد القرطبي" وكتاب معجم اصحاب الغسّاني .

اولا مآخذ ابن عبد الملك ثم نناقشها فمما أخذه عليه[1] :

١ — اعتماده في ترتيب التراجم على ذكر الاسبق في الوجود فالاسبق معتمدا على سنة الوفاة وسنة الوفاة كثيرا ما تكون مجهولة فيقع الاضطراب .

٢ — اعتماده زمن رواية الراوى عن شيوخه معوفاة من قبله ومن بعده فيوسطه بينهما ،وقد يكون سن الراوى زمن روايته صغيرا ثم عمّر ما شاء الله .

٣ — خرج ابن الابار في تمييزه للغرباء عن عرف المحدثين فالذى ينتقل من بلد الى آخر ينسب الى البلد الذى صار مستقرا له.

٤ — كان الاولى تأخير الغرباء الى آخر الكتاب .

٥ — عدّ ابن الابار في الاندلسيين جماعة من الناقلة اليها افراطا في تعصّبه ، وهذا شيء لا يليق بأهل الانصاف وهو يشهد على صاحبه بالحسد المذموم واحتقار طائفة كبيرة من جلّة اهل العدوة.

٦ — أدرج ابن الابار في كتابه أناسا عرفوا بالصلاح والخير والاجتهاد في العبادة ولكنهم لم يعرفوا بفن من فنون العلم ومثل هوءلاء يفرد لهم كتاب خاص ولا تدرج اسماوءهم مع العلماء.

---

[1] انظر مقدمة الدكتور احسان عبّاس على ما تبقى من السفر الرابع من الذيل والتكملة (دار الثقافة ،بيروت ، دون تاريخ ، والمقدمة موءرخة في تشرين الاول ، ١٩٦٤) ص:ل — ن .
وانظر مقدمة ابن عبد الملك على السفر الاول (تحقيق الدكتور محمد بنشريفة ، دار الثقافة بيروت ، دون تاريخ) : ٦ — ١٧ .

٧ - ذكر ابن الابار في كتابه نساء تنزّه الصحف عن تسويدها بذكرهن مع اهل العلم الذين هم خواص عباد الله : " نستعيذ بالله من اعمال القلم في ذكر واحدة منهن ونرى الاعراض عنه دينا ". واذا ذكر هؤلاء النساء فما باله اغفل اضعاف اعدادهن من الرجال الذين هم على مثال حالهن ؟ انها لعثرة لا تقال وزلّة لا تغتفر وسيئة لا تكفير لها وكبيرة يجب المتاب منها والاقلاع عنها".

٨ - يكرر ابن الابار التراجم ويقلب النسب ، فيترجم لنفس الشخص احيانا في موضعين .

هذا وقد تتبع ابن عبد الملك ابن الابار في حوالي ٧٦ موضعا فيما وصلنا من اجزاء الذيل والتكملة.[1] واذا استثنينا قسم الغرباء الذى ذكر فيه سبع مواضع حمل فيها على ابن الابار يكون قد عدّ له حوالي ٧٠ وهما فيما بقي من اجزاء يبلغ عدد تراجمها ٣٨٦٩ ترجمة ، مما يعني ان نسبة الوهم الذى حمله ابن عبد الملك على ابن الابار حوالي ٢ر١٪ . ولنفرض ان الاجزاء الضائعة فيها ايضا حوالي المائة وهم مما يعني ان عدد الاخطاء والاوهام والاستدراكات التي تتبعها ابن عبد الملك بلغت حوالي

---

[1] انظر الذيل والتكملة ١/ ٦٤ - ٦٥ ، ٨٤ ، ١١٢ ، ٢٩٦ ، ٣٠٣ - ٣٠٤ ، ٣١٢ ، ٣٢٣ ، ٣٥٥ ، ٣٦٧ ، ٣٨٥ ، ٣٨٧ ؛
٤/ ١٢ ، ١٤ ، ٦٦ ، ١٠١ ، ١٨٥ ، ١٩٥ ، ٢٠٨ ، ٢٢١ ، ٢٣٠ ؛
٥/ ١٧ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٥٥ ، ٧٥ ، ٩٧ ، ١١٠ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٥٣ ، ١٥٨ ، ١٦٣ ، ١٧١ ، ١٧٨ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٦٤ ، ٣١٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٤٠٥ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤٨٧ ، ٥٠٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٩ ، ٥٦٦ ؛
٦/ ٣٩ ، ٥٧ ، ٧٠ ، ١٨٦ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٨٥ ، ٢٩٨ ، ٣٠٥ ، ٣٣٠ ؛
٨/ ١٠٦ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٨ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٩٤ .

١٧٥ واذا عرفنا ان كتاب التكملة يشتمل على اكثر من ٢٨٠٠ ترجمة فهذا يعني ان نسبة خطأ ابن الابار لا تتعدى ٦ر٥ ٪ .

هذا وقد تتبع التجيبي الذى علّق حواشي بعض اجزاء مخطوط الذيل والتكملة بعض سقطات ابن عبد الملك.[١] والخطأ امر طبيعي ،وارد ومتوقــع خاصة في كتب التراجم ، واخطاء ابن عبد الملك كبيرة الشبه بأخطاء ابن الابار .

غير ان ابن عبد الملك لم يقصد من وراء تتبع ابن الابار مجرد تصحيح وهم يتعرّض كل مؤلّف له؛ انما اتخذ من ذلك ذريعة للنيل من ابن الابّار والحمل عليه بشدّة لا مبرّر لها . ولم يكن ابن الابار الوحيد الذى يحمل عليه ابن عبد الملك فقد حمل ايضا على ابن عميرة اثناء ترجمته له وحمل على غيرها ايضا . ولا تسعفنا المصادر في معرفة دوافع هذا التنافس الذى يبلغ درجة الحقد والحسد ،اللّهم الا ان يكون ذلك الصراع بين الاندلسيين والبلديين من اهل العدوة ولا اعتقده كافيا اذا لم تردفه دوافع اخرى شخصية ،سياسيّة اوغيرها . والله اعلم .

لنعد الى مناقشة ما حمله ابن عبد الملك على ابن الابار . فأما المآخذ الاول والثاني والرابع فقد نوافق عليها ابن عبد الملك تماما ،لما فيها من خطأ في الترتيب وتعيين الوفاة مع ما قد يجرّه هذا من وهم ، ولما في تأخير الغرباء من فائدة وسرعة في التناول للتراجم بالنسبة للباحث.

---

[١] انظر ١/١٢١ ، ٥/٧١ ، ٣٠٢ ، ٤٤٤ ، ٦/٧٨ ، ٣٠٥ .

اما المآخذ الاخرى ، فقد ذكرت ان ابن الابار اراد ان يؤرخ لمجمل ضروب النشاط الثقافي في بلده الاندلس محاولا ان يخلد مآثر المسلمين في صقع تاء يؤذن نجمه بالافول فهو يصدر عن هذا المنزع العاطفي عند كتابته متوخيا الشمول ولهذا عدّ كل هؤلاء المترجمين وان لم يكونوا قد عرفوا بفن من فنون العلم خاص ، لان ذلك المدخل المحدد لم يكن من شرطه ، وقد التزمه بصرامة حينما ألّف معجم شيوخ الصدفي والمعاجم الاخرى وخالفه ابن عبد الملك ـ فيما اقدّر ـ عندما اراد ان يحشر ضمن اصحاب الغساني اناسا لم يكونوا من شرط ابن الابّار.

اما لجهة ذكر النساء فهو ليس بالامر الشائن ولا المستغرب ، انما هو يدخل ضمن ما سبق وذكرته من توخّي الشمول . وهذا ما فعله الامام شيخ الاسلام الحافظ الذهبي في كتابه الضخم " تاريخ الاسلام" لانه اراد الشمول وكانت غايته التأريخ لمختلف النشاطات والاتجاهات الثقافية وكذلك فعل الامام المنذرى في كتابه التكملة لوفيات النقلة" وغيرها . فكلام ابن عبد الملك محض تحامل ظاهر . وقد اعتمد ابن الابار في كتابه على عدد ضخم من المؤلفات والاجزاء والجذاذات والاصول ،هذا سوى الرواية والحفظ والمشاهدة والمسائلة ،وسأتناول هذه الاقسام كلّا على حدة :

١ ــ الرواية والحفظ : كان ابن الابار يتمتع بحافظة قوية ،ساعدته على اكتناز عدد كبير من الروايات والاخبار التي كانت مادة جاهزة يستعين بها في تآليفه ،ولاننس انه اخذ عن عدد كبير من الشيوخ الاندلسيين والمشارقة .

٢ ــ المشاهدة والمسائلة : افاد في هذه الناحية من الرحلة في الاندلس ومن السفارات الرسمية التي قام بها ،وكثيرا ما يورد الخبر فيقول مثلا : سألت عنه شيخي واخبرني ، او سألت عنه ابنه (يعني ابن المترجم) فأفادني وهكذا،وهذا المصدر من المصادر المهمة لابن الابّار .

٣ — الاوراق الخاصة والجذاذات : فقد ابتدأ ابن الابار بتأليف كتابه سنة ٦٣١ واستمر فيه حوالي عشرين عاما ، ويبدو انه كان طوال هذه المدة يدون اخبارا وتراجم على "بطاقات" ويعود اليها بالزيادة والتعديل .

٤ — المصادر المكتوبة :

ذكر ابن الابّار في مقدمته اهم الكتب التي اعتمد عليها وذكر اسانيده فيها قال :
" ... والذين استضأت بشعاعهم واستشهدت من أوضاعهم ، أتيت بالاسانيد اليهم بدءً ، ورأيت ان اضع تكرارها عبثا ، وكثير ممن أفاد القليل قد احذفهم لئلا اطيل ..."
ثم ذكر تلك الكتب والاسانيد . ولقد تتبعت مصادره فوجدتها ترقى الى ما لا يقل عن خمسة وثمانين كتابا وهي تشمل مصادر التاريخ والتراجم والبرامج والمشيخات والادب ، وبعضها مشرقي ومعظمها اندلسي ، ويبدو من مراجعة قائمة باسمائها[1] كم فقد منها فلم يصلنا ، مما يزيد في قيمة التكملة من حيث هي مصدر هام من المصادر الاندلسية .

وابن الابار يذكر المصدر او المصادر التي استفاد منها الترجمة ، في آخر الترجمة عادة . ولنضرب مثلا على ذلك : قال بعد الانتهاء من ترجمة ابي احمد ابن خلف بن عيشون ١/ ٣٨ (١٠٦) : " نسبه عن ابن الباذش ، ووفاته واكثر خبره عن ابن حبيش ، وكناه ابن الدباغ ابا جعفر ".

وهذا شأنه في جميع التراجم وان لم يصرح مباشرة فالتصريح يكون اثناء النقل ، بقوله: أخبرنا فلان او حدثنا فلان او قرأت في كتاب فلان الخ ... واحيانا يذكر ان الترجمة نقل عن احد شيوخه دون ذكر لاسم الشيخ قال مثلا (١/ ٢٩) : " افاد نيه بعض شيوخنا وألزمني اثباته ولم يذكر من روى عنه ولا وفاته "، او " نقلته من خط بعض الرواة

---

[1] انظر جريدة اسمائها في الملحق رقم : ٢ .

عنه " (١٥٦/١) ، او افاد نيـــه بعض اصحابنا وسألت عنه ابن سالم فلم يعرفه" ١٦٣/١ . واحيانا ينقل الترجمة ويتبرأ من عهدتها كما فعل في ترجمة جابر بن محمد بن عيسى المذحجي ٢٤٧/١ (٦٥٤) قال : " حدث عنه عيسى ابن الوجيه وحمّله الرواية عن أبي محمد ابن يربوع ، وجرى على عادته في تخليطه فذكر انه روى عنه شعر ابي الحجاج القضاعي وابي الحسن ابن كرز وابي العباس المجريطي . ولا يعرف لهؤلاء بيت منظوم ،وقد برئت من عهدته واعيد الآن ذكره مؤكدا وحق ما جاء به ان يطرح" .

(١٩) الحلّة السيّراء في شعر الامراء :[١]

مطبوع في جزءين[٢] . وقد ابتدأ بتأليفه في وقت ما قبل عام ٦٤٥ واستمر فيه حتى عام ٦٥٣ أو بعده ، وكان يضيف اليه بعض الزيادات في أوقات متفرّقة وان كنت أقدّر انه وضعه بصورته شبه النهائية حوالي أواخر عام ٦٤٦ . وهذا يستنتج من الاخبار التالية التي أوَرَدها في مواضع متفرقة من الحلّة ، أُورِدُها حسب التسلسل التاريخي :

١ — وفي وقتنا هذا وصل بعض الشاطبيين يخبر أنه أجلاهم عنها (يعني ان الذى

---

١ هكذا سمّاه في الذيل والتكملة وفي النفح . الذيل والتكملة ٢٥٨/٦ ،رحلة التجاني ٣٦٥ ،رحلة ابن رشيد (الاسكوريال رقم : ١٧٣٧) ق / ١٢٥ ، الوافي ٣٥٦/٣ ،نفح الطيب ٥٩٢/٢ ، ٢٨٢/٤ ،الحلل السندسية لابن السرّاج : ٤٩٤ .

٢ بتحقيق الدكتور حسين مؤنس ، الشركة العربية للطباعة والنشر ،القاهرة ، ١٩٦٣ استنادا الى مخطوط الاسكوريال رقم ١٦٥٤ (الحلة ٥٤/١) .

أجلاهم هو " الطاغية البرشلوني") مع أهل جهاتها — وهم ألوف من المسلمين — فتفرقوا في البلاد ، وأوى ابو بكر هذا (يعني محمد بن يحيى بن احمد الخزرجي) في خاصته الى حصن بمقربة منها . وذلك في رمضان سنة خمس واربعين (يعني وستمائة) .[1]

٢ — عند ترجمته لابي علي عمر ابن الشيخ المكرم ابي موسى ، قال :[2] " وهو على قاعدة المهدية من شهر الله الاصم رجب سنة ثمان وثلاثين وستمائة الى وقتنا هذا ، وهو شهر المحرم من سنة ست واربعين" .

٣ — عند كلامه على تساقط المدن الاندلسية في ايدى الروم قال :[3]

" ولم يبق الآن الآ اشبيلية أم القواعد والمدائن ، ومأمّ الركائب والسفائن ، وقد أشفت على الذهاب واستوفت (................) في حسن المصابرة ورزوءها خاتم الارزاء ، وثكلها الدافع في صدر العزاء ، نعوذ بالله من بأسه وتنكيله" . وهذا الكلام كتب قبيل سقوط اشبيلية في ٥ شعبان سنة ٦٤٦ .

٤ — عند ترجمته لابراهيم بن الاغلب قال[4] : " .... وقد ذكرت ذلك في تأليفي المترجم بـ " اعتاب الكتّاب" ، وقد تقدّم انه ألف اعتاب الكتاب حوالي سنة ٦٤٠ .[5]

---

١ الحلة السيراء ٢ / ٣٠٣ .

٢ الحلة السيراء ٢ / ٢٨٢ .

٣ الحلة السيراء ٢ / ٢٩٢ .

٤ الحلة السيراء ١ / ٩٤ .

٥ انظر ما تقدم ص ١١٤ .

٥ - عند ترجمته لمحمد بن سبيع بن يوسف ابن عمّ ابي جميل زيّان بن مدافع ذكر انه توفي " بحضرة تونس كلاءها الله في شهر ربيع الآخر سنة ٦٥٣". [1]

ويفهم من المقدّمة انه رفع الكتاب الى " أبي يحيى ولي عهد المؤمنين"، [2] وهو أبو يحيى زكرياء وكان واليا على بجاية عندما ابتدأ ابن الابار كتابه وقد ذكره أثناء الكتاب عندما ترجم لابي علي عمر ابن الشيخ ابي موسى (رقم ٢ فيما تقدم) قال [3]: " وفي شهر ولايته (رجب ٦٣٨) ثم في يوم الخميس الثاني منه كانت البيعة المباركة بولاية العهد الكريم لمولانا الامير الاجل الاسعد المبارك الارضى الامجد أبي يحيى أيّد الله مقامه، وقصر على نظم الفتوح ونشر المنوح ظعنه ومقامه".

هذا الاضطراب في ذكر تواريخ متباينة في مواضع متفاوتة بعضها قبل بعض مما لا يجعلها تنسجم في السياق التاريخي هو الذى دفعني الى القول انه أتم الكتاب بصورة شبه نهائية حوالي أواخر عام ٦٤٦ ثم بقي يضيف اليه حتى ما بعد ٦٥٣ . والله أعلم .

---

١ الحلة السيراء ٢/ ٣١٧ - ٣١٨ .

٢ وقد علّق الدكتور حسين مؤنس على هذه العبارة بقوله : "كذا في الاصل ، وصحته أبو زكرياء يحيى وهو ابن أبي عبد الله محمد الحفصي الملقب بالمستنصر ثاني امراء الحفصيين وفي خدمة المستنصر عمل ابن الابار . والاشارة هنا الى ولي عهده ابي زكرياء يحيى الذى خلفه على العرش سنة ٦٧٥ / ١٢٧٦ - ١٢٧٧ وتولى بعده وتلقب بالواثق . وقد فرغ ابن الابار من " الحلة السيراء" خلال سنة ٦٤٩/ ١٢٥١ او بعدها بقليل ، أيام كان ابو زكرياء يحيى الواثق وليا للعهد (انظر : ابن خلدون ، تاريخ ٦/ ٢٩٦)". ؟

٣ الحلة السيراء ٢/ ٢٨٢ .

وكتاب " الحلة السيراء في شعر الامراء"[١] كتاب في تراجم واخبار الامراء والوزراء الذين توالوا على حكم مناطق من المغرب والاندلس منذ سنة ٢٣/٦٤٣ وهو العام الذى تم فيه فتح طرابلس على يد عمرو بن العاص وحتى المائة السابعة للهجرة . وليس الكتاب كتاب تراجم بالمعنى المتعارف عليه ،انما هو جامع للتاريخ والاخبار والآداب والاشعار . وقد عرض ابن الابار لخطته في التأليف ،ولم تصلنا مقدمة الكتاب كاملة اذ فيه خرم من أوله قال[٢] : " . . . ولمّا ظفرت من هذا المقصود الاحمد ، وسبقت اليه سبق الجواد اذا استولى على الامد ،قصرته على ملوك افريقية وبلاد الغرب المضافة اليها ،وقدّمت القادمين في المائة الاولى من السلف الاول عليها ،لانها من أوائل فتوح الاسلام ، ثم من منازل بدر التمام مولانا الخليفة الامام ،أدام الله لهم نصر الالوية والاعلام. وفي المائة الثانية صارت الاندلس دار ايمان فواليت ذكر ولاتها من ذلك الزمان ،ليوقف على جلالة شانهم ، ويعرف تمكن محلهم من البلاغة ومكانهم ،وذكرت ابناءهم ، واختصرت أنباءهم ،هربا من التطويل ورهبا للتثقيل ،الّا نكتا لها بانتخابها احسن المواقع ،وعيونا هي باقتضابها أجول في المحافل وأولج في المسامع. وربّما عرض ما يدعو الى البسط فانتقض حكم هذا الشرط ، ولا غرو ان اواقع

---

١ واسم الحلة السيراء يعني ثوبا او بردا من الحرير يخالطه خطوط من الذهب . انظر مقدمة الدكتور حسين مؤنس على الحلّة ص ٥١ — ٥٣ . واللسان (سير) و " النهاية في غريب الحديث" لابن الاثير (سير) .

٢ بعد ان ذكر جملة من متخيّر اشعار الامراء الحفصيين .

المحذور فللكلام اضطرار يبيح المحظور ، وابرزته مسوقا على الحقب ،منسوقا بحسب الرتب ،أعيّن للصدور صدر كل مائة ،وأبيّن من تميّز في جماعة او تحيّز الى فئة ، ليستوفي المتأدبين حتى من المتوثّبين . والذين ما عثرت على اشعارهم ،افردت بابا لاخبارهم ،ولم اعرض لمن اعرضت عنهم الدولة الحفصّية بالخلعان ،وانتزعت ما كان بأيديهم تراثا لها من الملك والسلطان . . .»[١]

على هذه الخطة سار ابن الابّار ، فهو يذكر اسم المترجم له ويورد بعض الاخبار عنه ممّا حصّله من مختلف المصادر والروايات السمعية والنقلّية ،بعد ان يتخيّر ما يناسب السياق الذى يعرضه ،ثم يورد له منتخبات من رائق شعره ،تشير الى ذوق ابن الابار الرفيع ،وقد تتعدّى الترجمة احيانا الصفحات لتصبح مرجعا لدراسة العلم المترجم له ، أو أشبه ما يكون بدراسة "أكاديميّة" نقدية وهذا ما سوف نراه اثناء ترجمته للمصحفي أو ابن عمّار مثلا .

ويبدو ابن الابّار من خلال "الحلية" مؤرخا فذّا واسع الاطلاع على كتب التاريخ المشرقية ،المغربيّة والاندلسية ، بصيرا ناقدا . فنراه في ترجمته لعمرو بن العاص ، مثلا ،يعود لاهم مصدرين ترجما له وهما كتابا ابن سعد "الطبقات" والبلاذرى "انساب الاشراف" ، ثم كتاب ابن عبد الحكم في فتوح مصر وافريقية ، وهو لا يكتفي بالتقصي بل يعارض الروايات بعضها ببعض ويستخلص منها استنتاجات ،فعند ذكره لفتح اطرابلس

---

١ الحلة السيراء ١/١٠ — ١١ .

على يدي عمرو بن العاص سنة ٢٣ ، يورد كتاب عمرو للخليفة عمر بن الخطّاب : " انّ الله ، عزّ وجلّ ، فتح علينا اطرابلس، وليس بينها وبين افريقية الا تسعة ايام فان رأى أمير المؤمنين ان يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل "... يعلّق عليه ما نصّه: [1]

" الظاهر من هذا الخبر تحيّز اطرابلس من أفريقية ولم تزل من اعمالها قديما وحديثا . قال ابن عبد الحكم : كان سلطان جرجير من اطرابلس الى طنجة ، وبهذا الاعتبار ساغ لي ذكر عمرو رضي الله عنه في هذا الكتاب". وليس من أدنى شك في ان معرفة ابن الابّار بالمصادر التاريخية المشرقّية وغيرها كان عميقا جدا ، لا نقول هذا اعتمادا على ما وصلنا من كتبه فقط ، بل لانه كان تلميذا لأبي الربيع ابن سالم صاحب "الاكتفاء في مغازى رسول الله والثلاثة الخلفاء" [2] ، وقد كان ابو الربيع بدوره تلميذا لابي القاسم ابن حبيش صاحب كتاب "المغازي" [3] الذى عليه كان تعويل ابن سالم .

وعلى هذا المنوال سار ابن الابّار في تراجمه ، يتقصى اهم المصادر ويناقش الروايات ، غير انه احيانا لا يذكر مصدره ويكتفي بقوله : "قيل" ، و "حكى عنه". ويكفي ان نطالع ما ذكره عن الدولتين الاغلبيّة والعبيديّة لنتبيّن صحة ما تقدّم ، ووثوق صلته بالمصادر والروايات الاخباريّة

---

1 الحلة السيراء ١/ ١٤ .

2 طبع الجزء الاول منه باعتناء هنرى ماسّه ، الجزائر - باريس، ١٩٣١ ، وطبع باجزائه الثلاثة مؤخراً في القاهرة .

3 " في مجلدات كتبه النأس" ، التكملة (مدريد) ص: ٥٧٥ (١٦١٧) . وهو مخطوط .

منذ المائة الاولى وحتى عصره[1]، واخبار ما تعاقب على المغرب والاندلس من الدول والحكام والولاة .

اما حين نصل الى الاندلس فابن الابار يظهر براعة لا تضاهى وعلما لا ينفد وصبرا على معارضة الروايات والتحليل الدقيق واستخلاص النتائج ، ليس له مثيل ، ويكفي أن نراجع في هذا ترجمته للحكم المستنصر والوزير المصحفي وابن أبي عامر.[2] وسأتوقف قليلا عند ترجمته لذى الوزارتين أبي بكر محمد بن عمّار[3]، فهذه الترجمة خير نموذج للدلالة على منهجه في "الحلّة"، ويصح القول دون كبير تحرّج ان هذه "دراسة نقديّة" عن ابن عمّار وليست مجرد ترجمة . فهو قد استنفد كلّ ما ورد عنه في المصادر ورتّب ترجمته وناقش المصادر وردّ

---

[1] أنظر ص ١٧٥ — ١٩٦ من الحلة السيراء و ٢٨٩ وغيرها وهو يصرّح انه ينقل عن كتاب "المعرب عن أبناء المغرب" للقيرواني ، أبي علي الحسين بن عبد الرحمن بن عبيد الوكيل .
وكتاب "اخبار ملوك الدولة العبيديّة"، لابن ابي السرور الروحي الاسكندرى وغيرهما .
وقارن اخبار ابن الابّار بكتاب "رسالة افتتاح الدعوة" ، للقاضي النعمان بن محمد (— ٣٦٣) (تحقيق وداد القاضي ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٠) . ص ١٤٩ — ١٧٩ وراجع فهارسه.

[2] الحلة السيراء ١/ ٢٥٧ — ٢٧٨ .

[3] الحلة السيراء ٢/ ١٣١— ١٦٥ .

أوهام بعضها ./ وقد اعتمد على المصادر الآتية :

١ — "الذخيرة" لابن بسّام الشنتريني ، واخبار ابن عمّار له ايضا .

٢ — ما جمعه أبو الطاهر محمد بن يوسف الاشتركوني صاحب المقامات من شعره ورتّبه على حروف المعجم .[١]

٣ — تاريخ ابن القاسم الشلبي المجموع في اخبار المعتمد بن عبّاد .[٢]

وقال في آخر الخبر :[٣] "أتيت بخبر ابن عمّار على الكمال ، فكثيرا ما يتشوّف اليه ولا يوقف عليه ، وما اعلم احدا ساقه هذا المساق ولعلّ عذر الافادة يقاوم لوم الاطالة" .

واستدرك في موضع آخر على شعر ابن عمّار فقال[٤] : " لم أجد هذه الابيات في ما جمع أبو طاهر التميمي من شعر ابن عمّار ، فاضفتها اليه وكتبتها في نسختي منه" .

ومن الاوهام التي ردّها على ابن بسّام قوله[٥] بعد ان ذكر قول ابن بسّام في "الذخيرة" ان ابن عمّار "فرّ من اشبيلية ولحق بشرق الاندلس وتمكن من الموءتمن بن هود ..." : "وفي اخبار ابن عمّار من تأليفه — ولا ادرى كيف غاب عنه — ان ما ادعّاه — لو صحّ — كان قبل الستّين او الخمسين واربعمائة ، وولاية الموءتمن في جمادى الاولى سنة أربع وسبعين . ولقائل ان يقول : لعل ابن عمّار صحبه في حياة ابيه المقتدر ، وهو اذ ذاك مرشح لمكانه ،

---

١ انظر في ترجمة الاشتركوني (٥٣٨/ ١١٤٣) مقدمة الدكتور بدر أحمد ضيف على "المقامات اللزومية" (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ، ١٩٨٢) .

٢ لم أقع له على ترجمة ، وجاء في الحلة ٢/ ١٧٣ ..."في أخبار ابن عمّار" ، وصوابه عن المخطوط : " ابن عبّاد " .

٣ الحلة السيراء ٢/ ١٦٢ .

٤ نفسه ٢/ ١٦٥ .

٥ نفسه ٢/ ١٤٨ .

فيلزمه ان يأتي على مقاله بما يؤمّنه من ايصاله . والمتعارف ان ابن عمّار لم يصحب المؤتمن بسرقسطة ، الا عند فراره من مرسية . فغلط ابن بسّام لاخفاء به ولا امتراء فيه". وهو في كل ما كتبه لا يفوّت فرصة لتصحيح خطأ او اضافة خبر الآ واثبت رأيه مؤيدا بالشواهد والنقول .

وتتجلى قدرته على التأليف التاريخي بوضوح حين يعرض لاخبار شرق الاندلس، فهو يورد اخباره بدقّة كبيرة ويصبح ما يكتبه حجّة في موضوعه. (انظر تراجم ابي عبد الملك مروان بن عبد العزيز ، وأبي عبد الرحمن ابن طاهر القيسي ، واحمد بن يوسف بن هود) . ونلاحظ الشيء نفسه في تراجم المائتين السادسة والسابعة ، وان كانت اخباره هنا تأتي مختصرة غالبا .

وبعد ان انهى ابن الابار التراجم بحسب الترتيب على القرون ، عاد فافرد بابا " في الذين ما عثرت على اشعارهم فاقتصرت على نكت من اخبارهم" ، ورتبهم على القرون ايضا .

وعدد تراجم "الحلّة" ٢١٨ ترجمة تتفاوت في الطول والقصر. وتبدو ملكة ابن الابار النقديّة واضحة في هذا الكتاب وكذلك منهجه في التأليف التاريخي ، ولا ننس أن من غاية الكتاب ايراد شعر الملوك والامراء والاعيان من وزراء وسادة وهو لذلك يتخيّر ما يورده ، واذا اضطر لايراد بعض الابيات شواهد على حادثة معيّنة ولم يعدّها في مصاف الشعر الجيد ، فانه يعلّق عليها .[1]

---

[1] لا يتّسع المجال لايراد نماذج عن اللمعات النقديّة (الفنّية والتاريخية) التي برزت في الحلّة ، ولا لذكر الاستدراكات التي اجراها والاخطاء التي صححها وسأكتفي بالاشارة الى بعض المواضع ، انظر : ١/ ٢٠٥ ، ٢٠٥ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢/ ٢٢٥ ، ٢٧٧ ...

(٢٠) الوشي القسّي في اختصار الفتح القسي :[١]

لم يصلنا وهوكما يدل عليه اسمه اختصار لكتاب عماد الدين الكاتب الاصبهاني (٥١٩ ـ ٥٧٩/ ١١٢٥ ـ ١٢٠١)[٢] الموسوم بـ "الفتح القسي في الفتح القدسي"[٣] الذى يتضمن كيفية فتح بيت المقدس على يد صلاح الدين الايوبي سنة (٥٨٣/ ١١٨٧)[٤] وهو في مجلدين .

ولا اعرف ان احدا في الاندلس قبل ابن الابار قد لخّص هذا الكتاب أو تناوله من قريب أو بعيد ، غير ان ابن الابّار عاش في خضم هذا النزاع المرير الذى كان يحتدم منذ حوالي اكثر من قرن بين المسلمين ونصارى أوروبة وأخذ طابع الحروب الصليبية ، وقد تقدّم معنا كيف كانت هذه الحروب منصبة في تلك الفترة على الاندلس ، تنتثر حبات "اليتيمة" وكان لابن الابّار ـ كما بيّنا ـ دور مهم في اجراء المفاوضات وفي السفارة لاستنهاض هم الحفصيين ، الا ان كل المحاولات باءت بالفشل وتوالى سقوط المدن واحدة تلو الاخرى . وأرى أن ابن الابار

---

١ الذيل والتكملة ٦/ ٢٥٨ ، وفي الذيل "الوشي القيسي" وهو خطأ ، والثياب القسية ثياب من كتان مخلوط بحرير وقيل القسي والقزى واحد .

٢ محمد بن محمد ابوعبد الله الاصبهاني ، ولد باصبهان وذهب الى بغداد حدثا ، وكتب للسلطان نور الدين ثم التحق بعد وفاة نورالدين بصلاح الدين الايوبي وتولى مناصب رفيعة في دولته ورافقه في كثير من تنقلاته وبعد موت صلاح الدين ٥٨٩/ ١١٩٣ استوطن دمشق وتوفي هناك . له مؤلفات كثيرة منها " خريدة القصر وجريدة العصر" و"البرق الشامي" في مجلدات سبع . (وفيات الاعيان ٥/ ١٤٧) وفيه ذكر لمصادر ترجمته .

٣ طبع بتحقيق الكونت كارلو لاندبرج ، ليدن ، ١٨٨٧ .

٤ انظر في ذلك وفي ترجمة صلاح الدين ، وفيات الاعيان ٧/ ١٣٩ ـ ٢١٨ .

بتلخيصه لهذا الكتاب ــ ولا نعرف زمن ذلك ــ كان يحاول اولا ان يستخلص العبر من التاريخ العربي ، ويستقرئ الاحداث ، كما كان باختصاره للكتاب ، يحاول ان يقرّبه من الحكام والعلماء ــ فيما أرى ــ علّه بذلك ــ ينجح فيما اخفقت فيه الدبلوماسية والادب[١] .

٥ ــ مؤلفاتــــه في الادب واللغــــة :

(٢١) احضار المرهج في مضمار المبهج :[٢]

على نحو كتاب أبي منصور الثعالبي[٣] ــ لم يصلنا . وكتاب الثعالبي المقصود هو "المبهج".[٤] يتناول الثعالبي ــ فيما يقول محمود عبد الله الجادر ــ "في كل باب من ابوابه موضوعا ادبيا أو سياسيًّا او اجتماعيا ، وما الى ذلك من مظاهر الحياة مسجلا خواطره الخاصّة في جمل نثريّة قائمة على الصناعة اللفظيّة ، تبدو كل جملة مستقلّة عن الاخرى ولكنها تجتمع

---

١ هذا وقد كان لفتح صلاح الدين بيت المقدس صدى في الاندلس ، فقد ألّف الحكيم الجلياني (٥٣١ ــ ٦٠٣) كتاب "روضة المآثر والمفاخر من خصائص الملك الناصر صلاح الدين"، وله ايضا "المبشرات والقدسيات" نظم ونثر يشتمل على وصف الحروب الجارية على يد صلاح الدين . ولغيره من الشعراء امداح في صلاح الدين ايضا . وترجمة الحكيم الجلياني في التكملة رقم: ١٨١٥ (مدريد) ، المقتضب من تحفة القادم : ٩٠ ، الذيل والتكملة ٥/ ٥٧ ، فوات الوفيات ٢/ ٤٠٧ ، نفح الطيب ٢/ ٦٣٥ .

٢ الذيل والتكملة ٦/ ٢٥٩ ، والمرهج : الفرس الذى يجرى فيثير الغبار ، واحضاره يعني جريه ، والمضمار : حلبة الجرى .

٣ عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري (٣٥٠ ــ ٤٢٩/ ٩٦١ ــ ١٠٣٧) له ترجمة في الذخيرة ٤/ ٢/ ٥٦٠ وفيه ذكر لمصادر اخرى .

٤ انظر "الثعالبي ناقدا واديبا"، لمحمود عبد الله الجادر (دار الرسالة ، بغداد ١٩٧٦) : ٧٦ ــ ٧٧ . طبعت منتخبات منه في القسطنطينيّة في أربع رسائل ، مطبعة الجوائب ١٣٠٢ ، و طبع بمطبعة النجاح بمصر سنة ١٩٠٤ .

في الغرض الذى عقد عليه الباب ، وتتخللها احيانا ابيات من شعره ".[١]

(٢٢) اعتـاب الكتّـاب :[٢]

مطبوع[٣]. وقد رفعه الى الامير أبي زكريا، يحيى (ـ ٦٤٧/ ١٢٤٩) ، بعد ان غضب عليه السلطان اثر هفوة ارتكبها فأمره بلزوم بيته[٤] ، وكنت قد اشرت الى ذلك في ما سبق[٤] وبينّت انه كان ضحية لمكيدة سببها فيما أقدّر طموحه السياسي في الحضرةالحفصّية ، وقد مهد هو الطريق لهذه الخصومة بما كان فيه من أنفة وبأو وضيق خلق ، وقد ذكر ابن الابار انه كان يكتب هذا المؤلف سنة ٦٤٠/ ١٢٤٢ ،[٤] ومن المرجح انه كتبه في بجاية[٤] واستشفع فيه بولي العهد الامير أبي يحيى[٥] ثم بالامير أبي عبد الله محمد المستنصر[٦] " فغفر السلطان له وأقال عثرته واعاده الى الكتابة".

---

١ "الثعالبي ناقدا واديبا ص٧٧ .

٢ الحلة السيراء ١/ ٩٤ ، الذيل والتكملة ٦/ ٢٥٨ ، رحلة ابن رشيد (الاسكوريال رقم : ١٧٣٧) ق / ١٢٦ ، الوافي ٣/ ٣٥٦ ، تاريخ ابن خلدون ٦/ ٦٥٤ ، الفارسية : ١٢٧، ازهار الرياض ٣/ ٢٠٦ ، نفح الطيب ٢/ ٥٩٠ ، ٤/ ٤٥٧ .

٣ بتحقيق الدكتور صالح الاشتر ، مجمع اللغة العربية بدمشق ، دمشق ، ١٩٦١ .

٤ أنظر ص ١٠٩ ـ ١١٤ .

٥ اعتاب الكتاب : ٤٧ ـ ٤٨ .

٦ اعتاب الكتاب : ٢٥٧ ، وذكر ابن خلدون (٦/ ٦٥٤) انه استشفع فيه بولده المستنصر ، ولم يذكر ولي العهد أبا يحيى .

ويبين كتاب "اعتاب الكتاب" مدى اهتمام ابن الابار بتتبع أخبار الكتّاب وعلاقتهم بمروءسيهم وتتبع كتاباتهم . والكتاب يبدأ بمقدمة يعرض فيها ابن الابار لغايته ، قال : " ... فهذه ، نبذة من اعتاب الكتاب ، وتشفيع الآداب ، تشهر كمالهم في الاضطلاع والاكتفاء ، وتشهد بما لهم عند الامراء والخلفاء ، من كريم الاختصاص ولطيف الاحتفاء ، وكيف لا يكونون كذلك ، وهم مقاول الدولة وألسنة الممالك ، مفردهم في الانصاح يعدل جمع الكفاح ، وقصبهم الضعيف يقاوى صم الرماح ويقاوم ذلق الصفاح . ربّ كتيبة فضها كتاب ، وخطب صرعه خطاب فانجاب ، وأمل دعاءه املاء فانجاب ..."[1] ثم يذكر نتفا من الاخبار تبين طبيعة الكتاب ويستعطف من خلالها مولاه ويستشفع لنفسه " ولن أكفّ شافعا في نفسي ، ودافعا براحة رجائي في صدر يأسي ، او الحق بمشيئة الله شأو رجل من أهل الكوفة دخل على ابي جعفر المنصور ، يشفع في مسخوط عليه ، فشفّعه فيه فقال : يا امير المؤمنين ، اتأذن لي في تقبيل يدك فانها احق يد بالتقبيل لعلوها في المكارم وطهورها من المآثم ، وانك يا أمير المؤمنين لقليل التثريب ، كثير الصفح عن الذنوب ، فمن ارادك بسوء نجعله الله حصيد سيفك ، وطريد خوفك ، فأعجب به المنصور وقرّبه ."[2]

ويأتي بعد المقدمة الى التراجم وعددها خمس وسبعون ترجمة تناول فيها اعيان الكتاب من مشارقة واندلسيين وابتداء بالمائة الاولى للهجرة وصولا الى المائة السابعة ، وتخيّر في كلّ ترجمة ان يذكر زلّة المترجم له وتحيّله في استرضاء مولاه ليحظى بالعفو والتقريب

---

١ اعتاب الكتّاب : ٤٣ ـ ٤٤ .

٢ اعتاب الكتاب : ٤٧ .

فأورد اشعارا ورسائل كثيرة ، وأحاط باخبار ونوادر طريفة فريدة ، وبيّن عن سعة اطّلاعه على المصادر الادبية والتاريخية المشرقية والمغربية ، وعن ملكة نقدية في ايراد الروايات والتخير من المصادر.[١] وابن الابار في هذه التراجم غير معنّي الّا بناحية واحدة من حياة المترجم له واهتماماته أعني ناحية الاستشفاع والاعتاب .

اما الخاتمة فيعقدها للتكلم على الاحسان الاميرى ومدح السلطان ، وهي قطعة من النثر الفني المتميز ، وقد الحق بها عددا من قصائد الاستعطاف والمدح .[٢]

ويلاحظ في هذه الرسالة ، رغم الهمّ الذى ينحو بها منحى التذلل والاستشفاع ، انها تحمل مضامين سياسيّة واضحة ، فقد اراد ابن الابار من خلال هذا الكتاب بما أورده فيه من امثلة عن وزراء وكتاب ، واكثرها امثلة مرتبطة بحادثة سياسية ، أن يظهر للسلطان طبيعة العلاقة التي تجمع السلطان بوزيره / كاتبه وأن يبين انه متى ما استوثقت الصلة بينهما كان الكاتب خير من يدبّر شؤون الملك ويعينه على اعدائه . وفي سبيل هذا الهدف الذى يرى اليه ابن الابار استقصى اخبار كتّاب مختلف الدول الاسلامية السنيّة (الاموية والعباسية) والشيعية (العبيديّة) في المشرق والمغرب ، ليضع امام السلطان تقاليد تساعده في تدعيم العلاقة بين السلطان والمفكر (ابن الابار صاحب العلامة هنا) وفي تحقيق سلوك سياسي مرن ناجح .

---

١ انظر على سبيل المثال ، اعتاب الكتّاب : ٥٤ — ٥٦ ، ١١٥ ، ١٧٣ — ١٧٤ وغيرها .

٢ انظر الفصل الثاني .

ويبقى كتاب "اعتاب الكتّاب" على المستوى الاوضح معبّرا عن أزمة ابن الابار النفسية بعد اقصائه عن مركزه في الدولة وابعاده ، خاصة وانه كان يشعر بغربة كبيرة وكان بحاجة لرعاية السلطان وعطفه .

(٢٣) اعصار الهبوب في ذكر الوطن المحبوب :[1]

يبدو انه مما ألفه اثناء اقامته في برالعدوة بعد رحيله عن الاندلس . والاسم قد يفيد عدة امور : فهو اما نظم في ذكر بلنسية او الاندلس ، أو نثر ونظم ، او سيرة ذاتية على غرار ما فعل ابن حزم في طوق الحمامة .

(٢٤) افادة الوفـــادة :[2]

نقل عنه ابن الابار في التكملة في ترجمة ابي اليسر ابراهيم بن احمد الشيباني الرياضي (- ٢٩٨) من أهل بغداد ، سكن القيروان وقدم الاندلس . وهو كما يدل عليه عنوانه وما نقله ابن الابار منه يترجم للعلماء والادباء الوافدين على الاندلس من المشرق ، ولكن لا نعرف الفترة التي تناولها . وان كنّا نقدّر انه شمل تاريخ الاندلس منذ فتحها العرب .

---

[1] الذيل والتكملة ٦/ ٢٥٨ وفيه: اعصار الهبوب في ذكر الوطر المحبوب ، ورحلة ابن رشيد (الاسكوريال رقم : ١٧٣٧)ق / ١٢٥ .

[2] التكملة ١/ ١٧٣ (٤٥٤) وعنه نفح الطيب ٣/ ١٣٥ (٧٠) .

(٢٥) الانتداب للتنبيه على زهر الآداب :[١]

وهو كما يدل عليه اسمه في التنبيه على بعض الاوهام التي وقع فيها الحصرى[٢] في كتابه زهر الآداب ، ولعلها تعليقات لغويّة وبلاغية ونقدية وغيرها .

(٢٦) الايماء الى المنجبين من العلماء :[٣]

قال ابن عبد الملك : وهو مقصور على أهل الاندلس . والكتاب كما قد يوحي اسمه ترجم فيه ابن الابار - اوجمع اخبار - العلماء الذين انجبوا اولادا خلفوهم في علمهم . وهو ان صدق الظن كتاب في اخبار البيوتات العلمية في الاندلس . وقد استعمل ابن عبد الملك شبيه هذا المعنى اثناء ترجمته لعبد الملك بن محمد بن مسعود أبي مروان ابن ذى الوزارتين أبي عبد الله بن أبي الخصال الغافقي اذ وصفه انه كان من نجباء الابناء .[٤]

(٢٧) ايماض البرق في أدباء الشرق :[٥]

والمقصود هنا شرق الاندلس . ويستفاد من اشارات لهذا الكتاب في الحلة

---

١ الذيل والتكملة ٦/ ٢٥٨ .

٢ هو ابراهيم بن علي بن تميم الانصارى (- ٤٥٣/ ١٠٦١ وفيه خلاف) ، قيرواني . وكتابه زهر الآداب وثمر الالباب طبع عدّة طبعات .

٣ الذيل والتكملة ٦/ ٢٥٨ ، رحلة ابن رشيد (الاسكوريال رقم : ١٧٣٧) ق / ١٢٥ .

٤ الذيل والتكملة ٥/ ٣٨ .

٥ الذيل والتكملة ٦/ ٢٥٨-٢٥٩ " ... في شعراء الشرق "، وفي بقية المصادر : "إيماض البرق" فقط . الحلة السيراء ٢/ ٢٣٥ ، ٢٦٤ ، ٢٦٩ ، رحلة ابن رشيد (الاسكوريال رقم : ١٧٣٧) ق/ ١٢٥ ، الوافي ٣/ ٣٥٦ ، الفوات ٣/ ٤٠٥ ، عقود الجمان ق/ ٢٨٧ ب .

السيراء[1] انه جمع فيه منظوما ومنثورا لجماعة من اهل شرق الاندلس. ويلفت النظر في هؤلاء جميعا الذين ذكرهم في الحلة انهم من الادباء الرؤساء في القرن السادس، ترى هل قصر ابن الآبار كتابه على هذا القرن ام تعداه الى ما قبل ذلك، او ما بعده حتى قبيل وفاته ؟

(٢٨) تحفـــة القادم :[2]

عارض بـــــه كتاب "زاد المسافـــر" لابي بحـــر صفوان بن ادريس

---

١ عند ذكره لعبد الحق بن محمد بن عبد الرحمن القيسي في ترجمة ابيه (ـ ٥٧٤) . الذيل والتكملة ٦/ ٢٣٨ (٨٩٦) ، وفي حاشيته ذكر لمصادر اخرى. وفي ترجمة احمد بن عبد الرحمن الوقشي (ـ ٥٧٤) الذيل والتكملة ١/ ١٩٧ (٢٧٠) . وفي ترجمة احمد ابن سفيان المخزومي حيث ذكر انه ترجم له ولاخويه في ايماض البرق وقد توفي احمد حوالي سنة ٥٧٠ . الذيل والتكملة ١/ ٤٠٥ (٥٩٠) .

٢ التكملة ١/ ٢٠٣ ، الذيل والتكملة ٦/ ٢٥٩ ، رحلة التجاني : ٨٤ ، رحلة ابن رشيد (الاسكوريال رقم : ١٧٣٥) ق/ ٤٢ ب و (رقم : ١٧٣٧) ق/ ١٢٦ ، والوافي ٣/ ٣٥٦ وقد نقل كل تراجم الكتاب في اجزائه من الوافي ، فوات الوفيات ٣/ ٤٠٥ ، عقود الجمان ق/ ٢٨٧ ب ، الاحاطة ٢/ ٤٧٩ ، ازهار الرياض ٢/ ٣٧٩ نفح الطيب ١/ ٣١٥ ، ٣١٧ ، و ٢/ ٥٩٢ ، و ٤/ ٥٦ ، ٣٢٣ و ٥/ ٥٣٥ ، ٥٣٨ ، والحلل السندسية لابن السراج : ٣٤٠ ، ٧٠٧ ، وكشف الظنون ١/ ٣٧٢. ومعنى تحفة القادم : الهدية التي يحملها القادم معه، ويعارض ابن الابار باسم كتابه هذا اسم كتاب صفوان "زاد المسافر". "قال ابو العيناء : سمعت العباس بن الحسن العلوي يصف كلام رجل ، فقال : كلامه سح سهل كأن بينه وبين القلوب نسب ، وبينه وبين الحياة سبب كأنما هو تحفة قادم ودواء مريض وواسطة قلادة". الامتاع والمؤانسة ٢/ ١٤٤ـ١٤٥ . وانظر : ديوان الرصافي البلنسي (جمعه وقدّم له الدكتور احسان عباس ، الطبعة الثانية ، دار الشروق ، بيروت ، ١٩٨٣) : ٥٨ .

التجيبي [١] ووصلنا اختيار أبي اسحاق البلفيقي له بعنوان "المقتضب من تحفة القادم". [٢]

وقد اوضح ابن الابار خطّته في مقدمة كتابه فقال : " وبعد . فهذا اقتضاب من بارع الاشعار ، بل يانع الازهار ، قصرته على اهل الاندلس بلدي ، وحصرته الى من سبق وفاته منهم مولدي . ثم الحقت بهم افرادا لحقهم شيوخ ذلك الاوان ، لاضاهي "انموذج" أبي علي ابن رشيق في شعراء القيروان ، واضفت الى هؤلاء الطارئين على الجزيرة من الغرباء ، وربأت به عمّا تضمنته تصانيف السابقين من الادباء ، ليكون بريعانه وضيعته ، ابعد من خسرانه وضيعته ، فجئت بجواهر لم يبتذل مصونها ، وبأزاهر لم تهتصر غصونها ، مسارعا الى ما لهم من أبيات سائرة ، وآيات سافرة ، وشارعا في تكميل عددهم مائة شاعر وشاعرة ، وجعلته باكورة ما بين يديّ في هذا الفن ،

---

[١] ٥٦٠ وقيل ٥٦١ — ٥٩٨ / ١١٦٦ — ١٢٠٢) ، من اهل مرسية كان من جلّة الادباء واعيان الرؤساء ، نصيحا جليل القدر ، له رسائل بديعة . ومن تصانيفه "بداهة المتحفز وعجالة المستوفز". مات معتبطا ولم يبلغ الاربعين . التكملة ٢ / ٧٦٨
الذيل والتكملة ٤ / ١٤٠ (٢٦٤) ، الوافي بالوفيات ١٦ / ٣٢١ (٣٥٥) وفيه ذكر لمصادر ترجمته . وكتابه "زاد المسافر ، وغرّة محيّا الادب السافر ، طبع باعتناء عبد القادر محداد .

[٢] نشره الفريد البستاني في (مجلة المشرق ، بيروت ، السنة (٤١) ايلول ١٩٤٧) ص ٣٥١ — ٤٠٠ ، و ٥٤٣ — ٥٨٥ . واعاد نشره اعتمادا على مخطوط الاسكوريال الذي نشره البستاني ، ابراهيم الابياري ، المطبعة الاميريّة ، القاهرة ، ١٩٥٧ . ومنه نسخة في مكتبة المرحوم حسن حسني عبد الوهاب تحت رقم : ٨٨٢ قال : " نسخة ملوكية بتاريخ ١٣ جمادى الاولى سنة ٩٩٠ . ٨٠ لوحة بقياس ١٨ × ٢٤ — ٢٣ سطرا". وهذا الوصف ينطبق على نسخة الاسكوريال . وانظر في ترجمة البلفيقي ، مقدمة ابراهيم الابياري على المقتضب ص: ب — و .

والله المستعان ذو الطول والمنّ .

ولما عارضت به "زاد المسافر" ، سمّيته "تحفة القادم"، وحميته اسجاع الناثر ، اكتفاء بقوافي الناظم ، ناسياً من ذكره في ترجمة أبو بحر بن ادريس جامعه ، وآتيا من روائع البديع ما يهتّز له مبصره وسامعه ، كتشبيه لابن المعتز ناضح ، وتشبيب ازراؤه بالرضي واضح ، أعيا الاول وله السبق يوم الرّهان ، وأنسى الثاني ليلة السفح وظبية البان ، الى فنون ذوات فتون من الاداب ، ساحرة للالباب ، وساخرة من الكلم اللّباب.[1]

وكتاب تحفة القادم يجيء حلقة في سلسلة ابتدأها ابن فرج الجيّاني في كتاب "الحدائق" واستمرت حتى جوّد فيها ابن بسّام في "الذخيرة" وابن سعيد في "المغرب" - - وهو شامل لمختلف القرون حتى زمن ابن سعيد - "والغصون اليانعة" الذى قصره على اهل المائة السابعة ، وابن الخطيب في "الكتيبة الكامنة".[2]

ويفتتح ابن الابار تراجمه بمقدمة نثرية مسجوعة ثم يذكر سنة وفاة المترجم له اذا امكنه ذلك ويورد مختارات من شعره .

---

[1] والحسن بن رشيق أبو علي المسيلي (٣٩٠ - ٤٦٣/ ٩٩٩-١٠٧٠) ، أديب ناقد له سوى الانموذج كتاب "العمدة" وهو مشهور و "قراضة الذهب" (تحقيق الشاذلي بويحيى ، الشركة التونسية للتوزيع ، ١٩٧٢) . له ترجمة في الذخيرة ٤/ ٢/ ٥٩٧ وفيه ذكر لمصادر ترجمته والوافي ١٢/ ١١/ (٩) ، وانظر ما كتبه عنه الدكتور احسان عباس في كتابه تاريخ النقد الادبي عند العرب : ٤٤٤ - ٤٦٠ . قال الدكتور احسان عباس في حاشية الذخيرة ٤/ ٢/ ٥٩٩ : "اما الانموذج فمنه قطعة صالحة في مسالك الابصار ، ونقول كثيرة في الوافي والفوات ، وبعض نقول في معجم البلدان ومعجم الادباء" .

[2] انظر مقدمة الاستاذ عبد القادر محداد على زاد المسافر : ٦ .

وقد عمد البلفيقي الى حذف كل المقدمة النثرية من الترجمة ما عدا اسم المترجم له وبلده وسنة وفاته ،كما عمد الى حذف كثير من الاشعار والمقطعات ، ولم يكتف بهذا بل اسقط عددا من التراجم خاصة تلك التي ترجم فيها ابن الابار لهجّاء الشعراء.[1]

(٢٩) خضراء السندس في شعراء الاندلس،[2]

ـ من اول فتحها الى آخر عمره ـ . وواضح من اسمه انه جمع فيه شعراء الاندلس وربما يكون تخيّر غرر الاشعار. ويبدو ـ لطول الفترة التي يتناولها ـ انه كتاب ضخم ، وانه الّفه بأخرة من عمره ،كما يستفاد من تعليق ابن عبد الملك.

(٣٠) درر السمّط في خبر السبّط ،[3] على طريقة أبي الفرج ابن الجوزي*.

مطبوع .[4] وهو رسالة تناول فيها بأسلوب فنّي محنة آل البيت ،عليهم السلام . ويبدو

---

[1] انظر رحلة التيجاني : ٨٤ .
ويعمل الدكتور احسان عباس على جمع ما توفّر من نقول عن "التحفة" في المصادر الاندلسية والمشرقية ،وعلى هذا سيعيد ترتيب الكتاب وتحقيقه خاصة بعد أن عاد الى ما يشبه حالته الاولى قبل ان يقتضبه البلفيقي .

[2] التكملة ١/ ١٩ ، الذيل والتكملة ٦/ ٢٥٨ ،رحلة ابن رشيد (الاسكوريال رقم : ١٧٣٧) ق/ ١٢٦

[3] رحلة العبدري : ٢٧١ ،٢٧٦ ،الذيل والتكملة ٦/ ٢٥٩ ،رحلة ابن رشيد (الاسكوريال رقم : ١٧٣٧) ق/ ١٢٦ ،رحلة التجيبي : ٩ ونقل فصلا منه ،برنامج التجيبي : ٢٥٩ ،تاريخ الاسلام الذهبي (البودليان Land. Or 305 وفيات سنة ٦٥٨) ق / ٣١٥ أ ،الوافي ٣/ ٣٥٦ ،الاحاطة ٢/ ١٨٥ ،مستودع العلامة : ٢٨ ،صبح الاعشى ١٠/ ٣٠٦ ،نفح الطيب ٤/ ٥٠٠ ـ ٥٠٦ ونقل عدّة فصول منه.

[4] بتحقيق الدكتور عبد السلام الهراس والاستاذ سعيد احمد اعراب ،تطوان ١٩٧٢ ، وقدّما له بمقدمة وافية درسا فيها الكتاب .

* يعني في الجزء الثاني من كتابه "التبصرة" حيث عقد فصلاً للكلام على آل البيت بأسلوب عاطفي قائم على النثر الفني وفواصل السجع ضمّنه آيات من القرآن وأبيات من الشعر.

انه من تأليف فترة متأخرة أيام مقامه ببجاية فيما اقدّر ، بعد ان ضاقت به سبل العيش .
وقد وصلتنا عدّة مقطعات زهدية وأبيات يتشوّق فيها لزيارة قبر النبي ، صلى الله عليه وسلم ،
من منظوم هذه الفترة على الارجح .[1] وقد أتم ابن الابار تأليف هذه الرسالة قبل عام ٦٥٤ ـ
٦٥٥ فقد حملها عنه ابن رزين التجيبي فيما رواه من كتبه . والكتاب يقع في مقدمة
واربعين فصلا[2] " شخّص فيها نكبات آل البيت وتتبع مراحلها وارّخها من بدايتها الى نهايتها
وختمها بفاجعة كربلاء واستشهاد الحسين عليه السلام" وهكذا في عاشر المحرم أبيحت
الحرمات وانيفضت على النور الظلمات ، فتفاقم الحادث وحمل على الطيبين الاخابث ، وقدّر
للسبط ان يلقى مصرعه فضرب على عاتقه ويسراه ، وما اجرأ من اسال دمه واجراه ، ثم قتل
ذبحا وغودر يبكي حتى" العاديات ضبحا الى خدود خدودها ، وقدود قدودها ، استحلوها
وانتهكوها .

اترجوا أمّة قتلت حسينـــا شفاعة جدّه يوم الحساب" .[3]

وابن الابار يروى هذه الحوادث التاريخية باسلوب فنّي قائم على السجع والمقابلة يضمّنه
آيات من القرآن الكريم ، واشعارا .

أما تهمة التشيّع التي رمي بها ابن الآبّار ، فهي مردودة فالكتاب يصدر عن عاطفة

---

[1] انظر الفصل الثاني .

[2] مقدمة درر السمط ص : ١٥ ، ١٦ .

[3] درر السمط ص : ٥٥ ـ ٥٧ .

[4] قال الذهبي ان ابن الابار ينال في هذا "الجزء" من بني أميّة ويصف عليا عليه السلام بالوصي ، وهذا تشيّع ظاهر ، ولكنه انشاء بديع ونثر بليغ" . وانظر مستودع العلامة : ٢٨ ، ونفح الطيب ٤/ ٥٠٦ .

صادقة تجاه الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وعترته آل بيته عليهم السلام ، وقد ناقش هذا الامر محققا الرسالة . ونضيف الى ما ذكراه ان ابن الابار يعتمد في هذا على احاديث صحيحة عند أهل السنّة ، أوردها في كتابه "المعجم في اصحاب ابي علي الصدفي"[1] ، ويبدو انها كانت شائعة جدا خصوصا في شرق الاندلس ، ولا ننس ان الصدفي كان مالكيا اشعريا وهو من أئمة الحديث الجلّة عالي الاسناد ، واسع السماع عدلا ضابطا حافظا للمتون والاسانيد عالما بالرجال وعلل الحديث ، هذا وقد اتصل سند هذه الاحاديث حتى بلغت ابن الابار فرواها عن سلسلة من الافاضل الثقات واخذ اكثرها عن الامام المحدث آخر المسندين أبي الخطاب ابن واجب.

ومن هذه الاحاديث :

عن ابي ذر رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :[2] "اني تارك فيكم الثقلين احدهما اكبر من الآخر ، كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض ، سبب بيد الله تعالى وسبب بايديكم ، وعترتي أهل بيتي ، فانظروا كيف تخلفوني فيهم فانّ الهي عزّ

---

١ انظر ما تقدم عند الكلام على المعجم.

٢ المعجم ص : ٨٦ ، وابن الابار يرويه بسنده عن أبي عبد الله محمد بن احمد الحاكم ويعرف بابن اليتيم .... عن علي بن الحسن العبدري عن محمد بن رستم ابي الصامت الضبّي عن زاذان أبي عمر عن أبي ذر.

وجلّ قد وعدني انهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض".[1] وعن أبي ذر رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : [2]" مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن

---

[1] رواه الامام احمد في مسنده بروايات مختلفة عن أبي سعيد الخدري ٣/ ١٤، ١٧، ٢٦، ٥٩، وعن زيد بن أرقم ٤/ ٣٦٧، ٣٧١ وعن زيد بن ثابت ٥/ ١٨٢، والدارمي في سننه "فضائل القرآن" (تحقيق محمد أحمد دهمان) : ٤٣٢ عن زيد بن أرقم ، ورواه مسلم في صحيحـــــه عن زيد بن أرقم بلفظ مختلف. "كتاب فضائل الصحابة" (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة ، ١٩٥٥) ٤/ ١٨٧٣ (٢٤٠٨) ، وسنن الترمذي عن زيد بن أرقم (تحقيق ابراهيم عطوه عوض ، القاهرة ، ١٩٦٥) ٥/ ٦٦٣ (٣٧٨٨) وقال : "هذا حديث حسن غريب"، والطبراني في الكبير (باعتناء حمدي عبد المجيد السلفي ، بغداد) عن زيد بن أرقم ٥/ ٢٠٥ - ٢٠٦ ، والحاكم في المستدرك ٣/ ١٠٩ - ١١٠، ١٤٨ عن زيد بن أرقم ، وأبو نعيم في حلية الاولياء ٩/ ٦٤، والسيوطي في إحياء الميت في فضائل أهل البيت (على هامش الإتحاف بحب الأشراف للشبراوي ، القاهرة ، ١٣١٢) : ٢٤٧ ، والدر المنثور (مصر ، ١٣١٤) ٢/ ٦٠ عن ابي سعيد الخدري وأبي شريح الخزاعي وزيد بن أرقم بروايات مختلفة، والجامع الصغير ١/ ١٠٤ عن زيد بن ثابت (صح) . وقارن بـ : طبقات ابن سعد (دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٦ - ١٩٥٧) ٢/ ١٩٤، مجمع الزوائد ٩/ ١٦٣ و ١/ ٤٤١ ، والصواعق المحرقة (باعتناء عبد الوهاب عبد اللطيف ، القاهرة) : ١٤٨ . وأورده ابن الجوزي في العلل المتناهية في الاحاديث الواهية (تحقيق ارشاد الحق الاثري ، لاهور ، ١٩٧٩) ١/ ٢٠١ - ٢٠٣ بسند آخر وقال : "هذا حديث لا يصح"، وابن الجوزي حكم على الحديث بسنده هذا الواهي اذ فيه ضعفاء ورافضي (انظره) . وجامع الاصول لابن الاثير (باعتناء عبد المجيد سليم ومحمد حامد الفقي ، القاهرة ، ١٩٤٩) ١/ ١٨٧ عن زيد بن أرقم . ولزاذان أبي عمر راوي الحديث عن أبي ذر ترجمة في ميزان الاعتدال ٢/ ٦٣ (٢٨١٧) : "قال ابن معين : ثقة ، وذكره ابن عدي في الكامل وقال : احاديثه لا بأس بها".

[2] المعجم : ٨٦ بالسند نفسه .

تخلف عنها هلك".[1]

وعن ابن عبّاس رضي الله عنه عن النبي صلى الله وسلم انه قال :[2] " يا بني عبد المطلب اني سألت الله لكم ثلاثا : ان يثبت قائلكم ، وان يهدى ضالكم ، ويعلم جاهلكم ، وسألت الله ان يجعلكم جوداء نجداء (في الاصل : محداء) رحماء ، ولو ان رجلا صفن بين الركن والمقام فصلى وصام ثم لقي الله مبغضا لآل بيت محمد صلى الله عليه وسلم دخل النار".[3]

(٣١) دينوان شعره على الحروف :[4]

وصلنا القسم الاكبر منه .[5] وقد تناولته بالتفصيل في القسم الثاني من هـذه الرسالة .

(٣٢) فضالة العباب ونفاضة العياب :[6]

لم يصلنا . قال ابن عبد الملك انه "في نحو ارجوزة ابن سيده[7] ومن نحا منحاه في ما

---

١ رواه الحاكم في المستدرك عن ابي ذر ٣/ ٣٤٣ و ٣/ ١٥٠ — ١٥١ ، والسيوطي في الجامع الصغير ١/ ٩٧ (ض) ، وقارن ب : حلية الاولياء ٤/ ٣٠٦ ، تاريخ بغداد ١٢/ ١٩ ، مجمع الزوائد ٩/ ١٦٨ ، الصواعق المحرقة ، ١٤٨ ، كنز العمال ١٢/ ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ٩٩ .

٢ المعجم : ١٢٧ ، ورواه بسنده عن ... عطاء بن ابي رباح وغيره من اصحاب ابن عبّاس عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم .

٣ رواه الحاكم في المستدرك ٣/ ١٤٨ — ١٤٩ عن ابن عباس ، وقارن بالصواعق المحرقة : ٢٣٨ . وانظر المعجم ففيه احاديث كثيرة في فضل آل البيت .

٤ الذيل والتكملة ٦/ ٢٥٩ ، سبك المقال ق/ ٩٧ ب ، كشف الظنون ١/ ٧٦٣ ، الاعلام للزركلي ١/ ٢٠٦ .

٥ مخطوط الخزانة الملكية بالرباط ، وراجع في تفصيل هذا القسم الثاني من الرسالة .

٦ الذيل والتكملة ٦/ ٢٥٩ ، رحلة ابن رشيد (الاسكوريال رقم : ١٧٣٧) ق/ ١٢٥ وسمّاها " نفاضة العباب ولفاظه العياب" والعباب : السيل ، والعياب : جمع عيبة وهي الجراب .

٧ ابو الحسن علي بن اسماعيل ابن سيده (٣٩٨ — ٤٥٨/ ١٠٠٧ — ١٠٦٦) ، مرسي ، كان اماما في اللغة العربية حافظا لهما ، وقد جمع في ذلك جموعا منها كتاب "المحكم" و "المخصص" و" شرح الحماسة". وكان ضريرا . انباه الرواة ٢/ ٢٢٥ ، وفيات الاعيان ٣/ ٣٣٠ وفيهما ذكر لمصادر اخرى .

اسمك على حروف المعجم"[1]، فهو اذن ارجوزة لغوية في الارجح .

(٣٣) قطع الريّاض في بدع الاغراض[2]

في مجلدين ضخمين ، لم يصلنا . وقد الفه " للخزانة العالية الامامية"[3]، مما يشير انه الفه وهو في البلاط الحفصي ، ولا نعرف ان كان الفه قبل نفيه الى بجاية حوالي سنة ٦٤٧ أم بعد ذلك وعلى الترجيح الثاني يكون قد الّفه ورفعه تقرّبا وطلبا للعفو .

قال المقري انه كتاب في متخير الاشعار[4]، وهذا ما يستفاد من اسم الكتاب ومما ذكره ابن الابار في الحلة السيراء .[5] فهو على هذا كتاب متخيّر في محاسن الاشعار بحسب الاغراض ، كأن يورد احسن ما قيل في العمى ، والشيب والخال .. الخ . وهو في موضوعه قريب من كتب التشبيهات ومن كتاب الحدائق للجيّاني .

---

١ لم اقع على ذكر لهذه الارجوزة فيما بين يدى من المصادر . وقد عارض ابو الحسن ابن حريق الشاعر المشهور (- ٦٢٢) الذى صحبه ابن الآبار ارجوزة ابن سيده هذه . انظر الذيل والتكملة ٥/ ٢٧٦ .

٢ الحلة السيراء ١/ ٢٣ ، الذيل والتكملة ٦/ ٢٥٨ ، رحلة ابن رشيد (الاسكوريال رقم : ١٧٣٧) ق / ١٢٥ ، نفح الطيب ٢/ ٥٩٢ .

٣ الحلة السيراء ١/ ٢٣ .

٤ نفح الطيب ٢/ ٥٩٢ .

٥ قال في الحلة عند ذكره لبيتين قالهما عبد الله بن عباس وقد عمي في آخر عمره : " وهذا من احسن ما قيل في هذا المعنى ، وهو داخل في باب تحسين ما يقبح . وقد جمعت قطعا من ذلك في تأليفي للخزانة العالية الامية الموسوم بـ "قطع الرياض في بدع الاغراض". ومن ذلك قول بشّار .... "، فأورد ابيات بشار ثم اورد ابياتا لغيره ، فلينظر .

(٣٤) قصد السبيل وورد السلسبيل في المواعظ والزهد :[1]

اربعة مجلدات ، لم يصلنا . وواضح من عنوان الكتاب انه في الرقائق والزهد والمواعظ .
والسؤال الذى يعترض هنا هو : هل الكتاب كلّه من تأليف ابن الابّار ؟ هذا ما
أشك فيه وبخاصة وأنه ضخم جدا . وأقدّر انه جمع فيه اقوال النبيّ صلى الله عليه وسلّم ،
والصحابة والتابعين وغيرهم من الزهّاد والعبّاد المنقطعين ، كما اقدّر انّ فيه اخبارا كثيرة عن
العبّاد والعلماء من اهل الاندلس والمغرب — وهم كثرة فيما تعلم .

(٣٥) مجمـوع رسائلـه :[2]

لم يصلنا . ونحن نعلم انّ ابن الابّار كان كاتبا مجيدا بليغا كتب عن ولاة الموحدين
بالاندلس ثم عن الامراء الحفصيين في تونس ، هذا سوى رسائله الاخوانية — التي اقدّر انها
كانت كثيرة ، وسوى الرسائل التي كتبها للعلماء طلبا لاجازة او تعريفا بطالب علم كتلك التي
كتبها للامام زكي الدين المنذرى . ولم يبق في المصادر التي أطّلعت عليها سوى بضع قطع
تفيد في القاء نظرة على نثره وأدبه . ولو وصلتنا رسائله لكان لها قيمة كبيرة في تصحيح كثير من
المعلومات والتواريخ عن ذلك العصر ، خاصة وانه قام بمهمات خطيرة دقيقة ، هذا الى جانب

---

١ الذيل والتكملة ٦/ ٢٥٨ ، رحلة ابن رشيد (الاسكوريال رقم : ١٧٣٧) ق / ١٢٥ .

٢ الذيل ٦/ ٢٥٩ ، ولا اعرف هل جمعها ابن الابّار قبل موته ام تكفل بجمعها احد طلّابه .

قيمتها الادبية الفنّية .

(٣٦) الكتاب المحمّدى : [1]

لم يصلنا ولا نعرف موضوعه. وقد ذكره ابن الابّار في الحلة السيراء عند ترجمته لمحمد بن سعيد بن محمد بن عبد الرحمن بن رستم [2] قال : " ولمحمد بن سعيد هذا شعر في "الحدائق" لابن فرج ، قد كتبت منه في "الكتاب المحمّدى" من تأليفي ، فنقل من هنا اسمه الى باب نظرائه"، وهذا القول قد يدلّ أن الكتاب في تراجم المحمدين من الشعراء.

(٣٧) مظاهرة المسعى الجميل ومحاضرة المرعى الوبيل في معارضة ملقى السبيل: [3]

وهو مما وصلنا [4] – على حروف المعجم بنظم ما ينثر بعد نثر ما ينظم – نسج فيه على

---

[1] الحلة السيراء ٢/ ٢٧٣ ، رحلة ابن رشيد (الاسكوريال رقم : ١٧٣٧) ق/ ١٢٦ .

[2] الحلة السيراء ٢/ ٢٧٣ ، عاش حوالي ٢٣٠/ ٨٤٥ .

[3] الذيل والتكملة ٦/ ٢٥٩ .

[4] نشره الدكتور صلاح الدين المنجد في (سلسلة رسائل ونصوص (رقم ٣) مع رسالتين أخريين ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٦٣) : ٣٥ – ٧٩، وهذه النشرة غير محققة . وقد نسخها الاستاذ ابراهيم شبّوح . "وقد حافظ الدكتور المنجد على النص كما ورد في المخطوط ، ولم يشر الى الاخطاء التي وردت في الشكل" (من حاشية للدكتور المنجد في مقدمة النشرة) . هذا ولم ينتبه ناشر النص الى ان معارضة ابي الربيع ابن سالم قد وصلتنا ، وكذلك معارضة ابن ابي الخصال، ولو اطلّع على "تعريف القدماء بأبي العلاء" (دار الكتب المصرّية ، القاهرة ، ١٩٤٤) لوجد نقلا من معارضة ابن ابي الخصال واشارة الى رقم مخطوطه في الاسكوريال . ولدى الدكتور احسان عباس نسخة من معارضة ابي الربيع.

طريقة ابي العلاء المعرّى في رسالته ملقى السبيل .وقد كان اثرأبي العلاء المعرّى كبيرا في الشعر والنثر في الاندلس وأولع الاندلسيون بمعارضة ادبه وشرح شعره.[٢] وقد عارض خمسة من الاعلام الاندلسيين رسالة ابي العلاء هذه قبل ابن الابار ، وعارضها اثنان ممـــن

---

١ وهوكتاب وعظ يشتمل على نظم ونثر على حروف المعجم ، على كل قافية فصل نثر وابيات شعر ، ومقداره كرّاستان ، وفي كشف الظنون ، والقفطي اربع كرّاسات . وقال الشيخ شمس الدين الذهبي : "انما مقداره ثمان ورقات ، فكأنه يعني بالكراسة زوجين من الورق".
راجع "تعريف القدماء": ٦١٩ ، وجامع اخبار ابي العلاء (المجمع العلمي ، دمشق ، ١٩٦٢) ٢/ ٧٩٢ ، وبروكلمان ، تاريخ الادب العربي(الطبعة العربية)٥/ ٤٤٠ وقد نشر رسالة ابي العلاء الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب (مطبعة المقتبس، دمشق ، ١٣٢٩) واعاد نشرها الاستاذ محمد كرد علي في رسائل البلغاء والاستاذ كامل الكيلاني في رسائل ابي العلاء.

٢ دخلت كتب ابي العلاء في فترة مبكرة الى الاندلس، فقد تتلمذ عليه عدد من الاندلسين ذكرهم في "تعريف القدماء": ٥١٨ ، وانظر فهرسة ابن خير ٤١١-٤١٢ ، واحكام صنعة الكلام ٢٣٠ وصفحات اخرى متفرقة.

أتـــوا بعـــده.[1]

---

[1] معارضات ملقى السبيل في الاندلس:

(١) معارضة محمد بن مسعود بن أبي الخصال الغافقي (٤٦٥ـ٥٤٠) وقد ورد مطلعها في تعريف القدماء. وله ترجمة في قلائد العقيان:١٧٥، والذخيرة ٣/ ٢/ ٧٨٤ ـ ٨٠٩، وفهرسة ابن خير، والصلة ٢/ ٥٨٨ (١٢٩٤)، والخريدة ٢/ ٤٤٩، والبغية رقم:٢٨٢، والمعجب: ١٧٣ ـ ١٧٦، والمطرب:١٨٧، ومعجم اصحاب الصدفي :١٤٤ (١٢٥)، والمغرب ٢/ ٦٧، ورايات المبرزين: ٧٤، ومسالك الابصار ١١/ ٤٣، وبغية الوعاة ١/ ٢٤٣، ونفح الطيب انظر فهارسه.

(٢) معارضة ابي العباس الاقليجي، احمد بن محمد بن عيسى بن وكيل (ـ ٥٤٩ او ٥٥٠) له ترجمة في اخبار وتراجم اندلسية : ٢٤، وانباه الرواة ١/ ١٧٦، والتكملة ١/ ٦٠ (١٦٧)، والذيل والتكملة ١/ ٥٤٣ (٨٣٧)، والعقد الثمين ٣/ ١٨٢، وبغية الوعاة ١/ ٣٩٢، والنفح ٢/ ٥٩٩.

(٣) معارضة ابي القاسم السهيلي، عبد الرحمن بن احمد (ـ ٥٨١) واسمها "حلية النبيل في معارضة ملقى السبيل". له ترجمة في البغية رقم : ١٠٢٥، والمطرب : ٢٣٠، والمغرب ١/ ٤٤٨، والاحاطة ٣/ ٤٧٧ ـ ٤٨١. وجاء في الاحاطة : "حيلة النبيل في معارضة ما في السبيل". وهذا من اوهام الاستاذ عبد الله عنان التي لا تحصى.

(٤) معارضة ابي القاسم عامر بن هشام الازدي (٥٥٣ ـ ٦٢٣). له ترجمة في التكملة ٢/ ٦٩٣ (مخطوط رقم: ١٩٤٤)، وبرنامج الرعيني ١٩٧، والمغرب ١/ ٧٥، والذيل والتكملة ٥/ ١٠٦ (٢٠٢)، وقسم الغرباء ق / ١٧١، ونفح الطيب ١/ ٥٤٢ و ٣/ ٢٦٩.

(٥) معارضة ابي الربيع ابن سالم الكلاعي (٥٦٥ ـ ٦٣٤) واسمها "مفاوضة القلب العليل ومنابذة الامل الطويل بطريقة ابي العلاء في ملقى السبيل". وقد مرّت ترجمة الكلاعي فيما سبق وانظر قسم الغرباء ق / ١٧١.

(٦) معارضة ابي عبد الله محمد بن هارون القرطبي (٦٠٣ ـ ٧٠٢) واسمها "مقارضة الاجر الجزيل ومراوضة الصبر الجميل في معارضة ملقى السبيل". له ترجمة في برنامج الوادي آشي: ٥١ ـ ٥٢ وفيه ذكر لمصادر اخرى. (٧) معارضة ابي الحسين علي بن رزين التجيبي (٦٢٥ـ ٦٩٢). اورد له قطعة في رحلة العبدري، وانظر تعريف القدماء : ٥٢١. وقد سبقت ترجمته: ١٢٠.

(٣٨) معدن اللجين في مراثي الحسين: [١]

قال الغبريني : " ولو لم يكن له من التآليف الا الكتاب المسمى بكتاب اللجين في مراثي الحسين لكفاه في ارتفاع درجته وعلو منصبه وسمو رتبته". [٢] والكتاب كما يدل عليه اسمه مجموع في مراثي السبط الشهيد . قال الصفدى [٣] : " وقد رثاه من المتقدمين والمتأخرين خلق كثير لا يحصون ، وخمسوا القصائد المشهورة مراثي فيه"، فكتاب ابن الابار واحد في سلسلة طويلة من المراثي فيه .

وقد ألفه ابن الابار قبل سنة ٦٣٣/ ١٢٣٥ اذ ان ابن ابي زاهر المكتب (المتوفى سنة ٦٣٣) [٤] سمع الكتاب على ابن الابار.

ولم يكن ابن الابار اول من تناول هذا الموضوع في الاندلس ، فلصفوان بن ادريس التجيبي [٥] "قصائد جليلة في مراثي الحسين ... فقد انفرد من تأبين الحسين وبكاء اهل البيت بما ظهرت عليه بركته من حكايات كثيرة" [٦] ، كما نظم آخرون في المعنى نفسه. [٧]

واقدر ان ابن الابار قصر هذا الكتاب على شعره في رثاء الحسين معارضا ابا بحر صفوان وغيره،

---

١ التكملة ٢/ ٦٣٥ ، الذيل والتكملة ٦/ ٢٥٩ ، عنوان الدراية : ٣١٢ ، رحلة ابن رشيد (الاسكوريال رقم : ١٧٣٧) ١٢٥ ، نفح الطيب ٤/ ٣٢٠ "معادن اللجين"، فهرس الفهارس ١/ ١٤٢ نقلا عن عنوان الدراية .

٢ عنوان الدراية : ٣١٢ .

٣ الوافي ١٢/ ٤٢٩ ، وعد ممن رثاه "الحكيم الموفق المعروف بالورل خمس الدريدية مرثية فيه ، والسراج الوراق خمس قصيدتي ابي تمام الطائي مرثية فيه ..".

٤ التكملة ٢/ ٦٣٥.

٥ تعددت ترجمته عند الكلام على "المقتضب من تحفة القادم".

٦ الاحاطة ٣/ ٣٥٩.

٧ انظر مقدمة "درر السمط" ص: ط — م .

الفصـــــل الثانـــــي

شعـــــــــره

١ - ديوانـــــه :

ذكر ابن عبد الملك المراكشي ان لابن الابار ديوان شعر على الحروف[1]، وقد وصفه ابن الطوّاح بانه ضخم فقال[2] : " وقد طالعته وهو قليل بأيدى الناس".

وثمّة نسخة من الديوان في الخزانة الملكية بالرباط (رقم : 4602) ، ومن هذه النسخة صورة في معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة (رقم : ١٣٠٦)[3]. وهذه النسخة غير كاملة اذ فيها بتر من أولها أدى الى ضياع ورقة العنوان وعدد آخر لا نعرف مقداره ، ويبتدىء الموجود منه بقصيدة على حرف الهمزة أولها :

كيف السبيل الى احتلال معاهــــد ... شبّ الاعاجم دونها هيجاءها[4]

وتستمر القصائد والمقطوعات (وعددها حوالي المائتين) على نسق حروف الهجاء المغربي وينتهي الموجود من الديوان بعد حرف الياء بقصيدة بائية. ويخلو الديوان من صفحة الختام فلا نعرف اسم ناسخه ولا تاريخ نسخه. وعدد أوراق هذه النسخة ٢٣١ ورقة بمقاس ٥ر١٨ × ٥ر٢٥ سنتم وفي كل ورقة ٢١ سطرا ، ويبلغ تعداد الابيات حوالي ٥٣٠٠ بيت. وقد ورد في آخر الديوان

---

[1] الذيل والتكملة ٦/ ٢٥٩.

[2] سبك المقال ق/ ٩٧ ب.

[3] فهرس المخطوطات المصوّرة ، القسم الثالث د - ذ (تصنيف منير محمد المدني ومراجعة الدكتور محمد مرسي الخولي ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، القاهرة ، ١٩٨٠) : ١٢ ، وانظر كشف الظنون ١/ ٧٦٣.

[4] اورد المقرى القصيدة في نفح الطيب ٤/ ٤٧٩ دون ان ينسبها ، انظر ما تقدم ص٨٩ - ٩٠. وبمقارنتها برواية الديوان يتبين ان النقص مقداره ستة عشر بيتا من اولها .

اربع ورقات كتبت بخط مغاير وهما قصيدة دالية لا مطلع لها واشك انها من الديوان.
وخط النسخة اندلسي واضح [1] غير ان الارضة تركت آثارا واضحة على صفحاته نطمست الكثير
من الكلمات والابيات احيانا ، ولم تسلم النسخة من الاخطاء اللغوية والاملائية والتحريفات التي قد
تؤدى الى خلل في المعنى او الوزن. هذا وقد تكررت بعض القصائد او اجزاء منها في
موضعين مختلفين دون الاشارة الى ذلك . وقلما يذكر الناسخ مناسبة القصيدة واكثر ما يفتتح
القصائد بقوله : "وقال ايضا"، او "وقال ايضا رحمه الله". ويلاحظ انه في الحروف الاولى عمد
احدهم الى زيادة وزن القصيدة في الهامش بخط مغاير.

والنسخة غير كاملة ، فيما يبدو ، فقد وردت في المصادر بعض المقطعات والابيـــات

---

[1] في التعليق الذى كتبه احد امناء المكتبة ــ فيما يبدو ــ على ورقة مرفقة بأول الديوان أن الخط من القرن السابع او الثامن.

التي لم ترد فيها[1]، ويبدو أن الناسخ كان ينقل عن نسخة اتم من هذه اذ انه يورد احيانا مطلع القصيدة ثم يقول : "ومنها" ويورد ابيات اخرى او يقول : "وقال ايضا في قصيدة"

---

[1] سأذكر فيما يلي هذه المصادر مشيرا الى الصفحات مبتدئا بمؤلفات ابن الابار : المقتضب من تحفة القادم :٤٦، ٥٨ ـ ٥٩ ، ٢٣٥ ، ١٢٢ /١٢٤، الحلة السيراء ٢/ ٢٦٢ ،٢٦٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، اعتاب الكتاب : ٢٥٦ ـ ٢٦٢ ، المغرب في حلى المغرب ٢/ ٣١٠ ـ ٣١٢ ، اختصار القدح المعلى ١٩١ ـ ١٩٤ ، رايات المبرزين : ٨١ ـ ٨٣ ، رحلة العبدرى : ٢٥٤ ، ٢٥٧ ، البيان المغرب : ٣٤٥ ، الذيل والتكملة ٥/ ٢٧٤ ، ٦/ ٢٥٩ ـ ٢٦٢ ، سبك المقال (مخطوطة الرباط رقم : 105) ق/ ٩٧ أ ـ ٩٧ ب ، عنوان الدراية : ٣١١ ـ ٣١٣ ، رحلة التجاني : ٢٧٠ ، رحلة ابن رشيد (الا سكوريال رقم : ١٧٣٥) ق/ ٢٤ أ ، ٤٢ ـ ٤٤ ، ٨٨ ـ ٩١ ، (رقم : ١٧٣٦) ق / ٢٦ ، (١٧٣٧) ق ١٩ ، ١٦ ، الجزء الثاني ـ تونس عند الورود (تحقيق الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٢) : ٢٠١ ـ ٢٠٢ ، الروض المعطار : ٤١ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٢١ ، ١٣٦ ، ٢٧٨ ، رفع الحجب المستورة ١/ ٧٨ ، الوافي بالوفيات ٣/ ٣٥٦ ـ ٣٥٨ ، فوات الوفيات ٤/ ٤٠٤ ـ ٤٠٥ وأورد ١٩ بيتا نسبها له وهي لابن الابار الخولاني ، السحر والشعر لابن الخطيب (نشره وترجمه الى الاسبانية J.M. Continente Ferrer المعهد الاسباني للثقافة ، مدريد ، ١٩٨١) : ٣٤ ، ٦٥ ، الاحاطة في اخبار غرناطة ٤/ ٣٠٤ ـ ٣٠٧ ، اعمال الاعلام : ٢٧٣ ، المرقبة العليا : ١٢٠ ـ ١٢٢ ، تاريخ ابن خلدون ٦/ ٦٠١ ـ ٦٠٤ ، ٦٥٥ ، عقود الجمان (مخطوطة الفاتح رقم : ٤٤٣٤) ق/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨ أورد نفس مختارات فوات الوفيات ، ازهار الرياض ٣/ ٢٠٧ ـ ٢٢٥ ، نفح الطيب ٢/ ٢٨٧ ، ٥٩٠ ـ ٥٩٤ ، ٣/ ٤٦٧ ، ٦٠٣ ، ٤/ ٥٨ـ٥٩ ، ١١٩ ـ ١٢٠ ، ٤٧٣ ، ٤٧٩ ـ ٤٨٣ ، الحلل السندسية في الاخبار التونسية : ١٠٢٤ .

او " وجدت بخطه رحمه الله ". [1] واكثر الديوان ، بل جُلّه ، يعود الى فترة اقامته في برّ العدوة سوى بعض مقطعات وقصائد ذكر الناسخ انها مما قاله في صباه ، واحدة ذكر انها " مما قاله وهو ابن خمس عشرة سنة " ، وقصيدة قالها في الامير زيّان بن مردنيش. [2]

وهذه النسخة التي بين ايدينا بحاجة لجهد شاق حتى تخرج محقّقة وتتم الاستفادة منها. اذ ان شعر ابن الابار يمثل وثيقة حضارية هامة ويلقي الكثير من الضوء على بعض الاحداث التاريخية في عصره خاصة فيما يتعلق بفترة حكم الامير ابي زكرياء يحيى وابنه من بعده فقد نظم قصائد في كثير من الاحداث والوقائع التي خاضاها ، هذا الى قيمته الفنّية التي تبرز دور ابن الابار كشاعر متميّز عدا عن كونه احد كبار مشايخ الرواية والحديث والتاريخ والادب في الاندلس .

ولقد اقتصرت في هذا القسم من الدراسة على اختيار قصائد تمثل اتجاهات ومحاور كبيرة في شعره وتبرز طريقته الشعرية وخصائص اسلوبه ومركزه بين شعراء عصره . وقد وقع اختياري على هذا المنهج لئلا توسم الدراسة بالسطّحية او تكون وصفية استعراضيّة احصائية . اذ وجدت نفسي بين يدي ديوان ضخم اكثر قصائده تدور على المدح وجلّها يتجاوز الاربعين بيتا . فافردت الدراسة بثلاثة محاور : الاول تناولت فيه معاني المدح والحث على الجهاد ونصرة

---

[1] وهذا يعني ان النسخة التي بين ايدينا مما جمعها احدهم بعد وفاته وربما اعتمد على نسخة اخرى أتم فاختصر بعد القصائد وزاد اخرى مما لم يجده فيها !

[2] ق / ٧٢ واولها :

تناضل عن دين الهدى وتدافـــع   كأنك في الهيجا ابوك مرافـــع

الاندلس وبما ان ابن الابار مال نحو المطالع الغزلية واحيانا نحو المطالع الفخمة فقد دخل الغزل ضمن هذا المحور ومقابل قصائد المدح نجد ما اسمّيه بالقصائد الاعتذارية التي تعكس الوجه الآخر لعلاقته بالحضرة ، ودخلت في هذا المحور قصائد الرثاء (نعت الميت) واخترت قصدتين الاولى في رثاء الامير ابي زكرياء والثانية في رثاء شيخه ابي الربيع ابن سالم ·

والثاني افردته لمعاني الوصف والحنين والتشوق الى ملاعب الصبا · اما الثالث والاخير فقد ألحقت فيه الى بعض قصائده الزهدية ·

وحاولت في الختام ان استخلص اهم النتائج التي توصّلت اليها الدراسة ·

٢ ـ شعــــره :

ان اكثر ما وصلنا من شعر ابن الابار يعود الى المرحلة الثانية من حياته بعد رحيله الى تونس، ما عدا قصيدة مدح بها الامير زيّان بن مرد نيش وبعض مقطوعات اخرى من زمن الصبا . وجلّ ما وصلنا مقصور على علاقته بالحضرة الحفصية خاصة أيام خلافة الامير أبي زكرياء يحيى (ـ ٦٤٧/ ١٢٤٩) . وقصائده تعكس هذه العلاقة الوثيقة التي كانت تربطه بالامير والآمال الكبيرة التي كان يعقدها عليه.وكنت قد ذكرت في القسم الاول من هـــذه الدراسة[1] ان ابن الأبار كان على وعي تام بخطورة المرحلة التاريخية التي كان يمرّ بهــــا الغرب الاسلامي وقت ذاك ، وانه حاول ان يضطلع بدور الموجّه السياسي للسلطان بل حاول ان يصبح شاعر الخلافة في تلك المرحلة التي كانت الحضارة الاسلامية فيها تأذن بالافول في الاندلس وتصاب بالتشرذم نتيجة العصبّية القبلية الحادة في برّ العدوة . من هنا لم يكن ارتباطه بالسلطة تحدوه نزعة تكسبيّة بقدر ما كان نابعا من ايمان بالدور الذى قد تؤديه هذه الدولة الفتيّة في ظل الامير أبي زكرياء . في اطار هذه المقولة لم يعد محور المدح الذى طبــع الديوان بطابعه محورا أحادى النظرة والعلاقة ، بل غدا يصدر عن وعي تاريخي حضارى وعن نظرة سياسيّة تهدف الى صالح الجماعة الاسلامية ، ومن هنا تأتي محاولة الشاعر استغلال جميع المناسبات لترسيخ فكرته هذه ولربط احداث الحاضر باحداث الماضي الاسلامي المجيد . غير ان العامل الذاتي يبقى ذا أثر مهم في توجيه شعره ـ والشعر أولا وأخيرا يصدر عن ذاتية غنائية ـ من هنا تنعكس مرارة ابن الابار وخيبته واخفاقه في الاحتفاظ بمركزه في البلاط ، وهو الذى يرى

---

[1] انظر ما تقدم ص ٩٠ ، ٩٨ ـ ٩٩ .

الى نفسه عالما نذا ومفكرا متميّزا . وقد كانت حياته في برّ العدوة اخفاقا دائما وصراعا مستمرا مع مراكز القوى السياسية من بلديين واندلسيين، هذا الى الحنين الدائم والشجن اللذين كان يحملهما لملاعب صباه في الاندلس " ومتى توازن الاندلس بالمغرب او يعوّض عنها الا بمكّة أو يثرب ؟ ! " .

لقد غادر ابن الابار موطنه بعد ان قام به سوق الفتنة وتملكه الملك بانقمة الاول وعظم تكالب العدو على سائر مدن الاندلس " وحسبك بها مصيبة واعظم بها فجيعة ، وملوك الاندلس في غمرتهم ساهون وعن عواقب الاسلام لاهون "[1]، وقد توجه الى افريقية حين كانت دولة التوحيد قد عصفت بها الاهواء واضعفتها الصراعات والمكايد . وكانت الدولة الحفصّية دولة فتيّة ورثت مجد الموحدين و " دعوتهم المبنية على دين متين وتأسيس بفقه فحدّقت بسمتها العيون وصرفت اليها الوجوه وارتفع الصراخ ثم اعملت الاشارات ومدّت الايدى ".[1] وقد كان أبو زكرياء — كما مرّ معنا — أميرا شهما دينّا متقشفا يخيط ثيابه بيديه ، شاعرا عالما صليبا رسخ ملكه على دعائم من العدل والحق وجاهد لتوحيد البلاد فدانت له وأتته بيعة أهل الاندلس وغيرها من مدن العدوة فكانت ايامه أيام عزّ ورخاء وازدهار . فوجد ابن الابار فيه وفي دولته الامل المرجو وعقد عليه آمالا عريضة أريضة ، وقد قال في دولتهم الحفصّية في اعتاب الكتاب[2] ما ينبي عن مكنون صدره وان كان فيه بعض المبالغة قال :

---

[1] اقتباس من تاريخ ابن الخطيب اعمال الاعلام عند كلامه على دول الطوائف والدعوة المرابطية .

[2] اعتاب الكتاب ص ٢٣٥ — ٢٣٧ .

" لما أتاح اللهُ صلاحَ الأُمم ، وايضاحَ الأمَمِ بهذه الإمارةِ المُطاعة ، وأباحَ لأفريقية أنْ تُراحَ من عذابِ الفرقة برحمةِ الجماعة ، قلّد مُلكَها وسُلطانَها ، ليَعمُرَ بالهداية أوطانَها ، ويدحرَ حزبَ الغواية وشيطانَها ، صفوةَ الأملاكِ ونُكتةَ الأفلاك ، الذي ضحكت الآناءُ لما اعتدلت بشيَمِه ، وبكت السماءُ لما أكلتِ الأرضُ من كرَمه ، الاميرَ المعظّمَ الأعلى المجاهدَ المُقدّسِ الأرضى المطهرَ المرحومَ أبا محمد ، سقى اللهُ سُحبَ الرضوانِ ضريحَه ، وقدّس مثواه المستودع من المجد لُبابه ومن الجودِ صريحَه ، فدفعَ كل ضُرٍّ وغِشّ ، وأطلع لمحاورتي سُنّة وفرض ، ومحاولتَيْ بسطٍ وقبْض (ذريةً بعضُها من بعض) ، ملوكٌ بهاليلُ ، ليس الا عمائمهم تيجانٌ وأكاليلُ ، راضُون في الله غضاب ، كأنهم تحت الحُبى هضاب ، للقِرى والقِراع خَبُّهم وايضاعهم وبالخطيّات واليراع توقيعُهم وايقاعُهم ، يبدأون بحق الله ثم النائل ، ويحقنون حتى ماءَ وجه السائل ، باءَ الكمَلَةُ بالنّقصِ عن كمالاتِهم ، وجاءَ ما أدّبج حمالة/حاتم وحلم قيس بن عاصم من حلومهم وحمالاتهم :

غطاريفُ من قومٍ ثوى الملكُ فيهـمُ ... فلم يبق من بعد الحُلول تَرَحُّلا

اصولُهُمُ منصورةٌ بفروعهـــــم ... اذا قامَ منهم آخرٌ كـــان أوّلا

فما يشهدونَ الحربَ إلاّ إذا غلَتْ ... ولا يشترون الحمدَ الاّ إذا غــلا

جدّوا وجادوا ، ونشدوا كما شاءوا وشادوا ، وفعلوا مثلَ ما فعلت اوائلُهم وزادوا ، نطفيءُ جمرَ الهياج المشبوبُ ، ويجيءُ عقِبَ المكروه المحبوبُ ، وأصبح الثأيُ وهو المرءوب والصنيعُ وهو المربوب ، وذلك من سنة ثلاث وستمائة الى عامنا هذا الموفي أُربعين حجةً عورِدت فيها السَّخْلَةُ مع الهرغام ، وردّت شامخاتُ المعاطس حليفَةَ الرّغام ، الا برهةً غاب عنها منازلو أُسد الغاب ، ومساجلو البحارِ والسحاب ، بالمنن الرغاب ، فبودرت عندها بالحَرْب والحَرَب ، وغودرت وحشة الساحات والرُّحَب ، ثم عاد الرمي الى النزعة ، ونفى اللهُ الضيقةَ والزلزالَ بالسعة والدّعة ،

واستوسع بعدها نطاقُ الملك ، وعاد أهلُ المغرب والأندلس بالنجاة من الهُلك ، فأَرَزَتْ الى هذه الحضرة العليّة البلدان ، كما يأرِزُ الى المدينة النبوية الإيمان ، وما هي إلاّ الخلافة حقا ، عمّ اشراقُ نورها غرباً وشرقا ، لمّا اقامت الدين ، وقامت بكلمة الموحدين ، فانتظمت الارجاءَ الآفاقَ ، وحسمت الشقاقَ والنفاقَ ، وما عَدَتِ الاجماع والاصفاق".

(١) المدح والغزل :

انطلاقا من هذا نستطيع ان ندرس شعر ابن الابار لنميّز فيه عدة اتجاهات متفرعة عن محور "المدح" هذا.

يقول حازم القرطاجني في كتابه "منهاج البلغاء وسراج الادباء" :[١] "فأما مدح الخلفاء فيكون بأفضل ما يتفرع من تلك الفضائل واجلها واكملها كنصرة الدين وافاضة العدل وحسن السيرة والسياسة والعلم والحلم والتقى والورع والرأفة والرحمة والكرم والهيبة وما اشبه ذلك. وينبغي ان يتخطى في أوصافهم من جميع ذلك حدود الاقتصاد الى حدود الافراط ، وان يترقى عن وصفهم بفعال ما يكون حقا واجبا الى تقريظهم بما يكون من ذلك نافلة وفضلا". ويرى الدكتور جابر عصفور[٢] " ان حازما ينظر نظرة بالغة الريبة الى الاسترفاد بالشعر ويرى فيه سببا لهوان الشعر والشعراء .... فحازم لا يتعامل مع الشاعر باعتباره (طالب فضل) كما يفترض ابن رشيق بل باعتباره (صاحب رسالة) مؤثرة في حياة الفرد والجماعة ... وارتباط الشعر بحياة الجماعة يفرض على الشاعر مستويات متعددة في المعالجة . فهناك ما يمكن ان

---

[١] منهاج البلغاء : ١٧٠ .

[٢] مفهوم الشعر ، دراسة في التراث النقدي (دار التنوير ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٢) : ١٧٦ _ ١٧٩ .

يسمى " بالاغراض الجمهورية" في الشعر حيث "يراد استثارة الانفعال الجمهورية او كفكفتها بالاقناعات والتخاييل المستعملة فيه "٠٠٠٠ والحديث عن الاغراض الجمهورية ، من حيث صلتها بالاقناع يؤكد ما يمكن ان نسميه بالدور السياسي للشاعر في حياة الجماعة ٠٠٠٠ ولا سبيل الى حمل الجماعة على الاستجابة دون التوسل بطرائق الخطابة وأساليبها ٠٠٠٠ ولقاصد النصح كما يقول حازم ان يتعرض للكذب النافع "كمن يحذر قوما من عدو يتوقع اناخته عليهم ، فأن له ان يقرب البعيد ويكثر القليل في ذلك ليأخذوا لانفسهم بالحزم والاحتياط "٠ ويضيف الدكتور عصفور قائلا [1] انه ثمة "بعد جديد يضيفه حازم ، فيما يتصل بعلاقة الشعر بالجماعة ، ويرتبط هذا البعد بقدرة الشعر على استغلال التاريخ ، كي يحرك الجماعة ويؤثر فيها ، بربطه المتميز بين الماضي والحاضر٠ وما دام الشعر يدور حول حياة الجماعة ، فان طرائقه وموضوعاته تختلف باختلاف حياة البشر ٠٠٠ كما ان جلال مهمة الشعر ــ ولولا هذا الجلال لما عدّ الشاعر بمنزلة النبي ــ يفرض على الشاعر ان يكون اكثر وعيا وخبرة ، وأن يتميز بقدرة لافتة على استيعاب الحاضر والماضي والاستفادة من تجارب معاصريه واسلافه على السواء ، وما دام الشاعر صاحب رسالة مهمة في حياة الجماعة فمن البديهي ان يكون اكثر من غيره خبرة وحساسية ٠٠٠٠ انّ اتّساع تجارب الشاعر يعينه على خلق تجارب جديدة ٠٠٠ المهم ان نؤمن بما تقول ، أو نؤمن بجدوى الفعل للشعر في حياة الجماعة"٠

---

[1] المصدر نفسه : ١٧٩ ــ ١٨٧ ٠

ولهذا الكلام ، سوى قيمته النقدية المتميّزة ، أهمية كبيرة اذ أنّ حازما كان معاصرا لابن الابار وبينهما مخاطبات واشعار[1] وكان بوعيه وفكره الثاقب يعيش تلك المرحلة الحضارية ويحاول عن طريق كتابه " المنهاج " وشعره بعامة ان يؤدى دوره في خدمة الجماعة ، فقد كان يصدر اذن عن دوافع تتماثل مع دوافع ابن الابار وكان كل منهما في مجال علمه وعمله يحاول ان يرسم للجماعة الاسلامية مسارا تعيد من خلاله وحدتها وتؤكد فعلها الحضاري الممتد عبر تاريخها .

ولقد احتلّت قصيدة المدح الحيّز الاكبر من ديوان ابن الابار ، وقد نعود بهذا الى "مبدأ الوحدة الذى طلبه قدامة بن جعفر – وعاود طرحه وتبنّيه حازم القرطاجني – فقد جعل جعفر اغراض الشعر نابعة من منبع واحد اخلاقي هو الفضيلة (وما يناقضها) وهي ترتسم في صورة واحدة هي المدح (وما يناقضه)".[2] هذا المحتوى الاخلاقي للشعر اعني "استجلاب المنافع واستدفاع المضار" هو المنطلق الاول الذى تصدر عنه القصيدة المدحية عند ابن الابّار ، وتحاول ان تحاكيه . لقد ارتبطت قصيدة المدح عنده بوعيه التاريخي فأتت فعلا تخيلّيا يجسّد التأزم والمفارقات في عالم الواقع ، غير ان القصيدة تصدر عن نفس تنشد الكمال – نفس الشاعر – الذى يعيش واقعياً وتاريخياً في مدىً مكاني وزمانيّ مأزوم إلا أنه ثمّة فوق الواقع حُلُم الشاعر ، وهو بحلمه هذا يمسحُ وجهَ الواقعِ بما هو راءٍ ليكسبَه هندسةً أُخرى أكثر كمالاً وانسجاماً .

---

[1] راجع ما تقدم ص : ٩١ – ٩٢ .

[2] الدكتور احسان عباس ، تاريخ النقد الادبي عند العرب : ٥٥٦ ، وانظر : ١٩٥ وما بعدها .

ويصحّ التوقف قليلا عند قصيدتي ابن الابار اللتين انشدهما للامير أبي زكرياء يستحثه مستصرخا لنصرة الاندلس[1] ، وذلك سنة ٦٣٦٠ والاولى منهما فيما اقدرهي السينيّة التي مطلعها (من البسيط) :[2]

أَدرِكْ بخيلِكَ خيلِ اللّهِ أَندلُسا ⁂ إنَّ السَّبيلَ إلى مَنْجاتِها دَرَسا

وَهَبْ لها من عزيزِ النَّصرِ ماالتَمَسَتْ ⁂ فلم يَزَلْ منك عزُّ النّصرِ مُلْتَمَسا

وحاشِ مِمّا تُعانيه حُشاشتها ⁂ فطالَ ما ذاقتِ البلوى صباحَ مَسا

يا للجزيرة أَضْحى أهلُها جزراً ⁂ للحادثات وأَمسى جدُّها تَعِسا

في كُلِّ شارِقَةٍ إِلمامُ بائقَـــــةٍ ⁂ يعودُ مأْتَمُهـا عند العِدا عُرُسا

يبتدئ ابن الابار بالاستغاثة مصورا حالة عامة من الهزيمة والانهيار والتفتت وهو بهذا يطرح ، منذ البيت الاول ، القضية التي يرفعها وهي قضية دينية حضارية ، في خسارتها خسارة للدين والدنيا وضياع للمسلمين وتنتيت لوحدتهم وتهديد لمصيرهم ، فالخيل هنا مرتبطة ارتباطا وثيقا بالجهاد في سبيل اللّه ، أن عماد القصيدة هو المقابلة بين ما كانت عليه الاندلس من عروبة واسلام وعمران وما آلت اليه من تنصر وعجمة وخراب وسبي ٠

تقاسَمَ الرّومُ — لا نالت مقاسِمُهم — ⁂ الا عقائِلَها المحجوبةَ الأُنُسـا

---

[1] ولقد تناول هاتين القصيدتين كل من الدكتور الطاهر احمد مكي ، دراسات اندلسية في الادب والتاريخ والفلسفة (دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠) : ٢٩٥ — ٣٠٦ ، والدكتور الطرايسي احمد اعراب ، الاصوات النضالية والانهزامية في الشعر الاندلسي (مجلة عالم الفكر الصادرة عن وزارة الاعلام — الكويت ، المجلد الثاني عشر ، أبريل — مايو — يونيو — ١٩٨١) : ١٤١ — ١٤٧ ٠

[2] انظر تخريجها ص ٧٩ فيما تقدم وقد وردت ابيات منها في غير مصدر٠

وكلّ غاربةٍ اجحافُ نائبةٍ | تثني الأمانَ حذاراً والسرورَ أسى
وفي بلنسيةٍ منها وقرطبةٍ | ما يَنسِفُ النَّفْسَ أو يَستنزِفُ النَّفَسا
مدائنٌ حلّها الإشراكُ مبتسماً | جذلانَ وارتحلَ الايمانُ مُبتئِسا
وَصيّرتْها العوادي العابثاتُ بها | يستوحشُ الطّرفُ منها ضِعفَ ما أنِسا
فمن دساكرَ كانت دونَها حُرَما | ومن كنائسَ كانت قَبلَها كُنُسا
يا للمساجدِ عادَت للعدى بِيَعاً | وللنداءِ غدا أثناءَها جَرَسا

ان هذه المقابلة بين حلول الشرك وارتحال الايمان — بين أيام المجد والرخاء والعمران وأيام الذل والضنك والخراب ترتفع بالقصيدة الى قضية الصراع المصيرى الاسطورى ، فابن الابار يستجمع كل تاريخ الامة وعقيدتها وحضارتها ليرتفع بها رمزيا الى حيّز الصورة المجردة حيث تحتمل الموسيقى الداخلية للكلمات فيكثف بهذا أبعاد الصراع الازلي بين أولياء الله وأولياء الشيطان . وتستمر هذه المقابلة أو المفارقة ان شئت ولكن عن طريق الومض الرجوعي (Flash Back) :

لَهفي عليها الى استرجاع نائتها | مدارساً للمثاني اصبَحَت دُرُسا
وأرْبُعاً غنمتْ يمنى الرّبيع لهـا | ما شئتَ من خِلَعٍ مُوشيّةٍ وكِسا
كانت حدائقَ للأحْداقِ مونقةً | فصَوّحَ النّضرُ من أزهارِها وعسا
وحال ما حولها من منظرٍ عَجَبٍ | يستجلسُ الركبَ او يستركبُ الجلسا

ان استعادة صورة الماضي السعيد هذه تعطي للشاعر والقارىء معا فُسْحَة لاسترجاع النفس بعد الافتتاحية الصاخبة ، كما أن هذه المقارنة تسمح له ان ينطلق من جديد الى ذروة اعلى

يصور خلالها فداحة الخسارة وهول المصاب :

سرعانَ ما عاثَ جيشُ الكفر واحربا	عيثَ الدَّبا في مغانيها التي كبسا
وابتزّ بزّتَها لما تحيَّفهـــــا	تحيُّفَ الأسدِ الضارى لما افترسا
فاينَ عيشٌ جنيناه بها خَضِراً	وأين غصنٌ جنيناه بها سَلسا
محا محاسِنَها طاغٍ أُتيح لها	مانامَ عن هَضْمِها حيناً ولا نَعِسا
ورجَّ أرجاءَها لما أحاطَ بها	فغادَرَ الشمَّ من أعلامها خنسا
خَلالَهُ الجوُّ فامتدتْ يداه إلى	إدراك ما لم تطأْ رجلاهُ مختلسا
واكثر الزعمَ بالتثليث منفرداً	ولو رأى رايةَ التوحيد ما نَبَسا

هذه المراوحة بين حالتي الماضي والمضارع — الماضي حيث الموسيقى الهادئة وحروف المدّ والمضارع حيث الحركة — وقد بدأ بحركة الخيل التي استمرت تتوتر طول القصيدة — والتغيّر، تضفي على القصيدة حياة وغنى وكأن الصورة اصبحت ساحة منتزعة من قلب عالم الصراع المأساوى بين الاسلام والكفار، مما يسمح للشاعر بحرية اكبر في الحركة والتعبير.

في القسم الثاني من القصيدة ينصرف ابن الابار لاستنهاض الهمم والمدح، ومقابل صورة الانهيار تلك تبدو صورة البطل الاسطورى حامل الرسالة وحامي حمى الاسلام، فكأنما الرسالة تتجدّد على أيدى العظام من رجالها الذين يحملون الدعوة[1] ويجاهدون في سبيل الله، يهزمون الشرك والتجسيم ويعلنون دين التوحيد والعدل.[2] ففكرة الجهاد التي عاد ابن الابار الى طرحها والالحاح عليها ترتبط، عن طريق نصرة الاندلس، بالمصلحة العامة

---

[1] جاء في الحديث الشريف: "ان الله تعالى يبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها". رواه ابو داود والترمذى والحاكم.

[2] انظر ما يلي.

وتنفيذ أمر الله ، والذى يستجيب لداعي الله وينصر دينه هو "الانسان الكامل في الاسلام".

في هذا القسم تستمر الافعال المضارعة وتصبح موسيقى الابيات نوعا من الخَبَبْ فهي ليست هادئة منسابة ولا هائجة متوترة بل هي تهتزّ مع اهتزاز سيف الامام. بعد المدح يختتم ابن الابار قصيدته بشدّ عزيمة الامام وتأكيد قدرته على النصر، ويضرب له موعدا مع الفتح :

يأيها الملكُ المنصورُ أَنْتَ لهـا ... علياءَ توسع اعداءَ الهدى تعسا

وقد تَواتَرتِ الانباءُ أنّكَ مُـسْـن ... يُحْيِى بقتلِ ملوك الصُّفرِ أَنْدَلُسا

طَهِّرْ بلادَك منهم إنّهم نَجَـسٌ ... ولا طهارةَ ما لم تَغْسِلِ النَّجَسا

وأوطِئِ الفيلقَ الجرَّارَ ارضَهمُ ... حتى يطأطِئَ رأساً كلّ من رأسا

وانصرْ عبيداً بأقصى شرقها شَرِقَتْ ... عيونهم ادمعاً تهمي زكاً وخسا[1]

هم شيعةُ الأمرِ وهي الدارُ قد نُهِكَتْ ... داءً وما لم تباشر حسمه انتكسا

فاملأ هنيئاً لك التأييدُ ساحتَها ... جُرْداً سلاهِبَ[2] أو خطيَّةً دعسا

واضرب لها موعداً بالفتح ترقبه ... لعلَّ يومَ الاعادي قَدْ أتَى وعسى

لقد بنى ابن الابار قصيدته على المقابلة بين الشرك والايمان كما ذكرنا ثم المراوحة بين الفعل الماضي والفعل الحاضر والمقابلة بين الزمن الماضي والزمن الحاضر. وبنى حركة القصيدة على حركة الخيل ، غير ان اندفاع خيل الامام التي برزت حركتها في القسم الثاني من القصيدة فاق حركة خيل الكفار حيث كانت المراوحة بين الماضي والحاضر تحدّ من اندفاع الحركة. ونراه لم يكثر من المحسنات البديعية ، أو بالاحرى لم يبالغ في استخدامها فحافظت الصورة

---

[1] زكا وخسا اى زوج وفرد ، كما يقال شفع ووتر (اللسان : خسا) ، وانظر رفع الحجب المستورة ١٠٩/١.

[2] السلهب من الخيل : الطويل على وجه الارض (اللسان : سلهب).

على وضوحها بعيدا عن التعقيد وانطلقت الموسيقى داخل فواصل البيت وقافيته لتناسق مع الحركة • فجاءت القصيدة صيحة صادرة عن قلب مؤمن واخذت ابعادا عميقة واسعة اعادتنا الى صفاء الرسالة ووضعتنا وجها لوجه أمام المأزق الحضارى• من هنا نالت حظوة عند النقاد وكَلفَ المغاربة والاندلسيون بمعارضتها •

اما قصيدته الثانية فهي الهمزيّة التي مطلعها (من الكامل)[١] :

نادَتْكَ اندلس فَلَبِّ نداءَهـــا	واجعلْ طواغيتَ الصّليبِ فداءَها

وهي تحمل نفس جو السينية ومعانيها ولهذا لن اتطرق اليها •

لقد كان الامير أبوزكرياء ـ كما اكدت مرارا ـ شخصية تاريخية استطاعت ان تجسّد الفضائل التي ينشدها ابن الابار ه الذى وجد في الدولة الحفصيّة الفتيّة محطا لتجسيد احلامه وآماله في اعادة وحدة الجماعة والارض وفي احتواء غربته النفسية والجسدية ، فانطلق في مدائحه ينشد هذين الهدفين فاختلط الذاتي بالموضوعي والحلم بالواقع•

(قال يمدح الامير أبا زكرياء ويسترضيها (من الوافر) :[٢]

ظَهيراكَ التّوكُلُ والمضاءُ	نُعمُرُ الكُفرِ آنَ له انقضاءُ
يدُ الإيمان عاليةٌ عليــه	كما يعلو على الظّلَمِ الضّياءُ
وبيضُ الهندِ ظامئةٌ (اليه)	(ولكن)[٣] قد يسوغُ لها ارتواء
أعبّادَ المسيحِ دنَا رَدَاكُم	واخرسَ نأْمَةَ[٤] الجَرَسِ النّداءُ
لِمَ استعجلتُم حمرَ المنايا	وانتم عن تَقَحّمِها بِطَـــاءُ

---

[١] انظرها كاملة في نفح الطيب ٤/٤٧٩ .

[٢] الديوان ق / ٦ ـ ٨ ، (٤٤ بيتا) •

[٣] كلمتان مطموستان في الاصل •

[٤] النأمة : الصوت.

رَحا الهَيْجاءِ دائرة عليكم — بما ينهد خيفته حَرَاءُ
هو الزّمنُ الذي كُنْتم وُعِدْتم — تجلّى الحقّ فارتفع المراءُ
وما لا يُسْتطاع له دِفــاعٌ — فليسَ وراءَه الّا الفَنَاء
دعاً واليأسُ عادتكم ولكـن — بحيث يُمَدُّ للمُجزى الجزاء
حصارُكم على الاسيافِ دَيْنٌ — ومن تلك الأكُفِّ له اقتِضاء
ستعروكم[1] وتصدمكم خيولٌ — من الأُسطولِ ضَمَّرها الجِّراءُ
كأمثالِ المذاكي[2] سابحاتٍ — لها عَدْوٌ لمن فيه اعْتداء
من الدّهمِ السوابق لا لغوبٌ — يثبّطُ جريهُنَّ ولا عَنَاء
صِحاحٌ تشبه الآبال جُرباً — بآية ما يُجلّلها الهَناءُ[3]
جوارٍ مُنْشآت في تبـارٍ — الى الفوز العَظيم بما تَشَــاء
هي النيرانُ تسميةً ومعنى — وليس لها على ماءٍ هــواء
نواعب او نواعٍ للأعادي — بما عُقْباه قتلٌ أو سباء
بناتُ الماءِ حاملة كمــاةً — بأهلِ الثأر سطوتها العَياءُ
يُسرُّ بها الهدى ويقُرّ عيناً — ولكنّ الضّلالَ بها يُساء
على سِيَر الإمارة لم ترمهـا — لديها يشفعُ البأسَ الحباءُ
اولائكَ زُمْرةُ التوحيدِ ينمي — بها نَسَبٌ لطهرته نَماءُ
خضبت نصولها بأبي نصولا — فتلك عبيطة فيها الدمــاء
فداءٌ للخليفة من عليهـــا — وقلّ له اذا كثُرَ الفداء

---

[1] في الاصل : ستصدكم .

[2] المذاكي (جمع تكسير) : الخيل التي اتى عليها بعد قروحها سنة او سنتان (شرح كفاية المتحفظ : ٢٨٤) .

[3] شبه السفن اذ طليت بالقار بالابل الجرباء وقد طليت بالقطران .

امامٌ نوّر الدّنيا هــــداهُ وقد أُعمى بظلمتها اهتــــداءُ

له في المجدِ والعليا انتماءٌ ومنه في انتهائهما ابتــــداء

غِنى في راحَتَيْهِ للأمانـــي وللايمانِ ملؤهما غنـــاء

فلا تجزع لداهيـــةٍ نآد[1] أما ناديه للجلّى جــــلاء

ومنها :

حياةُ النّاس في تخليدِ يَحيى وهل في أبْلَج الحقّ امتراءُ

امامُ هدىً به اتصل اعتدالٌ من الايام وانفصلَ اعتداء

امولانا أُنادي من بعيـــدٍ ليظفرَ لي بإدْنائي النّـــداءُ

ولو ان الهوى بالقصدِ وافٍ لطارَ إليك بالعَبْد الهـــواءُ

....

واهلُ السهل والجبل انقياداً واذعانا عبيدٌ أو إماء

فلا بأسَ وأنت لنا غيـــاثٌ ولا يأسَ وأنت لنا رجـــاءُ

....

لعل عُلاك توسعني بكوني قبولاً إنّه نعـم الحبـــاءُ

لو اتخذنا من هذه القصيدة مثالا لقصائده المدحية نقع فيها على ثلاثة محاور :

١ ـ مدح الخلافة واسباغ المعاني الدينية عليها ، فهي الدولة المؤيدة بالحق المحصّنة بالايمان والعدل والتي خضع لها السهل والجبل .

---

[1] النآد : الداهية ، وهي هنا نعت او بدل .

٢ ـ انطلاقا من هذا المعنى يلتفت الى معنى الجهاد فبالتوكل والمضاء ستحصد أسياف الامام ملة الشرك والكفر وبالخيل السابحات ـ الاسطول سيعيد للاندلس مجدها .

٣ ـ انت الغياث والرجاء ، ليس للناس فحسب بل "ولي" أيضا فرحماك ادنني من حضرتك وأعد اسباغ نعمك عليّ .

ونلاحظ أن هذه القصيدة تخلو من المطلع الغزلي اذ يندفع ابن الابار في اظهار الحق المقدس على "عباد المسيح" الذين يهددون وطنه ويجرى معهم حوارا مباشرا كأنهم أمامه ـ يخاطبهم ويتوعدهم ، بل يهزأ بهم ويندد بقدرتهم :

لم استعجلتم حمـــر المنايـــا وانتم عن تقحمها بطـــــاء

وينتقل في البيت الذى يليه من الزمن الماضي الذى استعمله هنا الى الحاضر الراهن فيصوّره كأنه يشاهده :

رحى الهيجاء دائرة عليكم ......

هو الزمن الذى كنتم وعدتم .....

ثم تبلغ روئيته للحاضر ذروتها التي تَستشرِف المستقبل وتشمل الحياة في كلّ آن :

وما لا يستطاع له دفـــــاع فليس وراءه الا الفنـــــاء

حتى اذا غادر هذه الذروة عاد الى الحديث عن الممدوح بصيغة الماضي :

دعا والبأس عادتكم ولكـــن بحيث يمدّ للجزى الجزاء

لكي يذكر ممدوحه بأنّ هذا الموقف ضد الاعادى دِينٌ ودَيْن ، فجمح به الخيال الى تصوير الاسطول الذى هو جسر العودة والاستعادة لكي ينتهي الى المدح الشخصي باسباغ صفات الجد

والمضاء عليه - فهو قد بدأ من العام وانتهى بالخاص لكي يتمكن من ادراج ممدوحه في السياق الكبير لرسالة الجهاد ، ثم في نهاية القصيدة نوّه بنفسه وحاجته الى القبول .

هذه المعاني سوف تتكرر في أكثر قصائده، ولسوف يتناولها باساليب مختلفة وصور متعددة ولهذا نراه لا يغادر مناسبة الا ورسّخ فيها هذه المعاني وطورها ، فمن فتح مدينة الى تهنئة بعيد الى ابلال من مرض او نصر على قبيلة متمردة أو غزوة في الاندلس ... الخ .

وهو بكل هذا يحاول ان يكون شاعر الدولة الذى يخدم "ايديولوجيتها" اضافة الى انه وقف القسم الاكبر من هذه القصائد لاجل الحث على استعادة الاندلس ونصرة اهلها ولاجل هاتين الغايتين نجده يبالغ في التصوير ويتفنن في وصف الاسطول الذى اصبح في لا وعيه تجسيدا ووسيلة لهذه الغاية الخطيرة والشريفة في آن ،[1] كما نجده يقرن تلك المعارك ضد القبائل والامارات الاخرى بالفتوح والغزوات في عهد الخلفاء الراشدين ويقرن بالدولة تلك المعاني الدينية السامية.[2] وهو اثناء هذا كله لا يغادر مناسبة الا وأكد ولاءه للدولة وابرز قدرته على ان يكون شاعرها ومنظّرها السياسي ، واستعطف وتشفع واسترضى واسترحم اذ أن المكايد عليه وشدة بأوه وانفته أوقعاه مرارا في احضان الخيبة والحرمان .

وتستوقفنا في قصائده المطالع الغزلية التي تشغل القسم الاول من قصائد المدح ، ومدارها خيبة حب لم يتحقق وتغنّ بحبيب لا يدرك ، وقد استقرّ على مصطلحات تكاد تكون ثوابت شعرية ، فهو يتوكأ على معاني الغزل ومعجم الحب العربي الذى كان المتنبي قد صبّه

---

[1] لقد برع الاندلسيون في وصف الاسطول وتفننوا فيه ، ونذكر منهم ابن دراج القسطلي ، انظر ديوانه (تحقيق الدكتور محمد علي مكي ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، ط ٢ ١٣٨٩) وراجع كتاب التشبيهات لابن الكتاني (تحقيق الدكتور احسان عباس، دار الشروق ، بيروت ط ٢ ، ١٩٨١) : ١٧٣ ، وقارن برفع الحجب المستورة ١/ ١٤٠ - ١٤٣ .

[2] من ذلك حروبه ضد الروم وابن غانية وقبائل العرب الهلالية (زغبة ورياح) وقبائل البربر (هوارة وزناتة) وحروبه ضد يغمراسن وفتحه تلمسان وسجلماسة وطنجة وبيعة مدن الاندلس الخ . انظر ديوانه ق/ ٢٣ ، ٤٢ ، ٥٤-٥٧ ، ٦٩ ، ٧٦ ، ٨٦ ، ٩٥ ، ١٤٤ ، ١٦٣ ، ١٧١ ، ١٩١ ، ٢١٤ وغيرها .

في قصائده واستجمع خصائصه . وابن الابار بتغزله بالبدوية - كما فعل المتنبي - اختار ان تكون معشوقته عربية صريحة النسب ، وليست جارية وهذا اكثر مناسبة للمدح .[١] ونلاحظ ان الغزل عند ابن الابار ليس تفجيرا لعاطفة عشق معينة انما هو اتّباع مرتبط بالمصطلح القديم غير انه يشفّ عن اتصال عاطفي بهذا التراث. ويفسر هذا ما أورده ابن قتيبة في مقدمة الشعر والشعراء[٢] من ان الشاعر يستهل بالنسيب "ليميل نحوه القلوب ويصرف اليه الوجوه ، وليستدعي به اصغاء الاسماع اليه ، لان التشبيب قريب من النفوس لائط بالقلوب لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبّة الغزل والف النساء ، فليس يكاد احد يخلو من ان يكون متعلقا منه بسبب وضاربا فيه بسهم حلال او حرام فاذا علم انه قد استوثق من الاصغاء اليه والاستماع له عقب بايجاب الحقوق". غير ان هذا الحب الذى لم يتحقق والحبيب الذى لا يدرك ، قد تجسدها "الحضرة الحفصية" نفسها ، وهذا ما سنبينه عند كلامنا على المحور الثاني .

ومن غزليّاته الرقيقة مطلع احدى المدائح (من الكامل) :[٣]

عَذَلوه في تَشْبيبِهِ ونَسيبِـــــهِ ... مَنْ ذا يُطيقُ تناسياً لِحَبيبِـــهِ

ومضوا على تأنيبِهِ وبِحَسْبِـــهم ... تأبينُه مُحيَاه من تأنيبِـــهِ

أو ليسَ من خَضَبَ البنانَ معوّها ... كصريعِ مُشْتَجَرِ القنا وقضيبِـــهِ

رَكدتْ صبا عصرِ الصبا وهبوبُها ... وَهَبَ النعيمَ لنومِهِ وهبوبِـــهِ

---

[١] قال ابو الطيب المتنبي :

اذا كان مدح فالنسيب المقدّم ... أكل فصيح قال شعرا متيم

[٢] طبعة دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٩ ص : ٢٠ - ٢١ .

[٣] ق / ٢١ - ٢٣ .

تالله ما حورَ الفتى من كــوره * وكفاهُ وهنُ قُــواه في تجريبــه

والعمرُ ليس قشيبُه كدريســـه كاليومِ ليس شروقُه كغروبـــه

من شارفَ الخمسين ضيّق عذرَه تعدادُه في الشيب ،عن تشبيبه

هذه الابيات نفثات ذاتية صادرة عن مرِّ العمر وعذاب التجربة ،غير أن هذه الومضة الشعرية التي صدر بها المطلع أحالها في الابيات التالية الى صنعة بديعية بالغ فيها وطرحها من خلال مناقشة بعدت بالمعنى عن الصحة والشرف وباللفظ عن الجزالة والاستقامة ، وأرى ان هذا يعود الى ثقافته الفقهية . غير انه ينتقل بعد هذه الابيات الى رقّة ما بعدها رقة وعذوبة منسابة اذ يقول :

لكنّها حدقُ المها خبأَتْ لــه من سحرها ما جدَّ في تخبيبه

فالقلبُ محتملٌ صلاءَ شجونهِ والجسمُ مشتملٌ ملاءَ شحوبــه

واهاً لهم حسبوا المشيبَ يصدُّه عن ذكر أيّام الحمى وكثيبـــه

واذا العميدُ نضا رداءَ شبابـه أغراه بالتهيام لُبس مشيبه

هيهاتِ يصحو أوْ يفيقُ من الهوى مُستعذب البُرَحاء في تعذيبــه

يا حبّذا نجدٌ وسالفُ عيشــه فيه استفادَت طيبُها من طيبــه

(....) من روضةٍ لغديره في ظلِّ ماسُرِدَ دَوحه ورطيبــه

(....) تحصل من تضوّع رَنْدِه وعَرَاره ما زاد في وصبي بــه

فهذه الابيات سهلة المأخذ ،قريبة التناول ،مطبوعة العبارة تجلو المعنى في احسن معرض ،وان كانت لا تبلغ "سورة الطرب" التي تحدث عنها الجرجاني . وهذا ينقلنا الى المقارنة التي اجراها الجرجاني [1] بين أبيات أبي تمام الغزلية والتي مطلعها:

---

[1] الوساطة : ٣٢ ـ ٣٣ ،وقارن بـ : محيي الدين صبحي ،نظرية الشعر العربي من خلال نقد المتنبي (الدار العربية للكتاب ،ليبيا ـ تونس ، ١٩٨١) : ١٢٥ ـ ١٣٢ .

* الحور النقصان والكور الزيادة ،وفي الحديث : نعوذ بالله من الحور بعد الكور .

دَعْني وشربَ الهوى يا شاربَ الكاسِ فانّي للذي حسيْتُه حَاســي

وبين أبيات الأعرابي :

أقولُ لصَاحِبي والعِيسُ تَهْوي بنا بَيْنَ المُنيفَة فالضِّمار :

تَمَتَّعْ من شَميمِ عَرارِ نَجْــدٍ فما بَعْدَ العَشيَّةِ من عَرار

وعيشُك إذْ يحلُّ القومُ نَجْداً وأَنْتَ على زَمانِكَ غيرُ زَار

....

فالقسم الثاني من أبيات ابن الابار قد نجد له ارتياحا في النفس لا نجده للابيات الاولى مع ما فيها من حسن صنعة وبديع معنى ، وهي تصدر عن قلب معذب ونفس منكسرة ، فعَيْنٌ على ملاعب الصبا في الاندلس (نجد) وعَيْنٌ على الواقع المرير تعد كرّ السنين .

وتستمر ابيات الغزل قبل ان ينتقل الى المديح ومنها :

هِبَةُ الزّمان قَضى بها دينُ المنــى لو لم يَعُدْ من بعدُ في مَوْهُوبِهِ

ومن العجائب أنْ يَتِمَّ تمتــعٌ لأخي هوى بأنيقِهِ وعجيبِــهِ

كانت مَتاعاً لو يدومُ وإنّمــا ضحكُ الزمانِ ذريعةٌ لقطوبِــهِ

ولئن تقضّتْ ليسَ يُنسَى عهدُها كلفٌ بَسيطُ الحبِّ في تَرْكيبِــهِ

وهنا يبني ابن الابار معنى مركبا فالابيات الثالث والرابع معطوفان معنويا على البيت الاول ، وقد اخذ معنى أبي الطيب :

اذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظنن ان الليث يبتســم

فأجاد الاخذ ونقله من الفروسية الى الغزل والشكاة ، وجاء في البيت الذى يليه بمعنى دقيق ،

اسعفته الصياغة في ايصاله ، فقد جاءت الجملة الاخيرة منقطعة وان جاءت في مقام الصفة للفاعل كلف .

غير انه حين جاء الى المدح لم يحسن التخلص فلم يقع على البيت الذى يسهل الانتقال من الغزل الى المدح :

مِنْ دونِ سلوتها نوازعُ لوعـةٍ ... قرَّ الفؤادُ بها نُوَيقَ وجيبِهِ [1]

وَصَفَتْ حياتي عند يحيى المرتضى ... في رَحْبِ نائله وفي ترحيبـــه

وحينما وصل الى المدح كان مدحا تقليديا غير انه سحب رِقّةَ الغزل وتَرَاوُحَ الصنعة في بعض ابياته على القسم المدحي .

واليك مثلا آخر على مطالعه الغزلية وهو نموذج مبنى على تأثيرات متعددة : [2]

طَلعتْ عليكَ مع المساءِ صَباحا ... فوشَى بمشيتِها النسيمُ وباحـــا

ما في قُوى الأرواحِ كتمانُ الشذا ... أنصح بمن يَسْتكتمُ الأرْواحا

هيفاءُ لم تنهضْ بخصرٍ أهيـف ... الا دَنَتْ ردفاً ينوءُ رداحـــا [3]

خصرٌ إذا ما مالَ عنه وشاحُـــه ... نبتَتْ ذوائبُها عليه وشاحـــا

تبتدىء القصيدة بلفظة " طلعت " بما تحمله من معاني الحضور الفجائي الذى يخلب المرء بتجليّه وحسنه وشفوفه ، ثم يأخذ بتتبع الحركة الجسدية وما تتركه من سحر وعبق في النفس ، فهو يحاكي التوازن والتناسب في اجزاء الجميل وقد رفع مدلول التناقض بين الصباح والمساء الى حركة وعطر . ومع انه في بعض الابيات قارب الوصف الحسي باوصافه التقليدية التي نقلها عن عمر بن أبي ربيعة كقوله :

هيفاء لم تنهض بخصر اهيـف ... الا دنت ردفا ينوء ردا حا [4]

---

[1] وجيب القلب : خفقانه واضطرابه .

[2] الديوان ق / ٤٠ — ٤٢ .

[3] امرأة رداح : عجزاء ثقيلة الاوراك تامة الخلق .

غير أن مجمل الابيات لا تحمل حرقة شهوانية وانما تنقي الجسد من مادته و "تصعده" الى ما يشبه روحانية الاشياء ، وهو في قلب هذا الفرح بالجمال يذكر العذول واللاحي وكأنما يعرف أن السعادة حظ لا يدوم :

تعسَ المفنّدُ هبَّ يلحى في الهوى ... ما لاحَ من رُشدٍ له اذ لاحا

يبغي لدى جمع العلاقة سلـــوةً ... ارأيتَ محظوراً يُعدّ مباحا

ثم تعود عاطفته لتتقد فينبو عن اللاحي ليسائل :

باللّه كيف يفيقُ من سكراتـــه ... من نادمَ الأحداق والأقْداحا

. . . .

لم تُرسلِ الطّرفَ المعلّم صيدَها ... الا استباح الأصْيدَ الجَحْجَاحا

وهنا تترافق الصنعة الفنية والحركة النفسية ويبلغ بالمقابلة حداً يجعل الأبيات تبلغ ذروة مستطرفة لما فيها من حسن اداء وتحكم بالتفاصيل وموسيقى توافق اللفظ وتوائمه. ويستمر في التقاط الحركات ورسم الصور وتنويع الحواس وكأن "سورة الطرب" او نشوة الفرح قد ملكت عليه لحظته فغدا حواسّ منتحة لالتقاط حالة الجسد الروحية:

ألفَ التأودَ عطفُها فتخالُـــه ... غصناً وإن لم يألف الأدْواحـــــا

وكأنّما سُقي النعيمَ سلافـــةً ... فاهتزّ من طربٍ لها وارتاحـــــا

راغتَ محاسنَها الجموح على الهوى ... فانساقَ حتى ما أطاقَ جُماحا

وهو بهذا يقترب كثيرا من اسلوب شعراء الصوفية خاصة ابن العربي (٥٦٠ ـ ٦٣٨) في غزله بفتاته "النظام" التي "قلدها احسن القلائد بلسان النسيب الرائق وعبارات الغزل اللائق (مما) تجده النفس ويثيره الانس من كريم ودّها وقديم عهدها ولطافة معناها وطهارة مغناها".[1]

---

[1] ترجمان الاشواق (دار صادر ، بيروت ١٩٦٦) : ٩

ثم يندمج ابن الابار مع هذه الحالة الروحية التي صفاها من عنصرها المادى فيعتمد المصطلحات الصوفية بايراد اسماء الامكنة الحجازية رمزا للتشوق والحب وتنتفي صورة العذول ويبقى الشاعر يطمح بطرفه الى "ايماض البرق" وهو مصطلح صوفي يشير الى حالة "التجلي ":

كم بارقٍ بين العُذَيْبِ وبارقٍ ... يبدو لزَنْدِ صَبَابتي قدّاحا

هجعَ الخليُّ له وبتُّ مُعْلِمـاً ... طرفاً الى إيماضه طمّاحاَ

كلفاً بأيامٍ سلفنَ خلالها ... خلَّفْنَ ذكرَعُهودِها أنفاحـا

عند هذه الذرة يمهد بأبيات ثلاثة للانتقال للمدح ،وهو هنا يجيد التخلص:

إنّي لاجنحُ للاوانسِ كالدمـى ... سلس العنان ولا أخاف جناحـا

وأَقُومُ في النادي أحدّثُ بالنَّدى ... سُكراً يضمّخُ طيبُه الاقْداحـا

لا ينقدُ الارياحَ آمل دَوْحـةٍ ... حَفِصيّةٍ رأَتِ السماحَ رباحـا

وهذه القصيدة تعكس حالة من الصفاء وانسجام الذات ،فكأنه نظمها في زمن كان ما يزال ينعم بالقرب من "الحضرة" وكانت الحياة تبسم له عن ثغر برود .

وقد ذكرت هذه القصيدة لأتتبّع التأثيرات التي خضع لها ابن الابار ،فهو يأخذ عن بشار هذا الولع بتتبع اصوات الحركات وربط الحواس وتداخلها ،ويأخذ عن أبي نواس الشفافية التي يطلقها على الخمر - المحبوبة:

بالله كيف يفيق من سكراتـه ... من نادم الاحداق والاقداحـا

وكأنما سقي النعيم سلافـة ... ناهتز من طرب لها وارتاحـا

والبيت الثاني يلاحظ فيه بيت أبي نواس :

"ذكر الصبح بسحرة فارتاحا"، والقصيدة بوزنها وقافيتها تذكرنا بقصيدة أبي نواس هذه،

اما بيتـــه :

تفاحتان بخوط بان بانتـــا ما البان مما يثمر التفاحـــا

فيلمّ به ببيتي ابن الرومي :[1]

أجنت لك الوجد اغصان وكثبان فيهن نوعان تفاح ورمان

غصون بان عليها - الدهر - فاكهة وما الفواكه مما يحمل البـــان

واما المصطلحات الصوفية والتشوق للحجاز فقد كانت شائعة جدا في شعر المتصوفة الذى بلغ ذروته مع ابن العربي المرسي وغيره ،وكان ابن القارض قد برع في هذه المعاني ايضا .

غير ان هذا لا يشين قصيدة ابن الابار فقد اظهر شاعرية فذة وتملكا للفنّ القريض وصناعته .

وكنت قد أشرت الى ان لابن الابار مطالع فخمة ، وأعني بها تلك المطالع التي يبتدئها باخبار الفتوح والغزوات او بالحث على الجهاد ونصرة الاندلس او وصف الاسطول او السيف ، وتتنوع وظيفة المطالع الغزلية في قصائده ، ولعل مثالا ثالثا اورده هنا يجلو هذا ، وذلك هو قوله في مطلع قصيدة يمدح بها ولي العهد أبا يحيى ويستشفع به (من الكامل) :

اهلا بهنَّ أهلةً وكواكـــبا زَحفَتْ هلالٌ دونهُنَّ مواكبا[2]

---

[1] ديوانه (تحقيق الدكتور حسين نصّار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٨١) ٦/ ٢٤١٩، وقارن بأبيات ابن عبدّرية في العقد ٥/ ٤٤٦ .

[2] كأنها معارضة لقصيدة ابي الطيب "بأبي الشموس الجانحات مغاربا". ديوان المتنبي ، شرح الواحدى (باعتناء فريدريخ ديتريصي ، برلين ، ١٨٤١ ، صورة عن نسخة الاصل بالاوفست ، مكتبة المثنى ، بغداد) : ١٧٢ . و القصيدة في الديوان ق/ ١٦ - ١٨.

تخدي الركائبُ والسلاهبُ حولَها ... تروي كأسطارِ الكتابِ كتائبا

فالموتُ بين أوانسٍ وفوارسٍ ... جاروا عليَّ اعاديًا وحبائبـا

هُنَّ الظِّباءُ العاطياتُ سوالفاً ... وهم الأُسود الضاريات مخالبا

جعلوا الدماءَ خلوقَهم وخضابَهم ... مستأصلين مُسالماً ومُحاربا

أنهاكَ لا تغشَ المضاربَ خيفـةً ... من أعينٍ تصب الصباحَ مضاربا

لم ترمِ الّا أقصدت لحظاتُها ... فجرى دمُ الصبِّ المتيَّمِ صائبـا

يا من لقلبٍ ذائبٍ من غادةٍ ... كالصُّبحِ تسحبُ للظلامِ ذوائبـا

وحشيةٍ في نازةٍ بمفازةٍ ... ينزو الجنان الوحشُ منها راهبـا

حمرُ القبابِ على اليَبابِ هي المُنى ... وكفى بهنَّ أمانياً ومآربـا

لو لم تظلّل بالرّماح عواسـلاً ... دوني وتكلأ بالصفاح قواضبـا

فلكم طريرُ الحد يخفرُ طرّةً ... ولكم أصمَّ الكعب يكفلُ كاعبـا

وَعْني أجدَّ شوقاً الى مَخْضوبةٍ ... أطرافها يدمي لطرفي خاضبـا

من راحَ بالبيضِ النواعمِ هائماً ... لم يَخْدُ للسمرِ الذوابلِ هائبـا [1]

في القصيدة نجد المطلع الغزلي الذى يحمل لونا من الوان اللهب الداخلي والشهوة الى الفعل ـ فعل السيف الذى بحدّ شفرته تتحقق المعادلة بين الموت والحياة ، فطالما بقيت المفارقة وبقي التأزم في قلب الواقع الحضارى المرير ، تبقى الحياة عطشا لا يرتوي لتحقيق فعل الانبعاث الحضارى . ويلفت انتباهنا التقسيم والمقابلة ، فالموت : بين أوانس (هن الظباء) وفوارس (هم الاسود) بهذه المقابلة ، والجزالة في الاسلوب ورصانة الوزن والعاطفة المؤثرة

---

[1] اخذ بيت ابي تمام :

ومن كان بالبيض الكواعب مغرما ... فما زلت بالبيض القواضب مغرما

ديوانه ٣/ ٢٣٦ البيت ١٦ ، من قصيدة يمدح بها ابا سعيد محمد بن يوسف .

اضفى ابن الابار على التعبير التقليدى بعدا تمكن من خلاله ان يثير في النفس انفعالا جديدا وواقعيا على الرغم من بعد الزمان وتغيّر وسائل التعبير . من هنا يبرز هذا العشق بين الشاعر وبين السيف الذى هو أداة الفعل ، فما عاد الغزل غزلا بالمعنى الحصرى بل غدا تفجيرا وتجسيدا لهذه المعادلة المأزومة في قلب الواقع واصبحت عاطفة الحب التي هي من أسمى العواطف الانسانية معادلة لشهوة الدم . هذا الموقف يشف عن فاجع ابن الابار الفردى المرتبط بفاجع الانكسار الحضارى فما عادت علاقته مجرد علاقة فردية بل غدت تحاكي ضمير الجماعة التي تتوق الى تحقيق ذاتها . وبالتالي ما عاد المدح في القسم الثاني من القصيدة مدحا لفرد بعينه بل اصبح وكأنه يمدح بطل هذه الامة الاسطورى ومنقذها فاضفى على القصيدة نفسا ملحميا وعلى بطله صفات اسطورية ، في تتمةٍ للقصيدة :

ما زالَ في ذاتِ الالَه مشمِّـــراً	ولذيلِ فَيْلَقِهِ العرمرمِ ساحبا
يغشى الخطارَ الى الخطيرِ من العلى	قبل الصّلادم للعزائم راكبـــا
متبسّماً يزجي سحائبَ عِثيَـــر[1]	تنهلّ منهنّ الدماءُ سواكبـــا
وتروقُ فيها كالبروق مناصـــلُ	لا ترتجي منها الجماجمُ حاجبـــا
قد راعَ أجوازَ المهالك خاطباً	واحتازَ ابكارَ الممالك خاطبـــا
أمنيةٌ كثبٌ لهاه راضيـــاً	ومنيّةٌ صَدَدٌ ظُباهُ غاضبـــا
لم يَبْد من أفقِ الهداية طالعا	الا توارى ذو الغواية غاربـــا
عجباً لماءِ حديدِه ألِفَ الوغى	ناراً تولّد ذا وتلك عجائبا[2]
ليطهِّر الآفاق من ذَنْبِ العِدا	حملَ الصوارمَ في الغمود
وكأنّما عزماته وعـــداتـــه	عصفُ الشّمال وقد لَقينَ سحائبـــا

---

[1] العثير : العجاج الساطع ، الغبار .

[2] نقل معنى الواواء الدمشقي :

تولد النار فيه ماء سلوتـــه   فاعجب لنار لها في الماء توليد

ديوانه (تحقيق الدكتور سامي الدهان ، دمشق ، ١٩٥٠) : ٨٨ .

يمناه مثل الريح تُرسلُ وابلاً ... غدقاً وترسلُ في الكريهَةِ صاحبـــا
إنْ جدَّ راعَ الضاريات غواضبــاً ... أوْجاد غاظ الظاميات غواربا
بين القساور والكساور زَحْفُــه ... مما اصطفاه أحَامِساً وسلاهبا [1]
....
وله سجايا في السماحِ غريبــةٌ ... ملأت أكُفَّ العالمين رغائبـــا
صدق بكل عجيبة الا بـــأنْ ... ينفضّ عنها ذو رجاءٍ خائبـــا
من نالَ من تلك الأنامل نائلاً ... لم يشكُ من نوبِ اللّيالي نائبا
أمِنَ الأنامُ به فعادَ مراقـــدا ... لجُنوبِهم ما كان قبلُ مراقبـــا
إنّ الملوك بني أبي حفصٍ أبَوْا ... بأبيهم إلاّ السماءَ مراتبـــا

لقد اخذت البطولة الفاعلة حجما اسطوريا ملحميا ، وتحولت "الجدلية" الى صراع غطى أفق المكان والزمان ، صراع الهداية والحق في مقابل الغواية والشرك ، ولقد اتّحد الواقع بالوهم وغدا الممدوح من تلك السلالة المتفوّقة " بني أبي حفص" التي حملت الحلم البطولي على جناح المسافة والمستحيل .

وينطلق ابن الابار من وقائع تاريخية معينة (اخضاع قبيلة ، أو فتح مدينة ، أو تجييش الاسطول تهيئا للغزو) ليقف موقفا معادلا لوعيه التاريخي في تلك المرحلة ، فكأن هذا التضخيم في حجم الفعل الذى يلقيه على الممدوح انما هو تعبير عن رغبته وعطشه لتحقيق الفعل التاريخي في الانتصار على "الروم" فهو يحاكي اخبار الغزوات والفتوح التي صارت في ضمير الامة ، فيضّمن مطالعه وقصائده هذه اللوحات التي يصور فيها العالم المتصادم : الاسلام في

---

[1] القساور : الرجال الاعزاء الذين يقسرون ويقهرون ، والكساور الاسود ، والاحامس : الشجعان .

مواجهة الكفر . ويصبح التفنن في وصف الاسطول او السيف نوعا من التغزل في هذه الادوات الفاعلة التي تنقل الرغبة من حالة القوة الى حالة الفعل ، كما اشرت سابقا .

بعد أن وقفنا هذه الوقفة مع المطالع المدحية يمكننا ان ننتقل الى القسم الثاني من القصائد ، أعني المدح نفسه . ومرّة اخرى يبقى ابن الابار متّبعا فهو يتوكأ على معجم المدح العربي [1] في اضفاء الصفات على الممدوح ، منطلقا فيما أرى من مقولة حازم التي أوردتها في بداية الفصل .

أما من حيث بناء القصيدة المدحية ، فان ابن الابار يراعي فيه ما تعارف عليه النقاد من حيث مسألة العلاقات والنسب بين اقسام القصيدة . يقول الجرجاني : [2] "والشاعر الحاذق يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص وبعدهما الخاتمة ، فانها المواقف التي تستعطف اسماع الحضور وتستميلهم الى الاصغاء".

---

١ قال قدامة بن جعفر في كتابه نقد الشعر (تحقيق كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٧٩) : ٦٥ - ٦٦ : "لما كانت فضائل الناس .... على ما عليه أهل الالباب من الاتفاق في ذلك انما هي : العقل والشجاعة والعدل والعفة ، كان القاصد لمدح الرجال بهذه الاربع خصال مصيبا ... فقد وجب ان يكون على هذا القياس المصيب من الشعراء من مدح الرجال بهذه الخلال لا بغيرها ، والبالغ في التجويد الى اقصى حدوده من استوعبها ولم يقتصر على بعضها ...". وانظر تقسيمات كلا منها وتركيب بعضها مع بعض ص ٦٧ - ٦٩ .

٢ الجرجاني ، الوساطة بين المتنبي وخصومه (تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي ، ط ٤ ، القاهرة ١٩٦٦) : ٤٨ .

وقد عالج هذا الموضوع الاستاذ محيي الدين صبحي وعرضه بوضوح اعتمادا على ما اورده الجرجاني وابن رشيق قال :[1]

" والشاعر الحاذق يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص وبعدهما الخاتمة ، فانها المواقف التي تستعطف اسماع الحضور ، وتستميلهم الى الاصغاء . ولم تكن الاوائل تخصها بفضل مراعاة ، وقد احتذى البحترى على مثالهم الا في الاستهلال ، فانه عني به فاتفقت له فيه محاسن . فأما أبو تمام والمتنبي فقد ذهبا في التخلص كل مذهب ، واهتما به كل اهتمام ، واتفق للمتنبي فيه خاصة ما بلغ المراد ، واحسن فزاد ".

والعناية بالمطالع القديمة لانها تنبه السامع وتنقله الى عالم فني آخر ، وقد اشترط ابن رشيق (- ٤٥٦ هـ) - المتأخر نسبيا عن الجرجاني والذى يلخص بذكاء نظرات السابقين - الوضوح في المطالع ، والسهولة ، والتناسب بين الصدر والعجز ، وان تبتعد عن التشاؤم ، وأن توجه فكر السامع الى موضوع القصيدة .

وأما حسن التخلص فهو ان يخرج الشاعر مما بدأ كلامه به من النسيب الى المدح بلطف وحسن ملائمة ، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الاول الا وقع في الثاني ، لشدة الممازجة والالتئام بينهما حتى كأنهما قد افرغا في قالب واحد ، فلا يكاد السامع يفرغ من التشبيب حتى يجد نفسه امام غرض الشاعر من القصيدة ".

استنادا الى ما تقدم يمكننا ان نلاحظ ان ابن الابار رغم انه كان ينسج على قوالب جاهزة كانت قد تركزت مع المتنبي والبحترى وأبي تمام ، فقد كان " شاعرا حاذقا " استطاع أن يحاكي هذه النماذج دون ان يفقد شخصيته الشعرية التي بقيت واضحة في قصائده ، كما احكم بناءها وحافظ على

---

[1] نظرية الشعر العربي : ١٥٥ .

الوحدتين المعنوية والشكلية ،غير انه لم يوفق دائما في النقلة من الغزل الى المدح كما اسلفت .

وقد جاء له في الغزل مقطوعة رقيقة يعارض بها الشريف الرضي في قصيدته التي مطلعها :[1]

يا ظبية البان ترعى في خمائلـــه ليهنك اليوم ان القلب مرعاك

وهي معارضة وفق فيها لكبير احسان وان شفت فيها ابيات ابن الابار عن ملامح تشير الى ذوق حضرى.[2]

كما له قصيدة غزلية المطلع في معارضة قصيدة أبي الحسن علي بن عبد الغني[3] الحصرى القيرواني الذائعة الشهرة والتي مطلعها (من الخبب) :[4]

يا ليل الصبّ متى غـــده اقيام الساعة موعده

رقد السمّار فأرقـــه أسف للبين يردّده

ومطلع قصيدة ابن الابّار :[5]

---

[1] ديوانه (طبعة دار صادر ، بيروت ، ١٩٦١) ص : ١٠٧ — ١٠٨ .

[2] الديوان ، ق / ١٠١ / ١٠٢ ، وانظر : ١٠٢ — ١٠٣ .

[3] (— ٤٨٨) ، شاعر اديب رخيم الشعر حديد الهجو موفور الادب كان ضريرا ، دخل الاندلس بعد خراب القيروان حوالي سنة ٤٥٠ وانتجع ملوكها ، وله مؤلفات . انظر الذخيرة ٤/ ١ : ٢٤٥ ، وفيات الاعيان ٣/ ٣٣٢ وفيهما ذكر لمصادر اخرى .

[4] القصيدة في ٩٩ بيتا مدح بها الامير ابا عبد الرحمن محمد بن طاهر صاحب مرسية ، وهي اعتذارية ابتدأها بالنسيب ثم تخلص للمدح والاعتذار . وانظر القصيدة بتمامها مـــع معارضاتها في كتاب "يا ليل الصب ومعارضاتها" جمع محمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج يحيى (الدار العربية للكتاب ، ليبيا — تونس، ١٩٧٦) . وقد اثبتا ستة ابيات من معارضة ابن الابار ص: ٢٤٠ .

[5] الديوان ، ق / ٦٢ — ٦٤ (٧٦ بيتا) ، واورد سبعة ابيات منها الصفدى في الوافي ٣/ ٣٥٦ — ٣٥٧ وانظر الفوات ٤/ ٤٠٤ وعقود الجمان (مخطوط) ق / ٢٨٧ — ٢٨٨ .

مرقوم الخدّ مورّده	يكسوني السقم مجرّده
شفّاف الدر له جسد	بأبي ما اودع مجسده
في وجنته من نعمته	جمر بفوءادى موقده

ثم يتخلص في البيت ٢٣ الى مدح الامير أبي زكرياء يحيى .

يبقى همّ آخر شغل ابن الابار واستحوذ على قسم كبير من مدائحه ، وهو ما كنت قد اشرت اليه سابقا من انه كان يحاول ان يكون شاعر الخلافة الذى يرسخ الايديولوجية السياسية للدولة ولفهم هذه "الايديولوجية" نعود الى ما كنا قد تحدثنا عليه في الفصل الاول عند الكلام على أولية دولة بني حفص[1] ، وخلاصة ما هنالك ان ابا زكرياء يحيي الحفصي عدّ بعدما تخلّى ابو العلا المأمون الموحدى عن "فكرة المهدى" التي كانت في اساس دولة الموحدين ، الوريث الشرعي لخلفاء الموحدين الحقيقيين او كما قال له ابن الابار في سينتيه "أحييت من دعوة المهدى ما طمسا" ولما خلفه المستنصر تسمّى بأمير المؤمنين وعدّ نفسه الخليفة الشرعي الوحيد في بلاد الاسلام وسكّ على نقوده الذهبية : "المهدى خليفة الله ... أبو عبد الله محمد سليل الخلفاء الراشدين"، واستغل هذا النسب المخترع، رابطا جده الاعلى أبا حفص عمر بالخليفة

---

[1] ص: ٩٠ ـ ٩٢ ، ١٢٠ ج .

الراشد الثاني عمر بن الخطاب وقد تلقى المستنصر بيعة كبار اشراف مكة بعد سقوط الخلافة العباسية في بغداد سنة ٦٥٦ . وأرضى بهذا المالكية وحافظ على توقير الموحدين .

غير اننا نجد ان ما أتى المستنصر ليرسخه ، كان ابن الابار قد مهد له في شعره منذ ايام أبيه زكرياء يحيى المرتضى ، ويطول المقام بنا لو أردنا استعراض جميع الابيات التي تؤسس لهذه "الايديولوجية" ، وسأكتفي بايراد قصيدة وردت فيها واضحة ، ثم أورد بعض الشواهد الاخرى . قال (من الطويل) :[1]

تَحَلَّتْ بعلياكَ الليالي العواطلُ ودانَتْ لسقياكَ السَّحابُ الهواطلُ

وما زينةُ الأزمانِ الّا مناقبٌ يفرّعها أصلان بأسٌ ونائـــلُ

اذا الصَّوْلُ والطَّوْلُ استقرّا براحةٍ ترقّتْ لها نحوَ النجومِ أنامـــلُ

ومن زانَ[2] هذا الدينَ حقا بنَصْرِهِ فليس له من أهلِ دُنياهُ خاذِلُ

لك الخيرُ هذي[3] العجم والعرب تقتدي بها منشآت أو تروح رواحـــلُ

تملكها رُغْبٌ ورُعْبٌ مخامـــرٌ نرسِّلُ على حُكمِ المُنى ورسائـــلُ

وردّ على رَغمِ الأنوف وجوهَها اليكَ أساطيلٌ سَطَتْ وجحافـــلُ

أما ومغازيكَ التي دونَ محوِها وقائعُ خطّتها[4] القنا والقنابل

لقد زرتَ أرضَ الشّرك وهي معالمٌ فقوّضَ عنها الجيشُ وهي مجاهلُ

---

[1] الديوان ق / ١١٥ — ١١٧ .

[2] في الاصل : ذان .

[3] في الاصل : هذا .

[4] في الاصل : حطتها .

كفيتَ الهدى محذورَه وكفلتَه   فلا ريعَ كافٍ منك يرعاهُ كافـل

ومهّدتَ أكنافَ البسيطة باسطاً   ظلالَ أمانٍ ليس منهن زائـل

فلا خائفٌ إلاّ بمثواكَ آمـنٌ   ولا آيسٌ إلاّ لجدواكَ آمـلُ

هنيئاً لك التمكينُ دهرُك حافدٌ   يجيبُ إذا تدعوا وبرُّكَ حافـلُ

نَعِلمٌ كما عبّت بحارٌ زواخـر   وحِلمٌ كما قَرّتْ[1] جبالٌ مواثـلُ

إلى غضّ آدابٍ لو الروضُ نالَها   لكانَ مُحالاً أن يُرى وهو ماحـلُ

اذا عرضت قلتَ السطورُ أزاهرٌ   ترفّ نعيماً والطروسُ خمائـلُ

أبى بلبابِ السّحرِ الاّ تلفّظـا   كمالُك يُنبي أنّ تونسَ بابـلُ

ولله تبيانٌ سحبتَ ذيولَه   فأولُ من أزرى بسحبانَ وائـل[2]

كما بادرتْ وأداً بنياتِ قسّهـا   أيادٌ وهنّ الآنساتُ العقائـل[3]

يراعٌ وأسيافٌ تُصرّفُ طاعـةً   لأمرِكَ كلٌ فاصلِ الحكمِ فاصـلُ

وما النيّرُ الوهّاجُ غيرُك غـرّةً   بآيةِ ما تنجابُ عنها العطائـلُ

لأنوارها تُبدي ذُكاءُ تضاؤلاً   ولا نُورَ الا دونَها متضائـلُ

كمالاتُ يحيى المرتضى نقصُ من مضى   فكيف ادّعت فضل الذوات الاوائـل

تحصّلَ هذا إذْ تأمّلَ للنهى   وهل يُبتغى بالبحثِ ما هوحاصـلُ

---

1 في الاصل : قرّ .

2 خطيب يضرب به المثل في البيان ، عاش في الجاهلية وادرك الاسلام وأسلم . الاصابة في تمييز الصحابة (مصر ، ١٣٢٣ ـ ١٣٢٥) ٣/ ١٦٣ (٣٦٥٨) ؛ شرح مقامات الحريري للشريشي (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، ١٩٦٩) ٢/ ٢٢٠ـ٢٢١ .

3 قسّ بن ساعدة الايادي من خطباء العرب وفصحائهم وحكمائهم ، كان اسقف نجران وقيل انه اول من خطب متوكئا على عصاه ، وأول من قال في خطبه : "أما بعد" البيان والتبيين (تحقيق محمد عبد السلام هارون ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٦٩) ١/ ٣٠٨ .
وبنياته : يعني خطبه .

إمامُ هدىً اعداؤه لسموِّه — عليها أسامٍ والحتوفُ غوائلُ

فرفعٌ ونصبٌ في الجذوعِ بما جنت — وجرٌ تواليه (اليك) السلاسلُ

تَقِّناً طعناً في نحورهم القنا — بهامهم ضرباً تَصِلُّ المناصلُ

وليداً وكهلاً أحرزَ المجدَ والعُلى — له منهُما إرثاً سَنامٌ وكاهلُ

وما فارقتْ في السلمِ والحربِ ما انتحى — مقاصدُ فاروقيةٌ وشمائلُ

حما وحبا فالسيِّدُ الجعدُ باخعٌ — لسلطانه والصيِّبُ الجودُ باخلُ

ومن لنفيلٍ من عدِّي بجارِه — نمن راحتيه تُسْتَهلُّ القوافلُ

عليه صلاةُ اللهِ ما متعَ الضحى — وما جُنِحَتْ تُصْبِي صَباها الاصائلُ

اما نَجلَ الخطّابُ منه مظاهراً — أبا حنصٍ لله نجلٌ وناجلُ

قريعٌ بني فهرٍ يُقارعُ دونَها — أعاديها والباسلُ الدُّهرَ ناكلُ

لؤيٌّ قريش عاقدٌ للوائها — ويحيَى له دون الأئمةِ حاملُ

لقد منحَ اللهُ القبولَ بنيلِه — الذلك ما التفّت عليه القبائلُ

تَهادَتْ بهاديها الخلافةُ نخوةً — لأرْحَلَ منه في ذُارها حَلاحلُ

هو البحرُ معروناً ومعرفةً فهل — يخيبُ على العِرْفان والعَرْفِ سائلُ

تصون بيوتَ المالِ عند سواه ما — حَوَتْ بجدواه تُذالُ الوذائلُ *

على رسمِه أمْضيتُ فألِيَ واسمه — فلا ونداه الغَمْرِ ما الفألُ نائلُ **

جزى اللهُ ذاكَ الفضلَ أفضلَ ما جزى — فعن طولِه المذكورِ تُسْنى الطوائلُ

ولا زال إلّا عن سلامةِ منطقٍ — يرى ما رأى في نُطْقِهِ الراءَ واصلُ [1]

---

[1] هو واصل بن عطاء (- ١٨١) ، احد الائمة البلغاء المتكلمين على مذهب المعتزلة وكان الثغ قبيح اللثغة في الراء فكان يتجنبها في خطبه. وفيات الاعيان ٦/٧-١١ ، نوادر المخطوطات (تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٧٣) ٢/١٢٠ - ١٣٦.

* الوذائل : السبائك من الفضة .

** يفيل : يخيب .

تغمدتَ صفحلترتي وإقالتـــي   فما أنا في تلك الإقالةِ قائـــل[1]

وأوْرثتني اثرَ الخمول بناهـــةً   وما يستوي قدراً نبيهٌ وخامـــل

حُلى ذى انتشاد وازدياد من العُلى   تفضّله في العالمين الفواضـــلُ

متى آد ثقلُ الدين عاتقَ مُعْسِر   فغيرُك عن اعتاقِه متثاقـــلُ

وأيّ آمرئ شفّ الصدا ووباله   فلم يُشْفِه من جود جودِك وابـــل

ألا ليمتْ غيظاً بما نِمتَ شامـــتٌ   فنَوْلُك نام واشتمالُك شامـــلُ

تتضح في هذه القصيدة كل المعاني السياسية التي كان ابن الابار يحاول ان يلصقها بالدولة الحفصية وذلك عن طريق ابراز عدّة مقولات:

١ ـ ان هذه الدولة موئيدة من الله فهو ، سبحانه ، ناصرها ورافع لوائها .
(البيتان ٤، ٣٦) .

٢ ـ سماها خلافة . (البيت ٣٧)

٣ ـ رفع نسب آل ابي حفص الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ونماه الى نفيل بن عدى من قريش . ونحن نعلم ان عمر هو : عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى من بني عدى ، وبنو عدى احد اسر قريش العشر[2] . (الابيات ٢٩ ـ ٣٥) .

---

[1] يفهم من هذه الابيات الاخيرة ان القصيدة قالها بعد ان أقال الامير أبو زكرياء يحيى عثرة ابن الابار ، اى حوالي عام ٦٤٠ ، يعني قبل ٧ سنوات من توّلي المستنصر .

[2] انظر : المصعب الزبيرى ، كتاب نسب قريش (تحقيق ليفي بروفنسال ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٣) : ٣٤٧ ـ ٣٤٨ ، ومؤرج بن عمر السدوسي ، كتاب حذف من نسب قريش (نشره الدكتور صلاح الدين المنجد ، دار العروبة ، القاهرة ، ١٩٦٠) : ٨٠ ـ ٨٢ .

٤ ـ هذه الدولة هي التي تدافع عن الاسلام في وجه أهل الشرك (الابيات ٤ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ١١) .

٥ ـ هذا الى الصفات الخلقية والفضائل الخلقية والعلم والحجى والنباهة والادب.

انّ المعاني التي تناولها ابن الابّار في قصائده المدحيّة لم تكن معاني جديدة . فقد طرقها من قبل الشعراء الذين مدحوا خلفاء الموحدين مثل ابن مجبر البلشي [1] والرّصافي البلنسي [2] وابن حزمون [3] وغيرهم . اذ اطنبوا في وصف الفتوح وذكر المعارك التي خاضها هؤلاء الخلفاء في الاندلس [4] من جهة وضد القبائل والمنتزين من جهة اخرى . كما تناولوا في شعرهم عقيدة الموحّدين : التوحيد مقابل التجسيم الذى رموا به المرابطين ، المهدى ، [5]

---

[1] هو يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن الفهرى ، أبو بكر ابن مجبر (ـ ٥٨٨) "كان في وقته شاعر المغرب ويشهد له بقوة عارضته وسلامة طبعه قصائده التي صارت مثالا ، ويحدث على قربها منالا ، وشعره كثير يشتمل على اكثر من تسعة آلاف واربعمائة بيت". نفح الطيب ٣/ ٢٠٦، ٢٣٦ ـ ٢٤١ ومواضع اخرى متفرقة وفيه ذكر لمصادر ترجمته .

[2] هو محمد بن غالب أبو عبد الله (ـ ٥٧٢) من شعراء الاندلس المفلقين "المحافظين على رونق الشعر الجزل المبتعدين عن ميدان الموشحات والازجال". له ديوان جمعه وقدم له الدكتور احسان عبّاس ط ٢ ، دار الشروق ، بيروت ، ١٩٨٣ .

[3] علي بن حزمون من شعراء زاد المسافر ، توفي بعد ٦١٤ وكان هجاءا سليط اللسان ، أنظر في ترجمته زاد المسافر : ١٠٦ (٣٢) المعجب : ٢٩٣ ـ ٢٩٧ ، والمغرب ٢: ٢١٤ـ٢١٦ وصفحات متفرقة في البيان المغرب.

[4] لقد كانت الاندلس منذ سنة ٥٥٥/ ١١٦٠ (العبور الاول لعبد المؤمن) حتى معركة العقاب ٦٠٩/ ١٢١٢ مسرحا لمعارك كبيرة اشهرها معركة الارك التي انتصر فيها الموحدون نصرا باهرا . وقد كان من عادة هؤلاء الخلفاء ان يخرجوا للجهاد في الاندلس كل عام تقريبا ثم تولّى امراء الاندلس من الموحدين أمر هذه الغزوات .

[5] أنظر : الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي ص ٢٦٤ ـ ٢٧٤ .

التأييد من الله سبحانه ، وبالغوا في اضفاء المعاني والصفات الدينية على هؤلاء الخلفاء .

وقد ركّز عدد من هؤلاء الشعراء على النسب العربي الصريح للخلفاء خاصة بعد ان اعلن عبد المؤمن بن علي نفسه أميرا للمؤمنين وتسمّى بالقاب الخلافة ونسب نفسه في قيس عيلان .[1]

لقد كان ابن الابار يحاول ان يؤكد ان الدولة الحفصية هي الوريث الشرعي لدولة الموحدين ، وهذا ما كان الحفصيون يؤكدونه ، من هنا ملاحظتي انه كان يطمح لان يكون شاعر الدولة ، غير ان الظروف لم تواته .

(٢) الاعتذاريات :

وهذا يوصلنا الى المحور الثاني الذى شغل ديوانه أعني ما قد تسمّيه محور العتب والاستشفاع (الاعتذاريات) .[2] لقد أبعد ابن الابّار عن الحضرة مرتين ، الاولى أيام خلافة الامير أبي زكرياء يحيى اثر زلّة ارتكبها بحق السلطان ، فتشفّع بولي العهد والامير ابي محمد عبد الله (الخليفة المستنصر فيما بعد) ورفع كتاب "اعتاب الكتاب" فشفع له وأقيلت عثرته ، والثانية حينما ابعده المستنصر — وكان شفيعه عند والده اثر الجفوة الاولى — الى بجاية

---

١ وبهذا يرتبط نسبه بالنبي صلّى الله عليه وسلم ، عن طريق جدّه ، ومنهم من ينسبه في الادارسة الحسنيين . انظر المختصر في كتاب الانساب في معرفة الاصحاب (تحقيق عبد الوهاب منصور ، دار منصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، ١٩٧١) ص١٣—١٤ ، والمعجب ص١٩٧ وانظر ديوان الرّصافي البلنسي (ط ٢) : ٨٦ .

٢ اول من شهر بهذا الفن كان النابغة الذبياني ، دعته اليه الحضارة والترف واتصاله بملك من طراز ملوك الفرس وأكاسرته هو النعمان ، ثم جوّد فيه البحترى ، ولقد قيل ان رقّة البحترى واحتياله كانا كفيلين بان يغنياه عن المبالغة (في الاعتذار) ، ولكنه بالغ وما زال يبالغ حتى زاد شعره تنوقًا" ... " والاعتذار حتى يقبل يجب ان تهب منه ريح الصدق ، ولا تشوبه شائبة باطل ، فلا تخييل فيه ولا تمويه ، وانما هو صدق صريح كله ، وهذا هو مذهب الاعتذار في الكلام . وعلى الشاعر ان يتنصّل من الذنب ولو بالحلف واليمين الغموس ، وعليه ان يحشو اقواله بالرجاء وطلب العفو ، ولا يخفى عنك انه كلما اظهر الشاعر الضراعة والذلة كان ذلك اشفع له واقرب الى القبول ، ولا سيما في تلك العصور التي كان الامر فيها للحاكم المطلق". عبد العزيز سيد الاهل ، عبقرية البحترى (دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٥٣) : ١٠١—١٠٢ . وانظر : صالح حسن اليظي ، البحترى بين نقّاد عصره (دار الاندلس ، بيروت ١٩٨٢) : ١١١—٢١

التي اقام فيها حوالي عشر سنوات قبل ان يدنيه الخليفة المستنصر مرّة اخرى . ويمكننا ان نعتبر قصائده في آخر "اعتاب الكتاب" ، وبعض قصائد الديوان نموذجا لهذا المحور حيث عادت مرآة الشاعر تعكس صورة الأنا راجحة ، بعد ان كانت تعكس اشواق الامّة ، من هنا يتأتّى هذا النغم الحزين اذ انّ عذاب الحاضر يتّصل بعذاب الماضي ، كما يبرز الجانب التكسّبي للمدح ، احيانا ، في هذه القصائد ، وكنت قد اشرت الى ما ذكره ابن سعيد من انه "ارتحل تحت احسان دارّ الى بجاية"،[1] فلم تكن الحاجة المادية ـ على هذا ـ هي الحافز الذى أثار هذا الشعر . وفي قصائد العتب والاستشفاع هذه ، يتردد ابن الابّار بين اليأس والامل ، ونلاحظ ان نفس الاستشفاع الذى يصدر عن حالته النفسية يغلب على ما عرف عنه من انفة وبأو ، فهو لا يتصوّر نفسه يعيش بعيدا عن الحضرة او عن الامراء الحفصيين .

ومن القصائد التي تؤكد ما ذهبت اليه قصيدة نظمها اثر الجفوة الاولى فيما اقدّر (من الطويل) :[2]

---

[1] انظر ما تقدم ص : ١١٧ ـ ١١٨ .

[2] ق / ١٢٣ ـ ١٢٥ .

أُسَلِّمُ للمقدورِ ثُمَّ أُسَلِّمُ ... ويظعنُ جثماني [١] وقلبي مُخَيِّمُ

تجاذبه أمْرانِ إمْرانِ فاعجبا ... غرامٌ (مقيم) [٢] واعتزامٌ مصمّم

بسيشكما لا تُثقلاه ملامةً ... فما خفّ حتّى طال منه تلوّم

ولا تُؤْيساه من نجاحِ رجائه ... فللدهر في عُقبى العبوس تبسّم

لمدّته بالناصرية ناصرٌ ... يَفلّ خميسَ البؤس وهو عرمرم

وتمضي كما تمضي السيوف سيوفه ... فتنكلُ عنه النائبات وتحجم

برغميَ أزمعتُ المسيرَ عن العلى ... وصرف الليالي للمحبين مرغم

فما وحرة التبريح الا تلهّبٌ ... ولا غبطةُ التوديعِ الا تَنَدُّم

دعاني لترحالي اضطرارٌ ولم يزل ... يحلّ بما اضحى على المرء يحجم

ولولا أُطَيْفال طواهُمْ طواهُمُ ... فاعظم ما يبقى جاودٌ وأَعْظُمُ

أثاني الأسى عادتهُمْ ، ولديهمُ [٣] ... فما منهم الا يتيمٌ وأَيِّمُ

همُ أبداً هَمِّ فليلي أليلُ ... يعجّزني عنهم ويومي أيوم

جوانحهم تزكو لهيباً وتلتظي ... واعينُهم تهمي نجيعاً وتسجم

تخال بهم في شجوهم وانتحابهم ... حمائمَ على افنانها تترنّمُ

---

١ في الاصل : جثمان .

٢ هذه الازيادة ليست في الاصل ومن دونها لا يستقيم المعنى .

٣ في الاصل : أسى في الاسى عادتهم والدتهم .

لَزَجَّيْتُ أيّامي وزجّيْتُ فرجـــةً ولما يَسِرْ مُبْرى بِرَحْلي وملجــمُ[1]

كأني الرضى والإذنْ زاداً لطيّتي هما لي مغنى حيث كنت ومغنمُ

وكم رمتُ في دار الخلافة أيّدت قراراً ناعيا والمواهبُ أسهــم

وكم لحتُ مصدوداً يلوّحني الصدا وبحرُ نداها مزبد الموج خضرمُ

فان آن لي من بعدُ فيها تأخرٌ فقد كان لي من قبلُ فيها تقدّمُ

على أنني منها اليها تنقّلي ليفرن باب في التكسب مبهــمُ

أليس وليّ العهدِ قبلتيَ التـــي أوجّهُ وجهي نحوها وأيمّ

عسى لانتقالِ الحالِ نادتنيَ المُنى فلا مريةَ أني منادى مُرخّــم

وحسبي أنْ ينعم به الملكُ الرّضى وما زلتُ في شتّى أياديه أنعمُ

خطابٌ من الخطب الجليل مؤمّن وطرس على الرأيِ الجميل مترجــم

امام الهدى عطفاً ورحمى ورقّــةً فشأن الموالي أنْ يرقّوا ويرحموا

تبدأ القصيدة بالشاعر موزّع النفس بين اليأس والرجاء ، لكنه حين يذكر صفات الممدوح يقوى اليأس على الرجاء ، فيتوسّل بصورة اطفاله الصغار على الطوى — وهذه الصورة مدعاة لليأس ، لذلك يعود فيتشفّع بسابق خدمته في الدولة ، ولوليّ العهد بشخصه . لقد برّح الالم بابن الابار وتكاثرت عليه السعايات والمكايد وكبر حنينه لوطنه ، وخاف هجرا طويلا وغضبا من السلطان وهو في حالته تلك ، فتوسّل الى التعبير عن كل هذا فنيّا بصورة اطفاله وتفنن في ابراز هذه الصورة التي تجسّد الحالة التي يعيشها الشاعر .

اما من حيث البنية اللفظية فهو يعتمد على الطباق والجناس :

أسلم — أسلم ، أمران — امران ، يظعن — مخيم ، يوم — أيم ، تنقلاه — خفّ ، طواه — طوى ،

---

[1] المبرى : كناية عن البعير الذى وضعت في انفه حلقة (اللسان : برى) .

يمضي ـ تمضي .

وهذا اسلوب برع فيه البحترى فهو يطابق بين الكلمات ويجانس بين الالفاظ ثم يقابل الشطر الاول من البيت بعجزه من حيث المعنى . فبيت ابن الابار :

هم ابدا همي فليلي أليـــــل   يعجزني عنهم ويومي أيـــــوم

فيه تجنيس مطلق ، وطباق تام

وقولـــــه :

وكم لحت مصدودا يلوحني الصدا   وبحر نداها مزبد الموج خضرم

فيه جناس مستوفى مصدودا ـ الصداء لحت ـ يلوحني ، وقابل فيه بيـــــن الصدر الذى يحمل معنى الهجر والقطيعة والحركة الداخلية وبين العجز الذى يرشح عذوبة ومائية .

وكأنه في بيته هذا يلمّ بيت البحترى : [1]

بمهاةٍ مثلُ المهاةِ أبَتْ أنْ   تصلَ الوصلَ أوْتصدَّ الصُّدودا

ومن القصائد التي أقدّر انها تعود لفترة الهجر هذه ، قصيدته الرائية التي مطلعها (من الطويل) : [2]

---

[1] ديوان البحترى ، تحقيق حسن كامل الصيرفي (دار المعارف ، القاهرة ط ٢ ، ١٩٧٢) ٥٩٠/١ .

[2] ق / ٩٧ ـ ١٠٠ .

تُهابُ السيوفُ البيضُ والأسلُ السّمرُ ‏ ‏ وأقتلُ منهنّ الغلائلُ والخمرُ

أما تلكَ صرعاها تعزُّ نجاتها ‏ ‏ وكم قد نجا من يصرع الدّعس والهبرُ

تبدأ القصيدة بمطلع غزلي رقيق يشف عن عاطفة أسى وغربة ، ولذا هذه الكآبة في نفسه فعبّر عنها بهذا النغم الحزين ، فالغزل ليس مقصودا لذاته انما أتى ليفجّر فنّيا ما اختزنه شعوريا في العمق غير المرئي من الذات ، فلم يعد المطلع مرتبطا باتباع يفرضه بناء القصيدة "عمود الشعر" ، انما غدا نفثات وجدانية ابداعية خالصة :

ولينُ قدودٍ يوجدُ النّورُ والجنى ‏ ‏ لديها ، ولكن يُعدم العطفُ والهجرُ

بكت لبكائي المالكيةُ فالتقـى ‏ ‏ بحكم النّوى الياقوتُ أحمرُ والدرّ

وما زوّدتني غير إيماءةٍ كفـتْ ‏ ‏ وحسبي عرفاً لا يقابله نُكْـرُ

عجبت لها راضَ الوداعُ جماحها ‏ ‏ وعهدى بها غضبى تزار فتزور[١]

هذه الابيات الرقيقة التي تصور لحظة الفراق والوداع ، تعكس علاقة الشاعر المتوترة مع "الحضرة" ، وقد بلغ سن الاكتهال ، ويذكر أيام كان مقرّبا مفعما بالامل والرجاء ، من هنا تأتي المقابلات التي تصدر عن انكسار في نفس الشاعر. لقد انتقل ابن الابار في هذه الابيات من الصورة المحسوسة "ولين قدود" الى عالمه الداخلي حيث تعتمل موسيقى الالم فحيث يوجد النور والجنى — الربيع ، النضج ، أوان القطاف والعصر — يعدم العطف والهجر ، أى حالة

---

١ ناظر الى بيت بشّار بن برد :

وقد كنت في ذاك الشباب الذى مضى ‏ ‏ أزار ، ويدعوني الهوى فأزور

ديوان شعر بشّار بن برد (جمع وتحقيق السيد محمد بدر الدين العلوى ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٣) : ١١٢ .

من السكون التام التي يتمناها الشاعر الملوّع . والسكون حالة جمال اثيرى حيث لا "جوع مانح بالزفرات" ، انها حالة من انعدام الوزن والجاذبية كما عبر عنها المتنبي : "تناهى سكون الحسن في حركاتها ". وتستمرّ هذه المقابلة في الابيات ويصعّد استعمال الطباق من المفارقة "فالتقى — بحكم النوى " ، "عرفنا — نكر" "راض — غضبى ". وفي البيت الاخير تأكيد صورة المرتاض ، بعد اذلال الشاعر بالهجره فولاؤه للمحبوب كولائه للحضرة :

وقد سرّها في صدقيَ السرّ أنني ... بقلبيَ لها ما لا يحسُّ به الصدْرُ
لهانَ عليّ الصعْبُ في حبّ عمرة ... وإنْ بانَ في أعْقابِ رحلتِها العمْـــرُ
يقولون أتبعتَ الصِّبا آهةَ الهوى ... نقلتُ ارتشافَ الرّاحِ يتبعهُ السُّكرُ
صبرت إلى أنْ أوْمأتْ بسلامهـــا ... فلمّا استقلَّ الرّكبُ اسلمني الصبـــرْ
ومن أينَ أو كيف التجلُّد للنوى ... ومدُّ الاسى في القلبِ ليس له جَزْرُ
حياتيَ هجرٌ كلّها وقطيعةٌ ... أما آنَ أنْ تفنى القطيعةُ والهجـــرُ

هذه النفثات الحرّى تصدر عن قلب مفعم بالاسى واللوعة بعد أن قطع من العمر شوطا ، فهو يصور ادقّ الخلجات النفسية لجزع المحبّ عند الفراق ويلتقط كل حركات المحبوب وما ينتج عنها من ألم عميق يحـزّ في عمق اعماق نفس المحب ومن لوعة تعتلج في الصدر :

فمن أينَ أوْ كيفَ التجلّدُ للنوى ... ومدُّ الأسى في القلبِ ليسَ له جَـزْرُ

على ان الشاعر رغم هذا الاسى ورغم القطيعة والهجر ما يزال يأمل ان يعود له حبيبه " أما آن أن تفنى القطيعة والهجر" ، فليس للعاشق أن ينسى حبيبه او يسلوه وان كان قد "بان في اعقاب رحلته العمر".

ويخيل اليّ ان "عمرة" التي يذكرها الشاعر ان هي الا الخلافة الحفصيّة "العمرية"

فهو عن اسمها يكني واياها يعني .

أما في الاسلوب ، فابن الابار يختار الالفاظ العذبة الرقيقة التي تعبّر عما في النفس من شجو وانسياب خفي فغدت الاصوات والحواس تشفّ عن هذه العلاقة الدقيقة بين ذات الشاعر المرهفة وعالمه الواقعي ، فهو يعتمد على المشاركة الوجدانية عن طريق الصورة الشعرّية المفعمة بالاحساس السمعي - جرس الالفاظ.[1] (وهذا يذكرنا بقصائد بشآر حيث تندمج الحواس في وحدة تشف عن الحضور الجسدى) . ان هذه الابيات تضعنا في جو أبي فراس (وجدانياته) وان كان ينقصها فروسيته اذ ان ابن الابار ينطلق من موقف المستخذي ، وجو البحتري في وصفه للطيف ومطالعه الغزلية في مدائحه للمتوكل .

ويصح ان ألمح الى انه في قلب هذه النفثات وجدت ثقافته الفقهية منفذا لها فاعتمد القياس :

يقولون اتبعت الصَّبا آهةَ الهوى   نقلتُ ارتشافُ الرّاح يتبعهُ السُّكرُ .

ثم ينتقل بعد المطلع الغزلي (١٣ بيتا) الى الفخر (٢٠ بيتا) ، بعد بيتـــين تمهيديين :

اذا لم يكن في صَبْوتي الهونُ نافعي   فتا للهّ ما في سلوتي ضائري الكبر

فخرتُ بعزّ القرب من حضرة العلى   ولولا مكان القرب عزّ بي الفخـــر

---

[1] يرى الناقد الفرنسي هنرى برموند "ان سحر الكلمات لا يكمن في كونها علامات ورموزا ، انما مبعثه قدرة الشاعر السحرية في تحويلها الى تمائم ... فهذه المصادفة الرائعة في تركيب الكلمات ، فضيلتها الاساسية هي في التعبير والايحاء" والانتراض الذى تتركه في نفس "المتذوق".

وان عدّ بيتي في قضاعة أولاً ... فمن عدّ مولاها هو الماجدُ الحبر

على انها جُرثومة المنن التي ... لها في بني عَدْنان الحلفُ والصبرُ

فيغالي في الفخر بقبيلته قضاعة العدنانية (او اليمانية) ويعد مآثرها منذ الجاهلية مرورا بالاسلام وعهد النبوة والفتوحات :

ومنّا الذي أرْضى النبوةَ منطقاً ... واطلعه بدراً بافق الوغى بدر

....

من العرب العرباء في سرّ يَعْرُب ... صفا للمعالي منهم السرُّ والجهرُ

اقاموا ملوكَ الجاهلية عصرَها ... وما ازدانَ في الاسلام إلاّ بهم عَصْرُ

بهم شُدَّ للايمان أزْرٌ وساعـــدٌ ... وهُدّ بناءُ الكفرحتى هدى الكفـــر

وهم فتحوا الآفاقَ طراً فاصْبَحتْ ... تؤدى جزاها القبطُ والفرسُ والصفرُ

ولولاهم بادَ الشآمُ واهلـُـــه ... ولم يتبوأه ابن صَخْرٍ ولا صُخْرُ

ويذكر اخلاق قومه وفصاحتهم وبأسهم وسماحهم وجودهم الى آخر معاني الفخر.

وهذه الابيات الفخرية قد استدعتها حالة الشاعر المتوترة والاحباط الذى يواجهه في الواقع المرير ، فقد عدم الوطن والخلاّن حيث كان يعيش في مطيب الاندلس بين البيوتات العربية العريقة ، عالما كاتبا وزيرا مرموق الشأن ، وهاجر الى برّ العدوة ليحمل ضيم قومجلف بعيدين عن غضارة الحضارة الاندلسية ورقتها ، وليصبح هدفا لمكايد تحالف العسكر – والبيروقراطية الاداريّة هذا التحالف الذى كان يسيطر عليه زعماء قبائل البربر ، كما احتمل ضيم رفاقه وزملائه من الاندلسيين ، فلم يبق امامه الا ثابت واحد يتعلق به ويلوذ آمنا من هجمات الاعداء اعني

"القبيلة الام" فقومه هم الراسخ الوحيد : "فقل اجبل شمّ وقل انجم خضر" وابن الابار وهو يفتخر بقومه لم يذكر نفسه ابدا غير ان اندماج الانا — بالقبيلة يعوض عن ذكر الانا مباشرة.

واجمع بأْوٍ في أخاءٍ مجمَّــــع كفانا انتخاءً أنّ اخوتَنا فهــرُ

كألسننا اسيافُنا في مضائهــــا فلا خطبة حتى تقوم ولا شعــــرُ

الآن اصبح بمقدور ابن الابار بعد ان بيّن لوعته واساه للفراق والهجر في المطلع الغزلي واندمج بالقبيلة الصريحة النسب في الفخر — فساوى بذلك خصومه وحسّاده، وحتى اميره — اقول اصبح بمقدوره ان يمدح ويرجو، فكان ختام القصيدة لفتة الى ولائه للامير وتذكير بحاله :

وما انا ممن يرتضي القلّ مقتنى ومولاى لا يرضيه افضاله الكثــــر

تقبّلت منه الوتر في كل سؤدد مواهبه شفع ونجعته وتــــــــر

فمن خامه دهر وألوى بذخــره فمني له نصر وعندى له وفــــــر

وابرئ من يشكو وان شفّني الضنـــا وانقع من يرجو وان مسني الضرّ

غير أنّا نجده في قصائد اخرى يصدر عن موقف شديد الضعف، وكأنه لم يبق له في حياته سوى علاقته بالحضرة اذ كبر فاجعه وامتدت غربته : قال (من المتقارب)[1] :

حشاشةُ مهجوركم لانفصـــالِ أما تتلافونها بالوصال

قسوتم عليهِ وقد آن أنْ تلينوا قلوبا لحرّان صـــال

ولم تُسعفوه ومن شأنِكم قلىً، أما ملكتم لحبّ السؤال

فالقصيدة تبدأ مباشرة بعرض حال الشاعر — ومن الواضح ان المخاطب هو الامير يحيى المرتضى كما يتبيّن معنا في البيت ٢٣:

---

[1] الديوان، ق / ١٠٤ — ١٠٧ .

الم تعدكم عادة المرتضى | وتختصكم بسمّو الكمـــال ؟

وتستمر القصيدة بطولها على هذا النفس من الاعتذار والاستعطاف والاستشفاع مبديا ضعفه وسوء حاله طالبا الرفق في المعاملة ومؤكدا وفاءه :

صحبتُ لبؤسي بحرَّ السمـــوم | وانتم نعمتم ببردِ الظلال
على ظاهري مشعرٌ بالذبول | وفي باطني مسعرٌ للذبال
فبلّوا ظمائي ولو بالنّسيمِ | وأبقوا ذَمائي ولو بالخيال
وإنْ خفتمُ الغَدْرَ من وامـــقٍ | فاني الوفيُّ على كل حـــال
وما زلتُ أطلُبُ رِفقَ الجمال | بسوقِ القوارير فوقَ الجمال

هذه الابيات تعكس لنا عجز ابن الابار وضعفه وخَوَره ، فهو لا يستطيع ان يصبر او يتجلّد على هجر السلطان له ٠ وتشعرنا هذه المبالغة في ترديد الجمل الاستفهامية بشعور العجز عن التماسك وعدم التسليم بما حصل وكأنه لم يزل يذكر بالايام السالفة ويستغرب ما بدر من هجر وصدود ٠ وهو لا يفوته ان يذكّر الامير باسباغ المال عليه — وربما كان قد حرم من الرفد في المرة الاولى :

ودأبُ الملوك اذا أدّبَتْ | بهجرانها جودها بالنوال
فكيف حَرمتم ضيوف الهوى | ورفد الاخلاءِ أسنى الخلال ؟

وبعد هذه الابيات التي ملأها رقة واستعطافا واستخذاء ينتقل الى المدح ويكرر المعاني التقليدية التي تعارف عليها العرب فصارت مصطلحا جاهزا ٠

ويمكننا ان ندخل في هذا المحور — كما سبق وذكرت — قصائده في آخر اعتاب الكتاب بعد ان تشفّع بولي العهد وبالامير ابي عبد الله محمد ، وشعر ان العفو لا بدّ قريب ٠ وهذه القصائد

تقسم في قسمين : قبل الرضى / وبعد العفو ، ويمكننا ان نلاحظ انه بعد الجفوة والاستعتاب ، فقد شعره حمية الرسالة الاولى التي كان يخاطب بها أبا زكريا ، في بداية عهده ، وتركز شعره على الاستعطاف وبث نجوى الذات والمديح التقليدي . ويمكنني ان اجمل معانيه في هذه المقطوعات لاتبين اسلوبه من خلالها ، ففي قصيدته (من السريع) :[1]

بُشْرى بإِسْفارِ صَباحِ النَّجاحْ عن صَفْحَةِ الصَّفْحِ وخَفْضِ الجَنَاحْ

يستبشر بقرب العفو مستخدما قدوم رمضان وسيلة يتشفع بها ، مع لين سجايا الامير وحلمه - مع اعلان الشاعر ان الكبح قد راضه وان التأديب قد اتابه وان هذا لم يؤثر في ولائه بل ان شوقه زاد في ولائه ، لكن حظه العاثر اوقعه في الزلل :

عَفْوُ الإمامِ الحقِّ عن خَاطىءٍ أَشْرفَ للغاياتِ منه طِماحْ

قَدْ راضَه بالكبحِ تأديبُه ولم يُجاهِرْ عامداً بالجِماح

أَذْنبَ لكن تابَ من ذنبه وفي قُبول التَّوب رَفْعُ الجُناح

وفي قصيدته التي مطلعها (من الكامل) :[2]

---

[1] الديوان ق / ٤٧ ، واعتاب الكتاب : ٢٥٨ - ٢٥٩ .

[2] الديوان ق / ١٣٢ ، اعتاب الكتاب : ٢٥٦ - ٢٥٧ .

لمبشّري برضاكَ أنْ يتحكّمـــا   لا المالَ أستثنى عليه ولا الدّمـــا

يعترف ابن الابار بذنبه الذى لم يكن مقصودا ، ويؤكد انه تحفّظ جهده في المقالة غير ان الوشاة نقلوا حديثه ونمنموا للامير فنراه يستغيث ويصرخ ويتذلل كأنما ابواب الرزق والفرج سدّت كلها عليه. وهو يقيم قصيدته على "جدلية" العبد / المولى ، الذنب الاعتراف بالذنب والتندم ثم العفو

أيُّ المعاذِرِ أرتضي لجنايــــةٍ   عَظُمتْ ولكن ظلّ عفوكَ أعظمـا

نَدمي على ما ندَّ منّي دائـــمٌ   وعلامةُ الأوّابِ أنْ يتندّمـــا

. . . .

أقصاه عنكَ تزلُّفٌ بخطيئـــةٍ   خالَ الصوابَ خلالها وتوهّمـا

ولقد تحفّظَ في المقالة جُهْـــدَه   لكنّه نُمي الحديثُ ونمنمــا

مولاي عبدُك ما له مـن معــدلٍ   عن دار عَدْلِكَ مُنْذُ حلّ وخيّما

لو أنّه يجدُ الحياةَ كريمـــةً   في غيرها لرأى المنيّةَ أكرمـا

إنْ ينتزح ناديكَ عنه يقتـــرب   منه وان لا تَحْمِهِ يلجِ الحمى

متهافتاً مترامياً متطارحـــاً   متوصّلاً متـــوسّلاً متحرّمـــا

قد علّمتَهُ تجنبَ الجهلِ العُـلا   يكفيه أنْ قوّمتَهُ نتقوّمـــا

اما في قصيدته التي مطلعها (من مخلع البسيط)[1]:

قابلتُ نعماكَ بالسجود   للّه من عَطْفةٍ وجـــود

فهو يسجد للّه شكرا على العفو ، ويقارن بين حاله قبل العفو وحاله بعده :

فإن أكن قبل في صبـــوب   فها أنا اليـومَ في صعـــود

والابيات تستخدم الطباق لبناء تناظر بين حالتي الشاعر في سخط الامير ورضاه ، وقد اصبـح من المعاني المكرورة في شعره وشعر من سبقه ، هذا الطباق بين الشاعر العبد والامير المولـــى

---

[1] الديوان ، ق / ٧٠ ، اعتاب الكتاب : ٢٥٩ ـ ٢٦٠ .

ونجده يقارب الغزل في الختام :

ما غرّة العيد اجتليها يوم رضاك الاغرعيدى

ونراه يسجد مرّة اخرى لله ابتهاجا بالعفو في مقطوعته (من الطويل) :[1]

اجار من الخطب الامير محمد نقمت بما اولاه اثني واحمد

وهو يتشفع الى الامير بحسن خدمته له ، ويؤكد استمرار ولائه وخدمته:

وظائف ما اهملت حينا اداءها وبعض شهودى الامس واليوم والغد

ويلوم مرّة اخرى حظه على عثراته ثم يعدد صفات الامير في الحلم والكرم . وهو في تلاعبه بالجناس والطباق والمقابلة يراوح بين المعاني المدحيّة الاعتيادية ومعاني مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، ليبرز شدة تعلقه بالدولة وعقده الامال العراض عليها ، والقصائد الاخيرة هذه شديدة المقاربة لاعتذاريات البحترى في معانيها .

(٣) الرثـــــاء

وأرى ان اختم هذا المحور بقصيدته الميميّة في رثاء الامير ابي زكرياء يحى المرتضى ، ومدح المستنصر وتهنئته بالخلافة[2] . وقد اتخذ من قصيدة أبي تمام التي قالها يرثي المعتصم ويمدح الواثق ويهنئه بالخلافة منوالا ينسج عليه ، ومطلع قصيدة ابي تمام (من الكامل)[3]

---

١ انظر ما تقدم ص: ١١٥ ـ ١١٦ .

٢ ديوان ابي تمام تحقيق محمد عبده عزام (١ ـ ٤) دار المعارف بمصر ، ١٩٥١ ـ ١٩٦٥ ، ٣/ ٢٠٣ .

٣ الديوان ، ق / ١٢٦ ـ ١٢٩ .

ما للدموعِ ترومُ كلَّ مرامِ ... والجفنُ ثاكلُ هجعةٍ ومنامِ

وقد صرّح ابن الابار باعتماده على ابي تمام في البيت قبل الاخير من قصيدته :

كنتُ المطيلَ مهنئا ومعزيا ... لكن كلا نيهما أبو تمام

قال ابن الابار (من الكامل) :[1]

بيني ثلاثاً سلوةَ الأيامِ ... أودى الحمامُ بناصرِ الإسلامِ

ودعا دعائمَه الى تقويضها ... تأسيسُه بالتربِ دارَ مقامِ

دُهيَ الورى من ثكلِ هاديهم بما ... أعيى على الأفهامِ والأوهامِ

يبدأ ابن الابار قصيدته بتطليق سلوة الايام ثلاثا ، فقد مات ناصر الاسلام واسس لنفسه في التراب دار مقام ثابتة راسخة فتقوضت دعائم الدار التي كان قد بناها في الدنيا . ثم يلتفت الى الاحياء الذين فجعوا بموت هاديهم فعجزوا عن تصوّر جلالة الحدث والمصيبة التي الّمت بهم .

هذي الشُّجونُ الجونُ قد أخذَتْ على ... وفدِ العزاءِ مطالعَ الالمامِ

وتقاضتِ الاجفانُ حمرَ دموعها ... فمن القلوبِ هي الخدودُ دوامي

ما راعهم الا نعيٌّ وجوده ... في حيثُ لا أمنٌ من الاعدامِ

فينفصل في الصورة ويبرز الحال الجسدية للاحياء حينما وصلهم نعي الامام ، اذ اخذت عليهم العبرات ، التي اشترك القلب والعين في ذرفها ، كل مجال للتبصر والتأمل

....

باللّه لو قتلوا عليه نفوسَهم ... أسفاً لما وفوا قضاءَ ذِمامِ

---

[1] الديوان ، ق / ١٢٦ - ١٢٩ .

هذه المبالغة يراد بها تكثيف الصورة لتبيان شدّة ارتباط حياة الناس بوجود الامام ، وهي تمهيد للقسم الثاني الذى يستوعب فيه فضائل الامام ومآثره وهو يمهد لهذا القسم الذى سيكون محوره الصراع بين الدهر والفارس (الانسان الكامل) ببيت انتقالي

أنّى ومن اين استدار له الردى   والجيش ملء عمائرٍ وحـــوام

وانظر اليه مسالماً ومحاربـــا   تجد الهدايةَ اسوة الالهـــام

غَلَبَتْهُ صادمةُ المنون وطالما   هابَتْهُ أغلب ماضي الاقــدام

ويستمر في الابيات التالية يراوح بين صورة الصراع المحتدم بين الدهر الخؤون والفارس الذى " يناضل دونه ويرامي " وبين صورة الشاعر الذى لا يستطيع صبرا اذ أن "حسنات صبر فيه كالآثام".

حتى تبلغ المفارقة اعلاها في هذا الصراع:

نور الوجود أتيح من اطفائـــه   ما ألبس الدنيا مسوح ظلام

سيف الهدى أودى به سيف الردى   قد يفتك الصمصام بالصمصام [1]

بعد هذه الابيات يعود ابن الابار الى الحقيقة التي لا محيد عنها فيلتفت الى عناصر الكون ليجدها كلّا تسير وفق ناموس الطبيعة وكأن شيئا لم يحدث فيصرخ ملتاعا:

ما للنجوم طوالعا ما للجبا   ل رواسيا ما للبحار طوامــي

---

[1] ناظر الى بيت المتنبي من مدحة له في سيف الدولة:

عيبٌ عليك تُرى بسيفٍ في الوغى   ما يَصْنعُ الصَمصامُ بالصَمْصَامِ

(ديوانه شرح الواحدى): ٥٩١ .

وتأخذه الحسرات والآلام فيصدر عن بيت كثف فيه الاستفهام وقارب بين الالفاظ بما يعبر عن شدّة وجده وحزنه :

لِمَ لَمْ تَغُر لِمَ لَمْ تزل لِمَ لَمْ تغُضْ   من شِدَّةِ الحَسَراتِ والآلام [1]

وحتى يعيد الى نفسه انسجامها ويهدىء بلباله ويقنع نفسه بالمقدور يلتفت الى الواقع الى الجثمان الذى اصبح نعلا في الثرى :

في "بونة" بانَتْ حياةُ المرتضى   يَحْيى وقيدَ الى الثوى بزمام

. . . .

لما ثوى دارَ السلام ترحلت   عنا محاسنُ دهرنا بسلام

. . . .

كان الزمانُ يضيقُ عنه جلالةً   فاذا به في تربة وســـلام

بعد هذا يفارق الواقع مرّة اخرى ليأخذ في الانتراض ويعود لتذكر فضائل الامام وشجاعته وبأسه:

هب عينه ذهبت بيوم حمامه   هل ذاهب أثرٌ له بحمـــام

سل عن ظباه مشارقا ومغاربا   ينبيك عن اغمادها في الهـــام

مقابل هذه الصور الحزينة وهذا الاضطراب في شؤون الحياة ينتقل الى مدح الخليفة الجديد ليبرز الانسجام مرّة اخرى وليعود الى طرق معاني المدح التي كان قد تغنى بها في شعره ايام ابيه المتوفى :

---

[1] ناظر الى بيت ابي تمام :

لم لم امت حزنا لم لم امت اسفـــا   لم لم امت جزعا لم لم امت كمدا

(ديوانه ٤/ ٢٤١).

قسماً به لولا امارةُ نجلـــــه لغدا الهدى نثراً بغير نظـــام

وهو ما يزال يقسم به كأنه حيّ او كأنه اكبر من الموت من طينة البررة. ونحن لا نجد في القصيدة عاطفة متقدة انما هي تنم عن صنعة وبناء محكم وبرود في التعبير الجأه الى العرض والمبالغات .

غير ان قصيدته في رثاء شيخه ابي الربيع ابن سالم تتخذ منحى آخر ، فقد كان ابن سالم استاذه الذى لازمه ازيد من عشرين سنة وارتبط معه بوثائق روحية لا تنفصم عراها اذ كان نبئا ومحطة ومشعلا ، وقد استشهد ابن سالم في موقعة أنيشة سنة ٦٣٤ مقبلا غيرَ مدبر وهو يصيح بالمجاهدين "اعن الجنّة تفرّون" وكان عمره اذ ذاك سبعين عاما .[1]

(من الطويل)[2] :

أَلِمّا بأشلاءِ العُلى والمكارِمِ تُقَدُّ بأطْراق القنا والصَّوارِمِ

وعوجا عليها مأرَباً وحفاوةً مصارعَ غصّت بالطلى والجماجم

نُحَيّي وجوهاً في الجِنان وجيهةً بما لقيت حمراً وجوهَ الملاحـــم

واجسادَ إيمانٍ كساها نجيعُها مجاسدَ من حول الظُّبا واللَّهاذِم

مُكرمَّةً حتّى عن الدَّفْنِ في الثّرى وما يكرم الرحمنُ غيرَ الأكارِم

يبتدىء ابن الابار مرثيته بسؤال صاحبيه أنْ يقفا على الاطلال ،غير ان هذه الاطلال

---

[1] انظر ما تقدّم ص: ٧٣ - ٧٦ .

[2] ق / ٢ ١٣٢ - ١٣٧ . ووردت بطولها في الذيل والتكملة ٤/ ٩٠ - ٩٥ ، والاحاطة ٤/ ٣٠٤ - ٣٠٩ ، وازهار الرياض ٣/ ٢٠٧-٢١٠ ، وابيات منها في المرقبة العليا : ١٢٠ - ١٢٢ ٥٨ بيتا ، وسبك المقال ، ق / ٩٧أ - ٩٧ ب (١٥ بيتا) ، وبرنامج الرعيني : ٧١ (٤ ابيات) ونفح الطيب ٤/ ٤٧٣ (الابيات ١-٤) ، والروض المعطار : ٤١ (٣ أبيات) .

هي اشلاء اجساد نورانية غما عاد الوقوف على الطلل يمثل موقف بكاء امام حالة التحول وكرور الزمن (الزمن التاريخي الواقعي) ولم يعد قضيّة اطلال اصابها البلى والفناء ، وانما غدت قضيّة في التبصّر الفكري . فقد نفذ ابن الابار عبر الظاهرة الحسّية الى ما وراءها ، فلم تعد الاجساد ثمّة علامات لكرور الزمن بل اصبحت "حالة ثانية" تطمح للاتحاد بذات الكون في (زمن الخلود اللانهائي) . لقد استبدل بفعل البكاء فعلا يمثّل الفرح والايمان "فعوجا عليها مأربا وحفاوة ... نحيّي" ، لقد نفذ ببصيرته عبر "المصارع التي غصّت بالطلى والجماجم" ليستخلص معادلة الفرح في قلب الموت فهي "اجساد ايمان كساها نجيعها ... مكرمة حتى عن الدفن في الثرى". فالمعادل التاريخي والموضوعي للتحول الاثيرى النوراني هذا ، هو في ان تقدّ الاجساد باطراف القنا والصوارم في سبيل الله .. فالكثرة والتعدد هما السبيل الى الوحدة والفناء،

هُمُ القومُ راحوا للشّهادةِ فاغتدَوْا ... ومالهم في فَوْزِهِم من مُقاوِمِ

تساقَوْا كؤوسَ الموتِ في حومةِ الوغى ... فمالت بهم ميلَ الغُصون النواعم

مَضَوْا في سبيلِ الله قِدْماً كأنما ... يطيرون من أقْدامِهِم بقوادم

يرونَ جوارَ اللّه أكْبرَ مغنَمٍ ... كذاك جوارُ اللّه أسْنى المغانم

عظائمُ راموها فخاضوا لنَيْلِها ... ولا رَوْعَ يَثْنيهم ، صدورَ العظائم

وهانَ عليهم أنْ تكونَ لحودُهم ... مُتونَ الروابي أوْ بطونَ التهائم

هو "منطق الشهيد" الذى يستشهد دفاعا عن قضيته ولوجا الى عالم الخلود في حالة تفوق حاسم على العقل ، فحضور المطلق و "المقدس" يخفف من حدّة المجابهة الداخلية

للمصير الفردي:[1] "انها غاية الموت" فالموت هو الدين الحقيقي ، وهو السبيل للانتصار على الزمن والاتحاد بالله ، انه يمثل الامل بدخول الجنة ولقاء الاخوان والاحباب والابرار الاتقياء".[2] هذا الشوق الى "المقدس" تمثل بهذه الصورة البصرية التي تفارق ناموس الجاذبية لتنطلق بلون من الوان الطيران الذي يحمل معنى الفرح باللقاء ، الفرح الغيبي ، وكأنه نشوة الخمر المقدسة وسورتها .

ألا بأبي تلكَ الوجوهُ سواهماً   وإنْ كُنَّ عندَ اللهِ غيرَ سواهِم
عفا حُسْنُها الا بقايا مباسـم   يعزُّ علينا وطؤها بالمَناسِم
وسؤرَ أساريرِ تُنيرُ طلاقـةً   تكسفُ أنوارَ النّجومِ العواتم
لئن وكفتْ فيها العيونُ سحائبا   فعن بارقاتٍ لُحْنَ منها لشائم

صورة الصرعى المجندلين في الثرى ، وهو يأخذ صورة الوجه فقط حيث يتجمد التعبير النهائي لحظة الموت ، وهو هنا تعبير فرح "مباسم ... وسؤر أسارير تنير طلاقة" ، فنورانية هذه الوجوه التي سعدت بلقاء ربها تكسف انوار النجوم العواتم - صورة تفصيلية مبنية على التقابل والتناقض .

ما عاد البكاء وذرف الدمع حسرة على حياة خسروها او بكاء على زمن عفى بل اصبح حنينا وشوقا وتطلعا الى مصير يشبه مصيرهم ، فمباسمهم النورانية "بارقات لحن لشائم".[3]

---

1 قارن ب : عزيز السيد جاسم ، ديالكتيك العلاقة المعقدة بين المثالية والمادية ، في الرؤيا والمقدس والمعجز والعقلاني (دار النهار للنشر ، بيروت ، ١٩٨٢) : ٢٤٥ .

٢ الدكتور احسان عباس ، ديوان شعر الخوارج (دار الشروق ، بيروت ، ط ٤ ، ١٩٨٢) : ١٩ - ٢٥ .

٣ قال الشاعر : اذا شمت من برق العقيق عقيقة   فلا تنتجع دون الجفون السحائبا
(شرح كفاية المتحفظ : ٤٥٧) .

وهذا التعبير ينقل نوعا من الحسرة في نفس ابن الابار فهذه بارقات الجنّة التي كسبوها هم ، أما هو فان معادلة الحياة / الموت عنده ما زالت مختلّة :

وَيا بأَبي تلكَ الجُسومُ تَواحِلاً ... باجرائها نحو الأُجُورِ الجَسائمِ

تَغُلْغَل فيها كلُّ أسمرَ ذابــلٍ ... فجدّل منها كلَّ أَبيضَ ناعمِ

فلا يبعدِ اللّهُ الذين تقرّبوا ... إليه بإِهْدَاءِ النُّفوسِ الكَرائِمِ

مواقف أَبرارٍ قَضَوْا من جهادِهم ... حقوقاً عليهم كالفُرُوضِ اللَّوازِمِ

أُصيبوا وكانوا في العبادةِ أُسوةً ... شبابا وشيبا بالعواشي الغواشم

فعاملُ رمحٍ دُقّ في صَدْرِ عاملٍ ... وقائمُ سيفٍ قُدَّ في رأسِ قائمِ

ويا رُبَّ صوامِ الهواجرِ واصِلٍ ... هنالك مصرومَ الحياة بصارمِ

ومنقذِ عانٍ في الأداهِمِ راسِفٍ ... ينوءُ برجْلَيْ راسفٍ في الأداهم

أضاعهُمُ يومَ الخميس حفاظُهم ... وكرُّهُمُ في المأزقِ المتلاحمِ

عاد الى صورة المؤمن "المثال" التي تكررت كثيرا عند شعراء الخوارج [1] ، حيث يذكر الشاعر مجموعة الصفات السامية التي تجمع اصحاب العقيدة الذين قضوا في سبيل الله . وقد انتقل هنا من صورة الوجه الى الاجساد :

سقى اللّهُ اشلاءً بسفحِ أنيشةٍ ... سوافحَ تُزجيها ثِقالُ الغمائــمِ

وصلّى عليها أنفسا طابَ ذِكْرُها ... فطيَّبَ أنفاسَ الرياحِ النّواســمِ

لقد صبروا فيها كراماً وصابروا ... فلا غَرْوَ أنْ فازوا بصفوِ المكارمِ

---

[1] ديوان شعر الخوارج : ٢٠ — ٢١ .

وما بذلوا إلّا نفوساً نفيسةً   تحنّ الى الأُخرى حنينَ الروائـــم

ولا فارقوا والموتُ يتلعُ جيدَه   بحيث التقى الجمعان صِدقَ العزائم

يستسقي الغيث على اشلاء الشهداء ويسأل لهم الرحمة ، ثم يعود الى صورة الفرسان اصحاب العقيدة الذين صبروا وصابروا رغبة في الاستشهاد ، فهم يحنون الى الاخرى حنين الروائم - والروائم : الابل العاطفات على الرضيع وهن اشد الابل وجدا .[1]

عند هذه النقطة ينتهي القسم الاول من القصيدة ، ثم ينتقل الى القسم الثاني حيث يلتفت الى الانا في غياب الاخرين :

بعيشكَ طارحني الحديثَ عن التي   أُراجعُ فيها بالدّموع السواجم

وما هي الا غادياتٌ فجائـــع   تعبِّرُ عنها رائحاتٌ مآتـــم

جلائلُ دقَّ الصبرُ فيها فلم نُطِقْ   سوى غضّ أجفانٍ وعضِّ أباهم

أبيتُ لها تحت الظلام كأنني   رَميُّ نِصالٍ او لديغُ أراقـــم

أُغازِلُ من برح الاسى غيرَ بارحٍ   واصحبُ من باكي البُكا غير سائم

واعقدُ بالنجم المشرّق ناظـــري   فيغربُ عني ساهراً غيرَ نائـــم

واشكو الى الأيّام سوءَ صنيعها   ولكنها شكوى إلى غيرِ راحِمِ

---

[1] انظر ابيات متمم ابن نويرة : "وما وجد اظئار ثلاث روائم ...." المفضليات (تحقيق وشرح احمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، دار المعارف بمصر ، ط ٥ ، ١٩٧٦) القصيدة رقم ٦٧ الابيات : ٤١ - ٤٤ ، ص ٢٧٠ . وراجع الشمشاطي ، الانوار ومحاسن الاشعار ، (تحقيق الدكتور السيد محمد يوسف ، الكويت ، ١٩٧٧) ١/ ٣٨٩ وما بعدها .

وهيهات هيهات العزاءُ ودونه قواصمُ شتّى أردفت بقواصم

ولو بَرّدَ السلوانُ حرّ جوانحي لآثرتُ عن طوعٍ سلوّ البهائم [1]

ومن لي بسلوان يحلّ منفـرا بجاث من الارزاء حولي جاثــــم

لقد كان المقطع الاول من القصيدة يدور حول استشهاد الآخر (الآخرين) اصحاب العقيدة الذين قضوا في سبيلها فربحوا الجنّة ، لقد انتفت الثنائية عند هوءلاء عندما حلّت معادلة الحياة / الموت ، اى عندما صار الموت غاية قدّسية من هنا كانت الصور تعبّر عن الارتياح والفرح والبياض في قلب معمعمة الموت ، غير ان ابن الابار لم يجد معادلته بعد وقد كبرت الثنائية في نفسه عندما وجد نفسه وجها لوجه امام الموت ، ولاحت له بارقات من ريح الجنّة ، فيعود الى ذاته ينظر الى مصيره ليرى ، وهو واقف امام روعة الشهادة ، الى هول الكارثة التي ستحل بالاندلس .

وما هي الا غادياتٌ فجائع تعـّبر عنها رائحاتُ مآتــــم

فاذا كان الشهداء قد صبروا وصابروا حتى نالوا الشهادة وحظوا بالقرب فانه هولا يستطيع صبرا امام الجلائل العظام التي مرّت وتلك الواعدة ، ثم ينتقل الى صورة بصرية حركية ، صورة

---

[1] ناظر الى بيت ابي تمام :

اتصبر للبلوى عزاء وحسبـــة فتوءجر ام تسلو سلوّ البهائم

ديوانه ٣/ ٢٥٩ البيت رقم ١ من قصيدة قالها يمدح مالك بن طوق ويعزّيه عن اخيه القاسم بن طوق .

مفارقة للفرح الذى ساد القسم الاول من القصيدة حيث برزت صورة الجنّة في قلب الموت اما هنا فنحن نرى صورة الجحيم في قلب الحياة •

ابيت لها تحت الظلام كأنني رميّ نصال او لديغ اراقم

اغازل من برح الاسى غير بارح واصحب من سامي البكا غير سائم

انه هاجس الانفصام امام معادلة الحياة / الموت ، ما عاد ابن الابار يبكي الشهداء ، ولماذا يبكيهم وقد فازوا ؟ انه يبكي نفسه التي لم تجد معادلتها بعد •••

وبيته ناظر الى بيتي النابغة :

وقد حال همّ دون ذلك داخل دخول الشغاف تبتغيه الاصابع

....

فبتّ كأن ساورتني ضئيلة من الرقش في انيابهم السم ناقع

ثم يكمل صورة الليل ويفصّل فيها ، وقد تكررت هذه الصورة في شعر امرئ القيس والنابغة والمهلهل ، انها صورة الحزن الضافي الذى يتغلغل في شغاف الطبيعة ، غير ان ابن الابار قصّر في اضفاء حياة وروعة على الصورة • الا ان الفاجع لم يعد فرديا فهو يستشرف فاجع الاندلس ايضا وهذا يزيد مصابه ولوعته •

ثم ينتقل ابن الابار في الابيات ٤٦ — ٧١ الى تعداد فضائل ابن سالم ونعته ولا يغادر صفة الا ويذكرها ، ثم يعود في القسم الاخير الى صورة الاستشهاد التي بدأ بها القصيدة فيعطف الخاتمة على المطلع ويبرز روعة الشهادة

لقيتَ الرَدى في الروع جذلانَ باسماً فبوركت من جذلانَ في الروع باسم

وحمتَ على الفردوس حتى وردتَه ففزتَ بأشتات المُنى فوزَ غانم

أَجِدَّكَ لا تَثْني عناناً لأَوبـةٍ ... أُداوي بها بَرْحَ الغليل المداوم

ولا انت بعد اليوم واعدَ هبَّـةٍ ... من النوم تحدوني إلى حالِ حالم

لسرعانَ ما قوضت رحلَكَ ظاعنـاً ... وسرتَ على غير النواجي الرواسم

وخَلَّفْتَ من يرجو دفاعَك يائسـاً ... من النّصر أثناءَ الخطوب الضوائم

ثم يعود الى الانا في غياب الآخر :

كأنّيَ للأشجان فوقَ هواجـرٍ ... بما عادني من عادياتٍ هواجم

عَدِمْتكَ موجوداً يعزُّ نظيرُه ... فيا عزَّ معدومٍ ويا هُونَ عادمِ

ويستمر في هذه الابيات التي تبرز مكانة ابن سالم لديه وفداحة الخسارة بفقده ويشير الى مرثية النابغة في النعمان ومرثية عبدة بن الطيب بقيس بن عاصم التي يقول فيها :

وما كان قيسٌ هلكه هلك واحـد ... ولكنه بنيان قوم تهدّما

وكذلك كان مصرع ابن سالم في موقعة انيشة نذيرا بسقوط الاندلس . اذا عدنا الى القصيدة من حيث بنيتها نجد انها بنية دائريّة ، وبهذه الدورة يحلّ الشاعر مأزقه المأساوى او ثنائيته (حتمية الموت والطبيعة اللانهائية للحياة نفسها) . لقد بدأت القصيدة بصورة الشهداء مجندلين في الثرى ، وكانت هذه الصورة كما اسلفت ، تمثل انتصار الحياة (الخلود) وروعة الموت الذى اصبح غاية الحياة ، انها صورة الانتقال من الزمن التاريخي الواقعي الى زمن الخلود اللانهائي من هنا برزت صور التناقض والتضاد (رؤيا الفرح الاثيرية في قلب فاجع الموت) غير ان الشاعر التفت الى نفسه (عودة الى الزمن الواقعي) في غياب الاخرين (حيث حلوا في زمن الخلود) فبرزت الثنائية فحاول ان يلغي الثنائية عن طريق الاتحاد بالامة فانطلق من فاجعه الفردى الى فاجع جماعي

(حتمية سقوط الاندلس) فكبرت الثنائية ، غير ان الحل بدأ يتضح شيئا فشيئا عن طريق الشهادة مرة اخرى ، فهذا هو الطريق : ان نسير على طريقكم ، من هنا عاد الى صورة الشهداء التي بدأ بها القصيدة وركّز على شخص ابن سالم لما يمثله من رمز هو على صلة عميقة به فجاء الارتياح عن طريق اتحاد الفرد (ابن الابار) بقضية الامة (الاندلس) وان الشهادة هي المفتاح لحل الثنائية وولوج زمن الخلود . ونلاحظ ان ابن الابار في قصيدتي الرثاء هاتين (رثاء الامير الحفصي ورثاء شيخه ابن سالم) قد اخذ كثيرا من معاني ابي تمام والمّ بها خاصة في قصائد الرثاء الميمّية الثلاث، الاولى في رثاء المعتصم ومدح الواثق وتهنئته بالخلافة والثانية في رثاء هاشم بن عبد الله بن مالك الخزاعي والثالثة في مدح مالك بن طوق وتعزيته عن اخيه .[1]

(٤) الوصف والحنين :

لقد قضي على ابن الابار ان يعيش غربتين ، غربة عن وطنه وملاعب صباه حيث عقّ تمائمه وقضى ريّق شبابه ، وغربة عن اهل عصره نتجت عن غربته الاولى وما اتّسم به بعدها من برم وانفة . ولم يزده التعلق بالامراء والتودد لهم والتذلل (الذى يرسم نقيضا لما عرف عنه من بأو) الّا غربة على غربة . فوجد نفسه وقد قطع من العمر شوطا وحيدا بعيدا صفر اليدين ، ومنذ الغربة الاولى استشعر الوحشة مواسيَ لانه اصبح وحيدا لا يجد اصدقاء الامس " هؤلاءِ الإخْوان مكْتُهُم لا يمتعُ به أوان ، وبينُهُم كَتَبَتِ الارضِ ألوان ، بين هائمٍ بالسُّرى ونائمٍ في الثَّرى ، من كلِّ صِنْديدٍ بطل أوْ منطيقٍ غيرِ ذي خطأ أوْخَطَل ، قَامَتْ عليه النَّوادِب ، وهجمتْ بيوتَها لِمَنْعَاه الجماجمُ

[1] انظر ديوانه (تحقيق عزّام) ٣/ ٢٠٣ ، ٤/ ١٢٩ ، ٣/ ٢٥٩ .

والذوائب ، وأما الأَوطان المحبّب عهدها بحكم الشّباب ، المشبّب فيها بمحاسن الأحباب ، فقد ودعّنا معاهِدَها وداعَ الأَبَد ، وأَخْنى عليها الذي أَخْنَى على لُبَد ". [1]

لقد اخذ يشعر بوطأة الزمن وبثقل العبء الذى تلقيه الحياة على عاتقه فأخذ يتطلع الى زمن مضى كان اكثر نقاء وبهجة وحنانا ، فاشتد به الحنين الى زمن الشباب وملاعب الصبا في المدينة المسكونة بالضوء " والشعشعانية " [2] ، غير ان هذا الحنين مبعثه تلك " المدينة " نفسها التي غدا بعيدا عنها شريدا . فارتبطت عاطفة الحنين عنده بالغربة ، وصار الحلم يفتح له بابا من الفرجة يحمله من زمانه الواقعي الى زمان المدينة المسحورة ، التي كأنها " ارم ذات العماد " . لقد تجمّدت في ذاكرته تلك اللحظات السعيدة ، التي كان يهصر الانس فيها مع صحبه متنقلين بين الرصافة والجسر ، وتلك الصور المتفجّرة بالضوء بين غدران بلنسية وحدائقها ، وصارت بمثابة " يوتوبيا " يعود اليها كلما ناء الواقع عليه بثقله .

ان حنينه الى بلنسية ومرابعها كبير تكاد تنفضّ منه الحيازيم ، وحنينه ليس فقط الى المكان بما هو مكان بل الى زمن الائتلاف والوصال زمن الشباب الغض .

---

١ من رسالته الى أبي المطرف ابن عميرة اثر سقوط بلنسية . نفح الطيب ٤/ ٤٩٧ .

٢ قال الرّصافي البلنسي يصف بلنسية وشبهها بالزبرجدة :

توبّد فيها شعشعانية الضحى　　　اذا ضاحك الشمس البحيرة والنهرا

ديوانه (ط ٢) : ٧٠ .

إلى الإلْفَين من أهـلٍ ودارِ تأوّبني اشتياقي وادّكاري[1]

وحَنَّ القلبُ أعشارًا إليهـا حنينَ الوالهاتِ من العِشار

نبتُّ كأنّني توقاً وشوقـاً على مِثْلِ الاسنّةِ والشّفارِ

وما حَشْوُ الضّلوعِ سوى أُوارٍ وما نوم الجفونِ سوى غرارِ

تطالعنا في هذه الابيات صورتان تمثلان الحنين : الصورة الاولى للعشار ، وهي النوق وقد بلغت عشرة اشهر من حملها وهي اكثر النوق حنينا فاذا رجّعت الحنين كان ذلك احسن صوت يهتاج له المفارقون ،[2] وهذه الصورة الاولى رسمها بكلمات تنساب فيها حركات المدّ لتعبّر عن عاطفة الحنين الأسيانة ، اما الصورة الثانية فقد انتقل فيها من العاطفة الى فجاجة المادة القاتلة : "الاسنّة والشفّار" فجاءت الالفاظ متقاربة مشدّدة ساكنة تقابل حركة حنين الابل التي توحي بالانطلاق انتقل الى حركة جديدة مفارقة توحي بالقتل فبرز اللون الاحمر "الأُوار" وهو شدّة حرّ الشمس ولفح النار ووهجها .[3] واصبحت الضلوع كأنها موقد دائم الاستعار لا يذكيه

---

١ ق / ٨٨ .

٢ انظر اللسان مادة : عشر ، شرح كفاية المتحفظ : ٢٤٧ .

٣ انظر اللسان مادة : أور .

ولا يروى عطشه الا الحنين ، لقد فقد حتى الحلم يوم عدمت الجفون النوم الا غرارا ولم يبق امامه الا ان يفتح نافذة على الحلم عن طريق التذكر فعاد الى صورة "المدينة" زمن الشباب علّه يجد هناك ارتياحا يعيد لنفسه انسجامها . قال يصف مذانب تصبّ في غدير :[1]

لّلهِ عهدُ للرُّصَافَةِ سالــــفٌ	يصفُ الشَّبيبةَ وهي في رَيْعانها
أبْقى بقلبي لوعةً لوْلم يكُـــنْ	يُغْنيه ماءٌ صابَ من نيرانها
يا شوقَ أَحْداقي بها لحدائـــقٍ	تُفْضي جداولُها الى غُدْرانها
كالأُمّهاتِ أَوَتْ لها أطفالُها	نَرَمَتْ عليها الزُّرْقَ من قُمْصانِها

لا نستطيع فهم هذه الصورة - وغيرها من صور ابن الابار في هذا المحور - الا من خلال "رمز الماء" وما يتولد عنه من انكسارات ضوء . ان "الرُّصافة" تمثل ريعان الشبيبة - زمن الانسجام، وهو كلما هاجته الذكرى الى الزمن السعيد "استَعَرَ" في صدره موقد الحنين - من هنا يأتي الماء في الصورة ليطفيء تلك النار المجوسيّة ويفتح في اللوحة مناخا من الارتياح والسناء والانسجام . ان رمز الماء هو الذى ولّد صورة الحنان والائتلاف فالجداول تفضي الى الغدران كما تأوى الاطفال الى امهاتها . وقد جاء الطباق في صدر البيت الثالث بين الاحداق والحدائق ليمهد للصورة التالية التي ولّدت الارتياح النفسي ، فالحدقة : انسان العين وتوصف بالصفاء وكثرة الماء والنداوة والاستدارة التي تحمل معنى الاحاطة بالشيء ولملمة اجزائه . انها صورة المدينة / الام التي يتشهّى العودة الى رحمها .

---

[1] ق / ٢٠٨ .

نستطيع انطلاقا من هذه الرموز ان نتابع صور ابن الابار الشعرية حيث تتآلف النغمة الصوتية واللون والمعنى والفكرة في وحدة حميمة كوحدة الروح والجسد ،[1] فهو يفتح لنفسه عن طريق هذه الصور مجالا للارتياح النفسي والتعويض:

يقرُّ بعيني أنّ أَزورَ مغانيـــاً	بساحَتِها كُنّا نَخُوضُ ونَلْعَبُ[2]
اذ العيشُ غضٌّ والشبيبةُ لَدْنَـــةٌ	وسافرُ وجه الأُنْسِ ليسَ يُحجَبُ
فكلُّ صباحٍ في الشّروق مُفَضَّضٌ	وكلُّ أُصيلٍ في الغروبِ مُذَهَّبُ
وما أَربي الا الرُّصافةُ - لو دَنَتْ -	وهل للهوى إلاّ الرّصافةُ مأربُ

ان بلنسية تذكره بكل ما هو سعيد وجميل ، بايام الشباب - فتغلب الحركة على الابيات وتكسي الصورة بحلل الانس والضوء . والبيت الاول يمثل الحركة : أزور ، نخوض ، نلعب (الاطمئنان في حضن الجماعة والمكان) والبيت الثاني يمثل ابتسام الدهر لزمن الشباب الغض وهذا يهيء لصورة النور السافر الذى يتدرج في اضاءته صباح - شروق مفضض - اصيل - غروب مذهب . غير ان جملة - لو دنت - الاعتراضيّة تضع امام الصورة حاجزا معينا تمثله المسافة - المسافة في الزمان والمكان ، وهذه المسافة هي التي تبرز المفارقة وتفتح باب الندب ، قال يندب بلنسية :[3]

---

[1] كما قال مالارميه في Encyclopaedia of Poetry and Poetics, Princeton University Press, Princeton, 1965, p. 682.

[2] ق/ ١٥ .

[3] ق/ ٢٠٥ .

بلنسيةُ يا عَذْبةَ الماءِ والجَنـــى ⁝ سُقيتِ وإنْ أُشْقيتِ صوبَ الرواجس [1]

أحبُّ وأقلى منك حالاً وماضيا ⁝ بموحشةِ المَوتِ بعهدِ الأوانس [2]

ومن عجبٍ انّ الديارَ أواهِـــلُ ⁝ وأندُبها ندبَ الطّلول الدّوارسِ

تبدأ المقطوعة بمخاطبة المدينة - يا عذبه الماء والجنى - انه يخاطبها ليس في زمن معيّن ، فهي عذبة الماء والجنى في كل اوان وهو يسأل لها السقيا رغم ما حلّ بها من فاجع. انها حال من الحب والبغض تتنازع قلبه حين يذكر بلنسية ، هذه المفارقة سببها تلك العلاقة بين المكان الثابت والانسان المتحوّل ، فالحاضر يمثل الانسان المغترب المتمزّق والماضي يمثل الزمن السعيد والمكان الثابت القارّ ، فهو يندب الديار رغم انها آهلة ذلك انها آهلة بقوم غير قومه ، ورغم هذا فقد طلب لها "صوب الرواجس" - في البيت الاول - لانه ما زال يأمل باحياء جديد وعودة الى المدينة الخالدة ، ان لم يكن له بشخصه فللحضارة التي يمثّل .

ولعل قصيدته البائية في الحنين الى بلنسية ووصف مرابعها خير مثال نميّز فيه تطور الرمز في مقطوعاته وقصائده الوصفية ، قال (من الكامل) : [3]

ما للهوى الا الرُّصافة مأربُ ⁝ بَعُدَ الغديرُ فكيف يَصْفو مشربُ

كانا مراداً للنعيّم وَمَوْرداً ⁝ اذْ كنت بينهما أجيءُ وأذهبُ

والإلْفُ للميعاد بي مُتَرَقِّـــبُ ⁝ والدهرُ بالاسعادِ لي متقرّبُ

فتلاعبت أيدي النّوى بهما وبي ⁝ حتّى انْقضى لَعِبُ وأقْفَرَ مَلْعَبُ

---

[3] ق / ١١ - ١٤ ، والابيات ٢١-٢٨ في اختصار القدح : ١٩٢ ، والابيات ٢٥ ، ٣٤٤ ، ٢٦ - ٢٨ في نفح الطيب ٢/ ٢٨٧ . وانظر ما تقدم ص: ٩٧ .

[1] الرواجس : السحاب العظيمة الرعد الغزيرة السيل .

[2] في الاصل : بموحشة الموت .

(لله من بَكرٍ) بها وأصائـل — كانت تُفضَّضُ صبغةً وتُذَهَّبُ
وكأنَّ كانوراً ومسكاً ليلُهـا — ونهارُها ممّا يروقُ ويُعجِبُ
يزدادُ حُسْنا صُبحُها بروائهـا — ويكادُ يُشرِقُ من سناها الغَيهَبُ
تلك المغاني إنْ حُجِبْن كأهلها — عنّي فوجدي سافرٌ لا يُحجَب
ولعمـرُ ما أنفقْتُ من عمري بهـا — وجنيتُ من ثمراتِ عيشٍ يَعذُب
لاغلّبنَّ على السلوّ صبابتـي — والشوقُ في كُلّ المواطنِ أغلَبُ
ولأندُبَنَّ بها الشبابَ وشرخَـه — إنَّ الشبابَ أحقُّ فانٍ يُندَبُ
ساحاتُ حسنٍ طَرَّزتْ اوقاتهَـا — ساعاتُ أُنسٍ ، ردُّها مُستَصعَب
كم جُلْتُ بين خمائلٍ وجداول — منها أصعِّدُ في المُنى وأُصَوِّبُ
جرّا بأذيال الهَوادة والهوى — ينقادُ لي دلّ الحسانُ فأسْحَبُ
ومغازل فتياتها في فتيـةٍ — ما منهُمُ الا أغرّ مهـذّبُ
بين الأباطح والرّبا متصرّفٌ — ومع الصبّابة والصبّا متقلّـبُ
نَسَبته للكرم الصّريح شمائـلٌ — أدبيّة عنها بهِم وينسـبُ
خلعوا على زُهْر الرّياضِ حلاهـمُ — نغدا بهم خيريّها يتأدّبُ
فمع الصبّاح تبتلٌ وتقلّـصٌ — ومع المساءِ تبدُّلٌ وتسحُّـبُ
كانت مآنسَ بل نفائسَ أصبحت — مسلوبةً وكذا النفائسُ تسلـبُ
اين المذانبُ لا تزال تأسّفاً — يجري عليها من دموعيَ مذنبُ
من كلّ بسّام الحَباب كأنّـه — ثغرُ الحبيب وريقه المستعذبُ

كالنَّصل الّا انه لا يتقى ... كالصِّل الّا انّهُ لا يُرْهَب

تقتادُنا اقدامُنا وجيادُنا ... لحَبابه وهو النضير المُعْجِبُ

كلفاً بدولاب يدورُ كأنّه ... فلكٌ ولكن ما ارتقاه كوكب[1]

نصبتهُ فوقَ النَّهر أيدٍ قدَّرت ... ترويحه الارواحَ ساعة ينصبُ

فكأنّه وهو الطليقُ مقيّدٌ ... وكأنه وهو الحبيسُ مسيّب

للماءِ فيه تصعّدٌ وتحدُّرٌ ... كالمزن تَسْتَسْقي البحارَ وتسكبُ

وكأنّه ممّا بكى وتبسّمت ... روضاتُه فجرٌ يَضِجُ ويصخبُ

يعلي ويخفض رنَّتَيه كما شدا ... غَرِدٌ وبالغ في زَئيرٍ أغلبُ

شاقتْه الحانُ القيان وشاقَها ... فيبوحُ من كَلَفٍ بهنَّ ويطرب

أبداً على وردٍ وليس بناقعٍ ... من غُلّةٍ في صدره تتلهّبُ

كالعاشق الحرّانِ يرتشفُ اللمى ... خصراً ولا يرويه ريقٌ أشنب

هامتَ به الاحداقُ لما نادَمَتْ ... منه الحدائقُ ساقياً لا يشرب

هل تُرجع الأيامُ عصرَ شبيبةٍ ... ما زلت فيها بالحِسان أُشبّب

حيثُ النسيم بما يمُرّ عليه من ... حسن الرّياض مضمّخٌ ومطيّبُ

أيام يرسل من شبابي أدهم ... أرقُ ويُشكَلُ من مشيبي أشْهَبُ

اما الرُّصافةُ فهي مهمي لا الحمى ... ولوى الصريم ولا العذيب وغرّبُ

ربى الهوى منها مكانٌ طيّبٌ ... وَلَدَ السرورَبه زمانٌ منجبُ

---

[1] ق : لهجا بدولاب ترقى نهره ... فلكا ولكن ما ارتقاه كوكب .

تالله ما انصفتُ أهلَ مودّتـــي: شَرقُتُ اشرق بالبعادِوغرّبـــوا
وأعيذ هم اذ لم يلقّنا جانـــبٌ من أنْ تطولَ قطيعةٌ وتجنّـــب
فعلام ضنّوا بالتحية رغبـــةً عنّي كأني عن هواهم أرغـــب
هذا فؤادي قد تصدّع بعدهم من يرأبُ القلبَ الصدّيع ويشعبُ
ولقد تغرّنيَ المنى فأُطيعهـــا سفهاً وبارقةُ الاماني خلّـــب
واخفّ فاحمّلتُ من عبء الهـــوى أنْ استريحَ الى مطامعَتُتْعِـــب
يا منزلاً كان الحفاظُ يحلّـــه والجُود بالضيفان فيه يرحـــب
أهْوى حلولكَ ثمّ يسلبني الهوى أنّ العدّو بجانبيك مطنّبُ
اصبحتُ فيكِ معذّلاً ومعذّبا وكذا المحبّ معذلٌ ومعذّب

نميّز منذ مطلع القصيدة زمنين سيستمّر في المراوحة بينهما ، الزمن الحاضر حيث يشتدّ به الحنين الى ملاعب الصبا وتستعر اللوعة في صدره فينتقل عن طريق الصورة الى زمن المدينة السعيدة حيث تتدرّج مفاضة الضوء غير ان الحنين يعاوده وتزداد الغلّة في صدره فيعاود الكرّة عن طريق صورة جديدة ، وهكذا حتى تبرز صورة الماء ويتماثل مع الدولاب فتتم دورة القصيدة ويشعر بالارتياح .

الزمن الماضي هو زمن السعادة والوصال :

الالف للميعاد بي مترقـــبّ والدهر بالاسعاد لي متقرّب

اما الزمن الحاضر فهو زمن الوحشة وانعدام الحركة (الموت) :

فتلاعبت ايدى النوى بهما وبـــي حتى انقضى لَعِبٌ وأُقْفِرَ ملعـــب

لقد طرح المفارقة من بداية القصيدة واخذ يحاول انفلاتا ليَعْبُرَ على جسر من النور الى الزمن السعيد حيث الاصائل والنهارات تتحدّ سويا في شلال من نور فالصبح يطلق الكنوز التي تعتمل

في الظلام ، انه يولّد النور من الظلمة ويأخذ بالتفصيل والتلوين وتختلط حاستا البصر والشم ويتدّرج مع الضوء الذي يغلب على كيانه :

يزداد حسنا صبحها بروائهـــا ويكاد يشرق من سناها الغيهب[1]

هذا الالتفات الى توليد التناقضات بعضها من بعض حتى يصل الى صورة الخلق النوراني عن طريق الالفاظ المشرقة التي تعكس تدرّج النور يشعره بالارتياح . ولقد مهدّ لهذا البيت بما سبقه ؛ فالاصائل تفضّض الالوان وتذهبها ، والليل مسك وكافور والنهار صبح يروق ويعجب. والصبح هو رمز الوضاءة والتهلل والشباب والعافية والفتنة والحكمة انه رمز الخلق الجديد والزمن السعيد .

ان ابن الابار لم يحل تناقضه بعد اذ نراه يعتاده الحنين مرّة اخرى ، فوجده سافر لا يحجب ، فيراوح من جديد بين زمنين ، غير انه يُقسِمُ بعمره السعيد الذي مضى وما جناه من ثمرات عيش عذاب انه سيغلب على السلّو صبابته :

لاغلبن على السلّو صبابتي والشوق في كل المواطن اغلب[2]

ولاندبن بها الشباب وشرخـــه ان الشباب احق شيء يندب

انطلاقا من هذا القَسَمِ ينتقلُ الى صورةٍ منتزعةٍ من قَلْبِ الزمن الماضي من "يوتوبيا" إِرَمْ ذات العماد / بلنسية :

---

[1] الغيهب : شدّة سواد الليل وظلمته .

[2] ناظر الى بيت المتنبي :

اغالب فيك الشوق والشوق اغلب واعجب من ذا الهجر والوصل اعجب

سَاحَاتُ حُسْنٍ طَرَّزَتْ أَوْقَاتَهَا ساعاتُ أُنْسٍ رَدُّها مُسْتَصْعَبُ

في هذا البيت تتضح العلاقة بين المكان — والانا — والزمان فالانا هي التي هصرت الانس من الزمن في تلك الساحات وهي تقف الان عاجزة عن ردّ ما فات وانقضى وهذا هو فاجعهاء وتأتي الابيات التالية لتفصل هذا البيت فتبرز الافعال الماضوية التي توحي بالانطلاق والوصال ، فالحياة كانت تفتح ذراعيها له : أصعّد في المنى واصوّب ، جرّي مينقاد لي ، أصحب ، متصرّف ، مع الصبابة والصبا متقلب . والابيات مشرقة المعنى والالفاظ ، جميلة الصورة محتقنة الصنعة ، عذبة الديباجة . غير انه ينتقل في البيت الاخير الى الزمن الحاضر عبر تأكيد فعل السلب .

كانت مآنسَ بل نفائسَ أصْبَحَت مسلوبةً وكذا النفائس تُسْلَبُ

لقد راوح ابن الابار حتى الان بين زمنين ، يحاول في كل مرة أَنْ يجدَ ارتياحا نفسيا عن طريق الصورة لكنه يخفق ويعيد الكرة وقد اختار الان صورة الدولاب حيث يرقى به خياله المجنّع الى ابتكار صورة مشخّصة اضفى عليها حركة وروحا ، لقد عاد الى رمز الماء الذى عن طريقه سيجد متنفسا فلنتابع صورته من اولها لنلتقط رموزها .

اول ما تطالعنا صورة النهر :

اين المذانب لا تزال تأسنا يجرى عليها من دموعي مذنب

من كلّ بسّام الحباب كأنـه ثغر الحبيب وريقه المستعذب

كالنصل الّا انه لا يتقـى كالصّل الّا انه لا يرهـب

والمذانب هي الانهار واللفظة توحي بالغنج ، انها صورة المرأة " ثغر الحبيب وريقه المستعذب " ، هاته المذانب / النساء " يجري عليها من دموعي مذنب " تأسنا (زيادة في الجزع والحزن) فقد انقض زمن الوصال . ولتأكيد الرمز تبرز المفارقة في البيت الثالث فقد شبّه لمعان

صفحة الماء بالنصّل الذى يشير الى الحدّة والقتل غير انه لا يتقى ، وشبهه بانسيابه وانعطافه بالثعبان الا انه لا يرهب ، وهذان التشبيهان يكملان رمز المرأة فهي قاتلة غير انها لا تتقّى وهي في تلونها ومكرها وغنجها كالثعبان . ان النهر هو رمز المرأة ، رمز الخصب والمياه والتلّون والغنج .

ويأتي البيت الرابع ليؤكد الرمز ويمهد لصورة جديدة :

تقتادنا اقدامنا وجيادنا لحبابه وهو النضّير المعجب

فثمة اغراء في "المذانب" ثمة سحر هو الذى يجعل الجياد تَقْتَادُنا نحوَه ، والخيل : رمز للقوة والجمال والحركة ، وقلت ان هذا البيت يمهّد لرمز جديد ، وعنيت الدولاب :

كلفا بدولاب يدور كأنــــه فلك ولكن ما ارتقاه كوكـــب

نصبته فوق النهر أيد قدرت ترويحه الارواح ساعة ينصب

فكأنه وهو الطليق مقيـــد وكأنه وهو الحبيس مسيّـــب

هذا الدولاب يدور ولا يكف عن الدوران في حركة دائمة يتولد بعضها من بعض ، انه فَلَكٌ اسطورى ما ارتقاه كوكب ، عالم خاص من تكوينات النجم السديمّية التي تضيء معنى الحياة ، وقد نُصب هذا الدولاب بحكمة فهو طليق مقيّد وحبيس مسيّب — مبدأ التوسط — فهو يجمع تناقضات الحياة نفسها ويأتي البيتان التاليان لتندمج فيهما حركة المذانب (الغواني) مع حركة الدولاب والصورة تعطي حركة جنسّية — فعل الخصب والاخصاب — تصعّد وتحدّر والعجز يؤكد ما ذهبنا اليه اذ ان حركة المزن في علاقتها مع البحار وما ينتج عنها من خصب توحي لرمز الجنس والمفارقة التي تبرز في البيت التالي تعطي الرمز بعده الحقيقي :

فكأنه مما بكى وتبسّمـــت روضاته فجر يضجّ ويصخـــب

هذه المفارقة بين البكاء والتبسّم — والبيت فيه مقابلة ومكافأة — هي التي ولّدت الفجر الذى يضج ويصخب بالحياة كأنه طفل . انها صورة الحياة بتلونّها وتناقضاتها وخصبها ، لقد اصبحت الطبيعة مشخّصة وصارت مجالا لحركة دائمة دائريّة فلكيّة يستطيع الشاعر ان يتماهى معها فيشعر بالارتياح من هنا نجده يعود مرّة اخرى للدولاب — رمز الرجولة والعطاء والكبر ليتّحد واياه ويصبحا جميعا شيئا واحدا .

شاقَتْه الحانُ القيان وشاقَهـــا	فيبوحُ من كَلَفٍ بهنّ ويطرب
أبداً على وِرد وليس بناقـــع	من غُلّةٍ في صدره تَتَلَهّبُ
كالعاشقِ الحرّانِ يرتشفُ اللّمى	خصراً ولا يرويه ريقٌ أَشْنَـــب
هامت به الاحداق لمّا نادمت	منه الحدائق ساقيا لا يشـرب

فكلاهما عاشق حرّان ابدا على ورد وليس بناقع من غلّة في صدره تتلهب . فهو يلقي على الدولاب حالته النفسية ، أليست هذه الغلّة هي الحنين الذى ما فتئ يستعر في صدره ؟ لقد استطاع ابن الابار عن طريق تماهيه مع الدولاب "رمز الحياة" ان يفتح لنفسه مناخا نفسيا من الارتياح . فقد غدا هو جزءا من المكان الخالد ، لا بل اصبح جزءا من اشربة الماء الذى يهب الحياة لقد اجتمع رمز الماء بالضوء فتولّد عنهما ذلك الفجر الذى يضج ويصخب و "يكاد يشرق من سناه الغيهب". وهذا الارتياح ينعكس على القارئ بعد تلك المراوحة بين زمنين في القسم الاول حيث كانت صور الضوء والسناء تمهّد لهذه الذروة التي بلغها . ولهذا نراه الان يعود الى واقعه وهو اكثر هدوءا واتزانا تغلب عليه العاطفة الاسيانة:

هل تُرجعُ الأيامُ عصرَ شبيبةٍ	ما زلتُ فيها بالحسان أُشبّبُ
حيثُ النسيم بما يمرُّ عليه مـن	حسن الرياض مضمّخٌ ومطيّبُ

أيام يرسل من شبابي ادهـم   أرقٌ ويشكلُ من مشيبي أشهَبُ

اما الرُّصافة فهي سهمي لا الحمى   ولوى الصريم لا العذيب وغرّب

ربّى الهوى منها مكانٌ طيبٌ   وَلَدَ السرورَ به زمانٌ مُنْجِبُ

لقد اصبح في سنّ لا تسمح بالتشبيب فتراه يلتفت الى زمن السعادة ، الى إرَم ليشتم ريحها ، انها الصورة الاخيرة التي تجمّدت في ذاكرته ، غير ان بينه وبين المكان الآن مسافة ودون ذلك اهوال فثمة عدد مخيم يتربّص حذرا ولولا هذا لما كان رضي في دين الهوى — " وهل للهوى الا الرّصافة مذهب " — سوى الحلول .

أُهوى حلولك ثم يسلبني الهوى   ان العدّو بجانبيك مطنب

لقد اصبح باستطاعتنا الآن ان نفهم صور ابن الابار انطلاقا من هذه الرموز التي تتكرر في مقطوعاته الوصفية ، فهو يفتح عن طريق هذه المقطوعات بعدا نفسيا يحتمل بالموسيقى وتختلط فيه الحواس ، حيث يجد ارتياحه عبر العودة الى الطبيعة والتماهي معها ، فمقابل الافق المسدود الذى يعيش فيه يفتح لنفسه عالما تغمره الشفافية والضوء يستعيد فيه لحظات الانسجام ويأمل باحياء جديد عبر رمز الماء :

قال معارضا ابيات الرّصافي البلنسي التي اولها :[1]

" ومُهَدَّلِ الشَّطَّيْنِ تَحْسَبُ أنَّه   مُتَسَيِّلٌ مِنْ دُرَّةٍ لِصَفَائِه "

---

[1] ديوانه (ط ٢) : ٣٢ — ٣٣ .

وَنَهْرٍ كما ذابَتْ سبائكُ فضَّـــةٍ — حكى بمحانيه انعطافَ الاراقـــم[1]

اذا الشفقُ استولى عليه احمرارُه — تبدّى خضيباً[2] مثل دامي الصوّارم

وتحسبه سُنَّتْ عليه مفاضـــة[3] — كأن هابَ هبّات الريّاح النوّاســم

وتُطْلِعُه في دكنةٍ بعد زُرْقـــة[4] — ظلالٌ لادواحٍ عليه نواعمٍ

كما انفجرَ الفجرُ المطلُّ على الدّجى — ومِن دونه في الأُفْق سحمُ الغمائمِ

ان الصورة عند ابن الابار نفس الرموز دائما وان تغيّرت ملامح اللوحة ، ونستطيع الآن على ضوء ما تقدم ان نحلل هذه الصورة التي بين أيدينا .

فالنهر دائما مجال لالتقاء مختلف العناصر وانصهارها ، انه في جريان دائم صقيل كالمرآة فيه غنج وتلون كالمرأة ، وعلى هذا فهو يتلقى على صفحته مختلف الاشكال ويعكسها بعد ان يبدّل هويتها ويخلقها خلقا جديدا . فالبيت الاول هو صورة النهر وقد ترقرقت صفحته فغدت صقيلة كسبائك الفضّة . اما الابيات ٢ — ٤ فتبيّن علاقة النهر مع ما حوله ومن هنا تبرز الالوان ، فابن الابار مشغوف بالتصوير والتلوين . فاحمرار الشفق ينعكس على النهر لونا قانيا كلون الصوارم وقد خضبت بالدماء . وقد اختار الصوارم لان النهر في لمعانه يشبه بها ، هذا على المستوى

---

1 ق / ١٤١ ، والمقتضب من تحفة القادم ، ٩٥ ، والوافي ٣/ ٣٥٧ ، و ١—٢ في الفوات ٣/ ٤٠٥ ، وازهار الرياض ٣/ ٢٢٣ .

2 الديوان ، خضيما .

3 الديوان ، رقـــة .

4 سنّت ، صبّت ، والمفاضة ، الدرع .

الاول من التشبيه ، اذا تجاوزناه وجدنا ان ادخال الصوارم واللون الاحمر في الصورة جعلها اكثر ثراء وتعقيدا وانتقل بها إلى بُعدٍ جديد ، فقد اتّحد الحسي بالمجرّد واصبح نماء الصورة نماء داخليا ، انه ينظر الى مفارقات الحياة وتناقضاتها - فقد اصبح النهر الذى يتسيّل من فضّة خضيبا كالصوارم - ثم انتقل الى صورة جديدة فكأن النهر قد صبّت عليه درع حمراء تقيه من الرياح . لقد التقت الآن الصوارم بالدروع . ونراه يلتفت الى انعكاس الدوح على صفحة الماء فنرى اللون يتغيّر مرّة اخرى دكنة وزرقة فاللون الاحمر كان عرضيا قابلا للزوال السريع فالقتل على هذا لم يكن حقيقيا ولا كاملا وبهذا عادت صورة المرأة بغنجها عبر الادواح النواعم - وهي لم تغب بعد انما اخذت في البيت السابق رمزا جنسيا (الصارم / والدرع / الاحمرار) . هذا التكثيف في اللون والثراء في الصورة واتحاد العناصر المختلفة بجوهر الماء هو الذى ادخل صورة الفجر الذى انفجر بالضوء عبر مخاضة اللون فقد ولد من قلب احمرار النهر والغمائم السحّم . نلاحظ ان الطبيعة عند ابن الابار هي مجال للارتياح فالتناقضات فيها تنتهي دائما الى ارتياح وولادة جديدة وتكثيف الضوء ينتهي بشفافية تغمر الصورة . والطبيعة دائما عروس في حالة انسجام ولقاء فكل ما فيها يحنو بعضه على بعض ويتولد من بعضه البعض ؛ [1]

وربَّ حديقةٍ برزت عروسـاً	فتوّجها وطوّقها الغَمامُ
يشقّ بجدولٍ فيها غديـرٌ	كما يُنضى على دِرْعٍ حُسَامُ

وهنا نجد ان صورة النصل والدرع قد تكررت مع الطبيعة العروس .

لننتقل الى مجموعة اخرى من اوصاف ابن الابار وصورة في مجال نعته " للنوريّات " وقد شغف

---

[1] الديوان ، ق / ١٣٧ .

الشعراء بوصفها وتميّز فيها من المشارقة ابن المعتّز وابن الرومي والصنوبري وكشاجم وغيرهم ، ومن الاندلسيين خلق كثير كابن عبد ربّه والرمادي وابن خفاجة . وقد شغل النقاد ومؤرخو الادب بجمع المجاميع في الابيات التي قيلت في نعت الطبيعة ووصفها وتشبيهها ومن هذه الكتب التي تناولت موضوعات التشبيهات واختيارها وتصنيفها نذكر كتاب البديع في وصف الربيع لابن عامر الحميري الاندلسي وكتاب التشبيهات من اشعار اهل الاندلس للكتاني .[1] وقد سنّت قواعد للحكم على روعة التشبيه وغرابته وجدّته واركانه والاستعارة التي اعتبروها انفس من التشبيه لانها تقوم مقامه مع استغنائها في تركيبها عما لا يستغني عنه التشبيه. ويرى الامام عبد القاهر الجرجاني ان "المعنى الجامع في سبب الغرابة ان يكون الشبه المقصود من الشيء مما لا يتسرّع اليه الخاطر ولا يقع في الوهم عند بديهة النظر الى نظيره الذي يشبه به ، بل بعد تثبّت وتذكّر وفلي للنفس عن الصور التي تعرفها وتحريك للوهم في استعراض ذلك واستحضار ما غاب منه ... وبادراك التفصيل يقع التفاضل بين راء وراء وسامع وسامع وهكذا ، فأما الجمل فتستوى فيها الاقدام ، ثم تعلم انك في ادراك تفصيل ما تراه او تسمعه أو تذوقه كمن ينتقي الشيء من بين جملة وكمن يميّز الشيء مما قد اختلط به ، فانك حين لا يهمك التفصيل كمن يأخذ الشيء جزافا

---

[1] وانظر مقدمة الدكتور احسان عباس على كتاب التشبيهات للكتاني (ط ٢ ، دار الشروق ، بيروت ، ١٩٨١) : ١٩ - ٢٤ . ومن الكتب الجامعة ايضا في هذا الموضوع كتاب ابن ابي عون (تحقيق عبد المعيد خان ، كمبردج ، ١٩٥٠) وسرور النفس بمدارك الحواس الخمس للتيفاشي هذبه ابن منظور (تحقيق الدكتور احسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٠) .

وجرنا". [1]

غير اننا اذا طلبنا في التشبيه الحسي ما وراءه من رمز كان علينا أن نتخطى هذا المستوى الاول من العلاقات بين هيئات محسوسة مخصوصة لنستكشف طبيعة الروابط بين هذه العلاقات وما تحمله من مدلولات ورموز. [2] وهذا ما ساحاول ان اطبقه على بعض صور ابن الابار.

قال في السوسن : [3]

يا حُسْنَها سوسنـــةً	تَصْبو اليها الحَـــدَقُ
بحقّةٍ من فضّـــةٍ	على نُضَارٍ تُطْبِـــقُ
ورُبَّمَا تفتّحَـــتْ	عن العبيرِ يَعْبَـــقُ

اذا توقفنا عند المستوى الاول من العلاقات قلنا مع عبد القاهر الجرجاني [4] ان هذا تشبيه مركّب يكثر فيه التفصيل "لانك في هذا النحو تحصّل الشبه بين شيئين تقدر اجتماعهما على وجه مخصوص وبشرط معلوم ، فقد حصّلته في النرجس من شكل المداهن من الدر ، وان يكون العقيق في الحشو منها .... فبك حاجة في ذلك الى مجموع أمور لو أخللت بواحد منها لم

---

١ اسرار البلاغة (تحقيق هلموت ريتر ، استانبول ، ١٩٥٤) : ١٤٤ ، ١٤٧.

٢ قارن ب : الدكتور مصطفى ناصف نظرية المعنى في النقد العربي (ط ٢ ، دار الاندلس ، بيروت ، ١٩٨١) : ١١٩ وما بعدها .

٣ ق / ١٩٨ . وثمة مقطوعات اخرى في وصف السوسن ساستفيد منها في التحليل : ق / ٥٣ و ق / ١٩٨ .

٤ اسرار البلاغة : ١٥٤ .

يحصل الشبه ، وكذلك لو خالفت الوجه المخصوص في الاجتماع والاتصال بطل الغرض، فكما بك حاجة الى أن يكون الشكل شكل المدهن وان يكون من الدر وان يكون معه العقيق ، فبك ايضا فقر الى ان يكون العقيق في حشو المداهن ، وعلى هذا القياس" . لقد اجاد ابن الابار التشبيه المركب وبلغ فيه حدا من التفصيل والغرابة والجدّة . لنعد مرة اخرى الى الابيات محاولين ان نستخلصَ منها رمزاً ونربطها بباقي المقطوعات التي نعت فيها السوسان . فالسوسن يمثل دائما الجانب الطلق من الحياة — يمثل الحياة في اقبالها عليه وفي صورتها "الملوكية"، اعني انها رمز للملك وللحياة معا . فهي كالحياة في أبهى صورها — "تصبو اليها الحدق وتتفتح عن العبير يعبق" وهي كالحياة في زمن الوصال السعيد تجتمع كالثريا في تألفها وتألقها والتماعها .[1] والثريا هي رمز للمرأة "تبدو في السماء جميلة وفيرة العدد وكالجنس -والبنين والبنات ، صغيرة في مرآها ولكنها متقاربة بعضها من بعض، توحي لذلك بضعف المرأة وقوتها" .[2] والسوسان "من الغضارة اغيد" فيه غضارة الحياة ومائيتها . وهو "كأنمل تومي اليك بلا يد" كما تومي الحياة حين تقبل على امرئ . والسوسن الى هذا بقامته واجتماعه كأنه اجتماع الملك لِفَرْدٍ ، وشكله وقد أوفى على ساق من الزبرجد أغيد وكأنه كمامة من لجين" يوحي بالصولجان وهو رمز آخر من رموز الملك . وهذا التفسير ليس تأويلا مسرفا فالقطعة التالية تؤكد ما ذهبت اليه ، وهي أبيات قالها بديهة وقد كان حاضرا في مجلس المستنصر واتحف بغصن سوسن اجتمعت فيه سوسنات سبع فاستغربه المستنصر والحاضرون :[3]

---

١ من تشبيه له سيرد بعد قليل في احدى قطعه .

٢ نظرية المعنى : ١٢٤ .

٣ ق / ٢٠٧ والابيات في الذيل والتكملة ٦/ ٢٧٤ ، ونفح الطيب ٣/ ٦٠٣ — ٦٠٤ .

وسوسناتٍ أَرَتْ من حسنِها بدَعــاً ولم يزلْ عصرُ مولانا يُري بَدَعَـــهْ

شبيهةٌ بالثُّريا في تألُّفِــها وفي تألّقِـها تلتاحُ مُلْتَمِعَــةْ

سامَتْ بيمناه تبغي أنْ تُقَبِّلَها واسْتَشْرَفَتْ تجتلي مَرْآه مُطَّلِعَــةْ

ثم انْثَنى [1] بعضُها من بعضِها غلبــاً على البدارِ تَوَافَتْ وهي مُجْتَمِعَةْ

لقد اجتمع الرمزان معا هنا ، فجمال السوسنات (الحياة) واقبالها (صورة الثريا) هما نتيجة لهذا العصر الذى زانه المستنصر بحكمه وعدله وحسنه . فهي رمز الحياة السعيدة كما هي رمز الملك السعيد الذى زان الحياة ولم يزل يُري بدعهْ. [2] فالسوسن يمثل الغنى والجمال والمجد ولهذا ربطه بالملك غير انه سريع العطب والتبدل وهذه هي حال الحياة والملك ايضا فها هو يبرز صورة اخرى للسوسن: [3]

سوسنةٌ مُزِّقَت غلائِلُهـــا أم راحة فُتِّحَــتْ أناملهـــا

كأنها للصَّبا ملاعبـــةً هيفاءُ تهفو بها شمائلُها

قد رُكِزَتْ وسطها نيازكُـــها لو لم تَغُلْها قطفاً غوائلُها

وابن الابار يجد دائما في الطبيعة مجالا للتشابه يستطيع من خلاله ان يتماهى معها ويسقط عليها مشاعره ، قال في الخيرى : [4]

---

[1] الذيل والتكملة : اتّقى

[2] ناظر الى بيت المتنبي : لو كُنْتَ عَصْراً مُنْبِتاً زَهَراً كنتَ الربيعَ وكانت الوَرْدا (ديوانه ، شرح الواحدى) : ٣٧ .

[3] ق / ٢٠٨ .

[4] ق / ٢٩ ، والابيات في المغرب ٢ / ٣١٠ ، واختصار القدح : ١٩٢ ، ونفح الطيب ٢ / ٥٩١ ، والاول والثاني في رحلة ابن رشيد (الاسكوريال ، رقم ١٧٣٧) ق / ٩ .

لك الخيرُ أُمْتِعْني بخيريّ روضـــةٍ   لأنفاسِهِ عندَ الهُجُوعِ هبوبُ

أليس أديبَ النور يجعلُ ليلَـــــهُ   نهاراً فيذْكُو تحتَهُ ويطيـــبُ

ويطوي مع الإِصْباحِ منشورَ نَشْـــرِهِ   كما بانَ عن رَبعِ المُحِبِّ حبيبُ

أُهيمُ به عن نسبةٍ أُدبيـــــــــةٍ   ولا غروَ أنْ يهوى الاديبَ اديبُ

والخيرى يتفتح في الليل ويضوع عرفه وهذا هو وجه الشبه بينه وبين الاديب ولهذا سماه "اديب الروض" ، لقد وجد حالة من التوافق بينه وبين الخيرى واسقط عليه وضعه فالاديب الذى "يجعل ليله نهارا فيذكو تحته ويطيب" تراه حين يفاجئه الصباح في صورة المحب وقد نأى عن حبيبه فتفطّرَ قلبُه لوعةً.

لا يتسع المجال هنا لتحليل مختلف مقطوعات ابن الابار الوصفية ، فقد وصف الطبيعة الجامدة في كل صورها ـ النهر والدولاب والروض والنوريات والليل والثريا والهلال والكسوف والحبّبنات كما وصف المشط والشمعة والسواد . ونستطيع ان نقسم هذه الموصوفات في مجموعات تدور كل منها في اطار رؤيا معينة وتجتمع جميعها في محور واحد . فاذا اخذنا مقطوعاته في وصف الثريا والهلال وجدناه مرّة اخرى يراوح حول معنى واحد (التناقض في الحياة) ويدخل في الصورة النور المتدرج الذى يتولد من هذه التناقضات ثم يطغى عليها فيحقق بهذا ارتياحه .

قال في خسوف القمر ليلة البدر :[1]

نظرتُ إلى البَدْرِ عندَ الخُسوف   وقد شينَ منظرُه الأزْيَنُ

كما سَفَرَتْ صفحةٌ للحبيــــــب   فحجَّبها برقعٌ أَدْكَـــنُ

---

[1] ق / ١٦٣ ، والبيتان في المغرب ٢ / ٣١٠ ، واختصار القدح : ١٩٤ ، ونفح الطيب ٢ / ٥٩١ .

وقال في خسوف الهلال :[1]

أَلَمْ ترَ للخسوف وكيف أَوْدى	ببدرِ التمِّ لمّاع الضِّياءِ
كمرآةٍ جلاها الصَّقلُ حتـــى	أنارَتْ ثم رُدَّتْ في غِشَـــاءِ

الصورتان تمثلان التحوّل والتناقضات ، وتمثلان خفوت الضوء وانعدامه وهذا الامر ربطه بفقدان الحبيب واحتجابه وفي الصورة الثانية استخدم المرآة وهي آلة حضارية تشير الى الحبيب ايضا . الا ان اقتران الثريا بالهلال نقلا الصورة من جديد الى حيّز الضوء والوصال ، قال في الثريا والهلال :[2]

كأنّا لَمْ نَصِلْ تلك الأصائِلَ فـــي	شَحْذِ القرائحِ بالآدابِ والفِطَـــنِ
ولم نبتْ وذبالاتُ الشُّموعِ كمـــا	توقّدَتْ شفراتٌ في قناً كَـــدنِ[3]
ترى الثُّريا كَشَنْفٍ صيغَ من وَرِقٍ	معلّقٍ من هلالِ الأُفقِ في أُذُنِ
حتّى سما الصبح للظلماء يصدعهـــا	كالتسيل ناض (على) مخضّرة الدمن

نستطيع أن نميّز في القطعة حركتين ، الحركة الاولى تستغرق البيتين الاولين وهي حركة ماضويّة . وأول ما يطالعنا كلمة كأنّا وتشير الى الجماعة (نحن) واسم الاشارة - تلك - يحدّد زمنا معينا الاصائل - والاصيل الوقت بعد العصر الى المغرب وقد شارف النهار على نهايته والعجز يشير الى فعل إعمالِ الذّهنِ وكدّه ، وفي البيت الثاني يخفت الضوء (ذبالات الشموع) وينتقل الى زمن ماضوي آخر - العشايا - وعجز البيت يعطي عبر فعل توقّدت نفس الوقع الذى

---

[1] ق / ١٠ ، والبيتان في المغرب ٢ / ٣١٠ ، واختصار القدح : ١٩٤ ، ونفح الطيب ٢ / ٥٩٢ .

[2] ق / ١٦٣ .

[3] كدن النبات : غليظه واصوله الصلبة .

تركه نعل الشحذ فكأن الضوء الذى يتوقد من ذبالات الشموع التي كأنها شفرات رماح سوداء مشحوذة هو توقّد الذهن .

أما الحركة الثانية فهي تكثيف للضوء تأتي مفارقة للخفوت الذى برز في الحركة الاولى والصورة هي صورة الثريا وقد اقترنت بالهلال فبدت كأنها قرط من فضّة معلق من الهلال الذى اتخذ شكل الاذن ، هذا القران هو الذى ولّد صورة الضوء السائر الذى غمر اللوحة والذى ولّد رمز الماء — السيل — عنصر الحياة والقوة والاندفاع . وقد يظن القارئ لاول وهلة انه ليس ثمة رابط بين الحركتين غير انّا اذا اعدنا القراءة وجدنا هذا الرابط ، انه العلاقة بين زمن الابداع والخلق "شحذ القرائح بالآداب والفطن" وتوقّد الذهن ايام كنّا نقضي اوقاتنا في تلك الاصائل ، والاشارة الى اصائل وعشايا معينة تلك التي "كساها التبر فضل شفوفها" ايام كنا نجيء ونذهب بين الرصافة والجسر . زمن الابداع ذاك اعاده الى الذاكرة ذلك القران الذى تم في السماء بين الثريا — رمز المرأة والخصب — وبين الهلال . هذه العلاقة التي استطاع ان يرى اليها هي التي فجرّت مفاضة الضوء والماء في الصورة وهما رمز الولادة الجديدة والحياة التي لا تتوقف .

من خلال هذه الرموز اصبح بوسعنا ان نتعامل مع صور ابن الابار الوصفية في هذا المحور فهي تتكرر في مختلف المقطوعات ، وحسبي هذا القدر الذى اوردته .

ومن المفيد أن نقارن مقطوعات ابن الابار في الوصف والحنين بمقطوعات سائر شعراء شرق الاندلس من امثال ابن خفاجة وابن الزقّاق والرّصافي البلنسي . لقد حمل ابن الابار ديوان ابن خفاجة[1] كما عاصر ابا الحسن ابن حريق[2] وابن مرج كحل[3] وصحبهما وتتلمذ على محمد بن عبد

---

[1] انظر المعجم : ٥٩ — ٦١ .

[2] التكملة (مدريد) رقم : ١٨٩٥ . وانظر ١/ ١١١ (٢٨١) . والمقتضب : ١٢١،٤٥ .

[3] التكملة ٢/ ٦٣٦ (١٦٥٦) .

الله بن عيسى بن نعمان البكرى ، وكان مقدّما بالشعر متحققا في وصف الدولاب[1] كما أخذ عن سهل بن مالك الذى اعتبره حازم القرطاجنّي امام في صناعة الشعر.[2]

" وقد كثر طلب الموضوعات الوصفية كوصف الدولاب والحمام والنهر وغير ذلك في عصر الرصافي ومن بعده ، حتى اصبح ذلك محكا لقدرة الشاعر..."[3] ونجد ان ابن الابار قد تأثر بطريقة شعراء شرق الاندلس التي أرسى قواعدها ابن خفاجة وابن اخته ابن الزقاق من بعده ، اذ جمع بين طلب الصور التخييليّة وحشدها على طريقة ابن خفاجة وبين توليد معنى وتعليل ظاهر في قطعه الوصفية[4]، كما اخذ عن الرّصافي شعره في الحنين الى بلنسية ، الذى برع فيه ، أما في الصور والتشبهات فقد تأثر بجميع هؤلاء وان تميّز الرّصافي ببراعة التشبيه وبديع الاستعارة خاصة في وصف النهر[5] الذى اكثر منه ابن الابار ، وقد مرّ معنا انه اخذ عن ابن نعمان البكرى بعض شعره في وصف الدولاب غير انه لم يصلنا شعر البكرى مع الاسف . كما امتاز شعر ابن الابار في الوصف والحنين بالرقّة والسلاسة والطلاوة وهذا امر لم يقتصر على واحد من شعراء الشرق . ويقارن الدكتور احسان عباس بين ابن خفاجة والرصافي فيلاحظ ان الرصافي اختار الطبيعة الهادئة الجميلة والحنين الى الماضي الذى يميزه رقّة اسيانة وصفاء مشوب بالذكريات ، بينما اختار ابن خفاجة الطبيعة العنيفة وقرن بينها وبين الفناء والموت[6]. أما ابن الابار فقد كان اقرب الى

---

[1] التكملة ٢/ ٦٣٣ (١٦٤٨) ، الذيل والتكملة ٦/ ٢٩٤ (٧٧٨) .

[2] منهاج البلغاء : ٣٧٢.

[3] الدكتور احسان عباس ، مقدمة ديوان الرصافي في البلنسي : ٢١ ، وانظر زاد المسافر : ٤٦ والمقتضب : ٥٨-٥٩ ، ٦١-٦٢ ، ورفع الحجب ١/ ١٣٤-١٣٧ ، ونفح الطيب ١/ ٦٠١.

[4] المصدر نفسه : ٢٢ .

[5] المصدر نفسه : ٢٣-٢٤.

[6] المصدر نفسه: ٢٥.

مذهب الرّصافي ، ووجد في الطبيعة مجالا للارتياح حيث تتولد الحياة من التناقضات وتستمر حتى يتم الوصال ويتحقق الزمن السعيد في تلك الطبيعة الجميلة التي يتسع صدرها لكل التحولات ، ويقي ارتباطه بالمكان اقوى واشد من ارتباط الرّصافي ـ الذى غادر الى مالقة طوعا ـ [1] اذ ان بلنسية سقطت في ايدى العدو وهجرها اهلها ، فهو ما زال يعيش بحلم العودة ولهذا فانه بقي يسقي الديار صوب العهاد ، وهو غير معني بان يعود شخصيا يكفيه ان يطمئن الى وجود دولابه ـ رمز الحياة والحركة الدائرية التي لا تتوقف ورمز الخصب والعطاء والاتحاد والوصال ـ هذا الدولاب الذى اتّحد به والذى بدورته دخل هو نفسه دورة الطبيعة .

(٥) الزهـــــد :

أودّ ان اقف اخيرا عند بعض القصائد التي يبدو انه نظمها بعد ان قطع شوطا من عمره وهي قصائده في شكوى الزمان والزهد والتشوق الى الضريح الشريف. فقد مرّ به العمر سريعا ولم يبق في نفسه غير اللوعة والحسرة والشعور بالعجز في غربة اخذت تكبر مع الايام وحنين يشتد به الى ملاعب صباه . لقد عاش ابن الابار في فترة من أدقّ فترات التاريخ الاسلامي فشهد افول الحضارة وسقوط الاندلس بينما الامراء مشغولون باللهو واللّذات والتنافس على السلطان وصغائر الامور ، وشاهد نزوح الآلاف من بلده وغيرها وقد ضاقت بهم سبل العيش فلم يجدوا معينا او ناصرا ، كما كثر الترف وابتناء القصور واقتناء الجوارى والمجون وادّى كل هذا الى انكسار في الهوية الاجتماعية ، والتفت هو الى حاضره فالفى نفسه وحيدا غريبا مبعدا يبخسه الاخرون حقّه وتحيط به المكايد والسعايات فأخذ يشكو الزمان ، قال من مقطوعة :

---

[1] قارن بالمصدر نفسه : ٢١ ـ ٢٢ .

تحيَّفَ حالتي حيفُ الزمـــانِ ... وصدقُ اليأسِ من كَذِبِ الأماني

وبرّت في أليّتهـــا الليالـــي ... بترويعي فأنّـي بالأمـــان

وقال في اخرى :

عَلَتْ سنّي وقدري في انخفـــاضِ ... وحكمُ الربِّ في المربوب ماضـــي

الى كم أُسْخِطُ الأقدارَ حــتّى ... كأنّي لم أكُنْ أبداً براضـــي

انه غير راضٍ عن عمره ، وقد ردّ الى أرذل العمر فيسلّم للمقدور ويجنح الى الزهد (من الطويل) .[1]

أما انّه قد خُطَّ في اللّوحِ ما خُطّا ... فلا تعتقدْ للدهر جوراً ولا تَبِطا

ولا تسخطِ المقدورَ وارضَ بما جـرى ... عليك به إنّ الرّضا يفضلُ السّخطا

وقال (من البسيط) :[2]

الى مَ في حلٍّ وفي رَبْـــط ... تخبطُ جهلاً أيّما خبـــط

دع الورى وأرحْ اله الورى ... فانّه ذو القبض والبســـط

ليس لما يُعْطيه من مانــــع ... ولا لما يمنعُ من مُعْـــط

لقد سلّم لمشيئة الله وقدره بعد ان تودّد وتذلّل وتشفّع واعتذر ، انه الخوف من المجهول الذى لا سبيل الى النفاذ منه. في هذه المرحلة جنح ابن الابار الى الزهد ، وقد مرّ معنا انّ له كتاب " قصد السبيل وورد السلسبيل في المواعظ والزهد " اربعة مجلدات ، واقدّر انه

---

[1] أزهار الرياض ٣/ ٢٢٢.

[2] الذيل والتكملة ٦/ ٢٧٥ ، رحلة العبدرى : ٢٥٤ ، ازهار الرياض ٣/ ٢٢٢ .

من تأليف هذه الفترة .

ومن شعره في الزهد (من الطويل) :[1]

قُصاراكَ حملاً في حياةٍ قصيرةٍ أمانٍ طوالٌ ، بئسَ ما تتزوّدُ

تجودُ بمحياكَ الليالي على الرّدى وأنتَ على دُنياكَ بالدّين أجْوَدُ

لقد أبْرَقَتْ فيها المنايا وأرْعَدَتْ ومالَكَ عن طولِ الذُّهول معرّدُ

تجرّد من الدنيا فانك إنّما خرجتَ إلى الدنيا وأنْت مُجَرَّدُ

انها الدنيا الخادعة الصائرة الى زوال ، تكتنف المقطوعة مسحة من الكآبة والحزن تثيرها مأساة الزمان - كل ما في الكون باطل وزائل - مرّة اخرى يجد الشاعر نفسه امام مبدأ التحول والزوال في الابيات . لقد كان ابن الابار حلّ ثنائية نفسه عند رثاء شيخه ابي الربيع ابن سالم عن طريق فكرة الاستشهاد ، ثم عاود المحاولة عن طريق الارتباط بالطبيعة ودورة الزمن ، اما الاستشهاد فانقلب في الغربة الى استشفاع واعتذار واما الارتباط بدورة الطبيعة فمحال وأمانيّ خلّب فلم يبق الا التجرّد من الدنيا والاستعداد للرحيل الى الموانىء البعيدة فلا سبيل الى منازلة حوت القدر ، فاسبق مشيبك بالمتاب وانصب خيمتك بعيدا عن الدنيا .

وقد أورد المقرّي في ازهار الرياض قطعتين لابن الابار في تمثال نعل النبي صلى الله عليه وسلم وواحدة في التشوق الى الضريح الشريف ، وكان هذا اللون قد ازدهر في المغرب والاندلس منذ فترة مبكرة فكثر الشعر الذى قيل في مدح النبي والتشوق الى قبره والتبرك بنعله الطاهرة ، وكثيرا ما كان الخلفاء والامراء يكلفون الشعراء بنظم قصائد المدح هذه لتلقى في موسم

---

[1] ق / ٧٥ .

الحج عند القبر الشريف والروضة ، وقد ازدهر هذا اللون في ظل الدولة الموحّدية التي غلب عليها الطابع الديني ، وقد مرّ معنا ذكر الرسالة التي رفعها الامير ابو زكرياء الحفصي الى مقام الرسول صلى الله عليه وسلم .[1] وكثيرا ما كانت تنظم هذه القصائد تكفيرا عن قصائد المدح التي كان الشعراء يرفعونها للامراء والحكم او بدافع من شعور ديني خاصة اذ لم يتح للشاعر ان يذهب الى الحج . وقد ذكر المقّري[2] عددا كبيرا من الشعراء الذى مدحوا الرسول صلى الله عليه وسلم وتشوقوا الى ضريحه واورد عددا كبيرا من المخمّسات والمسدّسات والمقطّعات التي قيلت في هذا الموضوع. وقد ذكر المقرى ان ابن الابار انما كان ينسج على منوال قصائد شيخه ابي الربيع ابن سالم .[3]

وذكر المقرى ان الناس والائمة قد اعتنوا بتمثال النعل الكريمة واطال في وصفها وذكر من مدحها . لقد لاحظنا اثناء دراستنا ان المعاني الدينية غلبت على شعر ابن الابار ومعانيه وانه قد استخدمها في مدح الامراء من آل بني حفص ، ونستطيع من خلال دراستنا لسيرة ابن الابار وكتبه وديوانه ان نلاحظ انه كان شديد التقوى والتدين ، شغل نفسه بدراسة العلم ونشره والتأليف فيه وغلب عليه علم الحديث وانه كان شديد الوعي بخطورة الفترة التي تعيشها الامة الاسلامية اذ فقدت الارض وتمزّقت وحدة الجماعة . وارى ان قصائد الزهد هذه ، وقصائد ، في

---

[1] انظر ما تقدم ص: ١٠٣ وقارن بالبيان المغرب (تطوان) : ٣٩٤ .

[2] نفح الطيب ١/ ٣٩ ـ ٥٤ ، ٧/ ٤٣٢ ـ ٥١٧ وصفحات كثيرة متفرقـــة . وانظر ازهار الرياض ٣/ ٢٢٥ ـ ٢٨٧ .

[3] ازهار الرياض ٣/ ٢٢٦ .

الامداح النبوّية انما قالها بدافع من هذه الروح الدينية اولا وتكفيرا عمّا اضاعه من وقت وجهد في التزلف الى الامراء ومدحهم ، وكمجال للمعارضة واثبات الشاعرّية ، خاصة وان هذا الفن كان شائعا كما اسلفت.

(٦) نستطيع بناء على ما تقدّم ان نلمح ما يلي :

- غزارة شعره ، واكثاره من القصائد الطوال التي تقوم على عمود الشعر العربي .
- كثرة استخدامه لبحرى الكامل والوافر السباعيان ، ومجال الشاعر في الكامل افسح منه في غيره وله جزالة وحسن اطراد والوافر يميل بالكلام الى الاعتدال ويزيل عنه التوعّر.[1]
- الاكثار من المدح فجل ديوانه يشغله هذا المحور الذى تفرّع عنه محور "الاعتذاريات".
- معانيه في المدح تعتمد على معجم المدح العربي ، غير انه استعار معاني دينية حاول الصاقها بالدولة لتأسيس ايديولوجية تخدم سياسة الدولة وهو بهذا لم يخرج عمّا فعله الشعراء الذين مدحوا الدولة الموحدية من قبل .
- غلبة الروح والمعاني الدينية على شعره.
- وقف قسما كبيرا من شعره لغاية الحث على الجهاد ونصرة الاندلس وهو يصدر في هذا عن طبيعة الاحداث في عصره ويرتبط بشعوره الديني ووعيه التاريخي وفقده لوطنه. من هنا يأتي التفنن في وصف الاسطول والسيف.

---

[1] قارن بمنهاج البلغاء : ٢٦٥ — ٢٧٠ ود . جابر عصفور مفهوم الشعر ٢٥٤ — ٢٥٥ وما بعدها .

- طلب الصور الدقيقة في الوصف والاكثار من التشبيهات والاستعارات والمماثلة والتشخيص، وهو بهذا يسير على مذهب الاندلسيين والمحدثين من المشارقة.
- اعتماده الايحاء الرمزي في الصور الوصفية .
- الميل الى المقطوعات القصار في الوصف حيث يطلب الصورة ويهدف الى ايجاد التعليلات على مذهب ابن خفاجة وابن الزقّاق والرصافي البلنسي .
- الخيال المجنّح الذي يبدو ، اكثر ما يبدو ، في الوصف — خاصة وصف الدولاب والنهر.
- الاسترسال والعاطفة في شعر الحنين الى الاوطان.
- المراوحة بين الرقّة البدوية والانطلاق والعفوية في شعر الحنين والغزل ، وبين الصنعة المحدثة البادية والمعاني المكرورة في المدح .
- ميله الى اجراء المقايسات والتعليلات ، وهذا ناشيء — فيما ارى — من ثقافته الفقهية.
- نستطيع ان نرى الى مخزونه الكبير من الشعر العربي المشرقي — جاهليّه ومحدثه — والاندلسي . من هنا يأتي ولعه بأخذ المعاني والالمام بها والمعارضة (معارضة المتنبي والشريف الرضي وأبي تمام والنابغة وغيرهم) . وقد مال الاندلسيون الى المعارضات حتى اعتبرها ابن شهيد مقياسا للتفوّق .[1]
- تأثره بمذهب البحتري في الوصف والغزل والبديع ومذهب مهيار في المجاورة بين الالفاظ والمقابلة والتشطير ، واقترابه احيانا من اسلوب ابن الرومي ، ويبقى بناء القصيدة عنده شبيه الى حدّ ببناء قصائد المتنبي . اما في المقطوعات القصار فينحو منحى ابن الزقاق والرصافي .

---

[1] انظر تاريخ النقد الادبي عند العرب : ٤٧٧ .

- ادخال عدد من الالفاظ ـ التي كانت شائعة في شعر المتصوفة ـ في شعره، خاصة معجم ابن العربي في ترجمان الاشواق .
- صدوره عن روح العصر في اغراضه ومعانيه ومبانيه .
- استطاع ان يجمع في شعره بين الذاتي ـ الخاص، والموضوعي ـ العام فجاء شعره وثيقة حضاريّة هامة تمثل العصر وتعطينا صورة واضحة عن حياته وسيرته الحق فيما لا يعرفه الآخرون .

ـ الملحق رقم ١ ـ

معجم شيوخ ابن الابار
وتلامذته واصحابه

لقد عدد ابن عبد الملك المراكشي عند ترجمته لابن الابار اسماء اشياخه واصحابه ومجيزيه وتلامذته ، وكنت قد اشرت الى اني اقدر أن ابن عبد الملك كان ينقل عن معجم شيوخ ابن الابار • وقد تتبعت تراجم هؤلاء في المصادر وكان اكبر تعويلي على "التكملة" و "الذيل والتكملة" اذ استخرجت منهما ، ومن غيرهما من المصادر المخطوطة والمطبوعة ، بعد قراءات متأنية اسماء اضافية • ورتبت اسماء هؤلاء على حروف المعجم وترجمت لكل واحد منهم وذكرت ما حمله ابن الابار عنه ، ثم ذكرت اهم مصادر ترجمته • وبقيت ، جماعة لم اوفق في الترجمة لهم • ويبقى هذا المعجم بحاجة لاعادة نظر واضافات وتخريجات جديدة •

واليك فيما يلي ما اورده ابن عبد الملك :

روى قراءة وسماعاً عن أبي بكر بن محمد بن محرز ، وأكثر عنه ، وأبوي جعفر : ابن علي الحصار – وتلا عليه بالسبع وبقراءة يعقوب – وابن يوسف بن الدلال ، وأبي حامد محمد بن محمد بن ابي زاهر وأبي الحجاج بن محمد القضاعي قريبه . وآباء الحسن : احمد بن محمد بن راجب وابن أحمد بن خيرة ، واكثر عنه ، وابن عبد الله بن قطْرال وابن أبي نصر البحائي ، وأبي الحسين أحمد بن محمد بن السراج وأبي الخطاب أحمد بن محمد بن واجب ، واكثر عنه ، وأبي الربيع بن سالم ، واحتذى به ولازمه أزيد من عشرين سنة ، وأبوي زكرياء : ابن زكرياء الجعيدي وابن محمد بن عبد الرحمن المرادي البرقي ، ولقيه بتونس ، وأبي سليمان بن حوط الله ، وآباء عبد الله : ابن ايوب ابن نوح – وتلا عليه

بالسبع ولزمه نحو عامين -- وابني عبدي الله : ابن الصفار وابن محمد بن خلف ابن قاسم وابن عبد العزيز بن سعادة وابن يحيى بن البرذعي ، وأبي عامر نذير بن وهب ، وأكثر عنه ، وأبي العباس بن عبد المؤمن الشريشي ، وأبوي علي : الحسن بن محمد الشعار والحسين بن يوسف بن زلال ، وأبوي القاسم : احمد بن حسّان وعبد الرحيم بن احمد بن علّيم ، وأبوي محمد : ابن عبد الله ابن مطروح وابن محمد التاميسي ، وأجازوا له كلهم .

وروى أيضاً عن أبيه أبي محمد وتلا عليه بحرف نافع ، وأبي اسحاق بن محمد وثيق وأبي الحسن بن محمد بن حريق ، قال : واستفدت بصحبته ، وآباء عبد الله : ابن ابراهيم بن مسلم وابن ادريس ابن مرج الكحل وابن الحسين ابن التجيبي وابن حسن ابن الوزير ، وأكثر عن اكثرهم ولم يذكر أنهم أجازوا له ؛ وسمع يسيراً على أبي البقاء خيار بن عبدالله : سمع مذاكرته ، وأبوي بكر : ابن طلحة وابن علي بن يزيد ، وأجاز له جعفر بن محمد بن خلف القليري بموضع تعليمه ، وسمع عليه التلاوة بحرف نافع ، وآباء الحسن : ابن ابراهيم بن الفخار وابن محمد بن عبد الودود ومحمد بن احمد بن سلمون ، وناوله ، وأجازوا له ، وأبوي الحسن اليحيين : ابن أحمد بن عيسى وابن عبد الله بن أبي حفص ، وأجاز له لفظاً ، وأبي زكرياء بن داود التاملي وآباء عبد الله : ابن احمد بن عبد العزيز بن سعادة وابن بكر وابن عبد الله ابن عطرس ، قال : واستفدت منه بعض مرسوم الخط ، وابن عبد الله بن نعمان وابن عبد الجبار ، وسمع كلامه في التفسير وأجاز له ، وابن علي بن الزبير ، وأجاز له ، وابن محمد بن سليمان بن أبي البقاء وابن وهب بن نذير ، قال : ولم يجز لي ، وأبو علي الحسن بن علي الاغماتي وعمر بن محمد ابن الشلوبين ، وآباء محمد : ابن باديس -- وحضر تدريسه -- وابن محمد بن سعدون ، وأجاز له ، وعبد الحق بن محمد الزهري ، وأجاز له ما أجاز له السلفي ، وواجب بن محمد بن واجب ، واجاز له لفظاً ؛ وناوله أبو اسحاق ابن أحمد بن خيرة وسمع منه وأبو عبد الله بن حسين الشوني ، ولم يذكر

أنهما أجازا له ؛ وتدبج مع أبي بكر محمد بن مفضل بن مهيب ، وأجاز كل واحد منهما صاحبه ، وأبي الحجاج بن عبد الرحمن ابن المرينُه ؛ وأجاز له لفظاً ؛ وأبي عامر محمد بن اسماعيل بن حسين ، ولم يجز أحد منهما الآخر ، وأبي العباس بن علي البُنْسولي ؛ وأكثر عنه وأقل ابو العباس عنه ، وأبي عمر عيشون بن محمد ، وأجاز له .

وصحب أبا اسحاق بن عائشة وأبا جعفر بن علي وأبا الحكم مروان بن عمار وأبا عبد الله بن عبد الله بن سُكَّانُه وأبا محمد بن محمد بن حفص ، وأجاز له وأخذ عنه . وأبا اسحاق بن محمد السهلي ، ولم يذكر انه أخذ عنه .

وتفقه بأبي الحسن بن عمر بن أبي الفتح ؛ وذاكر أبا اسحاق بن عيسى ابن مناصف وأبا بكر عبد الله بن ابراهيم ابن البنّاء وأبا جعفر بن محمد بن وهب وأبا عبدالله بن اسماعيل بن خلفون ، ولم يذكر انهم اجازوا له ؛ ولقي أبا اسحاق بن محمد بن سيد الناس وأبوي بكر : ابن علي القرشي وابن محمد ابن وضاح ؛ وآباء الحسن : سهل بن مالك وابن محمد البلوي وابن محمد بن المنخل ؛ وأبا الحسين محمد بن محمد بن زَرْقون وآباء عبد الله : ابن احمد ابن مشليون . وصحبه . وابن ابراهيم بن رَوْبيل وابن عيسى بن المناصف ، وأبا عيسى محمد بن محمد بن أبي السداد وأبا القاسم أحمد بن محمد بن مَنْتال ؛ وأبوي محمد : ابن أحمد وابن الخطيب البجائي وابن ابراهيم بن مَنْتيال ، وأجاز له . وأبا جعفر بن جمهور وأبا العباس بن الرومية وأبا علي الحسن ابن عبد الرحمن الرفّا وأبا القاسم أحمد بن محمد الطرسوني وأبا مروان محمد ابن أحمد الباجي ، ولم يأخذ عنهم ولا ذكر أنهم اجازوا له .

وكتب إليه مجيزاً ممن لم يلقهم جماعة من أهل الاندلس وما صاقبها من بر العدوة ، وفيهم من أهل المشرق ، منهم : ابو البركات عمر بن مودود الفارسي السلماسي وابو بكر بن أحمد بن أبي زمنين ، قال : وهو أعلى شيوخي الأندلسيين إسناداً ؛ وأبو جعفر بن يوسف بن عباد وأبو الحسن بن محمد

الشاري وأبو الرضا بسّام وأبو زكرياء بن أبي بكر بن عصفور وأبو زيد بن محمد القسارشي وآباء عبد الله : ابن ابراهيم الغلاظي وابن أحمد بن اليتيم وراجح بن أبي بكر العبادري ، ويقال فيه ابو الوفاء ، وابن عبد الرحمن التجيبي وابن علي بن عسكر وابن قاسم بن مَنْداس وابن محمد بن باز وأبو عبد الرحمن محمد بن جعفر بن سفيان وأبو عامر محمد بن علي بن هذّيل وأبو عمر احمد بن هارون بن عات وأبو القاسم أحمد بن يزيد بن بقي ، وآباء محمد : عبد الرحيم بن يوسف بن الشيخ وعيسى بن سليمان الرندي وغلبون بن محمد ، وأبو الوليد اسماعيل بن يحيى العطار .

ومن أهل المشرق من أهله وبعضهم من أهل الاندلس المستوطنين هنالك . منهم : أبو البركات عبد القوي بن عبد العزيز السعدي ابن الجبّاب وأبو بكر عبدالعزيز بن ابي الفتح أحمد بن عمر بن باقا وأبوا الحسن : علي بن محمد بن علي بن منصور البغداذي ابن المقيّر وعلي بن هبة الله بن سلامة الشافعي ابن الجميزي وابو الخطاب عمر بن حسن بن علي بن دحية ابن الجميّل السبتي — وسيذكر في الغرباء من هذا الكتاب إن شاء الله — وأبو زيد بن محمد بن جميل المالقي وأبو سعد بن أحمد بن أبي سعد ابن حَمُّوية الجويني وأبو الطاهر اسماعيل ابن ظافر بن عبد الله العقيلي وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي الفضل المرسي وأبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري القرطبي نزيل الاسكندرية وأبو علي حسين بن يوسف بن الحسن بن عبد الحق الشاطبي وأبو القاسم حمزة ابن علي بن عثمان القرشي المخزومي وعبد الرحمن بن محمد بن عبد العزيز اللخمي وآباء محمد : عبد الله بن محمد بن عبد الله بن المجلي الرملي وعبد السلام ابن الحسن بن عبد السلام الفهري ابن الطُّوير وعبد العزيز بن سحنون بن علي الغماري وعبد الوهاب بن ظافر بن علي بن رواج .

وروى بالاجازة العامة عن أبي بكر محمد بن علي الطائي الحاتمي ابن العربي ، ولقي أبا عبد الله بن عيسى المومناني وعدَّه من شيوخه ؛ وذكر أن من شيوخه أبا الحسن بن عبد الرحمن الزهري ، ولم يذكر لقيَهُ إياه ،

ولا بيّن كيفيةَ حمله عنهما .

ورأى من أكابر أهل العلم طائفةً ولم يأخذ عنهم . منهم : أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن سيد بونه الخزاعي وأبو إبراهيم اسحاق بن ابراهيم بن يَغْمور وأبو بكر بن جابر السَّقطي . وصحبه . وأبو الحجاج بن محمد بن طمْلوس ، وسايره مرات ، وأبو الحسن ابن محمد بن أبي عشرة وابن محمد القسطلي وأبوا الحكم : عبد الرحمن بن عبد السلام بن برجان ويوسف بن عباد المليانى . وأبوا عبد الله : ابن أحمد بن مسعود بن صاحب الصلاة وابن يخلفتين الفازازي ، وأبو الفتوح بن عمر بن فاخر وأبو القاسم الطيب بن محمد العتقي ، وأبوا محمد : ابن ادريس بن شق الليل وعبد الحق بن عبد الله بن عبد الحق . ولم يزل يسمع العلم ويتلقاه عن الكبير والنظير والصغير شغفاً به وحرصاً عليه إلى منتهى عمره .

روى عنه . سوى من تقدم تدبّجه معه : سالم مولاه ، وصهره على بنته أبو الحسين عيسى بن لب بن دَيْسَم وابوا اسحاق : ابن احمد بن ابراهيم ابن يبطش أخو ابي بكر بن أحمد بن سيد الناس لأمه وابن عبد الرحمن بن عياش ، وأبوا بكر : ابن سيد الناس المذكور وابن عبد الله بن مطروح . وأبو الحجاج بن أحمد بن حكم شيخنا وابوا الحسن : ابن ابراهيم بن محمد التجاني التونسي وابن محمد بن رزين . وآباء الحكم : ابن أبي محمد بن ابي ابي نصر السهمي القاسي والحسن بن عبد الرحمن بن عذرة وابن المجاهد . وآباء عبد الله : ابن أحمد بن سيد الناس وابن احمد ابن الجلاب وابن صالح . وأبو علي الحسن بن الحسن بن منصور الجنّب وأبو الفضل عيّاش بن عبد الرحمن بن عياش أخو أبي اسحاق المذكور . وآباء محمد : ابن عبد الرحمن ابن برطله وابن محمد بن كثير وابن محمد بن هارون ومولى أبي عثمان سعيد بن حكم . وحدثنا عنه ، واستجيز من البلاد الدانية والقاصية شرقاً وغرباً ، وفيهم من هو أسنّ منه . وممن روى عنه أحمد بن يحيى بن الشيخ وعبد الرحمن بن ... محمد ابن زين وغيرهم .

شيوخـه :

١ ـ ابراهيم بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن خيرة ، أبو اسحاق (ـ ٦٢٠) ، من اهل بلنسية . رحل مع أخيه أبي الحسن فأدى الفريضة وشاركه في السماع من أبي عبد الله الحضرمي وأبي الثناء الحراني وغيرهما . وكان شاهدا معدلا . سمعت منه حكايات وناولني ، وقد اخذ عنه بعض أصحابنا يسيرا .

التكملة ١/ ١٦٧ (٤٣٧)

٢ ـ ابراهيم بن اسحاق بن محمد بن خلف ... أبو اسحاق ابن عائشة (٥٧٧ ـ ٦٤٢) ، من أهل ميورقة . روى الحديث عن أبي عبد الله المعروف بختن نضل وتفقه به ومال الى علم الرأى ودراسة المسائل وذلك كان الغالب عليه مع الديانة والنزاهة . واسره العدو في الحادثة على بلده ، وقدم بلنسية بعد خلاصه فولي النيابة بها والاحكام ثم قدّم الى قضاء دانية ونوظر بها عليه ولحق بتونس حميد السيرة مرضيّ الطريقة . صحبته وسمعت منه اخبارا .

التكملة ١/ ١٧١ (٤٥١)

٣ ـ ابراهيم بن خلف بن محمد بن الحبيب بن عبد الله بن فرقد (ـ ٥٧٢) ، اخذ عن أبي عمر ميمون بن ياسين الصحيحين وكان يحلو فيهما ، غلب عليه الادب وعلم الفرائض وله في ذلك ارجوزة اخذت عنه . حدثنا عنه بما ألف وروى أبو الخطاب ابن واجب وغيره .

التكملة ١/ ١٥٣ (٣٩٥)

٤ - ابراهيم بن عيسى بن محمد بن اصبغ الازدى ابو اسحاق (- ٦٢٧) ، من اهل قرطبة ،
اخذ العربية عن أبي ذر الخشني وروى عنه ، وعن أبي القاسم بن بقي ، وأبي الحسن ابن حفص
واخيه ابي عبد الله ابن اصبغ وغيرهم . وولي قضاء دانية ثم صرف لاول الفتنة المنبعثة في اول سنة
٦٢١ وسيق الى بلنسية فصحبته بها وبدار الامارة منها الى ان تسرح وتوجه الى مراكش . وكان
متحققا بالعربية وله تأليف حسن في مسائل الخلاف بين النحويين أخذ عنه ، وحدّث بيسير .
وسمعته يذكر في الرأى وغيره وانشدت عنه ما كتب لي من نظمه .

التكملة ١/ ١٦٨ (٤٤٠)

٥ - ابراهيم بن محمد بن ابراهيم ، ابو اسحاق السهيلي (- بعد ٦٤٠) ، من اهل بلنسية .
صاحبنا ، اخذ عن أبي عبد الله ابن نوح وغيره من شيوخنا وصحبه أبي رحمه الله عند بعضهم ،
واقرأ العربية وشارك في الفقه وولي قضاء قرمونة وأوريولة وكان امرأ صدق .

التكملة ١/ ١٧١ (٤٤٩)

٦ - ابراهيم بن محمد بن سلمة بن مقيم بن سيد النّاس ، أبو اسحاق (٥٥٦ - بعد ٦٣١) ،
من اهل مربيطر وسكن بلنسية . يحدث بالاجازة العامة عن السلفي والخشوعي وغيرهما ، وأدب
بالقرآن بهراطويلا ثم ترك ذلك وعاد الى مربيطر وبها لقيته ، أجاز لي في شهر رمضان سنة
احدى وثلاثين وستمائة .

التكملة ١/ ١٦٨ (٤٤٢) .

٧ ـ احمد بن حسان بن حسان بن حسان ،أبو القاسم الكلبي (٥٦٠ ـ ٦٢٦) ،من أهل اشبيلية . وكان رئيسا في بلده واسع المروة ظاهر السرو جوادا مضيافا مائلا الى الادب اخباريا مشاركا في الكتابة ،واقتنى من الدفاتر والاصول العتيقة كثيرا . لقيته مرارا وسمعت منه اخبارا واشعارا وناولني وأذن لي ،مقدمه على بلنسية رسولا ، في الرواية عنه . وكان لدة ابي الربيع ابن سالم وقد كتب عنه بعض ما انشده .

التكملة ١/ ١١٦ (٢٩٣) ،الذيل والتكملة ١/ ٨٦

٨ ـ احمد بن عبد الرحمن بن جهور ، أبو جعفر الجذامي (ـ ٦٢٧) ،من أهل اشبيلية . كان مشاركا في العلم معروفا بالنزاهة والعدالة وله القصيدة المشهورة في المتوسط من النجوم وقد كتبتها عن بعض اصحابنا عنه . لقيته غير مرّة باشبيلية ولم اسمعها منه .

التكملة ١/ ١١٧ (٢٩٥) .

٩ ـ احمد بن عبد المؤمن بن موسى بن عيسى ،أبو العباس الشريشي (ـ ٦١٩) من اهل شريش . اقرأ العربية وله تواليف أفاد بها ،منها شرح الايضاح للفارسي والجمل للزجاجي وشرح مقامات الحريرى في ثلاث نسخ كبراها الادبية ووسطاها اللغوية وصغراها المختصرة ، وله في العروض ،وجمع مشاهير قصائد العرب واختصر نوادر ابي علي القالي . لقيته بدار شيخنا أبي الحسن ابن حريق من بلنسية قبل توجهي الى اشبيلية في سنة ٦١٦ وهو اذ ذاك يقرأ عليه شرحه للمقامات فسمعت عليه بعضه وأجاز لي سائره مع روايته وتواليفه ،واخذ عنه اصحابنا ثم لقيته ثانية مقدمه مرسية .

التكملة ١/ ١١١ (٢٨١) .

١٠ - احمد بن علي بن احمد بن محمد بن علي بن احمد ، أبو جعفر وابو العباس البنسولي (البطيولي) الانصارى (- ٦٤٦) ، من اهل قرطبة . سمع أبا جعفر الخطيب واخذ عنه القراءات وأبا محمد عبد الحق بن محمد الخزرجي الحاكم وغيرهما من مشيخة بلده والقادمين عليها ، ولقي باشبيلية وجيان من شاركاه في بعضهم . ولي الاحكام ببعض الكور وشارك في عقد الشروط والادب وكتب لوالي بلده وقتا وله حظ من النظم ، وكان يغلب عليه الصلاح . لقيته بمدينة تونس وأخذت عنه يسيرا وبيان ذلك وما اخذت عن سواه في "المعجم المشتمل على اسمائهم من جمعي" وآخر ما سمعت منه بلفظه الباب الاول من المسلسل في اللغة لابي طاهر التميمي وناولني جميعه بمنزلي عشية يوم الخميس الحادى والعشرين لشهر ربيع الآخر سنة ٦٤٦ وقد قصدني مودعا بنية الحج فتوفي في رجب منها بقوص متوجها رحمه الله . وتحديثه بالمسلسل عن أبي يحيى الخطيب قراءة عليه على التميمي سماعا ، وبهذا الاسناد مقاماته اللزومية وكان يعلو فيها .

التكملة ١/ ١٢٥ (٣١٢) ، الذيل والتكملة ١/ ٢٩٣ (٣٧٧) .

١١ - احمد بن علي بن يحيى بن عون الله ، أبو جعفر الانصارى الحصّار (٥٣٠ - ٦٠٩) ، سكن بلنسية وداره في دانية . تصّدر للاقراء ورأس في ذلك اهل عصره ، وكانت الرحلة اليه في وقته في الاخذ عنه ولم يكن احد من صناعته يدانيه في الضبط والتجويد والاتقان وحسن الاداء . وكان تصدره ببلنسية حياة شيوخه وقد اقرأ باشبيلية وطال عمره فأخذ عنه الآباء والابناء ، واضطرب باخرة في روايته فاسند عن جماعة ادركهم . وكان بعض شيوخنا ينكر عليه ذلك مع صحة روايته عن المذكورين قبل واكثاره عنهم حتى لقد انفرد بقراءة تأليف ابن النعمة في تفسير القرآن المترجم بـ " ريّ الظمآن " ولا اعلم احدا من اصحابه اكمل قراءته عليه سواه . أخذ عنه والدى رحمه الله -

القراءات واجاز له ، وأخذتها عنه بعد ذلك بمدة وسمعت منه جملة من روايته واجاز لي .

التكملة ١/ ١٠٠ (٢٦١) ، والذيل والتكملة ١/ ٣٤٢ (٤٣١) ، تاريخ الاسلام ١٨/ ٣٤٢ ، غاية النهاية ١/ ٩٠ ، شذرات الذهب ٥/ ٣٦ .

١٢ ـ احمد بن عمر بن ابراهيم الانصارى ، أبو العباس عرف بابن المزين (ـ ٦٥٦) ، قرطبي سكن الاسكندرية . ولد بقرطبة وبها اخذ ، وروى عن ابي الاصبغ عبد العزيز ابن الدباغ لقيه بتلمسين . اختصر الصحيحين ثم شرح مختصر مسلم وسماه "المفهم" ، وكان بارعا في الفقه والعربية عارفا بالحديث . وله كتاب "كشف القناع عن الوجد والسماع" ، قال الصفدى : وكان اولا اشتغل بالمعقول وله اقتدار على توجيه المعاني بالاحتمال . ذكر ابن عبد الملك ان ابن الابار حدث عنه بالاجاز العامة .

الذيل والتكملة ١/ ٣٤٨ (٤٤٨) ، الديباج : ٦٨ ، الوافي ٧/ ٢٦٤ (٣٢٣٠) ، نفح الطيب ٢/ ٦١٥ .

١٣ ـ احمد بن محمد بن احمد بن خلف بن يحيى الهاشمي ، أبو جعفر القليري (ـ نحو ٦٢٠) ، من أهل بلنسية نسبة الى بعض اعمالها . روى عن ابن النعمة وابن هذيل وابن نمارة وابن سعادة وعلم بالقرآن ، كان أديبا ناظما وله مجموع في الشروط . أخذ عنه ابن خيرة وغيره من شيوخنا ولقيته غير مرّة بموضع تعليمه وسمعت عليه التلاوة بحرف نافع وبعض فوائده .

التكملة ١/ ١٠٣ (٢٦٥) ، الذيل والتكملة ١/ ٣٦٧ (٥٠٦) .

١٤ ـ احمد بن محمد بن احمد بن عبد الله بن قاسم ابو الحسين الانصارى الاشبيلي السّراج (٥٦٠ ـ ٦٥٧) . روى عن جماعة من الجلّة منهم ابو القاسم السهيلي وأبو عبد الله ابن زرقون وأبو عمر ابن عات وابو القاسم الملاحي وأبو القاسم ابن بشكوال وغيرهم ، واجازوا له واكثر عن بعضهم . كان سريا فاضلا من بيت خيرودين ونباهة ، رواية مسندا ثقة فيما يحدث به صحيح السماع صدوقا ، عمّر طويلا وأسن حتى كان آخر الرواة بالسماع عن اكثر الاكابر من شيوخه المسمّين ممتعا بحواسه صحيح الجسم الى منتهى عمره وكان يبصر أدقّ الخطوط من غير تكلف مع فرط الكبرة . خرج من بلده اشبيلية بخروج اهلها عنها سنة ٦٤٦ واستوطن بجاية وبها لقيه ابن الابار واخذ عنه وألف معجما في شيوخه ذكرته عند الكلام على كتبه .

الذيل والتكملة ١/ ٣٧٠ (٥١٤) ، رحلة ابن رشيد (الاسكوريال : ١٧٣٧) ق/٥٨ أ ، ١٢٥ ، عنوان الدراية : ٢٠٢ ، الوافي ٧ / ٣٤٩ (٣٣٤٠) .

١٥ ـ احمد بن محمد بن اسماعيل بن محمد ، أبو القاسم الطرسوني (ـ ٦٢٢) ، من اهل مرسية سمع ابا عبد الله ابن حميد وأبا القاسم ابن حبيش واختص بهما واخذ عن شيوخ اخر ، وكان يدرس الفقه ويعقد الشروط مع مشاركة في الادب والطب وحظ من النظم والنثر . وامتحن بالقضاة لشذوذ اخلاقه والفاظه . لقيته في رمضان سنة ست عشرة عند توجهي الى اشبيلية ثم في صدوري عنها في رمضان سنة تسع عشرة ولم آخذ عنه . وسمع منه جماعة من اصحابنا واستشهد في وقيعة نبوط من اعمال مرسية مقبلا غير مدبر .

التكملة ١/ ١١٣ (٢٨٦) .

١٦ - احمد بن محمد بن عبد الله بن محمد الازدي ، أبو القاسم ابن منتال (- ٦٢٩) ، من اهل لقنت عمل مرسية . سمع ابا القاسم ابن حبيش وأبا عبد الله ابن حميد وأخذ عنه القراءات ولازمه . وولي القضاء بجزيرة شقر ثم انتقل الى قضاء دانية . وكانت له مشاركة في العربية والاداب مع النباهة ببلده والنزاهة والانقباض . وكان متشددا في الأخذ عنه وعلى ذلك اجاز لي بلفظه .

التكملة ١/ ١١٨ (٢٩٧) .

١٧ - احمد بن محمد بن عمر بن محمد بن واجب ، أبو الخطاب القيسي (٥٣٧ - ٦١٤) ، من اهل بلنسية ، حامل راية الرواية بشرق الاندلس وآخر المحدثين المسندين ... كان ابن حبيش يجله ويرفعه عن الاخذ عنه بمساواته اياه ببعض شيوخه . رحل الى غرب الاندلس مرارا وكتب اليه جلة من أهل المشرق ، وساوى شيوخه العلية في درجة الرواية بابن قزمان نصار لا يعدل به أحد من أهل وقته عدالة وجلالة وسعة اسمعة وعلو اسناد وصحة نقل وضبط الى تقلب في العليا وتقلل من الدنيا ، مع رسوخ في الدين وورع تخنقه العبرة للرقائق وتعلوه الخشية للمواعظ ، مع عناية كاملة بصناعة الحديث وبصره وتحقق بحمله وذكر لرجاله وتهانت على جمع كتبه وما يتعلق بفنّه ومحافظة على اسماعه ونشره وترغيب لاهله فيه . وكانت الرحلة اليه في زمانه وولي قضاء بلنسية وشاطبة حقبا عديدة واوقاتا مختلفة فما نقمت عليه سيرة ولا وقعت به استرابة سوى حدّة متعارفة فيه . ولم يكن شأنه ولا الغالب عليه سوى الحديث ، اليه جنح ومال وفي سماعه رحل وجال واقتنى من الاصول العتيقة والدفاتر النفيسة كثيرا وربما سافر في تحصيلها وهي كانت جل ما اورث . قلت : ورزقت منه قبولا وبه اختصاصا فمعظم روايتي قديما عنه وأجاز لي غير مرّة خطّا ولفظا . (والمراجع

لكتاب المعجم في اصحاب القاضي أبي علي الصدفي يجد ان اكثر احاديثه من رواية ابي الخطاب ابن واجب.

التكملة ١/ ١٠٦ (٢٧٦)، الذيل والتكملة ١/ ٤٧٠ (٧١٣)، برنامج الرعيني : ٤٧ - ٤٩، المرقبة العليا : ١١٦، الديباج : ٥٦، الاعلام بمن حلّ مراكش من الاعلام ١/ ٣٤٧.

١٨ - أحمد بن أبي عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن واجب، أبو الحسن القيسي (٥٧٠ - ٦٣٧)، من اهل بلنسية. سمع من ابن عمه ابي الخطاب، وأبي العطاء نذير وأبي عبد الله ابن نوح وغيرهم، واجاز له السلفي وابن حكم وابن حسنون وأبو محمد عبد المنعم الخزرجي وسمع منه بعض السيرة لابن اسحاق وناوله جميعها، وولي قضاء بلده وخطب بجامعه وقتا وهو كان يصلي التراويح بالولاة وكان من احسن الناس صوتا بالقرآن وابرعهم وراقة وخطا، مع نباهة بيت ورجاحة العقل، وله حظ من الادب. سمعت جل ما كان عنده.

التكملة ١/ ١٢٢ (٣٠٥)، الذيل والتكملة ١/ ٤٧٣ (٧١٤).

١٩ - أحمد بن محمد بن مفرج النباتي، أبو العباس ابن الرومية (٥٦١ - ٦٣٧)، اشبيلي. سمع ببغداد والموصل ودمشق وغيرها جماعة من اصحاب أبي الوقت السجزى وغيره من الائمة. وله فهرسة حافلة افرد فيها روايته بالاندلس من روايته بالمشرق. وكان فقيها ظاهريا متعصبا لابي محمد ابن حزم بعد ان تفقه في المذهب المالكي على أبي الحسين ابن زرقون وطالت صحبته له. كان بصيرا بالحديث ورجاله كثير العناية به وله على الكامل لأبي احمد ابن عدى في الضعفاء واستلحاق مفيد جمعه في سفر ضخم سمّاه "بالحافل"، سمعت شيخنا أبا الخطاب ابن واجب يستحسنه ويثني عليه .... وكانت له معرفة بالنبات وتمييز العشب وتحليته فاق فيها

اهل عصره وقعد في دكان لبيعه ، وهناك رأيته ولقيته غير مرّة ولم آخذ عنه ولا استجزته وسمع منه جل اصحابنا .

التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٥٣٠ (٢٩٢٨) ، التكملة ١/ ١٢١ (٣٠٤) ، الذيل والتكملة ١/ ٤٨٧ (٧٥٨) ، تذكرة الحفاظ : ١٤٢٥ ، الاحاطة ١/ ٨٨ ، الديباج : ٤٢ ، الوافي ٨/ ٤٥ (٣٤٥٥) الشذرات ٥/ ١٨٤ .

٢٠ ـ أحمد بن محمد بن وهب البكرى ، أبو جعفر (ـ ٦٤٥) ، من اهل شاطبة . يروى عن ابن نوح وابن عات وغيرهما من شيوخنا وتقدم في صناعة العربية وعلّم بها وشارك في حفظ المسائل وعقد الشروط ، وقد حدّث بيسير وجرت بيني وبينه مذاكرة بمجلس القاضي أبي الحسن ابن قطرال . وكان صاحبا لابي رحمه الله اشتركا في الاخذ عن ابن نوح وانفرد هو بالاخذ عن أبي بكر ابن عتيق . وخرج عند اجلاء الروم أهل بلده ونقض مهادنتهم في شهر رمضان سنة ٦٤٥ فتوفي على اثر ذلك بأوريولة ودفن بها .

التكملة ١/ ١٢٤ (٣١٠) ، الذيل والتكملة ١/ ٥٢٥ (٧٧٤)

٢١ ـ احمد بن هارون بن احمد بن جعفر ابن عات ، أبو عمر النفزي (٥٤٢ ـ ٦٠٩) ، من اهل شاطبة . أخذ عن جلة مشيخة الاندلس ابي القاسم ابن حبيش وابن النعمة وابن بشكوال وابن هذيل . ورحل الى المشرق فأدى الفريضة وسمع السلفي وابن عوف وأبا الفرج الجوزى . كان احد الحفاظ للحديث يسرد المتون والاسانيد ظاهرا لا يخل بحفظ شيء منها . موصوفا بالدراية والرواية غالبا عليه الورع والزهد على منهاج السلف ، يأكل الجشب ويلبس الخشن وربما أذّن في المساجد . وله تآليف دالة على سعة حفظه ، مع النظم والنثر . حدث عنه بعض

شيوخنا الجلة وكتب الي مجيزا لما رواه وألفه في ذى القعدة سنة ثمان وستمائة ثم توجه اثر ذلك غازيا وشهد وقيعة العقاب التي افضت الى خراب الاندلس بالدائرة على المسلمين فيها وكانت السبب الاقوى في تحيف الروم بلادها حتى استولت عليها .

التكملة لوفيات النقلة ٢/ ٢٤٢ ، التكملة ١/ ١٠١ (٢٦٢) ، الذيل والتكملة ١/ ٥٥٦ (٨٥٨) ، الديباج : ٥٨ ، تاريخ الاسلام ١٨/ ٣٤٤ ، تذكرة الحفاظ : ١٣٨٩ ، العبر ٥/ ٣١ ، شذرات الذهب ٥/ ٣١ .

٢٢ ـ احمد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد ، أبو القاسم ابن مخلد (٥٣٧ ـ ٦٢٥) ، من اهل قرطبة . قاضي قضاة المغرب ، سمع أباه وجدّه وابن عبد الحق الخزرجي وابن مضاء وابن فرقد وابن اليتيم . وسمع من السهيلي تأليفه "الروض الانف". وكان من رجالات الاندلس جلالا وكمالا ولا يعلم فيها اعرق من بيته في العلم والنباهة الا بيت بني مغيث بقرطبة وبيت بني الباجي باشبيلية وله التقدم على هؤلاء . ولي قضاء الجماعة وخطتي المظالم والكتابة بمراكش فحمدت سيرته ولم تزده الرفعة الا تواضعا ، ثم صرف عن ذلك كله واقام بمراكش مدة طويلة الى ان تقلد قضاء بلده . كتب اليّ باجازة ما رواه ، وهو آخر من حدّث عن شريح بالاجازة ، وانفرد برواية الموطأ عن ابن عبد الحق قراءة عن ابن الطلاع سماعا .

التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٢٢٨ (٢٢٠٨) ، التكملة ١/ ١١٥ (٢٩٢) ، برنامج ابن ابي الربيع : ٢٥٩ ، برنامج شيوخ الرعيني : ٥٠ ، المرقبة العليا : ١١٧ ، العبر ٥/ ١٠٣ ، النجوم الزاهرة ٦/ ٢٧٠ ، الشذرات ٥/ ١١٦ .

٢٣ - أحمد بن يوسف بن محمد بن حسين بن أحمد ، أبو جعفر ابن الدلال (٥٧٢ - ٦٣٥) ، من اهل مربيطر وسكن بلنسية . حمل عن الاكابر الجلة وله رحلة في الاندلس غربه وشرقه ثم أوطن بلنسية وقعد بها لعقد الشروط وكان بصيرا بذلك محسنا للفرائض ثبتا ورعا . أخذت كثيرا من رواياته وكان من العدالة بمكان .

التكملة ١/ ١٢٠ (٣٠٣).

٢٤ - اسماعيل بن يحيى بن أبي الوليد الازدى العطار ـــــــــــــ من أهل غرناطة . سمع من عبد المنعم الخزرجي في صغره ومن أبي بكر ابن أبي زمنين وابن حكم وابن سجون وأبي بكر ابن حسنون وأخذ عنه القراءات واجاز له أبو العباس ابن عميرة وابو عبد الله ابن صاحب الاحكام وجماعة من شيوخنا وغيرهم . كتب الي باجازة ما رواه منتصف رجب سنة تسع واربعين وستمائة .

التكملة ١/ ١٨٨ (٤٩٧).

٢٥ - بسام بن أحمد بن حبيب بن عمر بن عبد الله بن شاكر الغافقي ، أبو الرضى (٥٥٧ - ٦٣١) ، من أهل جيان واستوطن مالقة . سمع من أبيه وأبي عبد الله ابن الفخار وأبي جعفر ابن مضاء وغيرهم ، وحضر مجلس أبي القاسم ابن بشكوال وسمع عليه بقراءة أبيه كثيرا واجاز له . وكان من اهل الفضل والورع والعناية بالحديث والرواية ، له حظ من العربية والادب ، ومشاركة في قرض الشعر ، وولي القضاء بالمنكب وغيرها فحمدت سيرته . اجاز لنا بخطه ما رواه ، وسمع منه بعض اصحابنا .

التكملة ١/ ٢٢٦ (٦٠٦)

٢٦ ـ حسن بن احمد بن محمد بن موسى بن سعيد بن مسعود الانصارى ، أبو علي ابن الوزير (٥٥٧ ـ ٦٢٤) ، من أهل بلنسية وشهر بنسبته الى بطرنة قرية بشرقي بلنسية ، صحب القاضي أبا العطاء ابن نذير وسمع منه وتفقه به واخذ عن أبي علي ابن زلال ، شيخنا ، القراءات ، وكتب اليه والى بنيه ابو محمد بن عبيد الله من سبتة . وعني بعقد الشروط وكان ذا بصر بها وحفظ للرأى ، وولي قضاء بعض الجهات وأمّ بالمسجد المنسوب الى ابن حزب الله في صلاة الفريضة نحوا من اربعين سنة ، وصلّى التراويح بالولاة قديما وحديثا وقد اقرأ وقتا وسمع منه اليسير. وكان من اهل التجويد والتحقق بالاقراء احد الطيّاب المحسنين من القراء ، لازمته طويلا لمجاورة ومصاهرة اوجبتا ذلك ، وسمعت منه واذن لي في الرواية عنه.

التكملة ١/ ٢٦٥ (٧٠٣).

٢٧ ـ الحسن بن علي بن محمد الاغماتي ، أبو علي (بعد ٦٢٥) ، اصله من تلمسان ، روى عن أبي عبد الله ابن عبد العزيز اللخمي من اصحاب ابي الحجاج القضاعي ، وصار الى جزيرة ميورقة قبل الستمائة وأقام فيها وقتا . ثم خرج منها وعاد اليها ثانية واقرأ بها العربية واخذ عنه ، الى ان سعي به عند واليها وجماعة معه نازعجهم منها ، واجتاز علينا ببلنسية في سنة خمس عشرة وستمائة فلقيته بدار الامارة منها وسمعت منه بعض منظومه ولم يكن بالقوى.

التكملة ١/ ٢٧١ (٧٢٣)

٢٨ - الحسن بن محمد بن الحسن بن ناتح ، أبو علي الشعّار (٥٥٢ - ٦٣٥) ، من اهل بلنسية وجده ناتح مولى بني نلقل من اهل قرطبة ، لقي أبا الحسن ابن النعمة وأخذ عنه القراءات السبع واجاز له ، واخذها ايضا عن أبي محمد أيوب بن غالب المكتب وسمع من أبي العطاء ابن نذير صحيح البخاري ومن ابي عبد الله ابن نوح كتاب السيرة لابن اسحاق . ورحل حاجّا فأدّى الفريضة وانصرف فاحترف بالتجارة وقعد لاقراء القرآن باخرة من عمره فاخذ عنه . وسمعت انا منه في منتصف رمضان سنة خمس وثلاثين وستمائة اثر منازلة الروم بلنسية بعشرة ايام حكايات واشعارا واجاز لي بلفظه ما رواه .

التكملة ١/ ٢٦٧.

٢٩ - الحسين بن يوسف بن احمد بن يوسف بن نتوح الشيخ ابوعلي ابن زلال (- ٦١٣) البلنسي الضرير ، استاذ علّامة . قرأ على ابي الحسن ابن هذيل وطارق بن موسى ، قرأ عليه سعيد بن علي بن زاهر ، واجاز له السلفي . انتهت اليه استاذية الاقراء لاتقانه وتحقيقه وتجويده . قال الابار : وسمعت منه جملة وانتقل الى مرسية فاقرأ بها الى ان مات في المحرم سنة سبع واربعين وخمسمائة (كذا) .

طبقات القراء ١/ ٢٥٣ (١١٥٣) ، نكت الهميان : ١٤٥ - ١٤٦ .

٣٠ ـ حيان بن عبد الله بن محمد بن هشام بن عبد الله ... ابن حيان ، ابو البقاء الاوسي (ـ ٦٠٩) ، من اهل بلنسية . أخذ القراءات عن أبي الحسن ابن النعمة ، وروى عن أبي محمد بن عبيد الله لقيه بسبتة ، وعن أبي الحسن ابن نجبة وناظر عليه بمراكش في "كتاب سيبوية" ، وتأدب بابي الحسن ابن سعد الخير وكان نحويا لغويا اديبا شاعرا يشارك في الكتابة ويستعمل العويص . حسن الخط جيد الضبط ، وقد اقرأ وقتا بجامع بلنسية نصبه لذلك القاضي ابوعبد الله ابن حميد ، لقيته وسمعت مذاكرته .

التكملة ١/ ٢٨٧ (٧٧٤) .

٣١ ـ داود بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن ، ابو سليمان ابن حوط الله الانصاري (٥٥٢ ـ ٦٢١) ، من اهل أندة وسكن مالقة . تجول ببلاد الاندلس للسماع من علمائها والاخذ عن رواتها ... وكان لا يرى التحديث بالاجازة العامة عن السلفي ولا غيره . وألف في اسماء شيوخه كتابا قرأته عليه بعد ما كتبته من خطه ونقلت منه هنا ما نسبته اليه ، وهم يزيدون على مائتي رجل ذكر ان معظم ما اورده من حفظه . وكان شديد العناية بالرواية وكانت اغلب عليه من الدراية فمال الى الجمع والاكثار واخذ عن الكبار والصغار . وهو واخوه ابو محمد كانا اوسع اهل الاندلس رواية في وقتهما لا ينازعان في ذلك ولا يدافعان ، مع الجلالة والعدالة . وحدّثت عن ابي عمرو ابن الجميل انه كان يفضل أبا سليمان منهما في الورع والانقباض . وولي قضاء الجزيرة الخضراء ثم ولي قضاء بلنسية في آخر سنة ٦٠٨ بعد أبي عبد الله ابن اصبغ ، وبها اختلفت اليه وسمعت منه واجاز لي غير مرّة الى ان صرف بأبي القاسم ابن نوح سنة ٦١١ مقدما الى احدى عشرة قضاء مالقة . والغالب على احواله التواضع ولين الجانب وخفض الجناح

وحسن السيرة والطريقة مع التحرى والنزاهة والعدل والاعتدال ٠

٣٢ _ راجع بن أبي بكر بن ابراهيم العبدرى ، أبو الوفاء وأبو عبد الله ،
من اهل منرقة ٠ رحل صغيرا الى المشرق وتجول هنالك وسكن الاسكندرية وقتا ، وحج مرارا ٠
وروى عن ابي قاسم الحرستاني وأبي اليمن الكندرى وأجاز له وسمع من غيرها وسلك طريقة التصوف
وحدّث٠ كتب الينا باجازه ما رواه في العشر الاول من رمضان سنة ٦٤٢٠

التكملة ١/ ٣٢٥ (٨٨٠) ٠

٣٣ _ سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي ابو الربيع (٥٦٥ _ ٦٣٤) ، بلنسي في شيوخه كثرة ٠
كان اماما في صناعة الحديث بصيرا به حافظا حافلا عارفا بالجرح والتعديل ذاكرا للمواليد
والوفيات ، مع الاستبحار في الادب والاشتهار بالبلاغة ، فردا في انشاء الرسائل مجيدا في
النظم خطيبا مفوها مدركا حسن السرد والمساق لما يقوله مع الشارة الانيقة والزى الحسن ، واليه
كانت الرحلة في عصره٠ وله حوالي ٢٥ موءلفا في الحديث والتاريخ والادب والشعر والزهد ٠ وقد كان
والد ابن الابار صنيعة ابن سالم شديد الاختصاص به منصرفا في الوكالة عنه ، وقد لازم ابن الابار
شيخه ابن سالم ازيد من عشرين سنة واخذ عنه علما كثيرا وهو الذى ندبه للكتابة "التكملة"٠
قال ابن الابار : اخذت عنه كثيرا وانتفعت به في الحديث كل الانتفاع وحضني على هذا التاريخ
وامدّني من تقييداته وطرفه ٠

انظر في مصادر ترجمته ص ٥٧ فيما تقدم٠

٣٤ _ عبد الرحيم بن احمد بن علي بن طلحة ابن عليم الانصارى ، أبو القاسم (٥٣٥ _ ٦٥٥) ،
من اهل سبتة واصله من شاطبة ، سكن مراكش ودخل الاندلس غازيا وسمع بقرطبة من ابي محمد ابن
حوط الله سنة ٦٠٩ وسمع ايضا منه بسبتة ومن أبي القاسم بن بقي بمراكش٠ رحل حاجا في سنة

٦١٣ فأدى الفريضة وكتب الحديث بمصر ودمشق وبغداد وغيرها فلقي من اصحاب أبي الوقت والسلفي وغيرهما جماعة وأقام هناك مدة ، وقدم تونس في جمادى الاولى سنة ٦٤٢ وحدث بها وسمعت منه جملة من رواياته واجاز لي لفظا وخطا .

التكملة (مدريد) رقم : ١٦٧٥ ، وانظر فهارس برنامج الوادى آشي .

٣٥ ـ عبد القوى بن عبد العزيز التميمي المصرى المالكي ، أبو البركات ابن الجباب (٥٣٦ ـ ٦٢١) ، مصرى ، شهد عند قاضي القضاة ابي القاسم عبد الملك بن عيس الماراني ومن بعده ، وسمع بمصر من الشريف ابي الفتوح الزيدى وابي البقاء المقدسي وغيرهم وسمع بالاسكندرية من الحافظ السلفي . كان محدثا عدلا مالكي المذهب . ذكر ابن عبد الملك انه اجاز لابن الابار ولم يلقه .

التكملة لونيات النقلة ٣/ ١٣١ (٢٠٠٢) ، وفيه ذكر لمصادر اخـــرى .

مشتبه النسبة : ٢٠٥ ، النجوم الزاهرة ٦/ ٢٥٩ ، حسن المحاضرة ١/ ١٧٦ ، شذرات الذهب ٥/ ٩٥ .

٣٦ ـ عبد اللطيف بن أحمد بن محمد بن هبة الله أبو محمد الهاشمي النرسي البغدادى الصوفي (٦٢٣) ، دخل الاندلس وزعم انه روى عن أبي الوقت وابن الجوزى ، وله تصنيف في التصوف سمع منه ذكره أبو عبد الله محمد بن سعيد الطراز . وضعفه بعدما سمع منه ، وقال فيه أبو القاسم ابن فرقد : عبد اللطيف بن عبد الله الهاشمي النرسي سمع صحيح البخارى على أبي الوقت وروى عن غيره . وله تواليف في التصوف منها تأليف في اباحة السماع قرأت عليه اكثره وقرأت عليه عوالي النقيب باشبيلية عام ٦١٥ .

التكملة (مدريد) رقم : ١٨٢٢ ، صلة الصلة : ٤٥ (٧٢) .

٣٧ - عبد الله بن ابراهيم بن الحسن بن منتيال الوراق ، أبو محمد (- ٦١١) ، من أهل مربيطر وسكن بلنسية . سمع من أبي العطاء ابن نذير وأبي عبد الله ابن هذيل وجماعة من شيوخنا واجاز له ابو بكر ابن أبي جمرة ، وابو الحجاج ابن أيوب وغيرهما . ورحل حاجا فسمع في طريقه ... وكتب بخطه علما كثيرا على رداءته .

وقفل الى بلده وكان له دكان بالقيسارية يقعد فيه للتجارة ويبيع الكتب ، وحدث بيسير . لقيته مرارا عند شيخنا ابي الخطاب ابن واجب وعند والدي رحمهما الله ، وهو استجازه لي في الرواية عنه لفظا . وقد أخذ عنه بعض اصحابنا .

التكملة ٢/ ٨٨٢ (٢٠٩٨) .

٣٨ - عبد الله بن أحمد بن أبي القاسم بن عبد الرحمن بن عثمان التميمي ، أبو محمد ابن الخطيب (- ٦٢٠) ، من أهل بجاية . سمع من أبي محمد عبد الحق الاشبيلي بعض تآليفه في الرقائق ، واخذ عن أبي القاسم عبد الرحمن بن يحيى القرشي مختصره في القراءات وسمع من أبي عبد الله ابن الفخار صحيح مسلم واجاز له أبو طاهر السلفي . وولي قضاء سبتة وبلنسية ، وكان وجيها نبيها صاحب ثروة وجدة . حدث بيسير وسمع منه ايام قضائه ببلنسية ، ولقيته بها ثم باشبيلية حين صرف عنها في سنة ٦١٧ ولم آخذ عنه الا اجازة ، ولا كان الحديث شأنه وربما قرض ابياتا من الشعر ، وتوفي بمدينة تونس .

التكملة ٢/ ٩٢٣ (٢١٥٧) ، برنامج شيوخ الرعيني ، ١٧٣ .

٣٩ - عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن موسى بن حفص ، أبو محمد (- ٦٤٦) ، من اهل دانية وسكن شاطبة . سمع ببلده وباشبيلية ورحل الى المشرق فسمع بالاسكندرية وبدمشق والموصل جماعة من اعيانهم وكتب اليه من مسندي بغداد جماعة . وكان عنده شعر أبي العلاء المعري مسموعا على أبي اسحاق بن أبي اليسر عن والده عن جده عن أبي العلاء

وفوائد سوى ذلك. ومال الى علم الطب وعني به وشارك في غيره، مع حظ من الادب ينثر به وينظم، وكان من اهل التواضع والطهارة نزيه النفس، نبيه البيت، صاحبته بمدينة تونس مدّة وسمعت منه كثيرا وسمع مني يسيرا واجاز لي بلفظه ما رواه وجمعه وانشأه. ورحل الى المشرق ثانية في اواخر ذى الحجة سنة ٦٤٥ فتوفي في القاهرة.

التكملة ٢/ ٩٠٣ (٢١٢٢).

٤٠ ـ عبد الله بن احمد بن محمد بن عطية القيسي، ابو محمد (ـ ٦٤٦)، من اهل مالقة. اختص بأبي محمد القرطبي وسمع عليه كثيرا، واجاز له ابن زرقون وابن حبيش وابو محمد ابن بونة وأبو محمد عبد الحق الاشبيلي ... ورحل حاجا فأدى الفريضة وسمع بالمشرق من جماعة ... وكان من اهل الزهد والفضل، وقد كتب الي مع بعض اصحابنا، وحدثني بمدينة بجاية من اثق به انه توفي سنة ٦٤٦ جرح خطأ فمات من ذلك.

التكملة ٢/ ٩٠٦ (٢١٢٤) مبرنامج شيوخ الرعيني: ١٣٩.

٤١ ـ عبد الله بن باديس بن عبد الله بن باديس اليحصبي، أبو محمد (ـ ٦٢٢)، من اهل جزيرة شقر وسكن بلنسية. سمع شيخنا أبا عبد الله بن نوح وتفقّه به وتعلم العربية عنده ثم رحل الى اشبيلية واخذ عن مشيختها، واجاز البحر الى ناس فلقي هناك ابا الحجاج ابن نموى وطبقته من اهل علم الكلام واصول الفقه فأخذ عنهم، واجاز له ما رواه والفه جماعة... ولم يكن يعرف هذا الشأن بل تحقق بالعلوم النظرية مع المشاركة في غيرها. وعاد الى بلنسية فاجتمع اليه بالمسجد الجامع منها، ونوظر عليه في المستقصى للغزالي وغير ذلك وقد حضرت تدريسه وصحبته وقتا. وكان شكس الخلق مع الانقباض والتصاون وتنسك بأخرة من عمره واجهد نفسه قياما وصياما.

التكملة ٢/ ٨٩٣ (٢١٠٩)، الذيل والتكملة ٤/ ١٨٤ (٣٤٣).

٤٢ ـ عبد الله بن ابي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن احمد بن أبي بكر القضاعي ، أبو محمد (٥٧١ ـ ٦١٩) ـ والده وقد تقدمت ترجمته .

انظر ما تقدم ص ٤٦ ـ ٥٢ .

٤٣ ـ عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن محمد بن يوسف بن سعدون ، أبو محمد الازدى (ـ ٦٢٢) ، من اهل بلنسية . روى عن الاستاذ ابي محمد عبدون واخذ عنه العربية والآداب ، وحضر عند القاضي ابي تميم ميمون بن جبارة وأجاز له أبو طاهر ابن عوف وأبو عبد الله ابن الحضرمي ، وكان من اهل المعرفة الكاملة بالآداب وفنونها ، ماهرا في العربية واللغة ، أنيق الوراقة بديع الخط ، كتب بخطه علما كثيرا واستكتبه بعض الرؤساء فبرع نظمه ونثره . اجاز لي وسمعت منه حروفا من اللغة يفسرها وقد سئل عنها .

التكملة ٢/ ٨٩٣ (٢١١٠)

٤٤ ـ عبد الله بن محمد بن عبد الله الصنهاجي أبو محمد النامیسي (بعد ٦٤٧) ، من اهل طنجة . سمع بسبتة وفاس وقصر عبد الكريم .. ودخل الاندلس غير مرّة ، وولي قضاء شريش . وغرّب عن وطنه الى تونس في منتصف سنة ٦٤١ فلقيته بها مرارا وسمعت منه كثيرا واجاز لي لفظا جميع روايته وحدثني بحكايات عن الصالحين ، وكان مشاركا في علم الكلام وانفصل مسرحا الى بلده في رمضان سنة ٦٤٧ .

التكملة ٢/ ٩٢٥ (٢١٥٩) .

٤٥ ـ عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي يحيى بن محمد بن مطروح التجيبي ، ابو محمد (٥٧٤ ـ ٦٣٥) ، من اهل بلنسية واصله من سرقسطة . سمع اباه وابا العطاء ابن نذير ، وأبا عبد

الله ابن نوح وأخذ عنه القراءات والعربية والآداب ولازمه طويلا ، وابا الخطاب ابن واجب وابا زر الخشني وأبا بكر عتيق ابن علي وأبا عبد الله الخباز وأبا علي ابن زلال وأبا محمد ابن حوط الله وغيرهم . واجاز له جماعة من اهل الاندلس والمشرق . ولي القضاء بعدة من كور بلنسية وغيرها ، وولي باخرة من عمره قضاء دالية ثم صرف بي عندما قلّدت ذلك في شهر رمضان سنة ٦٣٣ ثم اعيد اليها بعد ذلك لما استعفيت منه . وكان فقيها عارفا فكها صدوقا في روايته . سمعت منه حكايات واخبارا وانشدني لنفسه ولغيره كثيرا ، وأجاز لي غير مرة لفظا جميع ما رواه وانشأه . وروى عنه بعض اصحابنا .

التكملة ٢/ ٨٩٩ (٢١١٧) .

٤٦ ـ عبد الله بن يوسف ابن احمد بن عبد الاعلى ، ابو محمد ابن نرغلوش (ـ ٦٣٨) ، من اهل بلنسية . صاحبنا روى معنا عن شيوخنا ابي عبد الله ابن نوح وأبي الخطاب ابن واجب وأبي الحسن ابن خيرة وأبي الربيع ابن سالم وغيرهم ، واخذ القراءات عن أبي زكرياء الجعيدى وابن سعادة وابي علي ابن زلال . نوظر عليه في كتب الرأى ، واجتمع اليه بمسجد شيخنا ابي عبد الله ابن نوح وحدّث بيسير وكان عدلا متصاونا .

التكملة ٢/ ٩٠١ (٢١١٩) .

٤٧ ـ عبيد الله بن محمد بن عبيد الله النفزى ، أبو الحسين ابن قبوج (ـ ٦٤٢) ، من اهل شاطبة . صاحبنا روى عن ابيه ببلده وأبي عمر ابن عات وأبي الخطاب ابن واجب وغيرهم ، ورحل الى اشبيلية وبها لقيته في سنة ٦١٨ فاخذ بها عن أبي الحسن ابن زرقون ودرس عليه الفقه وانصرف الى بلده فلزم داره واعتزل واقبل على الزهادة والعبادة ودراسة العلم ، وكان حافظا

للفقه والحديث مشاركا في غيرهما ، اديبا جوّد في شبيبته الشعر ثم تنزّه عنه بعد ذلك.
خرج من بلده بعد محاصرة الروم اياه وانفراجهم عنه ، على تملك بعضه ، وركب البحر من دانية
فتوفي عند وروده بجاية.

التكملة ٢/ ٩٤٢ (٢١٨٨).

٤٨ ـ علي بن ابراهيم بن علي بن عبد الرحمن بن الحسن ، أبو الحسن ابن الفخّار (٥٦١ ـ ٦٤٢) ، شريشي اركشي . روى عن أبي الحسن ابن لبال وأبي محمد ابن عبيد الله وابي عبد الله ابن الفخار وابي الحسن ابن زرقون وأبي محمد الحبرى. وكان من الفضلاء عارفا بالحديث ذاكرا لا سماء رجاله واحوالهم حافظا للفقه والآداب اعجوبة زمانه في حضور الذكر لذلك كله ، استقضي برندة والجزيرة الخضراء وعرف بالعدالة . قال ابن الابار : سمعت منه ، قال ابن عبد الملك : لقيه ابو عبد الله ابن الابار وسمع منه بعض كلامه نثرا ونظما واستجازه فاجاز له بلفظه.

التكملة (مدريد) رقم : ١٩٠٧ ، الذيل والتكملة ٥/ ١٨٥ (٣٦٩) ، صلة الصلة : ١٣٥ (٢٧٤).

٤٩ ـ علي بن احمد بن عبد الله بن محمد ، ابو الحسن ابن خيرة (٥٠٠ أو ٥٠١ ـ ٦٣٤) ، بلنسي . خطيبها ، حج سنة ثمان وسبعين وجاور وسمع من أبي عبد الله ابن الحضرى وحماد الحراني ، وسمع سنن ابي داود من عبد المجيد بن دليل بسماعه سنة ٥٠٩ من الطرطوشي وعن الطرطوشي يحمله ابوعلي الصدفي وأبو بكر ابن العربي فكأنه لقيهما ، وسمع من عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلي الحافظ ببجاية ومن ابي حفص الميناشي بمكة ، وانصرف الى بلده واقام على حاله من الانقباض وحسن السمت ، الى ان قلّد الصلاة فتولاها اربعين سنة ، اقرأ القرآن وقتا وحدّث واخذ الناس عنه ، وكان عدلا راجح العقل في مشيخته كثرة ، تليت عليه بالقراءات السبع

وسمعت منه جلّ ما عنده ، واختلط قبل موته بأزيد من عام واخرّ عن الصلاة في رجب سنة ٦٢٣ .

التكملة (مدريد) رقم : ١٩٠٥ ، الذيل والتكملة ٥/ ١٦٠ (٣٢٢) .

٥٠ ـ علي بن عبد الرحمن بن علي بن احمد ، ابو الحسن الزهري (٥٥٠ ـ ٦٤٣) ، اشبيلي . سمع من ابيه صحيح البخاري واخذ القراءات عن ابي بكر ابن صاف والعربية عن ابي اسحاق ابن ملكون . وكان شيخا فاضلا حسيبا من بيت جلالة ونباهة ، ولي خطبة المناكح ببلده مدّة ممتدة وقضاء الجماعة في امارة ابي مروان احمد بن محمد الباجي قتيل ابن الاحمر . حدّث بيسير . قال ابن عبد الملك : روى عنه ابن الابار .

التكملة (مدريد) رقم : ١٩٠٨ ، الذيل والتكملة ٥/ ٢٤٨ (٤٩٨) ، صلة الصلة : ١٣٥ (٢٧٥) .

٥١ ـ علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف ، ابو الحسن ابن قطرال (٥٦٢ ـ ٦٥١) ، قرطبي . سمع ابا عبد الله ابن حفص وأبا القاسم ابن الشراط وأبا العباس ابن مضاء وناظر عليه في اصول الفقه ، وأبا القاسم ابن رشد واخذ قراءة نافع والعربية عن ابي جعفر ابن يحيى الخطيب ، وسمع بغرناطة ابا خالد ابن رفاعة وابا الحسن ابن كوثر وسمع بغيرها من المدن . ولي قضاء ابدة من عمل جيان فأسره العدو بها اذ تغلبوا عليها سنة ٦٠٩ ثم تخلص وولي قضاء شاطبة مدة ثم قضاء شريش ثم قرطبة ثم عاد الى قضاء شاطبة وخطابتها وانتقل منها سنة ٦٣٦ لتغلب العدو في صدر هذا العام على بلنسية وولي قضاء سبتة ثم فاس . وكان من رجال الكمال علما وعملا يشارك في فنون ويتميّز بالبلاغة . اخذت عنه بشاطبة جملة من رواياته .

صلة الصلة : ١٣٨ (٢٧٩) ، الاحاطة ٤/ ١٩٠ .

٥٢ — علي بن عمر بن ابي الفتح بن عبد الرحمن بن ابراهيم ، ابوعلي (— ٦٢٣) ، بلنسي . صاحب الاحكام باشبيلية ، له اجازة من ابي عبد الله ابن زرقون ، كان فقيها حافظا للمسائل قائما عليها ، استقضي ببلنسية وله مشاركة في علوم . تفقهت به في اول طلبي .

التكملة (مدريد) رقم : ١٨٩٧ ، الذيل والتكملة ٥/ ٢٦٩ (٥٣١) ، صلة الصلة : ١٢٩ (٢٦٢) .

٥٣ — علي بن محمد بن احمد بن حريق ، ابو الحسن المخزومي (٥٥١ — ٦٢٢) ، بلنسي . شاعرها الفحل المستبحر في الآداب واللغات ، روى عن ابي عبد الله ابن حميد ، وكان عالما بفنون الآداب حافظا لايام العرب واشعارها ، شاعرا مفلقا ذا بديهة ، اعترف له بالسبق بلغاء وقته ، ودون شعره في مجلدتين . صحبته مدّة واخذ عنه اصحابنا .

التكملة (مدريد) رقم : ١٨٩٥ ، المغرب ٢/ ٣١٨ ، الذيل والتكملة ٥/ ٢٧٥ (٥٥٣) ، صلة الصلة : ١٢٩ (٣٦٣) .

٥٤ - علي بن محمد بن أحمد بن منخّل النفزى ، أبوالحسن (- ٦٣٠) ، شاطبي . سمع على ابي بكر ابن أبي زمنين وعبد المنعم بن الفرس واجازا له هما وابو بكر ابن عطية وغيره .

قال ابن الابار : حدث وأجاز لي .

التكملة (مدريد) رقم : ١٩٠٣ ، الذيل والتكملة ٥/ ٢٨٠ (٥٥٩) .

٥٥ - علي بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله القضاعي ، ابو الحسن البلوى (٥٥٤ - ٦٢٣) ، اشبيلي قرطبي الاصل . روى عن أبي بكر ابن الجد وأبي بكر ابن خيروأكثر عنه ، وتلا بالسبع على ابن صاف ، وأبي عبد الله ابن زرقون وأبي القاسم ابن بشكوال وابي القاسم السهيلي وغيرهم واجاز له السلفي وكان كبيرعاقدى الشروط باشبيلية وصدر المبرزين من عدولها .

ذكر ابن عبد الملك : ان ابن الابار لقيه .

التكملة (مدريد) رقم : ١٨٩٦ ، برنامج الرعيني : ١١٢ ، صلة الصلة : ١٣٠ (٢٦٤) ، الذيل والتكملة ٥/ ٣٠٩ (٦١١) .

٥٦ - علي بن محمد بن عبد الودود ، أبو الحسن (- ٦٣٣) ، مربيطرى . صاحب الصلاة والخطبة بها والاحكام ، اخذ القراءات عن أبي عبد الله محمد بن واجب وسمع جماعة واجاز له أبو طاهر ابن عوف وغيره ، وكان صالحا اخذت عنه يسيرا .

التكملة (مدريد) رقم : ١٩٠٤ ، الذيل والتكملة ٥/ ٣١٣ (٦١٩) .

٥٧ - علي بن محمد (الحسين) بن علي بن منصور البغدادى ، ابو الحسن ابن المقير (- ٦٤٣) ، مسند الديار المصرية . يعرف بالبغدادى الحنبلي النجار . سمع من شهدة ومعمر ابن الفاخر وجماعة واجاز له ابن ناصر وابو بكر ابن الزاغوني وطائفة وكان صاحب تلاوة وذكر واوراد . ذكر ابن عبد الملك انه كتب لابن الابار بالاجازة .

شذرات الذهب ٥/ ٢٢٣ ، فهرس الفهارس ٢/ ٥٨٢ (٣٤٣) ، الزركلي ٤/ ٢٧٩ .
وانظر المعجم في اصحاب القاضي الصدفي ، صفحات متفرقة .

٥٨ - علي بن موسى بن محمد بن شلوط ، أبو الحسن الشبارتي (نحو ٦١٠) ، بلنسي . رحل وحج وسمع بمكة من علي بن حميد بن عمّار ، وأبي محمد ابن الطباخ ، وسكن تلمسان واحترف بالطب ، وقد اخذت عنه بقراءتي بعض صحيح البخارى واجاز لي .

التكملة (مدريد) : ١٨٨٥ ، الذيل والتكملة ٥/ ٤١٣ (٦٩٩) .

٥٩ - عمر بن حسن بن علي بن محمد بن فرح الكلبي ، أبو الخطّاب ابن الجميّل (٥٤٤ - ٦٣٣) ، داني الاصل سبتي . روى بسبتة عن أبي محمد ابن عبيد الله وغيره ودخل الاندلس واخذ بها عن جملة من الجلة امثال ابي بكر ابن الجد وأبي عبد الله ابن زرقون وأبي العباس ابن خليل . ورحل الى بر العدوة ودخل مراكش وافريقية ولقي علماء البلدين وارتحل الى مصر وجال بالشام والعراق وخراسان وما والاها واصبهان واربل فأخذ عن جماعة من الفضلاء ولقي اكابر العلماء واستفاد كثيرا واخذ عنه ، ولقي الملوك ، ثم استقر بمصر . اشتغل بطلب الحديث واتقنه وكان من اعيان العلماء ومشاهير الفضلاء ذاكرا للتأريخ والاسانيد . واتهم بانه كان يضع اشياء لا حقيقة لها ، وقد ادعى بعضهم تجريحه . قال ابن الابار : وكتب الي بالاجازة سنة ٦١٣ .

التكملة (مدريد) رقم : ١٨٣٢ ، ذيل الروضتين : ٦٣ ، وفيات الاعيان ٣/ ٤٤٨ (٤٩٧) ، صلة الصلة : ٧٣ (١٣٢) ، عنوان الدراية : ٢٦٩ ، تذكرة الحفاظ : ١٤٢٠ ، العبر ٥/ ١٣٤ ، ميزان الاعتدال ٣/ ١٨٦ ، لسان الميزان ٤/ ٢٩٢ ، النجوم الزاهرة ٦/ ٢٩٥ ، حسن المحاضرة ١/ ٢٠١ ، نفح الطيب ٢/ ٩٩ ، شذرات الذهب ٥/ ١٦٠ .

٦٠ — عمر بن عبد المجيد بن عمر بن يحيى بن خلف بن موسى الازدى (٥٤٧ — ٦١٦) ، اصله من رنده ونزل مالقة . روى عن ابي اسحاق ابن قرقول وابي بكر ابن خير وابي الحسن ابن كوثر وابي عبد الله ابن الفخار وابي القاسم ابن بشكوال وابي القاسم السهيلي — وعليه عوّل في معلوماته من القراءات والعربية . واخذ عن جماعة كبيرة سماعا واجازة . وكان من اهل التفنن في العلوم والتوسع في المعارف مقرئا عارفا مجودا محدثا مكثرا ، عدلا ثقة نحويا متقدما بارعا اديبا حافظا ورعا صالحا ، استدعاه اهل مالقة بعد ارتحال السهيلي . قال ابن عبد الملك : وذكر ابن الابار انه سمع منه .

التكملة (مدريد) رقم : ١٨٢٨ برنامج شيوخ الرعيني : ٨٦ الذيل والتكملة ٥/ ٤٥٠ (٧٨٠) ، صلة الصلة ٦٧ (١٢٦) . الاحاطة ٤/ ١٠٧ .

٦١ — عمر بن محمد بن عمر بن عبد الله الازدى ، أبو علي الشلوبين (٥٦٢ — ٦٤٥) ، اشبيلي ، وفي نسبته خلاف قيل انها نسبة الى حصن من حصون غرناطة الساحلية وقيل انها نسبة الى الازرق الاشقر بلسان الروم . في شيوخه كثرة . رئيس النحاة بالاندلس ولم يترك احدا في عصره يوازيه ، وقد جمع مشيخته ونص على اتساع مسموعه ، وكان عليما بالعربية وصناعتها لا يجارى ولا يبارى ، قياما عليها واستبحارا فيها وقعد لاقرائها بعد ٥٨٠ واقام على ذلك نحوا من ٦٠ سنة . قال ابن سعيد : رحلت فوجدت ذكره قد ملأ مسامع الشام والعراق ، كان مع امامته في النحو مقرئا

لمصنفات الادب الجليلة قائما بمعرفتها وضبطها وروايتها عامرا بذلك غدوه واصيله • وله تواليف مفيدة وتنابيه بديعة مع حسن الخط ، وقد أخذ عنه عالم لا يحصون • قال ابن الابار ، سمعت عليه وأجاز لي ديوان المتنبي •

التكملة (مدريد) رقم : ١٨٢٩، برنامج شيوخ الرعيني : ٨٣ ، المغرب ٢/ ١٢٩ ، اختصار القدح : ١٥٢ ، الذيل والتكملة ٥/ ٤٦١ (٨٠٧) صلة الصلة : ٧٠ (١٢٨) الديباج : ١٨٥ ، بغية الوعاة ٢/ ٢٢٤ ، النجوم الزاهرة ٦/ ٣٥٨ ، شذرات الذهب ٥/ ٢٣٢ •

٦٢ ـ عيسى بن سليمان بن عبد الله بن عبد الملك ، أبو محمد الرندى الرعيني (٥٨١ ـ ٦٣١) : مالقي • سمع ببلده من أبي محمد ابن القرطبي وأبي العباس ابن الجيار • وحج ورحل واستوسع في روايته ، وكان ضابطا متقنا كتب الكثير ونقله لكنه امتحن في صدره باسر العدو اياه فذهب كثير مما جلب • قال ابن الابار : أجاز لي •

التكملة (مدريد) رقم : ١٩٢٩ ، الذيل والتكملة ٥/ ٤٩٦ ، صلة الصلة : ٥١ (٩١) •

٦٣ ـ عيشون بن محمد بن عيشون ، أبو عمر اللخمي (٥٩٠ ـ ٦٤٤) •

مرسي نزل تونس • سمع اباه وابا العباس ابن عميرة وابا جعفر ابن شراحيل وابا عبد الله ابن الابار وتدبج معه • واجاز له جماعة منهم : ابو بكر ابن عطية وابو بكر ابن ابي زمنين وابو العطاء ابن نذير •

الذيل والتكملة ٥/ ٥١٥ (٩٧٣) •

٦٤ ـ محمد بن ابراهيم بن عيسى بن عبد الحميد ، أبو عبد الله ابن رويبل الانصارى (٥٩١ ـ ٦٣٦) ، من أهل بلنسية واصله من انده . صاحبنا سمع معنا من شيوخنا أبي عبد الله ابن نوح وأبي الخطاب ابن واجب وأبي علي ابن زلال وأبي سليمان ابن حوط الله وأبي الحسن ابن خيرة وأبي الربيع ابن سالم وغيرهم ، ولي قضاء مربيطر من أعمال بلنسية فحمدت سيرته ثم ولي بعد ذلك قضاء دانية والخطبة بجامعها مناويا غيره فيه . انفرد بالرواية عن جماعة استجاز لي بعضهم ، وكتب اليه والي ـ في طائفة من اصحابنا ـ جماعة من اهل المشرق . وعني بعقد الشروط ودراسة الفقه ، وشارك في العربية وشوور في الاحكام وحدّث بيسير واجاز لي لفظا ما رواه .

التكملة ٢/ ٦٣٩ (١٦٥٩) ، الذيل والتكملة ٦/ ٩٩ (٢٥١) .

٦٥ ـ محمد بن ابراهيم بن مسلم ، أبو عبد الله البكرى (ـ ٦٢٨) ، من أهل بلنسية . سمع من شيخنا ابي عبد الله ابن نوح قديما ولازمه واخذ عنه العربية والآداب واقرأ بها وكان مقدما حسن التعليم بها وهو أحد من اخذتها عنه ، قرأت عليه جملة من اول الايضاح لابي على الفارسي ونا ولنيه مرارا . وكان من اهل الديانة والنزاهة والانقباض .

التكملة ٢/ ٦٢٧ (١٦٣٥) ، الذيل والتكملة ٦/ ١٠٦ (٢٧٣) .

٦٦ ـ محمد بن ابراهيم بن يحيى بن محمد الانصارى الخزرجي ، أبو عبد الله الغلاظي (ـ ٦٤٢) ، من اهل مرسية . سمع أبا القاسم ابن حبيش واكثر عنه واستجاز له ابو جعفر ابن عميرة الضبي ـ في رحلته ـ أبا يعقوب ابن الطفيل الدمشقي وأبا محمد ابن برى النحوى فاجازوا له ولجماعة معه من اهل بلده جميع روايتهم ومصنفاتهم سنة ٥٧٩ . واستجازه لي ابو عبد الله الوقشي من اصحابنا .

التكملة ٢/ ٦٥٦ (١٦٧٨) ، الذيل والتكملة ٦/ ١٠٧ (٢٨١) .

٦٧ — محمد بن احمد بن عبد العزيز ، أبو عبد الله ابن سعادة (— ٦١٤) ، شاطبي ، اخذ القراءات عن أبي الحسن ابن هذيل وأبي بكر ابن نمارة وابي اسحاق ابن خليفة وأبي بكر ابن سيد بونة وغيرهم ، وسمع الحديث من أبي عبد الله ابن سعادة وأبي محمد ابن عاشر وأبي عبد الله ابن بركة وابي الحسن عليم بن عبد العزيز ، وأخذ العربية وآلاداب واللغات عن ابي الحسن ابن النعمة وأبي عبد الله ابن حميد وأبي محمد عبدون وغيرهم وأجاز له جميعهم . وكان مقرئا متصدرا نحويا متحققا لغويا اقرأ واخذ عنه ، لقيته عند أبي رحمه الله وقد قصده زائرا واجاز لي حينئذ جميع روايته بسؤال ابي ذلك منه وتلفظ بالاذن بالتحديث عنه ، وسمعت منه اذ ذاك مسئلة من الجمل للزجاجي وذلك قبل سنة ٦١٢ بعد سماعي من عمه شيخنا أبي عبد الله ابن سعادة المعمر ، وقد أخذ عنه جماعة من اصحابنا وغيرهم .

التكملة ٢/ ٥٩٧ (١٥٧٩) ، بغية الوعاة ١/ ٢٩ (٤٧) .

٦٨ — محمد بن أحمد بن عبد الملك بن عبد العزيز ، أبو مروان الباجي (٥٦٤ — ٦٣٥) ، من أهل اشبيلية وقاضي الجماعة بها . روى عن أبي بكر ابن الجد — سمع منه كثيرا — وعن أبي عمرو عياش ابن عظيمة وأبي اسحاق ابن ملكون ، وأجاز له جماعة . ولي قضاء الجماعة باشبيلية والخطبة بها دهرا طويلا وكان فاضلا متواضعا ولم يكن من اهل العناية بالرواية ، وقد اخذ عنه بعض اصحابنا ، ولقيته غير مرّة واجتمعت به عند ابي بكر ابن محرز شيخنا ، امتحن في الفتنة سنة ٦٣١ فرحل الى المشرق واخذ وحدّث ومات هناك .

التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٤٧٤ (٢٧٩٧) التكملة ٢/ ٦٣٧ (١٦٥٧) ، الوافي ٢/ ١١٨ (٤٥٩)

٦٩ — محمد بن احمد بن محمد بن احمد بن عبد الملك ، ابوعبد الله ابن مشليون (٥٤٢ — ٦٣٢) ، من اهل بلنسية . يروى عن أبي بكر ابن نمارة وغيره . صحبته بحانوت صهرى أبي عبد الله الطبرني ،

وكان كثيرا ما يقعد معنا هنالك ، واستجزته حينئذ ولا اعلم له رواية عن غير ابن نمارة .
وكان فقيها عمّر وأسن .

التكملة ٢/ ٦٣٣ (١٦٤٩) ، الذيل والتكملة ٦/ ٣٤ (٥٨) .

٧٠ _ محمد بن احمد بن محمد بن اسماعيل ابن سلمون ، أبو الحسن (٥٤٧ _ ٦٢٤) ، من أهل بلنسية . روى عن أبي الحسن ابن هذيل واخذ عنه قراءة ورش وسمع منه الموطأ وصحيح البخاري والتيسير لابي عمرو وأجاز له ، وكان عدلا مرضيا له دكان بالعطارين يعقد فيه احيانا . سمعت منه اخبارا وناولني واجاز لي ، ولم يكن له علم بالحديث ولا بغيره ، وقد أخذ عنه بعض اصحابنا .

التكملة ٢/ ٦٢٠ (١٦٢٢) ، الذيل والتكملة ٦/ ٣٦ (٦٨) .

٧٠أ _ محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن احمد الانصارى ، أبو عبد الله ابن اليتيم الاندرشي (٥٤٤ _ ٦٢١) ، من اهل المرية وأصله من بلنسية . سمع ببلده وبلنسية وقرطبة وغرناطة ورحل الى المغرب فسمع بسبتة وفاس وخرج الى الحج واخذ في رحلته .... وكان يذكر ان شيوخه الذين لقيهم واجازوا له نيف على مائة شيخ . وقفل الى بلده فقدم للقضاء ، ثم ولي الخطبة بجامع قصبة المرية ، وكان راوية مكثرا رحالة في طلب العلم عالي الاسناد ، ونسبه بعض شيوخنا الى الاضطراب وغمزه وعلى ذلك انتابه الناس ورحلوا اليه للسماع منه . وقد أخذ عنه من الجلة أبو سليمان ابن حوط الله واكابر اصحابنا . كتب الي بالاجازة لجميع روايته وسمّى جملة من شيوخه وذلك في شعبان سنة ٦١٠ .

التكملة لوفيات النقلة ٣/ ١٣٤ (٢٠٠٩) ، التكملة ٢/ ٦١٣ (١٦١١) ، تكملة اكمال الاكمال ، ٣٣٤ ، الذيل والتكملة ٦/ ٤٤ (٩٠) ، الوافي ٢/ ١١٦ (٤٥٤) ، لسان الميزان ٥/ ٥٠ ، شذرات الذهب ٥/ ٩٥ ، ويستدرك به على الاحاطة .

٧١ — محمد بن احمد بن مسعود بن عبد الرحمن ، أبو عبد الله ابن صاحب الصلاة (٥٤٢ — ٦٢٥) ، من أهل شاطبة . اخذ عن ابي الحسن ابن هذيل قراءة نافع ، وسمع منه كثيرا واحتيج اليه بأخرة من عمره عند انقراض اصحاب ابن هذيل فأخذ عنه ، لقيته مرارا ولم اسمع منه .

التكملة ٢/ ٦٢٢ (١٦٢٥) ، الذيل والتكملة ٦/ ٦٧ (١٤٥) ، الوافي ٢/ ١١٧ (٤٥٥) .

٧٢ — محمد بن ادريس بن علي بن ابراهيم بن القاسم ، ابن مرج كحل (— ٦٣٤) ، من اهل جزيرة شقر . كان شاعرا مفلقا " بديع التوليد والتجويد وقد حمل عنه ديوان شعره وسمعت بلفظه كثيرا منه ، ولم يكن عنده غير معالجة النظم دون استقلال بالآداب . وقد كتب عنه من شيوخنا أبو الربيع ابن سالم ، وأبو عبد الله ابن أبي البقاء وابو عبد الله ابن عسكر وغيرهم .

ولابن الابار عدة ابيات اجازة من ابن عسكر لم يسمعها على ابن مرج الكحل .

زاد المسافر : ٦٩ (٨) ، التكملة ٢/ ٦٣٦ (١٦٥٦) ، برنامج شيوخ الرعيني : ٢٠٨ ، المغرب ٢/ ٣٧٣ ، الذيل والتكملة ٦/ ١١٠ (٢٧٩) ، الوافي ٢/ ١٨١ (٥٣٥) ، الاحاطة ٢/ ٣٤٣ .

٧٣ — محمد بن اسماعيل بن محمد بن اسماعيل بن خميس الجمحي ، أبو عامر (— ٦٢٩) ، من اهل قسنطانة عمل دانية . سمع من شيخنا ابي عبد الله ابن نوح ولازمه وانتفع بصحبته وكان من اسلافه ، وكتب للقضاة ثم ولي قضاء بلنسية — في الفتنة — فحمدت سيرته . وكان فقيها اديبا له حظ من قرض الشعر عارفا بالاحكام مقدما في عقد الشروط حسن الخط من اهل النزاهة والنباهة ، انتقل عن بلنسية مصروفا بالقائم فيها على واليها فقدّم لقضاء شاطبة ، ولما انصرفت من اشبيلية في آخر سنة ٦٢٦ اقمت بها (شاطبة) اياما فسمع مني بعض منظومي وسمعت منه يسيرا بعدما صحبته ببلنسية .

التكملة ١/ ٦٢٨ (١٦٣٨) ، الذيل والتكملة ٦/ ١٢٧ (٣٢٠)

٧٤ _ محمد بن اسماعيل بن محمد بن عبد الرحمن بن مروان بن خلفون الازدى ، ابو بكر وأبو عبد الله (٥٥٥ _ ٦٣٦) ، من أهل أونبه وسكن اشبيلية . سمع أبي بكر ابن الجد وأبي عبد الله ابن زرقون وأبي بكر ابن النيار وجماعة . وكان بصيرا بصناعة الحديث حافظا لا سماء رواته متقنا له تواليف مفيدة منها كتاب سماه بـ "المنتقى في رجال الحديث" في خمسة اسفار وكتاب "المفهم في شيوخ البخارى ومسلم"، وكتاب في علوم الحديث وصفات نقلته وغير ذلك . وولي القضاء ببعض النواحي فحمدت سيرته . حدّث واخذ عنه جماعة من اصحابنا ولقيته بالوراقين من اشبيلية في رمضان سنة ٦٢٦ فذاكرته ولم استجزه ولا سمعت منه شيئا من روايته وكان اهلا للاخذ عنه والسماع منه .

التكملة ٢/ ٦٤٣ (١٦٦٣) ، برنامج شيوخ الرعيني : ٥٤ ، الذيل والتكملة ٦/ ١٢٨ (٣٢٤) ، تذكرة الحفاظ : ١٤٠٠ ، الوافي ٢/ ٢١٨ (٦١١) .

٧٥ _ محمد بن أيوب بن محمد بن وهب ... أبو عبد الله ابن نوح الغافقي (٥٣٠ _ ٦٠٨) ، بلنسي سرقسطي الاصل . روى عن أبي الحسن ابن النعمة وأبي الحسن ابن هذيل وتلا با لسبع عليه ، وعن أبي عبد الله ابن سعادة وأبي عبد الله ابن الفرس وأبي القاسم ابن حبيش وتفقه بأبي بكر ابن عقال واجاز له جماعة وكتب اليه ابو طاهر السلفي من الاسكندرية . وكان من كبار المقرئين وجلة المجودين وكانت الدراية اغلب عليه من الرواية مع وفور حظه منها وميله فيها الى الاعلام المشاهير دون اعتبار لعلو الاسانيد ، وولي خطة الشورى في حياة شيوخه وزاحم كبارهم بالحفظ والتحصيل في صغره ، ولم يكن في وقته بشرق الاندلس نظيرا له تفننا واستبحارا . كان رأسا في الراسخين من العلماء وصدرا في المشاورين من الفقهاء ، قد برع في علوم اللسان وتمرّس حياته كلها

بالمسائل ، وتقدم في الفتيا واضطلع بالغريب وشارك في التفسير وتحقق بالقراءات ، وأما عقد الشروط فاليه انتهت الرياسة فيه وبه اقتدى من بعده ، لم يسبقه احد من اهل زمانه الى ما تميّز به في ذلك مع حسن الخط وبراعة الضبط وتدقيق النظر والامامة في المعارف والبصر بالحديث والحفظ للانساب والاخبار والايضاح لما استغلق من معاني الاشعار الجاهلية والاسلامية وله تنابيه في فنون شتّى وتقييدات شاملة النفع والافادة ، ولو عني بالتأليف لأربى على من سلف. وكان كريم الخلق عظيم القدر سمحا جوادا وولي قضاء بعض الكور النبيهة وخطب بجامع بلنسية وقتا وامتحن بالولاة والقضاة وكانوا يستعينون عليه ويجدون السبيل اليه بفضل دعابة كانت فيه معروفة منه مع غلبة السلامة عليه في اعلانه واسراره واستغراق آناء ليله في تلاوة القرآن ، واطراف نهاره نفعه الله بذلك. وكان على سعة علمه مزجي البضاعة في نظمه ونثره احسن منه. اقرأ القرآن واسمع الحديث ودرّس الفقه وعلم بالعربية والآداب واخذ الناس عنه ورحلوا اليه وانتفعوا به وطال عمره حتى اخذ عنه الاباء والابناء. تلوت عليه القرآن بالسبع واجاز لي وسمعت منه بعد والدي رحمه الله ، ومعه وهو اغزر من لقيت علما وابعدهم صيتا.

التكملة لوفيات النقلة ٢/ ٢٣٣ (١٢١٤) ، التكملة ١/ ٥٨٢ (١٥٥٦) ، الذيل والتكملة ٦/ ١٣٦ (٣٤٦) ، وتاريخ الاسلام ١٨/ ٣٢٥ ، الوافي ٢/ ٢٣٩ (٦٣٩) ، النجوم الزاهرة ٦/ ٢٠٤ ، بغية الوعاة ١/ ٥٨ ، شذرات الذهب ٥/ ٣٤.

٧٦ — محمد بن بكر بن محمد بن عبد الرحمن بن عيسى بن بكر ، أبو عبد الله ابن الصائغ الفهري (— ٦١٨) ، من اهل بلنسية. سمع من شيوخنا أبي عبد (الله) ابن نوح وأبي الخطاب ابن واجب وأبي عمر ابن عات وغيرهم واجاز له أبو عبد الله ابن حميد ، وكتب بخطه علما كثيرا. وكان متحققا بعلم الحساب مشاركا في الطب حافظا للحديث والتواريخ من بيت كتابة ونباهة. صحبته وعارضت معه

كتاب المصابيح لابي محمد ابن مسعود ،وسمعت منه أخبارا واشعارا .

التكملة ٢/ ٦٠٨ (١٦٠٠) ،الذيل والتكملة ٦/ ١٤٤ (٣٧٣) .

٧٧ - محمد بن جعفر بن احمد بن محمد بن جعفر بن سفيان المخزومي (- ٦٣٢) ، من اهل جزيرة شقر . سمع أباه أبا احمد ابن جعفر ورحل حاجا فلقي في طريقه ابا محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلي نزيل بجاية وسمع منه بعض تواليفه واجاز له ،وانصرف الى بلده وسمع منه كتاب " التهجد " لعبد الحق المذكور. لقيته غير مرة واستجازه لي بعض اصحابنا ولم يكن يبصر بالحديث وكان له حظ منزور من منظوم ومنثور.

التكملة ٢/ ٦٣٤ (١٦٥١) ،الذيل والتكملة ٦/ ١٥١ (٣٩٥) ،

٧٨ - محمد بن حسن بن أحمد بن محمد بن موسى بن سعيد ،أبو عبد الله ابن الوزير البطرني (٥٧٣ - ٦٣٧) ،من اهل بلنسية. اخذ القرءات عن ابيه أبي علي وسمع من أبي العطاء وابن نذير واكثر عنه ومن أبي الحجاج يوسف بن محمد المعافرى الشاطبي وغيرهما ،واجاز له أبو محمد ابن عبيد الله وابو جعفر ابن حكم وابو محمد عبد المنعم ابن الفرس وابو بكر ابن أبي جمرة وأبو جعفر ابن عميرة الضبي . وعني بعقد الشروط وكان له فيها نفوذ وبها معرفة مع براعة الخط وحسن الوراقة ، وولي قضاء بعض الكور وشارك في الكتابة. سمعت منه "المعجم في مشيخة أبي علي الصدفي للقاضي ابي الفضل عياض" قرأ جميعه علي بلفظه وسوى ذلك ، وانتقل معي وكان صهري الى مدينة تونس.

التكملة ٢/ ٦٤٧ (١٦٦٨) ،الذيل والتكملة ٦/ ١٥٨ (٤٢٣) .

٧٩ - محمد بن الحسن بن علي ، أبو عبد الله التجيبي (٥٦٠ - ٦١٨) ، من اهل دانية .
سمع أبي القاسم ابن حبيش وأبي عبد الله ابن حميد وأبي القاسم ابن تمام المالقي وأبي محمد ابن
الفرس ، واجاز له أبو طاهر السلفي وقرأ " كتاب سيبوية " على الذهبي تفقها وناظر عنده في
علوم الاوائل ، وكان أديبا كاتبا بليغا له حظ من علم العربية وقد اقرأ بها وقتا ، وولي قضاء
بلده ، وكان كريم العشرة جوادا سمحا واسع المروءة كثير البرة . لقيته ببلنسية ثم بدانية واخذت بها
عنه كتاب "جذوة المقتبس" للحميدى بين سماع ومناولة .

التكملة ٢/ ٦٠٧ (١٥٩٨) ، الذيل والتكملة ٦/ ١٦٢ (٤٣٥) .

٨٠ - محمد بن حسين بن عبد الله بن عمر بن هارون ، أبو عبد الله الشوني (- ٦٠٩) ، سكن
بلنسية . سمع من أبي الحسن ابن هذيل وأبي بكر ابن نمارة وأبي الحسن ابن النعمة وأبي عبد
الله ابن سعادة وأبي محمد عثمان بن يوسف البلحيطي وأبي عبد الله ابن حميد وغيرهم واجاز له
أبو بكر ابن أبي جمرة . وكان مشاركا في الفقه عاكفا على عقد الشروط ، وولي الاحكام ببلنسية مرارا
وكتب بخطه علما كثيرا . لقيته وناولني كتبا منها رسالة ابن ابي زيد ومختصر الطليطلي والتيسير
لابي عمرو المقرىء ، ولم يكن له بصر بالحديث .

التكملة ٢/ ٥٨٧ (١٥٦١) ، الذيل والتكملة ٦/ ١٧٢ (٤٦١) ، تاريخ الاسلام ١٨/ ٣٦٧ .

٨١ - محمد بن طلحة بن محمد بن عبد الملك ، ابو بكر (٥٤٥ - ٦١٨) ، من اهل يابورة ،
وانتقل ابوه الى اشبيلية فسكنها . اخذ القراءات عن ابي بكر ابن صاف والعربية عن ابي اسحاق
ابن ملكون وابي الوليد ابن نام ، وتأدب بهم ، وسمع على الحافظ ابن الجد "كتاب سيبويه"
بقراءة ابي محمد ابن حوط الله ، ولقي السهيلي فسمع عليه بعض كتابه المسمى " الروض الانف"
ولم تكن له عناية بالرواية ، غلب عليه التحقق بالعربية والقيام بها . لقيته باشبيلية ولم اسمع
منه سوى ما كان يقرىء .

التكملة ٢/ ٦٠٥ (١٥٩٥) ، برنامج شيوخ الرعيني : ٧٩ .

٨٢ ــ محمد بن عبد الجبار بن محمد بن خلف ، أبو عبد الله القيسي (ــ ٦١١) ، من اهل دانية وسكن بلنسية . اخذ القراءات عن أبي جعفر ابن طارق وسمع من أبي الحسن ابن النعمة كثيرا وجلّ روايته عنه ، وكتب اليه ابو القاسم ابن حبيش وأبو عبد الله ابن حميد وغيرهما . وكان من اهل التجويد والضبط شديد الاخذ على القارئ معتنيا في ذلك حتى كان يعاب به ، جاريا على سنن اهل السنّة ورعا منقبضا على حدّة كانت فيه . اقرأ بمسجد ابن عيشون من داخل بلنسية وأمّ في صلاة الفريضة به وكانت له حلقة بالجامع منها اثر صلاة الجمع حضرتها غير مرّة وسمعته يفسّر آيات من القرآن في ما يتلى عليه ، استجازه لي عبد الكريم ابن نمارة .

التكملة ٢/ ٥٩٤ (١٥٧٣) ، الذيل والتكملة ٦/ ٣٧٦ (٩٩٧) .

٨٣ ــ محمد بن عبد الرحمن بن عبد السلام الغساني ، أبوعبد الله (ــ ٦١٩) ، من اهل غرناطة . روى عن أبيه وغيره وكان اديبا كاتبا وله شرح في كتاب الشهاب سمّاه ب " مستفاد الرحلة والاغتراب " واجازه لي ، واخذ عنه بعض اصحابنا .

التكملة ٢/ ٦٠٨ (١٦٠٣) ، الذيل والتكملة ٦/ ٣٤٨ (٩٣٣) ، الاحاطة ٣/ ١٧٥ .

٨٤ ــ محمد بن عبد الرحمن بن علي بن محمد بن سليمان ، أبو عبد الله التجيبي (ــ ٦١٠) من اهل لقنت عمل مرسية ، نزيل تلمسان . سمع بمرسية عن جماعة ثم رحل الى المشرق فأدى الفريضة وأطال الاقامة هنالك واستوسع في الرواية وكتب العلم عن جماعة كبيرة ــ أزيد من ١٣٠ شيخا ــ وصحب ابو طاهر السلفي واختص به . واكثر عنه ، وقد جمع في أسمائهم على حروف المعجم تأليفا مفيدا اكثر فيه من الآثار والحكايات والاخبار ووقع الي بخطه سنة ٦٤٠ بتونس فكتبته على الانتخاب والاقتضاب وضمنت هذا الكتاب منه ما نسبته اليه . وقفل من رحلته الحافلة هذه فأخذ عنه بسبتة سنة ٥٤٧ ، ثم نزل تلمسان واتخذها وطنا وحدّث بها وألّف ورحل الناس اليه وسمعوا منه كثيرا .

كان حافظا للحديث محافظا على اسماعه ،عدلا خيارا مقيدا لما روى مفيدا بما جمع وغيره اضبط منه وبرنامجه الكبير مشتمل على فوائد جمّة . روى عنه أكابر اصحابنا وجماعة من جلّة شيوخنا لعلو روايته وتشاهر عدالته ، وكتب الي باجازة ما رواه وألفه في العشر الاواخر من رمضان سنة ٦٠٨ .

التكملة ١/ ٥٨٨ (١٥٦٣) ،الذيل والتكملة ٦/ ٣٥٢ (٩٤١) ،تاريخ الاسلام ١٨/ ٤٦ ، تذكرة الحفاظ : ١٣٩٤ .

٨٥ ـ محمد بن عبد العزيز ابن سعادة ،أبو عبد الله (٥١٤ أو ٥١٦ ـ ٦١٤) ،من أهل شاطبة. تلا بالسبع على أبي بكر ابن نمارة وأبي الحسن ابن هذيل وأبي عبد الله ابن اللاية ، وبقراءة نافع على أبي عبد الله ابن الحسن الداني وأبي عبد الله ابن عريب ، وبقراءة يعقوب على أبي الحسن ابن النعمة واخذ وروى عن جماعة . كان من جملة المقرئين المجودين الضابطين المتقنين ،تصدر للاقراء ببلده ، وكان من اهل الصلاح والقيام على كتاب الله ،حسن الخط جيد الضبط راوية مكثرا عدلا من بقايا اصحاب ابن هذيل المكثرين عنه ،عمّر واسنّ وأخذ عنه الناس ،وقدم علينا بلنسية في أول شوال سنة ٦١٠ فأخذت عنه وسمعت منه وأجاز لي ما رواه عند ذلك وقبله وكان شيخنا أبو الخطاب ابن واجب يوثقه ويثني عليه ويقول بفضله ويقدم صحبته لابي الحسن ابن هذيل وغيره.

التكملة لوفيات النقلة ٢/ ٤١٢ (١٥٥٩) ،التكملة ٢/ ٥٩٩ (١٥٨٢) ،برنامج شيوخ الرعيني : ١٦٥ ،الذيل والتكملة ٦/ ٣٨٣ (١٠٣٠) ، شذرات الذهب ٥/ ٦١ .

٨٦ ـ محمد بن عبد الله بن عمر بن علي الانصاري الضرير ،أبو عبد الله ابن الصفّار (ـ ٦٣٩) ،من أهل قرطبة. سمع ابن بشكوال وابن الجد وابن زرقون وابن حبيش وابن مضاء وأبا ذر الخشني ،

واخذ القراءات عن أبي القاسم الشراط وكتب اليه أبو بكر ابن خير والسهيلي وأبو الحسن ابن كوثر وأبو بكر ابن أبي جمرة وغيرهم ، وكانت له رحلة الى المشرق ولم يحج ، وقفل الى المغرب فسكن مراكش واقرأ هنالك وتجول كثيرا في الفتنة وقبلها واستقر أخيرا بمدينة تونس، وبها لقيته في شعبان سنة ٦٣٦ ثم صحبته بعد ذلك طويلا وسمعت منه بعض روايته واجاز لي بلفظه غير مرة وأملى عليّ اسماء شيوخه وأدعى الاكثار عنهم فاستقربت بذلك وخفت ان يتساهل في الروايات تساهله في الاخبار والحكايات ، وكان يقرأ العربية والآداب ويسمع الحديث وشارك في جميعها مع حظ من قرض الشعر وادراك النثر.

التكملة ٢/ ٦٤٧ (١٦٦٨) ، اختصار القدح : ٢٠٣ ، المغرب ١/ ١١٧ ، الذيل والتكملة ٦/ ٢٨٨ (٧٧٣) .

٨٧ - محمد بن عبد الله بن عيسى بن نعمان البكرى (- ٦٣٢) ، من أهل بلنسية . أخذ القراءات عن أبي بكر ابن جزى وأبي بكر ابن سعد الخير ، علم الفرائض والحساب وأدب بالشعر وكان مقدما فيه متحققا به في وصف الدولاب . ذكر ابن عبد الملك ان ابن الأبار سمع منه بعض منشداته .

التكملة ٢/ ٦٣٣ (١٦٤٨) ، الذيل والتكملة ٦/ ٢٩٤ (٧٧٨) .

٨٨ - محمد بن عبد الله بن محمد بن خلف بن علي بن قاسم الانصارى ، أبو عبد الله (- ٦٤٠) ، من أهل بلنسية . سمع من أبي العطاء ابن نذير وأبي عبد الله ابن نوح وأخذ عنه القراءات والعربية والآداب ولازمه واختص به ، وسمع من أبي الخطاب ابن واجب وكان مقلا من هذا الشأن . وعني بعقد الشروط في أول حياته ثم رغب عن ذلك وزهد في الدنيا واعتزل الناس واقبل على النظر في العلم وكان له تحقق بالتفسير وقيام عليه وقعد لذلك بجامع بلنسية وقتا مع مشاركة يسيرة في النظم

والنشر . أخذ عنه القراءات بمنزله جماعة وسمعوا منه بعض ما رواه على عسر منه ، وطريقة التصوف كانت اغلب عليه ، وألف كتاب "نسيم الصبا" في الوعظ على طريقة الجوزى ، قرأ عليّ بلفظه مواضع منه وكتاب "بغية النفوس الزكية في الخطب الوعظيّة" من انشائه كتبته عنه وسمعت منه غير ذلك وأجاز لي وصحبته طويلا وكان يحدثني باصطحابه مع أبي رحمه الله ، في السماع من أبي عبد الله ابن نوح ويرعى ذلك لي . وقد سمع بقراءتي كثيرا مما اخذت بجامع بلنسية بين العشائين لضوء السراج عن أبي الخطاب ابن واجب ك : جامع الترمذى وغيره . ودعي الى الخطبة بعد وقوع الفتنة وعرف بالحاجة الماسّة اليه في ذلك فأجاب ثم استعفى فأعفى وأقام بشاطبة حال حصار بلنسية لانه كان وجه الى مرسية لاستمداد اهلها ...

التكملة ٢/ ٦٥١ (١٦٧١) ، الذيل والتكملة ٦/ ٣٠٤ (٧٩٥) .

٨٩ — محمد بن عبد الله بن محمد بن علي مفرج بن سهل ، أبو عبد الله ابن غطوس (حوالي ٦١٠) ، بلنسي ، يروى عن أبي الحسن ابن هذيل — فيما أحسب — وكان يكتب المصاحف وينقطها وانفرد في وقته بالامامة في ذلك براعة خط وجودة ضبط ، ويقال انه كتب ألف نسخة من كتاب الله عز وجل ولم يزل الملوك فمن دونهم يتنافسون فيها الى اليوم ، وكان قد آل على نفسه الا يخط حرفا من غيره ولا يخلط به سواه تقربا الى الله وتنزيها لتنزيله فما حنث فيما اعلم . واقام على ذلك حياته كلها خالفا اباه وأخاه في هذه الصناعة التي اشتهروا بها ، وكان معروفا فيها وفي ابداعها آية من آيات خالقه مع الخير والصلاح والانقباض عن الناس والعزوف عنهم . رأيته على هذه الصفة واستفدت منه بعضا من رسوم الخط ولقيته عند معلمي أبي حامد ، وكانت تغلب عليه الغفلة .

التكملة ١/ ٥٩٣ (١٥٧١) ، الذيل والتكملة ٦/ ٣١٤ (٨١٢) ، تاريخ الاسلام ١٨/ ٤٠٥ ، الوافي ٣/ ٣٥١ (١٤٣١) .

٩٠ - محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل السلمي (- ٦٤٨) ، من أهل مرسية . روى بالاندلس عن أبي القاسم ابن حبيش وسبتة ، ورحل الى المشرق وأطال التجول ببلاده وروى عن أبي الحسن المؤيد بن محمد الطوسي بنيسابور وأخذ عن أبي عبد الله الفراوى مسند وقته وسمع منه صحيح مسلم ، ويروى عنه ابن نقطة . وكان شيخا محدثا راوية مكثرا عدلا ثقة تردد بين مكة والمدينة والشام وغيرها من البلدان خمسين سنة فحجّ كل سنة .... ولم يزل فضله يتزيد وذكره بالعلم والفضل والدين يشتهر الى ان توفي بالزعقة (منزل بين العريش والرملة) . قال ابن الابار ، أجاز لنا سنة ٦١٣ ثم بعد الاربعين وستمائة .

٩١ - محمد بن عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن فرح بن الجد الفهرى ، أبو عبد الله (- ٦١٨) ، من اهل اشبيلية . سمع من جده الحافظ أبي بكر ومن غيره ، وكان ذا رياسة عظيمة في بلده ووجاهة عند الامراء متمكنة اورثها عقبه مع الفضل الكامل والسرو الظاهر ، جوادا كثير المعروف والصدقات رفيع القدر بادى التواضع . جالسته في آخر سنة ٦١٦ وسمعت منه ما حكاه في تناهي احوال اشبيلية في ذلك التاريخ واحسبه لم يحدث بشيء مما رواه ولا كان في ذلك شأنه . وتوفي سنة ٦١٨ وكانت جنازته مشهودة وحضرته حينئذ .

٩٢ - محمد بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن ، أبو بكر الزهرى (- ٦٢٣) ، اشبيلي . سمع اباه القاضي ابا الحسن واجاز له ، ولم تكن له عناية بالرواية ومال الى علم الطب فشارك فيه ، وكان فاضلا جليلا كريم الخلق جوادا سمحا ذا خصال كثيرة . لقيته بقصر الامارة في اشبيلية وقد حضر مع الاطباء لمعالجة واليها حينئذ ، وسمعت مناظراته في ذلك واستجزته ما روى عن ابيه . وقد أخذ عنه بعض اصحابنا . توفي عن سن عالية زاحمت التسعين .

التكملة ٢/ ٦١٩ (١٦١٨) عيون الانباء في طبقات الاطباء (ط . بيروت) / ٥٣٦ ، الذيل والتكملة ٦/ ٤٣٣ (١١٦٥) .

٩٣ - محمد بن علي بن الزبير بن أحمد بن خلف ، أبو عبد الله القضاعي (- ٦٢٧) ، من أهل مربيطر واصله من أنده عمل بلنسية . سمع من أبي الحسن ابن النعمة وأجاز له وقرأ عليه برنامجه ولازمه ولم يضبط ما روى عنه وسمع من أبي العباس ابن هذيل ، وأخذ قراءة نافع بن أبي نعيم عن أبي جعفر طارق بن موسى ، وأجاز له من اشبيلية أبو عبد الله ابن زرقون في صفر سنة ٥٨٥ وروى عن أبي عبد الله محمد بن سعيد الخباز وأجاز له أبو الفضل الغزنوى وكتب اليه من الاسكندرية أبو طاهر السلفي في ذى القعدة سنة ٥٧٢ ثم أبو طاهر ابن عوف وأبو عبد الله الحضرمي وأبو الثناء الحراني . وولى الصلاة والخطبة ببلده وتقدم للاحكام بها أوقاتا وكان له بصر بها ويعقد الشروط ومشاركة في علم الفرائض والحساب . حدّث بيسير وأخذ عنه باخرة من عمره ، ولقيته مرارا ببلده ثم ببلنسية وحدثني بحكايات واجاز لي بلفظه ما رواه .

التكملة ٢/ ٦٢٤ (١٦٣٢) ، الذيل والتكملة ٦/ ٤٤٥ (١٢٠١) .

٩٤ - محمد بن علي بن عبيد الله بن الخضر بن هارون ، أبو عبد الله ابن عسكر الغسّاني (- ٦٣٦) ، من أهل مالقة واصله من قرية من غربيّها . سمع من أبي الحجاج ابن الشيخ وأبي القاسم ابن سمجون وأبي الحسن ابن الشقورى وجماعة اخذنا عن بعضهم ، منهم : أبو الخطاب ابن واجب وابو بكر ابن تنترال وأبو محمد ابن القرطبي وأبو سليمان ابن حوط الله وأبو علي الرندى وأبو القاسم الملّاحي ، واجاز له من المشرق جماعة . وولي قضاء بلده مرتين ، وكان فقيها مجيدا لعقد الشروط ، حافظا للغة ، أديبا مليغا مشاركا في العربية وقرض الشعر ، له تواليف منها كتاب "المشرع الروى في الزيادة على غريبي الهروى" أفاد به ، وكتاب "نزهة الناظر في مناقب عمّار بن ياسر" ، ومنها "الجزء المختصر في السلو عن ذهاب البصر" ورسالة في "ادخار الصبر في انتخار القصر والقبر" ، وجمع أربعين حديثا التزم فيها موافقة اسم شيخه اسم الصحابي رضي الله عنه ، وما اراه سبق لذلك . استجازه لي ولطائفة معي صاحبنا أبو بكر ابن أبي العيون .

التكملة ٢/ ٦٤١ (١٦٦١) ، الذيل والتكملة ٦/ ٤٤٩ (١٢١٨) ، الاحاطة ٢/ ١٧٤ .

٩٥ - محمد بن علي بن محمد بن علي ، أبو عامر ابن هذيل (- ٦١٤) ، من أهل بلنسية . أخذ عن أبيه القراءات وسمع منه كثيرا ، ومن أبي الحسن طارق بن يعيش وأبي عبد الله ابن سعادة وأبي الحسن ابن النعمة ، وأجاز له أبو بكر ابن رزق وأبو طاهر السلفي . وكان من أهل الصلاح والورع ، شديد الانقباض عن الناس مقتصرا على باديته معروفا بالعبادة والزهادة ، وكان متعسفا في الرواية لا يسمح بالاخذ ولا يجيب اليه ويتصاغر عن ذلك تواضعا منه ، وربما اجاز لفظا لمن يلحّ عليه ولم يكن له علم بالحديث . لقيته وهبت ان استجيزه لما كنت اعرف من نفوره وعسر انقياده واستجازه لي أبي فتلفظ بذلك .

التكملة ٢/ ٦٠١ (١٥٨٥) ، الذيل والتكملة ٦/ ٤٨٩ (١٢٦٣) .

٩٦ - محمد بن علي بن يوسف بن علي بن يزيد ، أبو بكر الكاتب (- ٦٢٨ أو نحوها) ، من أهل شلب . روى ببلده عن أبي الحسن عقيل بن العقل الخولاني وأبي الحسن هشام بن احمد بن أبان وغيرهما . وسكن بلنسية وقتا وصحبته بعد ذلك باشبيلية وسمعت منه مقطعات من الآداب واجاز لي . وقد اخذ عنه يسير وكان اديبا مشاركا في الكتابة .

٩٧ - محمد بن عيسى بن محمد بن اصبغ ، أبو عبد الله ابن المناصف (٥٦٣ - ٦٢٠) ، من أهل قرطبة . وخرج أبوه عيسى منها في الفتنة عند انقراض الدولة اللمتونية فاستوطن افريقية وبها ولد ابنه عبد الله هذا ونشأ . وتفقه بأبي الحجاج المخزومي قاضي تونس ، وسمع بها من أبي عبد الله بن درقة وانتقل الى تلمسان فسمع من أبي عبد الله التجيبي وله رواية عن أبيه عن جده ولم يحل اسناده . وكان عالما متفننا نظارا صاحب استنباط وتدقيق ، واقفا على الاتفاق والاختلاف معللا مرجّحا مع الحظ الوافر من علم اللغة والآداب ، والتصرف الحسن في قرض الشعر وله اراجيز في غير ما فن حملت عنه وسمعت كثيرا منه . ولم يكن له علم بالحديث ولا عناية بالرواية ، والف كتاب

الانجاد في الجهاد نظهر فيه علمه وبان به تقدمه ، وكتاب الاحكام ، واستدرك على القاضي أبي محمد عبد الوهاب المالكي في التلقين من تأليفه ، باب السلم ، لاغفاله ذلك. وولي قضاء بلنسية وبها لقيته واستجزته بخطي فاجاز لي جميع ما رواه وألفه لثلاث بقين من جمادى الاخرى سنة ٦٠٨ ، ثم نقل منها الى قضاء مرسية . وكان فيه حدّة مفرطة وغلظة في تأديبه أدتّه الى صرفه عن القضاء واسكانه قرطبة بلد سلفه ، ثم لحق بمراكش . وذكره في الغرباء لا يصلح ضنّاً بعلمه على العدوة .

التكملة ٢/ ٦١١ (١٦٠٦) ، برنامج شيوخ الرعيني : ١٢٨ ، المغرب ١/ ١٠٥

٩٨ — محمد بن غلبون بن محمد بن عبد العزيز بن غلبون بن عمر الانصارى (— ٦٣٦) ، من اهل مرسية . صاحبنا ، سمع طائفة من اهل العلم جليلة منهم من شيوخنا . واجاز له جماعة من اهل الاندلس والمشرق ، وكان ذا عناية بالرواية وولي حسبة السوق ببلده ، وكان من النبهاء حسن التقييد والخط مشاركا في فنون غير الحديث . اجاز لي غير مرّة ولقيته بمرسية في آخر سنة ٦٣٦ ووقف على التكملة هذه حينئذ من تأليفي . وكانت له خزانة مملوءة اصولا عتيقة ودفاتر أنيقة ضاعت لاختلاله قبل وفاته بمدّة وبيع اكثرها وهو لا يشعر .

٩٩ — محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن سليمان الزهرى ، أبو بكر ابن محرز (٥٦٩ — ٦٥٥) ، من أهل بلنسية . سمع من جماعة من اهل الاندلس منهم : والده وخالاه ابنا علي بن محمد ابن هذيل ، وأبو محمد ابن عبيد الله وابو محمد ابن حوط الله وابو العطاء ابن نذير وأبو الخطاب ابن واجب وابو بكر ابن أبي جمرة وأبو الحجاج ابن أيوب الشاطبي وابو جعفر ابن مضاء واجاز له جماعة من المشرق . وكان أحد رجال الكمال علما وادراكا ونصاحة مع الحفظ بالفقه والتفنن في العلوم والمثانة في الآداب وحفظ اللغات والغريب وله شعر رائق بديع ، سمعت منه كثيرا واجاز لي . ارتحل الى بجاية بعد الاربعين وستمائة واستوطنها .

التكملة ٢/ ٦٦٤ (١٦٩٢) ، برنامج شيوخ الرعيني : ١٦٦ ، عنوان الدراية : ٢٨٣ ، رحلة ابن رشيد (١٧٣٧) ق / ٥٦ ، الوافي ١/ ١٩٨ (١٢١) .

١٠٠ - محمد بن محمد بن أبي السداد موفّق ، أبوعيسى (٥٥٤ - ٦٤٢) ، من اهل مرسية . سمع أبا القاسم ابن حبيش واكثرعنه واختص به ولازمه من سنة ٥٧٨ الى حين وفاته ، وجماعة . وولي قضاء مرسية والنيابة في الاحكام قبل ذلك عن قضاتها دهرا طويلا وكان من اهل المعرفة بها والثقة والعدالة وسكون الطائر ولين الجانب . لقيته بجامع مرسية في اول ذى القعدة سنة ٦٣٦ عند صدرى من الرسالة التي وجهت فيها الى تونس منتصف السنة المذكورة وجالسته بدار الامارة بمرسية مرارا ولم اسمع منه ، وقد اجاز لي غير مرّة جميع روايته . واخذ عنه جماعة من اصحابنا وكان أهلا لذلك وان لم يكن يبصر بالحديث .

التكملة ٢/ ٦٥٤ (١٦٧٧) ، برنامج شيوخ الرعيني : ١٦٣ .

١٠١ - محمد بن محمد بن سعيد بن أحمد بن عبد البر بن مجاهد الانصارى ، أبو الحسين ابن زرقون (٥٣٩ - ٦٢١) ، من أهل اشبيلية . سمع من أبي العباس ابن مضاء وأبي القاسم السهيلي واجاز له ابو طاهر الخشوعي من المشرق . كان فقيها مالكيا حافظا مبرزا متعصبا للمذهب قائما عليه حتى امتحن بالسلطان من أجله واعتقل مدّة بسبتة . ومن تواليفه الكتاب المعلّي في الرد على المحلّي والمجلّي لابي محمد ابن حزم ، وكتاب قطب الشريعة في الجمع بين الصحيحين ، ومنها اقتضابه لكتاب الاموال لابي عبيد وغير ذلك ، وله كتاب في الفقه لم يكمله سمّاه تهذيب المسالك في تحصيل مذهب مالك . كتب الي باجازة ما رواه وألّفه في سنة ٦٠٨ ثم لقيته باشبيلية غير مرّة في سنة ثمان عشرة وقبلها . ولم يكن له بصر بالحديث وكان يعترف بالقصور عنه ، وعلى ذلك عني الناس بالسماع منه ، وقد كتب عنه من الجلّة شيخنا ابو الربيع ابن سالم ، وعندى بخطه مجموعة في حديثي جابر

وبريرة. وعاد بآخرة من عمره الى تدريس الفقه وتعليم الرأى مع ذكره للآداب وعمارة مجلسه به ، وربما نظم اليسير.

التكملة ٢/ ٦١٦ (١٦١٢) ، برنامج شيوخ الرعيني : ٣١ .

١٠٢ ـ محمد بن محمد بن سليمان بن محمد بن عبد العزيز الانصارى ، أبوعبد الله ابن أبي البقاء ـ وابن أبي البقاء خاله ـ (٥٦٣ ـ ٦١٠) ، من أهل بلنسية . سمع من أبي العطاء ابن نذير وأبي بكر ابن أبي جمرة وابن نوح الغافقي ، وأجازه ابو محمد ابن الفرس وابو ذر الخشني ، وروى بالاجازة العامة عن أبي مروان ابن قزمان وأبي طاهر السلفي لاجازته لاهل الاندلس . وكان شديد العناية بالسماع والرواية مع الحظ الوافر من المعرفة والدراية ، يتحقق بعلم اللسان ويتقدم في العربية عاكفا على اقرائها والتعليم بها قائما على كتبها ، بصيرا بصناعة الحديث مكبا عليها معنيا بها معانيا للتقييد مع حسن الخط وجودة الضبط وكتب بخطه علما جمّا وربما تعيّش من الوراقة أوقاتا لاقلاله . قرأ واقرأ كبيرا وأفاد واستفاد كثيرا ، وقد نقلت من خطه ما نسبته اليه في هذا الكتاب وأجاز لي بلفظه وسمعت منه بعض نظمه ، وبقراءته على شيخنا أبي الخطاب ابن واجب كثيرا ، وكان شاعرا مجودا حسن التصرف مقطعا ومقصدا .

التكملة ٢/ ٥٨٧ (١٥٦٢) ، تاريخ الاسلام ١٨/ ٤٠٨ ، الوافي ١/ ٢١٥ (١٤٣) ، بغية الوعاة ١/ ٢٢٤ .

١٠٣ ـ محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد ، أبو حامد بن أبي زاهر (ـ ٦٣٣) ، من اهل بلنسية . أخذ القراءات عن ابيه وسمع من أبي العطاء ابن نذير وأبي عبد الله ابن نسع كثيرا ومن غيرهما ، وأدّب بالقرآن ـ وهو كان معلمي وعنه اخذت قراءة نافع وبه انتفعت في صغرى وسمعت منه وأجاز لي . وسمع مني كتاب "معدن اللجين في مراثي الحسين" من تأليفي ،

وكان امرأ صدق ناشئا في الصلاح ، محافظا على الخير متواضعا يجمع الى جودة الضبط براعة الخط ، ونحا فيما كتب من المصاحف منحى أبي عبد الله ابن غطوس فأجاد ، وصلى بالناس الفريضة في مسجد رحبة القاضي من داخل بلنسية دهرا طويلا ، وكان من العدالة والنزاهة بمكان .

التكملة ٢/ ٦٣٥ (١٦٥٤) .

١٠٤ ـ محمد بن محمد بن وضاح ، أبو بكر اللخمي (٥٥٩ ـ ٦٣٤) ، من اهل جزيرة شقر . وصاحب الصلاة والخطبة بجامعها ، روى عن أبيه ابي القاسم واخذ عنه القراءات وسمع أبا اسحاق ابن فتحون ، ورحل حاجّا فأدى الفريضة في سنة ٥٨٠ ولقي بالقاهرة أبا محمد قاسم ابن فيّره الشاطبي فسمع منه قصيدته الطويلة في الاقراء المعروفة " بحرز الاماني ووجه التهاني " واجاز له ما رواه وصنفه في جمادى الآخرة سنة احدى وثمانين ، وسمع ببجاية واجاز له جماعة ، وتصدر ببلد للاقراء وحدّث بيسير واخذ عنه الناس وكان رجلا صالحا لقيته مرارا وكتب الي باجازة ما رواه .

التكملة ٢/ ٦٣٥ (١٦٥٥) .

١٠٥ ـ محمد بن مفضّل بن حسن بن عبد الرحمن بن محمد بن مهيب ، أبو بكر اللخمي (٥٨١ ـ ٦٤٥) ، اصله من طلبيرة وولد بأوريولة وسكن المريّة . سمع من ابن عمه الحاج أبي اسحاق ابن علي ومن أبي الحسن ابن زرقون شيخنا وأبي اسحاق ابن الحاج الزاهد واصهر اليه . ولي الخطبة بقصبة المرية وكان أديبا شاعرا مكثرا مائلا الى التصوف . لقيته بتونس في ونادته عليها وسمعت منه وسمع منّي واجاز لي بلفظه واجزت له كذلك . ويروى كتاب "الجواهر الثمينة" أبو عبد الرحمن ابن غالب . وتوفي بسبتة .

التكملة ٢/ ٦٥٨ (١٦٨٢) .

١٠٦ - محمد بن وهب بن لب بن عبد الملك بن أحمد ، أبو عبد الله (٥٥١ - ٦١٣) ، من اهل بلنسية واصل سلفه من شنتمرية الشرق . سمع اباه وابا الحسن ابن هذيل وابا القاسم ابن حبيش وأبا عبد الله ابن حميد وغيرهم ، واجاز له أبو طاهر ابن عوف وابوعبد الله ابن الحضرمي وكتب اليه السلفي والى اخيه واجاز له أبو بكر ابن ابي جمرة . وكان يعقد الشروط ، وحدث بيسير . اخذت عنه جملة من أول الملخص للقابسي وكان قد سمعه على ابن حبيش بقراءة اخيه ابي عامر ، وعاقني عن اكماله بالقراءة مرضه الذى توفي منه ليلة الثلاثاء الثامن والعشرين لشوال من سنة ٦١٣ .

التكملة ٢/ ٥٩٥ (١٥٧٦) .

١٠٧ - محمد بن يحيى بن هشام بن عبد الله بن احمد ، أبوعبد الله ابن البرذعي (٥٧٥ - ٦٤٦) ، من اهل الجزيرة الخضراء . روى عن أبيه وأبي عمرو ابن حسن واخذ عنهما القراءات واخذ العربية عن أبي القاسم وأبي ذر الخشني وأبي الحسن ابن خروف وأبي علي الرندى واجاز له ابو القاسم ابن سمجون وابوعبد الله بن النسرة وابو زيد الغمارى .

وكان اماما في صناعة العربية بصيرا بها عاكفا عليها معلما بها مقدما فيها يعترف له بذلك اهل زمانه ، وكان الاستاذ أبو علي الشلوبين - واليه انتهت الرياسة في صناعتها بالاندلس - وقد اخذ هو عنه ، يثني عليه بمعرفتها ويقر له باحكام قوانينها وله فيها تواليف - وله تقييدات مفيدة في فنون شتى ومشاركة في غير ما علم مع تصرف في الآداب ينظم به وينثر . لقيته بتونس وصحبته اعواما واخذت عنه كثيرا واجاز لي خطا ولفظا غير مرة ، وتوفي ليلة الاحد ١٤ من جمادى الاخرى سنة ٦٤٦ وشهدت جنازته .

التكملة ٢/ ٦٦٠ (١٦٨٤) .

١٠٨ ـ نذير بن وهب بن لبّ بن عبد الملك ، أبو عامر الفهرى (٥٥٨ ـ ٦٣٦) ، من اهل بلنسية • اخذ القراءات عن ابيه أبي العطاء وسمع منه واكثر عنه ومن أبي بكر ابن جزى وابي القاسم ابن حبيش وأبي عبد الله ابن حميد وأبي بكر ابن مفوّز وأبي بكر ابن بييش ، وتفقّه به وبأبي بكر ابن جمرة • عني بعقد الشروط فلم يكن احد يدانيه في ذلك حسن مأخذ وسهولة الفاظ وبراعة مساق مع مشاركة في الفقه • وكان قائما على "الكامل" للمبّرد ، كثيرا ما سمعته يورد اشعاره ويورد من حفظه اخباره • وولي قضاء بعض الكور وحدّث باخرة من عمره فاخذ عنه جماعة من اصحابنا ، وسمعت منه كثيرا واجاز لي لفظا وخطا • ولما تغلب الروم على بلنسية قصد دانية وولي قضاءها الى ان توفي بها في العشر الوسط لشعبان سنة ٦٣٦ بعد ستة اشهر من الحادثة على بلنسية وانا حينئذ بحضرة تونس في توجّهي اليها •

التكملة ٢/ ٧٥٩ (١٨٨٠) •

١٠٩ ـ يحيى احمد بن محمد بن أحمد بن طاهر الانصارى ، أبو الحسين الداني (ـ ٦٣٤) ، سكن شاطبة وسمع من صهره ابي بكر ابن أبي حمزة وأبي الخطاب ابن واجب وجماعة كثيرة ، وعني بهذا الشأن مع الحظ الوافر من البلاغة والكتابة والضرب بسهم في الشعر الى نباهة بيت • سمعت منه اخبارا وصحبته مدّة • وقد صارت اليه في الفتنة رياسة شاطبة وتدبير امورها من قبل محمد ابن يوسف بن هود •

التكملة (مدريد) رقم ، ٢٠٦٧

١١٠ ـ يحيى بن أبي بكر بن عصفور ، أبو زكرياء العبدرى (٥٧١ ـ

تلمساني • قرأ الموطأ على أبي بكر محمد ابن مفرج ابن سعادة الاشبيلي واجاز له • واخذ صحيح مسلم وسمع صحيح البخارى وغير ذلك على أبي عبد الله التجيبي وصحبه كثيرا واجاز له واخذ عن أبي

محمد ابن حوط الله وأبي العباس احمد بن سلمة اللورقي وأبي القاسم ابن ملجوم وأبي البقاء يعيش بن على ابن القديم وغيرهم • كان حافظا محدثا ، له كتب ظهر فيها نبله • ذكر ابن عبد الملك انه اجاز ابن الابار ولم يلقه •

برنامج شيوخ الرعيني : ١٧١ _ ١٧٢ •

١١١ _ يحيى بن داود ، أبو زكرياء القادلي (_ ٦١٢) ، نزيل فاس • سمع من أبي عبد الله ابن الرمامة وأبي الحسن ابن حنين وتفقّه على مشيختنا ، وكان له حظ من الفقه والاصول والعربية ، ولي قضاء جزيرة شقر مدّة طويلة ، سمعت منه كتاب "الشهاب" للقضاعي بقراءتي لسماعه من ابن حنين عن مؤلفه •

التكملة (مدريد) رقم : ٢٠٧٢ •

١١٢ _ يحيى بن زكرياء بن علي بن يوسف الانصارى ، أبو زكرياء الجعيدى (توفي في جمادى الاولى سنة ٦١٩ وله ثمان واربعون سنة) ، بلنسي • اخذ القراءات عن ابي عبد الله ابن حميد وابي عبد الله ابن نوح وسمع من أبي العطاء نذير وأبي عبد الله ابن نسع وجماعة وتصدّر للاقراء في حياة الشيوخ ، وكان احد العلماء لحقيقة الاداء مع الصلاح التام والورع المحض والخشوع الصادق ، اخذت عنه "الكافي" لابي عبد الله ابن شريح وبقراءتي سمعه منه جماعة وسمعت بقراءته كثيرا على ابن نوح وابن واجب ، وكان صاحب والدى •

التكملة (مدريد) رقم : ٢٠٦٣ ، صلة الصلة : ١٩٢ (٣٨٢) •

١١٣ - يحيى بن عبد الله بن محمد بن حفص الانصارى أبو الحسين الداني (٥٦٤ - ٦٢٣)، داني . سمع ابا القاسم ابن حبيش وعبد المنعم ابن الفرس وجماعة وكتب للولاة وخطب ببلده وكان جوادا مضيافا عني بالآداب، لقيته بدار الامارة وسمعت منه .

التكملة (مدريد) رقم : ٢٠٦٤ .

١١٤ - يوسف بن احمد بن عباد التميمي ، أبو الحكم الملياني و- ٦٢١) . تجول في الارض ولقي السهروردى صاحب "التلقيحات" بمدينة ملطية سنة تسعين واخذ عنه ، وسكن دانية ونوظر عليه بها واخذ عنه ابو اسحاق ابن المناصف وابو عبد الرحيم ابن غالب ورأيته مرارا وكان شاعرا مجودا ، شيعيا غاليا .

التكملة (مدريد) رقم : ٢١٠٠

١١٥ - يوسف بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي الفتح ، ابو الحجاج ابن المرينة (٥٨٩ - ٦٣٦) ، بلنسي . صاحبنا سمع معنا من أبي عبد الله ابن نوح وابي عبد الله ابن سعادة وأبي الخطاب ابن واجب وابي عبد الله ابن زلال وابي سليمان ابن حوط الله ، وانفرد بلقاء جماعة . مهر في علم العربية وقعد لاقرائها نحو عشرين سنة وكان معتنيا بالرواية مشاركا في الفقه مع الصلاح والزكاء وولي قضاء بلنسية سنة ٦٣٣ وقد سمعت منه وتوفي بشاطبة .

١١٦ - يوسف بن محمد بن علي بن خليفة ، أبو الحجاج القضاعي الاندى (- ٦٣٥) ، نزل بلنسية . سمع ابا محمد ابن عبيد الله وأبا الحسن ابن النفرات وجماعة واخذ العربية عن أبي ذر الخشني وابي بكر ابن زيدان واقرأ العربية حياته كلها ، وكان خيّرا منقبضا منعزلا مقبلا على شأنه . اخذت عنه جملة من كتب النحو واللغة واجاز لي .

١١٧ - واجب بن محمد بن عمر بن محمد بن واجب (- ٦١٠) بلنسي . سمع ابن هذيل وابن سعادة وابن النعمة ، وولي القضاء باماكن . سمعت منه واجاز لي .

التكملة (مدريد) رقم : ٢٠٣١ ، تاريخ الاسلام ٤١٧/١٨ .

استدراكــات

١١٨ - اسماعيل بن ظافر بن عبد الله العقيلي ، أبو طاهر (- ٦٢٣) ، مصرى . قرأ القرآن الكريم بالقراءات وقرأ الادب ونظر في التفسير وسمع من جماعة من الاكابر ، وتصدّر بالجامع الظافرى بالقاهرة . كان مقرئا محدثا مالكيا عالما ورعا جامعا لخصال جميلة ومآثر حميدة وآثر الاشتغال بالكسب وانقطع عما يقضي التقدم واذا قصد للاجابة أفاد . ذكر ابن عبد الملك انه أجاز ابن الابار ولم يلقه .

التكملة لوفيات النقلة ٣/ ١٨٤ (٢١١٣) وفيه ذكر لمصادر اخرى .

١١٩ - حمزة بن علي بن عثمان بن يوسف بن ابراهيم ، ابو القاسم القرشي المخزومي الاشرف (٥٤٧ - ٦١٥) ، مصرى . سمع بمصر من أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد المصيصي وغيره ورحل الى الاسكندرية مسمع من السلفي وابن عوف الزهرى وأبي الحسن الرازى وجماعة وسمع بدمشق من جماعة ، وحدّث بالاسكندرية ومصر وبغداد ودمشق وغيرها . وحصّل الاصول وكتب بخطه . ذكر ابن عبد الملك انه اجاز ابن الابار ولم يلقه .

التكملة لوفيات النقلة ٢/ ٤٥٠ (١٦٤٢) .

١٢٠ - سهل بن محمد بن سهل بن محمد بن احمد بن ابراهيم بن مالك ، أبو الحسن الغرناطي (- ٦٤٠) ، سمع خاله ابا عبد الله ابن عروس وأبا بكر يحيى بن محمد ابن عروس خال والدته وأبا الحسن ابن كوثر وأبا خالد ابن رفاعة وأبا محمد ابن الفرس ، وبمرسية أبا القاسم ابن حبيش وأبا عبد الله ابن حميد ، وبمالقة أبا القاسم السهيلي وأبا عبد الله ابن الفخار وجماعة . وكان من جلة العلماء الادباء والائمة البلغاء الخطباء مع التفنن في العلوم وكان رئيسا في بلده ، جوادا محببا معظما ، نالته في الفتنة محنة وغرّب عن غرناطة الى مرسية واسكنها مدّة الى ان هلك محمد

ابن يوسف بن هود بالمرية سنة ٦٣٥ نسّخ الى بلده • رأيته باشبيلية سنة سبع عشرة وأجاز لي مروياته وتواليفه •

التكملة (مدريد) رقم : ٢٠٠٧ ، برنامج الرعيني : ٥٩ ، المغرب ٢/ ١٠٥ ، اختصار القدح المعلّي : ٦٠ ، الذيل والتكملة ٤/ ١٠١ (٢٢٩) ، رحلة ابن رشيد (رقم ١٧٣٧) ق/ ٥٥ ، الوافي ١٦/ ٢٣ (٢٨) ، الاحاطة ٤/ ٢٧٧ ، الديباج المذهب : ١٢٥ ، بغية الوعاة ١/ ٦٠٥ •

١٢١ ـ عبد الحق بن محمد بن علي بن عبد الرحمن بن علي ، أبو محمد الاندى (٥٣٧ أو ٥٣٨ ـ ٦٢٢) ، نزيل بلنسية • حج سنة اثنتين وسبعين وسمع "اربعين السلفي" ، وكان محترفا بالتجارة عدلا ، سمعت منه الاربعين وقد سمعها منه أبو محمد وأبو سليمان ابنا حوط الله ، وعمّر واسنّ حتى الحق الصغار بالكبار •

التكملة (مدريد) رقم : ١٨١٠ ، اختصار القدح : ١٣٥ ، المغرب ١/ ١٢١ ، صلة الصلة : ١٠ (١٣) •

١٢٢ ـ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الخزرجي ، ابو زيد القمارشي (ـ ٦٣٧) ، من أهل مالقة • سمع أبا جعفر ابن حكم وأبا الحجاج ابن الشيخ وابا مروان الميّرقلي وغيرهم ، وحدّث واخذ عنه • كتب اليّ باجازة ما رواه مع جماعة من اصحابنا في شعبان سنة ٦٣١ • وكان شيخا صالحا •

التكملة ٢/ ٥٨٦ (١٦٤٣) ، برنامج شيوخ الرعيني : ١٤٠ •

١٢٣ ـ عبد الرحمن بن محمد بن علي بن جميل ، أبو زيد المعافرى • (بعد ٦٤٠) ، من أهل مالقة • سمع من أخيه أبي الحسن علي واستجاز له في رحلته بالمشرق جماعة منهم أبو الفرج يحيى ابن أبي الرجاء محمود من رواة أبي علي الحداد صاحب أبي نعيم الحافظ ثم رحل هو لأداء الفريضة بعد اخيه وعاد الى بلده • واجاز لي ما رواه ولطائفة من اصحابنا في شعبان المذكور قبل (يعني ٦٣١) ولم يسمّ احدا من شيوخه •

التكملة (مدريد) رقم : ١٦٤٤ •

١٢٤ ـ عبد السلام بن الحسن بن عبد السلام بن علي بن احمد ، أبو محمد ابن الطوير الفهري (ـ ٦١٧) ، قيسراني الاصل ، مصرى المولد والدار. سمع بالاسكندرية من الحافظ أبي طاهر احمد بن محمد الاصبهاني . وكان كاتبا عدلا جيد الخط ، قال الشعر وتقلّب في الخدم الديوانية وخدم في دولة بني عبيد (الفاطمية) والدولة الايوبية ، واقام يشهد ستين سنة او زيادة عليها . ذكر ابن عبد الملك انه أجاز ابن الابار ولم يلقه .

التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٧ (١٧٢٥) وفيه ذكر لمصادر اخرى .

١٢٥ ـ عبد العزيز بن أبي الفتح احمد بن عمر بن سالم ، أبو بكر ابن باقا (٥٥٥ ـ ٦٣٠) ، عراقي سيبي الاصل مصرى الدار. سمع ببغداد من أبي الحسن علي بن أبي سعد الخبّاز وأبي القاسم يحيى بن نبدار وأبي زرعة طاهر المقدسي وغيرهم . محدث مكثر ، تاجر نعت بالصفي وكان حنبليا . ذكر ابن عبد الملك انه أجاز ابن الابار ولم يلقه .

التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٣٤٩ (٢٤٨٦) وفيه ذكر لمصادر ترجمته .

١٢٦ ـ عبد العزيز بن سحنون بن علي الغماري النالي ، أبو محمد (ـ ٦٢٤) ، مصرى . حدّث بمصر عن السلفي وابن برّي وغيرهم نحوى عدل تصدّر بجامع مصر لاقراء العربية وانتفع به الناس . ذكر ابن عبد الملك انه أجاز ابن الابار ولم يلقه .

التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٢١٣ (٢١٧٥) وفيه ذكر لمصادر اخرى .

١٢٧ ـ عبد العظيم بن عبد القوى بن عبد الله بن سلامة بن سعد ، أبو محمد زكي الدين المنذرى (٥٨١ ـ ٦٥٦) ، ولد بفسطاط مصر. ابتدأ بسماع الحديث بافادة والده وله من العمر عشر سنين وحضر مجالس العلماء ولازم الحافظ أبا الحسن علي بن المفضل المقدسي وانتفع به انتفاعا كثيرا ، وسمع بالمدينة النبوية وبدمشق وبحران والاسكندرية وبيت المقدس. درّس بالجامع الظافرى

بالقاهرة ثم ولي مشيخة الدار الكاملية وانقطع بها ينشر العلم عشرين سنة. كان عديم النظر في علم الحديث على اختلاف فنونه عالما بصحيحه وسقيمه ومعلوله وطرقه متبحرا في معرفة احكامه ومعانيه ومشكله، قيّما بمعرفة غريبه واعرابه واختلاف الفاظه، اماما حجا ثبتا ورعا متحريا فيما يقوله مثبتا فيما يرويه. له مؤلفات كثيرة في الحديث والفقه والتاريخ يبلغ عددها ٢٥ مؤلفا منها اربعيناته، والترغيب والترهيب، وعمل اليوم والليلة، والتكملة لوفيات النقلة.

وقد أورد ابن عبد الملك في الذيل والتكملة رسالة لابن الابار خاطب بها الامام المنذري شاكرا وشافعا في تلميذ، وخاطبه بسيدنا وشيخنا وسمى نفسه بالتلميذ.

تذكرة الحفاظ : ١٤٣٦ وانظر كتاب الدكتور بشار عواد معروف عنه، النجف ١٩٦٨.

١٢٨ — علي بن أبي نصر فاتح بن عبد الله، أبو الحسن البجائي (٥٦٦ — ٦٥٢)، وأبوه رومي أسلم. دخل الاندلس قبل التسعين ثم حج فسمع يونس بن يحيى الهاشمي بمكة وبالقدس ابا الحسن ابن جبير وبدمشق أبا القاسم الحرستاني وجماعة ثم عاد الى بجاية فحدّث بها وسمعت منه وكان من أهل الاتقان والعدالة والزهد والانقباض.

١٢٩ — علي بن محمد بن علي بن محمد بن يحيى، أبو الحسن الشاري (— ٦٤٩)، والشّارة بشرق الاندلس، سبتيّ المولد. سمع أبا محمد بن عبيد الله، وسمع من أبي الحسن ابن خير بعض شعره واخذ العربية عن أبي ذر الخشني وأبي الحسن ابن خروف، وسمع بفاس أبا عبد الله الفندلاوي وجماعة واخذ القراءات عن أبي زكرياء الهوزي وأجاز له أبو زيد السهيلي وجماعة. وشارك في فنون مع الشرق الطاهر والمروة، واقتنى من الدواوين شيئا عظيما. ولم يذكر ابن الابار

انه لقيه او استجازه. وقد ذكر ابن عبد الملك انه كتب الى ابن الابار مجيزا ولم يلقه.

التكملة (مدريد) رقم: ١٩٢٢، صلة الصلة: ١٤٩ (٣٠٠)

١٣٠ - عمر بن مودود بن عمر الفارسي، أبو البركات السلماسي يلقب بشرف الدين (بعد ٦٤٠ وقال ابن الزبير ٦٣٩) من اهل سلماس من بلاد الفرس، روى باصبهان عن أبي عبد الله محمد بن محمود بن الفرج الهمذاني سمع عليه صحيح النجاري عن ابي الوقت، تعلم العربية والفقه. وهو من ابناء الملوك، انتقل الى المغرب ودخل سبته وسكنها مدة ثم رحل الى مالقة في حدود الثلاثين وستمائة واستوطنها وسمع منه بها ثم انتقل الى مراكش وتصدى لاقراء علم الكلام فيها، وكان من أهل التصوف. أجاز لي ما رواه سنة ٦٣١.

التكملة (مدريد) رقم ٢٢٥٢، برنامج شيوخ الرعيني: ١٧٣، صلة الصلة: ٧٤ (١٣٤).

١٣١ - محمد بن أبي عبد الرحمن احمد بن أبي سعيد ابن حموية، أبو سعد الجويني (٥٤١ - ٦١٤) خراساني الاصل استوطن القاهرة. سمع بالاسكندرية من أبي طاهر احمد بن محمد الاصبهاني وبمصر من ابي الحسن عبد الجبار المخزومي الفرّاش، وأجاز له ابو بكر ابن النقور وابو القاسم يحيى ابن بندار وجماعة سواهم. كان محدثا من بيت علم وزهد ورواية وتقدم فكان منقطعا بالخانقاه السعدية بالقاهرة. ذكر ابن عبد الملك انه اجاز ابن الابار ولم يلقه.

التكملة لوفيات النقلة ٢/ ٣٩٦ (١٥٢٩) وفيه ذكر لمصادر اخرى.

١٣٢ – محمد بن عبد الله بن أبي الحسن محمد بن عبد الله ، أبو محمد الرملي (٥٤١ – ٦١٣) ، رملي الاصل مصرى المولد والدار . سمع من الفقيه ابي محمد ابن غدير السعدى وأبي الفتح الزيدى . محدّث خطيب شافعي . ناب في الحكم العزيز عن قاضي القضاة ابن القاسم بن عبد العلي واضيف اليه الحكم ببلاد من صعيد مصر الادنى وولي الخطابة ايضا بجيزة الفسطاط . وحدث بمصر وغيرها . ذكر ابن عبد الملك انه اجاز ابن الابار ولم يلقه .

التكملة لوفيات النقلة ٢/ ٣٨٩ (١٥١١) وفيه ذكر لمصادر اخرى .

تلامــــذتـــــه :

١ - ابراهيم بن محمد بن أبي القاسم ، أبو اسحاق التجاني (حوالي ٦٦٠)، تونسي • سي
من أسرة عريقة في العلم والادب والرياسة • روى عن جماعة كثيرة • وقد انتصر لابن الابار
بتأليفه " موازرة الوافد ومبارزة الناقد " • وقد اخذ عن ابن الابار وتدبج معه •

رحلة ابن رشيد (رقم : ١٧٣٥) ق / ٢٠ وما بعدها •

٢ - احمد بن محمد بن حسن بن محمد ، أبو العباس ابن خضر الصدفي الشاطبي (- ٦٧٤)،
لقي ببجاية ابا بكر ابن محرز وأبا عبد الله ابن الابار وأجاز له جماعة • كان راوية مقرئا عدلا
ضابطا على حال عفاف ونسك • له كتاب في مرسوم الخط وألف ايضا جزءا في بيان تمكين
ورش حروف المد واللين الثلاثة وآخر في بيان مذهب ورش في تفخيم اللام وترقيقها •

عنواد الدراية : ٨٥

٣ - احمد بن محمد بن سليمان بن شنيف العقيلي ، أبو جعفر (- ٦٦٤) ، بلنسي • روى عن
أبي الربيع ابن سالم وأبي عبد الله ابن الابار وأبي علي ابن الشلوبين وابن حريق وابي المطرف ابن
عميرة • وكان نبيل الخط متقن التقييد كتب الكثير وعني بالآداب ، وكان شديد الطلب لجمع فوائد
الآداب كثير الحرص عليها ، وقد اخذ عنه ابن عبد الملك المراكشي وجالسه طويلا وصارت اليه
فوائده •

الذيل والتكملة ٤٣٠/١ (٦٤١) •

٤ - سعيد بن حكم بن عمر بن احمد ، أبو عثمان القرشي (٦٠١ - ٦٨٠) طبيرى ، اخذ
باشبيلية عن أبي الحسن الدباج وابي الحسن ابن زرقون وابي علي الشلوبين واجاز له من اهل
الاندلس جماعة كبيرة فيهم : أبو بكر ابن محرز وابو الحسن ابن عصفور وابو الحسين ابن السراج

وأبو عبد الله ابن الابار وغيرهم ، ومن اهل المشرق جماعة . وكان نحويا اديبا حسن التصرف في انشاء الكلام نثرا ونظما مشاركا في الفقه والحديث ومعرفة رجاله ذا حظ صالح من علم الطب . وقد خلص اليه حكم منرقة مدة .

الذيل والتكملة ٤/ ٢٨ (٦٧) وفيه ذكر لمصادر اخرى .

٥ ـ عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن موسى بن سليمان الازدى ، أبو محمد ابن برطله (٥٨٠ ـ ٦٦١) ، من اهل مرسية . اخذ عن ابي عمر احمد بن عات وابي محمد ابن حوط الله وابي عبد الله ابن اصبغ وابن مرج كحل وابن سالم ، وذكر ابن عبد الملك انه اخذ عن ابن الابار ، قدم افريقية بعد سنة ٦٤٠ وسكن بجاية وولي بها صلاة الفريضة بجامعها الاعظم وقضى مدينة الجزائر وغيرها . وكان محدثا عدلا ضابطا مكثرا من الثقات الاثبات له براعة في الادب .

عنوان الدراية : ٣٢٢ وراجع فهارس برنامجي الوادى آشي والتجيبي .

٦ ـ عبد الله بن محمد بن هارون بن محمد ، أبو محمد القرطبي (٦٠٣ ـ ٧٠٢) ، قرطبي . اخذ عن جده لامه ووالده وأبي القاسم ابن بقي وابنا حوط الله وابي الحسن سهل بن مالك ، وذكر ابن عبد الملك انه اخذ عن ابن الابار . قال الصفدى : طلب العلم في حداثته قرآت وحديث وفقه ولغة ونحو وأدب ، ومهر في الآداب وله حظ من النظم . وقال قاضي القضاة العلامة تقي الدين السبكي : رأيت بخط ناصر الدين ابن سلمة الغرناطي : شيخنا ابن هارون فيه تشيع وانحراف عن معاوية وابنه يطعن فيهما نظما ونثرا ، اختلط بعد انفصالي عنه وبان اختلاطه .

برنامج الوادى آشي : ٥١ ، والوافي ١٧/ ٥٨٦ (٤٩٣) وفيه ذكر لمصادر اخرى .

٧ — علي بن ابراهيم بن محمد بن أبي القاسم التجاني ، أبو الحسن (٦٣٥ —) ، تونسي . اخذ عن جدّه لامه القاضي ابي القاسم عبد الرحمن بن عبد السلام الجمحي يعرف بابن القاضي ، وأبي عبد الله محمد بن عبد الجبار ، السوسي وأبي عبد الله محمد بن بشارة الكندى وأبي محمد ابن برطلة وأبي الحسن حازم القرطاجني وأبي اسحاق ابراهيم بن رشيق وأبي عبد الله ابن الابار ، واجازه جماعة من المشارقة بافادة ابي اسحاق البلفيقي واخذ عنه . وتصدّر لاقراء العربية والادب وغيرهما زمنا كثيرا واخذ عنه علماء ، وكان سريع البديهة في نظم الشعر .

برنامج الوادى آشي : ٥٩ ، رحلة ابن رشيد (الاسكوريال رقم : ١٧٣٥) ق/ ١٤

٨ — علي بن عبد الله بن رمّان (٦٣٢—٧٠٩) ، تونسي . أخذ عن القاضي ابي الفضل ابن البراء والاستاذ ابي الحسن ابن عصفور وأبي عبد الله محمد بن ابراهيم الشريشي وأبي عبد الله ابن الابار ، كان نحويا مقرئا .

برنامج الوادى آشي : ٦٣ ، بغية الوعاة ٢/ ١٧٢ .

٩ — علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن احمد ، أبو الحسن ابن قطرال (٥٦٢ — ٦٥١) ، فاسي المولد مراكشي . روى عن أبي بكر ابن الجد وابن أبي زمنين وأبي جعفر ابن يحيى ولازمه كثيرا وأبي الحسن ابن كوثر وأبي الحسن نجبة وأبي عبد الله ابن زرقون وأبي عبد الله ابن سعادة وأبي محمد ابن برطلة وأبي عبد الله ابن الفخار . كان ريان من الادب ، كاتبا بليغا دمث الاخلاق ، فقيها حافظا عاقدا للشروط . روى عنه ابن الابار .

التكملة (مدريد) رقم : ١٩١١ ، صلة الصلة : ١٣٨ (٢٧٩) الاحاطة ٤/ ١٩٠ .

١٠ - علي بن ابي القاسم بن رزين ، أبو الحسن التجيبي (- ٦٩٢) ، تونسي . اخذ عن جماعة ضمّنهم برنامج روايته كأبي الحسين ابن السرّاج ولازم اباعبد الله ابن الابار للاخذ عنه وغيرهما ، واجازه جماعة من المشارقة بافادة البلفيقي . وله تواليف منها . نظم الفريد في منتخب الادب الطارف والتليد ، والاخبار التونسية في الاخبار الفرنسية والدرر الثمينة في خبر القل وفتح قسنطينة .

برنامج الوادي آشي : ٦٥ ، رحلة العبدري : ٢٥٢ ، رحلة ابن رشيد (الاسكوريال رقم : ١٧٣٥) ق / ٢٣ .

١١ - عيسى بن لبّ بن محمد بن الحسين ، أبو الحسن الزهري (- ٦٨٦) ، روى عن ابي الحسين ابن السراج وابي بكر محمد ابن سيد الناس وابي بكر ابن محرز وابن قطرال وروى عن صهره أبي زوجه أبي عبد الله ابن الابار ، وتوفي بتونس .

الذيل والتكملة ٥/ ٥٠٤ (٩٢٩)

١٢ - محمد بن ابراهيم بن محمد ، ابن الحاج البلفيقي (- ٦٩٤) ، سبتي . نشأ بها على طهارة تامة وعفّة بالغة وصون ظاهر ونبذ الدنيا وبالغ في الانقباض وانقطع الى الله برباطات سبتة وجبالها وله كرامات . اخذ عن جماعة من اهل العدوة ، ومن اهل الاندلس عن ابي عبد الله الازدي وابي بكر ابن مشليون وأبي الحسين ابن السراج وقوم واخذ عن أبي عبد الله ابن الابّار ، وامتحن بالسلطان .

الاحاطة ٣/ ٢٤٨ .

١٣ - محمد بن ابراهيم بن يحيى بن مجاهد ، أبو الحسن الاشبيلي (٦٢٨ أو ٦٣٠ - ٧٠٢) ، اخذ عن أبي الحسن ابن السراج وابي بكر ابن سيد الناس وابي بكر ابن محرز وابي عبد الله القضاعي .

برنامج الوادى آشي : ٦١ وفيه ذكر لمصادر اخرى .

١٤ - محمد بن احمد بن محمد بن حيّان ، أبو عبد الله الاوسي الانصارى (٦٣٥ - ٧١٨) ، شاطبي نزل تونس . سمع من أبي المطرف ابن عميرة وأبي اسحاق ابن عيّاش وأبي محمد ابن برطلة وأبي الحسين ابن السراج وابي عبد الله ابن الآبار وتدّبج مع ابن رشيد السبتي . سمع العالي والنازل واقتنى من الامهات والاجزاء كثيرا وكتب بخطه ما لا يحصى وخطّه من جيّد الخطوط . فقيه راوية مسند مكثر

برنامج الوادى آشي : ٦٧ وفيه ذكر لمصادر اخرى ، ورحلة ابن رشيد ، تونس عند الورود (تحقيق الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة ، الجزء الثاني ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٢) : ١٧٣

١٥ - محمد بن أحمد بن محمد بن عمر بن ابراهيم الفهرى ، أبو عبد الله ابن الجلّاب (- ٦٦٤) اشبيلي الاصل سكن تونس . اخذ عن ابن الابار ولازمه طويلا واكثر عنه وفي شيوخه كثرة . وكانت له عناية تامة برواية الحديث ومعرفة رجاله ، ومعرفة بالتاريخ وحظ صالح من الادب وقرض الشعر وانشاء النثر ومشاركة في النحو وله تواليف . واستشهد في مركب غلب عليه العدو .

الذيل والتكملة ٦/ ٥٢ (١٠٢) ، رحلة ابن رشيد (الاسكوريال رقم : ١٧٣٧) ق/ ١٢٧ .

١٦ - محمد بن احمد بن عبد الله بن يحيى بن محمد ، ابو بكر ابن سيّد الناس اليعمرى (٥٩٧ - ٦٥٩) ، اصله من أُبَّدة . اخذ عن جملة من المشايخ منهم ابو محمد الزهرى وابو العباس احمد بن مقدام الرعيني وابو حفص السلمي وابو ذر الخشني وابو القاسم الملاحي وذكر ابن عبد الملك انه اخذ عن ابن الابار . كان راوية حافظا للحديث ، عارفا برجاله وبأسمائهم وتاريخ وفاتهم وكان يقوم على البخارى قياما حسنا .

عنوان الدراية : ٢٩١ ، تذكرة الحفاظ : ١٤٥٠ ، الوافي ٢/ ١٢١ (٤٦٨) .

- ملحق رقـــم ٢ -

مصادر كتـــــاب التكملـــــــة

١٧ — محمد بن اسماعيل بن محمد بن اسماعيل بن خميس، أبو عامر الجمحي (— ٦٢٩)، قسطنطاني . روى بصيرا بالاحكام مبرزا في عقد الشروط ، حسن الخط ،عرف بالنزاهة وكتب عن القضاة .

التكملة ٢/ ٦٢٨ ،الذيل والتكملة ٦/ ١٢٧ (٣٢٠) .

١٨ — محمد بن حزب الله بن عبد الصمد بن احمد بن مالك بن بلال ابو الحسن الانصاري ، بلنسي . روى عن ابي الحسن ابن خيرة وأبي الربيع ابن سالم وأبي عبد الله ابن الابار وجماعة من جلة مشايخ شرق الاندلس .

الذيل والتكملة ٦/ ١٥٧ (٤١٨)

١٩ — محمد بن صالح بن احمد بن محمد ،ابوعبد الله الكناني (٦١٤ — ٦٩٢)، شاطبي نزل بجاية . روى عن أبي بكر ابن وضاح وابن محرز وابي بكر ابن سيد الناس وابي الحسن ابن قطرال وابي الحسن ابن سراج وابن قبّوج وابي عبد الله ابن الابار . وكان شيخا صالحا فاضلا مجودا للقرآن متقنا لادائه لازم اقراءه طويلا وكان له حظ من الادب وقرض الشعر .

الذيل والتكملة ٦/ ٢٣١ (٦٧٢) ،عنوان الدراية : ٧٩ ، برنامج الوادي آشي : ١٣٦ ، رحلة العبدري : ٢٧ .

أ - كتب التاريــخ :

أعيـــان الموالي الرازى

تاريخ الرازى

تاريخ ابن حيان ، والانتخاب الجامع لمآثر بني الخطاب له .

تاريخ عريب بن سعيد

تاريخ محمد بن حارث

اخبار ابن مسّرة واصحابه

تاريخ ابن يونس

تاريخ ابي بكر ابن أبي فيّاض

تاريخ أبي بكر ابن الصيرفي

تاريخ خلف بن عبد الله بن سعيد الازدى

تاريخ حماد بن ابراهيم المخزومي الذى الفه للعزيز بالله ابن المنصور الصنهاجي امير بجاية .

تاريخ ابن عفيف

نقط العروس لابن حزم

الاستظهار والمغالبة على من انكر فضائل الصقالبة لحبيب الصقلبي

تقييد مفيد في التاريخ لايوب بن محمد بن وهب

البيان الواضح في الملمّ الفادح في تغلّب الروم على بلنسية قبل الخمسمائة لابي عبد الله محمد بن الخلف بن الحسن بن علقمة .

ب - كتب التراجم والرجال :

تاريخ علماء الاندلس لابن الفرضي

جذوة المقتبس للحميدى

طبقات النحويين للزبيدى

زيادات ابن عزير اليانشتي على طبقات الزبيدى

الصلة لابن بشكوال وملحقاته وزياداته له ، والتنبيه والتعيين لمن دخل الاندلس من التابعين له ، ورجال أبي عمر ابن عبد البر له أيضا .

زيادات محمد بن عبد الله القنطرى على الصلة لابن بشكوال

اقتضاب صلة ابن بشكوال والاستلحاق عليه لابن حبيش

طبقات ائمة الفقهاء لابي الوليد ابن الدبّاغ

طبقات الامم لصاعد

تاريخ علماء افريقية لابي العرب

رياض النفوس للمالكي

طبقات ابن جلجل

الطبقات لابي عمرو المقرئ

تاريخ ابن عزير

تاريخ ابن عيّاد

تاريخ ابن فرقد

تاريخ ابن فرتون

ج - الفهارس والبرامج والمشيخات والمعاجم :

برنامج ابي شاكر عبد الواحد بن محمد بن موهب

ورقات من برنامج القاضي يونس بن عبد الله

برنامج حكم الجذامي

برنامج أبي محمد ابن عطيـــة

برنامج أبي بكر المصحفـــي

برنامج الخولاني المسمى الاستذكار

برنامج ابن بشكوال

برنامج أبي الوليد الباجـــي

برنامج ابي الحسن ابن الباذش

برنامج ابن العربي ابي بكـــــر

برنامج ابي بكر ابن أبي جمـــرة

برنامج ابن حوط الله

برنامج الصاحبين المشترك بينهما ابن شنظير وابن ميمون

مشيخة ابي بكر محمد بن طاهر القيسي

مشيخة ابي عبد الله محمد بن عبد الرحمن التجيبي

مشيخة ابن الطيلسان

مشيخة ابي الوليد ابن الدبّاغ

مشيخة ابي الوليد ابن خيـــرة

فهرسة ابي عبد الله الطّراز محمد بن سعيد بن علي الانصارى

فهرسة ابن خيـــــر

فهرسة ابي محمد ابن السيّد

فهرسة شيوخ القاضي عياض ـ الغنية

فهرسة شيوخ محمد بن القاسم بن عبد الرحمن التميمي : " النجوم المشرقة في ذكر من اخذ عنه من كل ثبت وثقة".

فهرسة أبي العباس احمد بن محمد بن عبد الرحيم ابن البراذعي

معجم شيوخ ابن عيّاد

معجم شيوخ ابن سفيان

معجم شيوخ الصدفي لعياض

معجم شيوخ ابن بشكوال

معجم شيوخ ابي الربيع ابن سالم

د ـ **كتب الادب وتاريخه :**

الحدائق لابن فرج الجيّاني

قلائد العقيان لابن خاقان

طوق الحمامة لابن حزم

رسالة في فضل الاندلس لابن حزم

الانموذج لابن رشيق

قراضة الذهب لابن رشيق

الذخيرة لابن بسّام الشنتريني

هـ - كتب مختلفـــة

المؤتلف والمختلف لابن نقطة البغدادى

الاكمال لابن ماكولاء

جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر

الاذكياء لابن الجوزى

درر القلائد وغرر الفوائد لمحمد بن احمد بن عامر البلوى السالمي

كتاب المسكتة للامير عبد الله الناصر

تقييدات بخط الامير الحكم المستنصر

فوائد الحكم المستنصر

فوائد أبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي

فوائد ابي الحكم ابن غشليان

فوائد ابي محمد العثماني

فوائد ابي الوليد ابن الدبّاغ

تقييدات بخط ابي الربيع ابن سالم

تقييدات بخط ابي القاسم ابن حبيش

جملة من أصول ابي علي الصدفي

الرواة عن مالك للخطيب البغدادى

تاريخ بغداد للخطيب البغدادى

و - مصادر اخرى

رخامات القبور

اجازات واوراق وتملكات خاصة اوعائلية

ثبت مصادر البحث ومراجعـــه

- ابن الابار - حياته وكتبه للدكتور عبد العزيزعبد المجيد ، الرباط ، معهد مولاى الحسن ، ١٩٥١ .

- "ابن الابار في ثلاثة كتب" لمحمد رشاد الحمزاوى ، مجلة حوليات الجامعة التونسية العدد الثالث ، السنة ١٩٦٦ ، ص : ٢٥٥ - ٢٦٧ .

- "ابن حبيش الاندلسي واهميته في الدراسات التحليلية للطبرى والواقدى وابن عساكر" لعبد المنعم مختار أمين ، مجلة دراسات عربية (بيروت) ، العدد ١ ، السنة ١٧ ، تشرين الثاني - كانون الاول ، ١٩٨٠ ، ص : ٧١ - ٨١ .

- ابن الرومي - حياته من شعره لعباس محمود العقاد ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ط ٥ ، ١٩٦٣ .

- أبو المطرف أحمد بن عميرة - حياته واثاره لمحمد بنشريفة ، الرباط ، ١٩٦٦ .

- أثر الثقافة الاسلامية في الكوميديا الالهية ، للدكتور صلاح فضل ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٩ .

- الاحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب (١ - ٤) ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٧٣ - ١٩٧٨ .

- اخبار المهدى ابن تومرت للبيذق ، دار المنصور ، الرباط ، ١٩٧١ .

- اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى لابن سعيد ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، القاهرة ، ١٩٥٩ .

- الاربعون حديثا للبكرى ، تحقيق محمد محفوظ ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ١٩٨٠ .

- أزهار الرياض في اخبار عياض للمقرى (١ - ٣) ، تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابيارى وعبد الحفيظ شلبي ، القاهرة ، ١٩٤٢ ؛ (٤) ، تحقيق سعيد احمد اعراب ومحمد بن تاويت ، المغرب ، بدون تاريخ ؛ (٥) ، تحقيق الدكتور عبد السلام هراس وسعيد احمد اعراب ، المغرب ، ١٩٨٠ .

- الاستقصا في اخبار المغرب الاقصى للسلاوى (٢) ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤ .

- الاستيعاب في معرفة الاصحاب لابن عبد البر (١) ، تحقيق علي محمد البجاوى ، القاهرة ، بدون تاريخ .

- أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الاثير (١) ، طهران ، ١٣٤٢ .

- الاسد والغواص - حكاية رمزية عربية من القرن الخامس الهجرى ، تحقيق الدكتور رضوان السيد ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٧٨ .

- أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ، تحقيق هلموت ريتر ، استانبول ، ١٩٥٤ .

- الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (١ ، ٣) ، القاهرة ، ١٣٢٣ - ١٣٢٥ .

- " الاصوات النضالية والانهزامية في الشعر الاندلسي " للطرايسي أحمد أعراب ، مجلة عالم الفكر (الكويت) ، المجلد ١٢ ، السنة ١٩٨١ ، ص ، ١٣١ - ١٧٠ .

- اعتاب الكتاب لابن الابار ، تحقيق الدكتور صالح الاشتر ، مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٩٦١ .

- الاعلام لخير الدين الزركلي (١ - ٨) ، دار العلم للملايين ، ط ٥ ، بيروت ، ١٩٨٠ .

- الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوى ، (ضمن كتاب علم التاريخ عند المسلمين لفرانتز روزنتال) ، ترجمة الدكتور صالح احمد العلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٣ .

- اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام لابن الخطيب ، تحقيق ليفي بروفنسال ، دار المكشوف بيروت ، ١٩٥٦ .

- الاكمال لابن ماكولا (٧) ، باعتناء نايف العباس ، الناشر محمد أمين دمج ، بيروت ، بدون تاريخ .

- الانوار ومحاسن الاشعار للشمشاطي (١-٢) ، تحقيق الدكتور السيد محمد يوسف ، الكويت ، ١٩٧٧ - ١٩٧٨ .

- الأنيس المطرب بروض القرطاس لابن أبي زرع، دار المنصور، الرباط، ١٩٧٣ .
- البحترى بين نقاد عصره لصالح حسن اليظي، دار الاندلس، بيروت، ١٩٨٢.
- البدر السافر في انس المسافر للأدفوى، صورة عن مخطوط الفاتح رقم : ٤٢٠١.
- البديع في وصف الربيع لابن عامر الحميرى، باعتناء هنرى بيريس، الرباط، ١٩٤٠.
- برنامج التجيبي، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، ١٩٨١ .
- برنامج شيوخ الرعيني، تحقيق ابراهيم شبّوح، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٦٢.
- برنامج الوادى آشي، تحقيق محمد محفوظ، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٨١.
- بغية الملتمس للضبي، نشره كوديره وزيدين، مدريد، ١٨٨٥ .
- بغية الوعاة للسيوطي (١ - ٢)، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، القاهرة، ١٩٦٤.
- البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي، تحقيق هويثي ميرنده، تطوان، ١٩٦٠ .
- البيان والتبيين للجاحظ (١)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة، ١٣٦٩.
- بيوتات فاس الكبرى لعدد من المؤلفين من بينهم ابن الاحمر، دار المنصور، الرباط، ١٩٧١ .
- تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر) (٦)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦٠ .
- تاريخ الادب الاندلسي - عصر سيادة قرطبة للدكتور احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط ٢، ١٩٦٩.
- تاريخ الادب الاندلسي - عصر الطوائف والمرابطين للدكتور احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط ٣، ١٩٧٤ .

- تاريخ الادب العربي لكارل بروكلمان (٥) ، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب ومراجعة الدكتور السيد يعقوب بكر ، دار المعارف بمصر ، ط ٢ ، ١٩٧٧ ، (٦) ، ترجمة الدكتور السيد يعقوب بكر ومراجعة الدكتور رمضان عبد التواب ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٧ .

- تاريخ الاسلام للذهبي (مخطوط البودليان ، اكسفورد (Land.Or.305) ، (١٨) ، تحقيق الدكتور بشّار عواد معروف ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٧٧ .

- تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ليوسف اشباخ ، ترجمة محمد عبد الله عنان ، القاهرة ، ١٩٤١ .

- تاريخ التراث العربي لفؤاد سيزكين (١ـ٢) ، ترجمة الدكتور محمود فهمي حجازى والدكتور فهمي أبو الفضل ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨ .

- تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس للدكتور حسين مؤنس ، معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ، ١٩٦٧ .

- تاريخ الدولتين الحفصّية والموحّدية ، تحقيق محمد ماضور ، المكتبة العتيقة ، تونس ، ١٩٦٦ .

- تاريخ العلماء والرواة للعلم في الاندلس لابن الفرضي (١ ـ ٢) ، نشرة عزّت العطار الحسيني ، القاهرة ، ١٩٥٤ ، ونشرة الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

- تاريخ الفكر الاندلسي لآنخل بالنثيا ، ترجمة الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٥٥ .

- تاريخ المغرب ـ محاولة في التركيب لعبد الله العروى ، ترجمة الدكتور ذوقان قرقوط ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٧ .

- تاريخ المن بالامامة على المستضعفين لابن صاحب الصلاة ، تحقيق عبد الهادى التازى ، دار الاندلس ، بيروت ، ١٩٦٤ .

- تاريخ النقد الادبي عند العرب من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجرى للدكتور احسان عباس ، دار الامانة ومؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٧١ .

- تدريب الراوى للسيوطي (١ – ٢) ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، القاهرة ، ١٩٦٦ .
- تذكرة الحفاظ للذهبي (١ – ٤) ، حيدر أباد الدكن ، ١٩٥٥ .
- ترتيب المدارك للقاضي عياض (٣) ، تحقيق عبد القادر الصحراوى ، الرباط ، بدون تاريخ .
- التشبيهات من أشعار اهل الاندلس لابن الكتاني ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار الشروق ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨١ .
- "التشيع في الاندلس" للدكتور محمود علي مكي ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية (مدريد) ، العدد ١–٢ ، المجلد ٢ ، السنة ١٩٥٤ ، ص : ٩٣ – ١٥٠ .
- تكملة اكمال الاكمال لابن الصابوني ، تحقيق مصطفى جواد ، بغداد ، ١٩٥٧ .
- التكملة لكتاب الصلة لابن الابار ، نشرة كوديره ، المكتبة العربية الاسبانية ٥–٦ ، مدريد ، ١٨٨٩ ؛ ونشرة عزت العطار الحسيني (١ – ٢) ، القاهرة ، ١٩٥٦ ؛ ونشرة الفريد بل ومحمد أبو شنب ، الجزائر ، ١٩٢٠ .
- التكملة لوفيات النقلة للمنذرى (١–٤) ، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨١ .
- "التنظيمات الحزبية عند الموحدين في المغرب" لعز الدين احمد موسى ، مجلة الابحاث (الجامعة الاميركية في بيروت) ، الاعداد ١–٤ ، السنة ٢٣ ، ١٩٧٠ ، ص : ٥٣ – ٨٩ .
- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني (٢ ، ١٠ ، ١٢) ، حيدر أباد الدكن ، ١٣٢٥ – ١٣٢٧ .
- جامع الزيتونة ومدارس العلم في العهدين الحفصي والتركي للطاهر المعمورى ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا – تونس ، ١٩٨٠ .
- جامع الاصول لابن الاثير (١–١٦) ، صححه محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمديّة ، القاهرة ، ١٩٤٩ – ١٩٥٤ .

- الجامع الصغير للسيوطي (١ـ٢) ، القاهرة ، ١٩٥٤ .
- "الجانب السياسي من رحلة ابن العربي الى المشرق" للدكتور احسان عباس ، مجلة الابحاث (الجامعة الاميركية في بيروت) ، العدد ١٦، السنة ١٩٦٣ ، ص : ٢١٧ـ٢٣٦ .
- جذوة المقتبس للحميدى ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ، القاهرة ، ١٩٥٢ .
- الجغرافية التاريخية للعالم الاسلامي خلال القرون الاربعة الاولى لموريس لومبارد ، ترجمة عبد الرحمن حميدة ، دار الفكر ، دمشق ، بدون تاريخ .
- جمهرة انساب العرب لابن حزم ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف بمصر ، ط ٣ ، ١٩٧١ .
- حذف من نسب قريش لمؤرج السدوسي ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة ، ١٩٦٠ .
- الحلة السيراء لابن الابار ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٦٣ .
- الحلة السيراء لعبد الله انيس الطباع ، دار النشر للجامعيين ، بيروت ، ١٩٦١ .
- الحلل السندسية في الاخبار الاندلسية للامير شكيب ارسلان (٣) ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، بدون تاريخ .
- الحلل السندسية في الاخبار التونسية لابن السراج (١ـ٤) ، تحقيق محمد الحبيب الهيلة ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٧٠ .
- الحلل الموشية (لابن السماك) [1] ، تحقيق الدكتور سهيل زكار وعبد القادر زمامة ، الدار البيضاء ، ١٩٧٩ .

[1] انظر تقديم الدكتور محمود علي مكي على كتاب "الزهرات المنثورة" لابن السماك ، مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية (مدريد) ، المجلد ٢٠ ، ١٩٧٩ ـ ١٩٨٠ ، ص : ٤٠ ـ ٤٦ .

ـ حلية الفرسان وشعار الشجعان لابن هذيل ، تحقيق محمد عبد الغني حسن ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥١ .

ـ الخصائص الكبرى للسيوطي (١ ـ ٣) ، تحقيق الدكتور محمد خليل الهراس ، القاهرة ، ١٩٧٢ .

ـ الخبر المعرب عن الامر المغرب الحال بالاندلس وثغور المغرب ، مخطوط الخزانة العامة بالرباط ، رقم : ٢٢٦٣ ك .

ـ خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الكاتب (١ ـ ٣) قسم شعراء الاندلس ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٦٦ ـ ١٩٧٢ .

ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (٢) ، مصر ، ١٣١٤ .

ـ دراسات اندلسية في الادب والتاريخ والفلسفة للدكتور الطاهر احمد مكي ، دار المعارف بمصر ، ١٩٨٠ .

ـ دراسات عربية واسلامية مهداة الى احسان عباس بمناسبة بلوغه الستين ، تحرير الدكتورة وداد القاضي ، الجامعة الاميركية في بيروت ، بيروت ، ١٩٨١ .

ـ دراسات في تاريخ افريقية وفي الحضارة الاسلامية في العصر الوسيط لمحمد الطالبي ، منشورات الجامعة التونسية ، ١٩٨٢ .

ـ درر السمط في خبر السبط لابن الابار ، تحقيق الدكتور عبد السلام هراس وسعيد احمد اعراب ، تطوان ، ١٩٧٢ .

ـ "درر السمط في خبر السبط" لمحسن جمال الدين ، مجلة البلاغ (بغداد) ، العدد العاشر ، السنة ٤ ، ١٩٧٤ ، ص : ٥ ـ ١١ ، العدد ١ ، السنة ٥ ، ١٩٧٤ ، ص : ١٠ ـ ١٥ .

ـ دلائل النبوة لابي نعيم ، حيدر أباد الدكن ، ط ٢ ، ١٩٥٠ .

- دلائل النبوة للبيهقي (١) ، تحقيق السيد احمد صقر ، القاهرة ، ١٩٧٠ .
- ديالكتيك العلاقة المعقدة بين المثالية والمادية لعزيز السيد جاسم ، دار النهار للنشر ، بيروت ، ١٩٨٢ .
- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب لابن فرحون ، القاهرة ، ١٣٥١ .
- ديوان ابن الابار مخطوط الخزانة الملكية بالرباط رقم : ٤٦٠٢ ، ومنه نسخة في معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية ، القاهرة رقم : ١٣٠٦ .
- ديوان ابن خفاجة تحقيق الدكتور السيد مصطفى غازى ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٦٠ .
- ديوان ابن دراج القسطلي ، تحقيق الدكتور محمود علي مكي ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٨٩ .
- ديوان ابن الرومي (٦) ، تحقيق الدكتور حسين نصار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨١ .
- ديوان ابن سهل ، قدم له الدكتور احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٧ .
- ديوان ابي تمام (١ – ٤) ، تحقيق محمد عبده عزام ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥١–١٩٦٥ .
- ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدى ، باعتناء فريدريخ ديتريصي ، برلين ، ١٨٤١ .
- ديوان البحترى (١ – ٥) ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف بمصر ، ط ٢ ، ١٩٧٢ .
- ديوان حازم القرطاجني (قصائد ومقطعات صنعة أبي الحسن حازم) ، تحقيق الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٧٢ .
- ديوان الرصافي البلنسي ، جمعه وقدم له الدكتور احسان عباس ، دار الشروق ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٣ .

- ديوان الشريف الرضي (١-٢) ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت ، ١٩٦١ .
- ديوان شعر بشار بن برد ، تحقيق بدر الدين العلوى ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٤ .
- ديوان شعر الخوارج ، جمع وتحقيق الدكتور احسان عباس ، دار الشروق ، بيروت ، ط ٤ ، ١٩٨٢ .
- ديوان الصنوبري ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٠ ؛ وتتمة ديوان الصنوبري ، جمع لطفي الصقال ودرية الخطيب ، حلب ، ١٩٧١ .
- ديوان النابغة الذبياني صنعة ابن السكّيت ، تحقيق الدكتور شكرى الفيصل ، دار الفكر ، بيروت ، بدون تاريخ ؛ وتحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٧ .
- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينيّة لابن ابي زرع ، دار المنصور ، الرباط ، ١٩٧٢ .
- الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة لابن بسام (أربعة اقسام في ثمانية مجلدات) ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا - تونس ، ١٩٧٥-١٩٧٨ .
- ذيل مرآة الزمان لليونيني (٢) ، حيدر أباد الدكن ، ١٩٥٥ .
- الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي (١) ، تحقيق الدكتور محمد بنشريفة ، دار الثقافة ، بيروت ، بدون تاريخ ؛ (٤ - ٦) ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٤ - ١٩٧٣ ؛ (قسم الغرباء) ، نسخة السيد عباس بن ابراهيم ، مصورة في مكتبة الدكتور احسان عباس .
- رايات المبرزين وغايات المميزين لابن سعيد ، تحقيق اميليو غارسيا غومس ، مدريد ، ١٩٤٢ .
- "رحلة ابن العربي الى المشرق" للدكتور احسان عباس ، مجلة الابحاث (الجامعة الاميركية في بيروت) ، العدد ٢١ ، السنة ١٩٦٨ ، ص : ٥٩-٩١ .

- رحلة ابن رشيد = ملء العيبة .
- رحلة التجاني ، باعتناء حسن حسني عبد الوهاب ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ـ تونس ، ط ٢ ، ١٩٨١ .
- رحلة التجيبي = مستفاد الرحلة والاغتراب .
- رحلة العبدري (الرحلة المغربية) ، تحقيق محمد الفاسي ، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ، الرباط ، ١٩٦٨ .
- رسالة افتتاح الدعوة للقاضي النعمان بن محمد ، تحقيق وداد القاضي ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٠ .
- رسالة في المفاضلة بين الصحابة لابن حزم ، تحقيق سعيد الافغاني ، دار الفكر ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٦٩ .
- رسائل ابن حزم (١ ـ ٣) ، تحقيق الدكتور احسان عبّاس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٠ ـ ١٩٨١ .
- رسائل ابن عميرة الضبي ، مخطوط الخزانة العامة بالرباط ، رقم : ٢٣٢ و ٢٣٣ ك .
- رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة للشريف الغرناطي (١ ـ ٢) ، مصر ، ١٣٤٤ .
- الروض المعطار للحميرى ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٧٥ .
- زاد المسافر وغرّة محيّا الادب السافر لصفوان التجيبي ، تحقيق عبد القادر محداد ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٧٠ .
- سبك المقال لابن الطواح ، مخطوط الخزانة الملكية بالرباط رقم : ١٠٥ .
- سرور النفس بمدارك الحواس الخمس للتيفاشي تهذيب ابن منظور ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٠ .
- سنن ابي داود (٥) ، تعليق عزت الدعاس وعادل السيد ، دار الحديث ، حمص ، ١٩٧٤ .

- سنن الترمذى (١ - ٥) ، تحقيق ابراهيم عطوه عوض ، البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٦٢.

- سنن الدار قطني (١ - ٤) ، تحقيق السيد عبد الله هاشم يماني المدني ، القاهرة ، ١٩٦٦.

- سنن الدارمي ، تحقيق محمد أحمد دهمان ، دار احياء السنة النبوية ، بدون تاريخ .

- شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف (١ - ٢) ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٤٩.

- شذرات الذهب لابن العماد (١ - ٨) ، مكتبة القدسي ، القاهرة ، ١٣٥٠.

- شرح كفاية المتحفظ لمحمد بن الطيب الفاسي ، تحقيق الدكتور علي حسين البواب ، دار العلوم ، الرياض ، ١٩٨٣.

- شرح مقامات الحريرى للشريشي (٢) ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، ١٩٦٩.

- شعر الرمادى - يوسف بن هارون ، جمعه وقدم له ماهر زهير جرّار ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٠.

- الشعر والشعراء لابن قتيبة ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٦.

- صحيح البخارى (١ - ٩) ، البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٥٨.

- صحيح مسلم (١ - ٥) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٥٥ - ١٩٥٦.

- صفة الصفوة لابن الجوزى (١ - ٤) تحقيق محمد الفاخوري ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٩.

- الصقالبة في اسبانية لاحمد مختار العبادي ، المعهد المصري للدراسات الاسلامية ، مدريد ، ١٩٥٣.

- الصلة لابن بشكوال (١ — ٢) ، نشرة عزّت العطار الحسيني ، القاهرة ، ١٩٥٥، ونشرة الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

- صلة الصلة لابن الزبير ، نشره ليفي بروفنسال ، الرباط ، ١٩٣٧ .

- الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي ، باعتناء عبد الوهاب عبد اللطيف ، القاهرة ، بدون تاريخ .

- العبر في خبر من عبر للذهبي (١ — ٥) ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد وفؤاد السيد ، الكويت ، ١٩٦١ — ١٩٦٦ .

- عبقرية البحترى لعبد العزيز سيّد الاهل ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٥٣ .

- عقود الجمان للزركشي ، صورة عن مخطوطة مكتبة الفاتح رقم : ٤٤٣٤ .

- العلامة ابن خلدون لايف لاكوست ، ترجمة الدكتور ميشال سليمان ، دار ابن خلدون ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٧٨ .

- العلل المتناهية في الاحاديث الواهية لابن الجوزى (١ — ٢) ، تحقيق ارشاد الحق الاثرى ، لاهور ، باكستان ، ١٩٧٩ .

- عنوان الدراية للغبريني ، تحقيق عادل نويهض ، دار الافاق الجديدة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٩ .

- العواصم من القواصم لابن العربي ، تحقيق عمار الطالبي (الجزء الثاني من كتاب آراء ابن العربي الكلامية) ، الجزائر ، ١٩٧٤ .

- عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي (٢٠) ، تحقيق الدكتور فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨٠ .

- غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزرى (١ — ٢) ، تحقيق برجشترا سر ، القاهرة ، ١٩٣٢ — ١٩٣٣ .

- الغنية - فهرست شيوخ القاضي عياض ، تحقيق ماهر زهير جرّار ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ١٩٨٢ .

- الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية لابن قنفذ القسنطيني ، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٦٨ .

- الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي لالفرد بل ، ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى ، دار الغرب الاسلامي ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٨١ .

- فهرس الفهارس والاثبات للكتاني (١ - ٢) ، باعتناء الدكتور احسان عباس ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ١٩٨٢ .

- فهرسة ابن خير الاشبيلي ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٧٩ ، عن طبعة كوديرة وريبيرا ، مدريد ، ١٨٩٣ .

- فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي (١ - ٥) ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٣ - ١٩٧٤ .

- قضاة قرطبة وعلماء افريقية للخشني ، القاهرة ، ١٣٧٢ .

- قلائد العقيان للفتح ابن خاقان ، باعتناء محمد العنابي ، المكتبة العتيقة ، تونس ، ١٩٦٦ .

- كتاب التيجان في ملوك حمير ، حيدرا باد الدكن ، ١٣٤٧ .

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (١ - ٢) ، وكالة المعارف ، استانبول ، ١٩٤١ - ١٩٤٣ .

- كنز العمال لعلي المتقي الهندى (١ - ١٦) ، مكتبة التراث الاسلامي ، حلب ، ١٩٦٩ - ١٩٧٧ .

- لسان العرب لابن منظور (١ - ٥) ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٥ - ١٩٥٦ .

- لسان الميزان لابن حجر العسقلاني (٣) ، حيدر أباد الدكن ، ١٣٢٩ .

- مجمع الزوائد لابن حجر الهيثمي (١ - ١٠) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٦٧ .

- مذكرات الامير عبد الله بن بلقين ، تحقيق ليفي بروفنسال ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٥ .

- المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، باعتناء ليفي بروفنسال ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

- مروج الذهب للمسعودى (٢) ، تحقيق شارل بيلا ، منشورات الجامعة اللبنانية ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٦٦ .

- مسالك الابصار لابن فضل الله العمرى (١١) ، صورة عن مخطوطة احمد الثالث ، رقم : ٢٧٩٧ .

- المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابورى (١ - ٤) ، وفي ذيله تلخيص المستدرك للذهبي ، حيدر أباد الدكن ، ١٣٣٤ - ١٣٤٢ .

- مستفاد الرحلة والاغتراب للتجيبي ، تحقيق عبد الحفيظ منصور ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا - تونس ، بدون تاريخ .

- "المستنصر الحفصي في المصادر المشرقية" للدكتور احسان عباس ، مجلة تاريخ العرب والعالم (بيروت) ، العدد ٤١ ، ٤٢ آذار / مارس ، ١٩٨٢ ، ص : ١٠ - ١٣ .

- مستودع العلامة لابن الاحمر ، تحقيق محمد التركي التونسي ، ومحمد بن تاويت التطواني ، تطوان ، ١٩٦٤ .

- المسلسلات العشرة لسيدى محمد السنوسي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٦٨ .

- مسند الامام احمد بن حنبل (١ - ٦) ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣١٣ .

- مسند الحميدى (١ - ٢) ، تحقيق حبيب الرحمن الاعظمي ، كراتشي ، ١٩٦٣ .

- المطرب من اشعار اهل المغرب لابن دحية ، تحقيق ابراهيم الابيارى والدكتور حامد عبد المجيد والدكتور احمد احمد بدوى ، القاهرة ، ١٩٥٥ .

- المعجب في تلخيص اخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي ، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي ، القاهرة ، ١٩٤٩ .
- معجم البلدان لياقوت (١ ـ ٥) ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٥ .
- المعجم في اصحاب القاضي ابي علي الصدفي لابن الابار ، باعتناء كوديره مدريد ، ١٨٨٥ ، وطبعة دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
- المعجم الكبير للطبراني (٢) ، باعتناء حمدي عبد المجيد السلفي ، بغداد ، ١٩٧٨ .
- المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم لفؤاد عبد الباقي ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٤ .
- المغرب في حلى المغرب لابن سعيد ، (١ ـ ٢) تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٦٤ .
- مفهوم الشعر ـ دراسة في التراث النقدي للدكتور جابر عصفور ، دار التنوير ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٢ .
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الاحاديث المشتهرة على الالسنة ، تصحيح عبد الله محمد الصديق وعبد الوهاب عبد اللطيف ، القاهرة ، ١٩٥٦ .
- المقامات اللزومية للسرقسطي ، تحقيق الدكتور بدر احمد ضيف ، الهيئة المصرية العامة ، الاسكندرية ، ١٩٨٢ .
- المقتبس من كتاب الانساب في معرفة الاصحاب للبيدق ، تحقيق عبد الوهاب منصور ، دار المنصور ، الرباط ، ١٩٧١ .
- المقتضب من تحفة القادم لابن الابار ، (اختصار البلفيقي) ، تحقيق ابراهيم الابياري ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ونشرة الفرد البستاني ، مجلة المشرق (بيروت) ، السنة ٤١ ، أيلول ١٩٤٧ ، ص : ٣٥١ ـ ٤٠٠ ، ٥٤٣ ـ ٥٨٥ .

- مقدمة ابن خلدون ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٦٠ .
- مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح ، تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، ١٩٧٦ .
- ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة لابن رشيد الفهري ، مخطوط الاسكوريال رقم : ١٧٣٥ ، ١٧٣٧ (الجزء الثاني — تونس عند الورود) ، تقديم وتحقيق الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٢ .
- ملقى السبيل لابن الابار ، نشرها الدكتور صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، ضمن سلسلة رسائل ونصوص (٣) ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٦٣ ، ط ٢ ، ١٩٨١ .
- الممالك الاسلامية في غرب افريقية واثرها في تجارة الذهب في العالم الاسلامي ، ترجمة الدكتور زاهر رياض ، القاهرة ، ١٩٦٨ .
- المناهل السلسلة في الاحاديث المسلسلة للكتوى ، مكتبة القدسي ، ١٣٥٧ .
- المنذرى وكتابه التكملة لوفيات النقلة للدكتور بشار عواد معروف ، النجف ، ١٩٦٨ .
- منهاج البلغاء وسراج الادباء لحازم القرطاجني ، تحقيق الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ١٩٨١ .
- الدكتور نور الدين العتر ، منهج النقد في علوم الحديث ، دار الفكر ، دمشق ، ط ٣ ، ١٩٨١ .
- موطأ الامام مالك بن انس ، باعتناء احمد راتب عرموش ، دار النفائس ، بيروت ، ط ٤ ، ١٩٨١ .
- ميزان الاعتدال للذهبي (١ — ٤) ، تحقيق علي محمد البجاوى ، القاهرة ، ١٩٦٣ .
- النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى (٥ — ٧) ، طبعة دار الكتب المصرية .
- نزهة المشتاق للادريسي (٥) ، نابولي ، ١٩٧٥ .

- نسب قريش للمصعب الزبيري ، تحقيق ليفي بروفنسال ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٣ ٠

- النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس/ الثاني عشر لعز الدين احمد موسى ، دار الشروق ، بيروت ، ١٩٨٣ ٠

- نشوة الطرب في جاهلية العرب لابن سعيد (١ — ٢) ، تحقيق الدكتور نصرت عبد الرحمن ، مكتبة الاقصى ، عمّان ، ١٩٨٢ ٠

- نصوص عن الاندلس للعذري ، تحقيق الدكتور عبد العزيز الاهواني ، معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ، ١٩٦٥ ٠

- نظرية الشعر العربي من خلال نقد المتنبي لمحيي الدين صبحي ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا — تونس ، ١٩٨١ ٠

- النظم الاسلامية في المغرب في القرون الوسطى لجورج هوبكنز ، نقله عن الانكليزية الدكتور امين توفيق الطيبي ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا — تونس ، ١٩٨٠ ٠

- نظم الجمان لابن القطان ، تحقيق الدكتور محمود علي مكي ، تطوان ، بدون تاريخ ٠

- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب للمقّري (١ — ٨) ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨ ٠

- نقد الشعر لقدامة بن جعفر ، تحقيق كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٧٩ ٠

- نكت الهميان للصفدي ، باعتناء احمد زكي ، القاهرة ، ١٩١١ ٠

- نهاية الارب في معرفة انساب العرب للقلقشندي ، بغداد ، ١٩٥٨ ٠

- النهاية في غريب الحديث لابن الاثير (١ — ٥) ، تحقيق طاهر احمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ، البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٦٣ — ١٩٦٥ ٠

- نوادر المخطوطات (٢) ، تحقيق محمد عبد السلام هارون ، البابي الحلبي ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٧٢ ٠

- الوافي بالوفيات للصفدي (١ ـ ١٢ ، ٢٤ ـ ١٧) ، باعتناء عدد من الباحثين ، سلسلة النشرات الاسلامية (رقم ٦) ، الصادرة عن المعهد الالماني للابحاث الشرقية ، بيروت ، دار النشر فرانز شتاينر ، فيسبادن ، ١٩٤٨ ـ ١٩٨٣ ، (٢٣) ، مخطوط تونس ١٣٣٢٩؛ (٢٦) ، مخطوط تونس ١٣٣٢١ .

- ورقات عن الحضارة العربية بافريقية التونسية لحسن حسني عبد الوهاب (١ ـ ٣) ، مكتبة المنار ، تونس ، ١٩٦٦ ـ ١٩٧٢ .

- ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين لمحمد المنوني ، الرباط ، ١٩٧٩ .

- الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني ، تحقيق وشرح محمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي ، البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

- وصف افريقية والمغرب والاندلس لابن فضل الله العمري مقتطف من كتاب مسالك الابصار ، باعتناء حسن حسني عبد الوهاب ، تونس ، بدون تاريخ .

- وفيات الاعيان لابن خلكان (١ ـ ٨) ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٨ ـ ١٩٧٢ .

Abun-Nasr, Jamil. A History of the Maghrib, Cambridge University Press, 1971.

Bel, Alfred. Les Benou Ghânya, Paris, 1903.

Boase, R. The Troubador Revival, London, 1978.

Brunschvig, Robert. La Berbérie orientale sous les Hafsides, 2 vols., Paris, 1940 - 1947.

Burns, Robert Ignatius. Islam under the Crusaders: Colonial Survival in the Thirteenth Century Kingdom of Valencia, Princeton University Press, Princeton, 1973.

__________. Medieval Colonialism, Princeton Unoversity Press, Princeton, 1975.

__________. Moors and Crusades in Mediterranean Spain, collected studies, Variorum Reprints, London, 1978.

The Cambridge Economic History Of Europe, vol. VI: The Agrarian Life of the Middle Ages, Cambridge, 1966.

Cantarino, Vincente. " The Spanish Reconquest: A Cluniac Holy War against Islam, " in Islam and the Medieval West, edited by Khalil I. Semaan, State University of New York Press, Albany, 1980.

Castro, Américo. The Structure of Spanish History, translated by Edmund L. King, Princeton, 1954.

Gestas Del Rey Don Jayme De Aragon, Madrid, 1909.

Ghedira, Amer. " Un Traité inédit d'Ibn al-Abbār ' A Tendance Chiite," Al-Andalus, vol. 22 (1957), pp 31-54.

Glick, Thomas F. Islamic and Christian Spain in the Early Middle Ages, comparative Perspectives on Social and Cultural Formation, Princeton University Press, Princeton, 1979.

__________. Irrigation and Society in Medieval Valencia, Harvard University Press, Cambridge, 1970.

Hodgett, Social and Economic History of Medieval Europe, London, 1972.

Imamuddin, S.M. Some Aspects of the Socio-Economic and Cultural History of Muslim Spain, E.J. -Brill, Leiden, 1965

Jackson, Gabriel. The Making of Medieval Spain, Thames and Hudson, London, 1972.

Julien, C.A. A History of North Africa, translated by John Petrie, London, 1970.

Krueger, Hilmar, C. " Genoese Trade with North West Africa in the Twelfth Century," Speculum, vol. XIII, July 1933, number 3, pp 377-395.

_______________. " The wares of Exchange in The Genoese-African Traffic of the Twelfth Century," Speculum, vol. XII, January 1937, number 1, pp 57-71.

Latham, Derek. "Ibn al-Aḥmārs Kitāb Mustawda^c al-^cAlāma: Towards a Commentary on the Author's Introduction," Studia Arabica et Islamica, Festschrift For Iḥsān ^cAbbās on His Sixtieth Birthday, edited by Wadād al-Qāḍi, American University of Beirut, Beirut, 1981, pp 313-332.

Le Tourneau, Roger. The Almohad Movement in North Africa in the Twelfth and Thirteenth Centuries, Princeton University Press, Princeton, 1969.

Lévi,-Provênçal E. "Valencia," Encyclopaedia of Islam, vol. 4 (1934), pp 1070-

Llampayas, Jose. Jaime I El Conquistador, Biblioteca Nueva, Madrid, 1942.

Lomax, Derek W. The Reconquest of Spain, Longmans, London-New York, 1978.

Lombard Maurice. "L'Or Musulman du VIIe au XIe siècles, les Bases monétaires d'une suprématie," Annales E.S.C., 1947, no. 2, pp 143-160.

Mackay, Angus. Spain in the Middle Ages, from Frontier to Empire 1000-1500, Macmillan Press, London, 1977.

_______________. "Recent Litterature on Spanish Economic History," Economic History Review, vol. 31/1, February 1978, pp 129-145.

Makdisi, George. The Rise of Colleges, Institutions of Learning in Islam and the West, Edinburgh University Press, Edinburgh, 1981.

Marçais G. "Bidjāya," Encyclopaedia of Islam , vol. 1 (1960), pp 1204-1206.

Menéndez Pidal, Ramon. The Cid and His Spain , translated by Harold Sunderland, Frank Cass and Company, London, 1971.

Miranda, Huici. Historia Politica del Imperio Almohade, 2 vols., Tetuan, 1956-1957.

_______________. Historia Musulmana de Valencia y Su Region, 3 Tomes, Valencia, 1969-1971.

Monroe, James. Islam and the Arabs in Spanish Scholarship: Sixteenth Century to the Present, E.J. Brill, Leiden, 1970.

Mundy, John H. Europe in the High Middle Ages 1150-1309, Longmans, London, 1973.

Nakosteen, Mehdi. History of Islamic Origins of Western Education, A.D. 800-1350, Colorado University Press, Colorado, 1964.

O'Callaghan , J. A History of Medieval Spain, Cornell University Press, 1975.

_______________. "Hermandades between the Military Orders of Caltrava and Santiago during the Castillan Reconquest," Speculum, vol. XIIV, October 1969, pp 609-617.

Pearson, J.D. Index Islamicus, 6 vols.(1908-1980), W. Heefer and Sons, Cambridge, 1958-1980.

Pellat, Ch. "Ibn al-Abbār," Encyclopaedia of Islam, vol. 3 (1971), pp 673-675.

Poigues, Pons. Ensayo Bibiliografico sobre Las Historiadores y Geografes Arabigo, Madrid, 1898.

Reilly, Bernard F. "The Historia Compostelana: The Genisis and Composition of a Twelfth Century Gesta," Speculum, vol. XLIV, January 1969, number 1, pp 78-85.

Sanchez-Albornoz, Claudio. El Islam de Espana y El Occidente, Coleccion Austral, no. 1560, Madrid, 1974.

Vives-Vicens, Jaime. Aproximacion a La Historia de España, Vicens Bolsillo, Barcelona, 1978.

____________. An Economic History of Spain, translated by Frances Lopez-Morillas, Princeton University Press, Princeton, 1969.

Von Heinrichs, Wolfhart. Arabische Dichtung und Griechische Poetik, Ḥāzim al-Qartāǧannis Grundlegung der Poetik mit Hilfe Aristotelischer Bergriffe, Orient-Institut, BTS 8, Beirut, 1969.

Watt, W. Montegomery. The Influence of Islam on Medieval Europe, Edinburgh, 1972.

____________. " The Decline of the Almohads, " History of Religions, vol. 4, (1964-1965), pp 23-29.

Wieruszowski, Helen. " The Rise of The Catalan Languages in the Thirteenth Century, " in Politics and Culture in Medieval Spain and Italy, Edizioni distoria e Litteratura, Rome, 1971, pp 107-118.